تقريب القرآن

إلى الأذهان

آية الله العظمى الإمام
السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله مقامه)

المجلد الرابع

دار العلوم

بسم الله الرحمن الرحیم

تقريب القرآن الى الاذهان

كاتب:

محمد الحسينى الشيرازى

نشرت فى الطباعة:

ايمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

تقريب القرآن الى الاذهان المجلد ۴

اشارة

سرشناسه : شيرازى، محمد
عنوان و نام پديدآور :تقريب القرآن الى الاذهان/ محمد شيرازى
مشخصات نشر : قم: ايمان، [۱۳؟؟].
مشخصات ظاهرى : ۱۶۸ ص.
عنوان ديگر : تقريب القرآن الى الاذهان
موضوع : تفاسير شيعه
موضوع : تفاسير -- قرن ۱۴
رده بندى كنگره : BP۹۸/ح۴۶ت۷۰۴۲۱۵ ۱۳۰۰ى
رده بندى ديويى : ۲۹۷/۱۷۹
شماره كتابشناسى ملى : م۶۵-۲۱۷۶

[تتمة سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السّلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۷
[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۲۱ الى ۲۲]
وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (۲۱) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (۲۲)
[۲۲] وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا و هم الكفار المنكرون للبعث، الذين ليس لهم حتى الأمل و الرجاء فى لقاء جزاء الله و حسابه لَوْ لا أى هلّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ ليخبرونا بأن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نبى أَوْ نَرى رَبَّنا فيخبرنا بذلك، و يأمرنا بإطاعة الرسول و اتّباعه، فرد عليهم الله سبحانه بقوله لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا أى تكبروا، و كان الإتيان من باب الاستفعال لإفادة أنهم إنما طلبوا الكبر، مع أن نفوسهم كانت مذعنة، كما قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ «۱» فِي أَنْفُسِهِمْ أى فى أمر أنفسهم حيث دفعوها إلى مستوى أن تنزل عليهم الملائكة أو يرون اللّه وَ عَتَوْا أى طغوا عُتُوًّا كَبِيراً أى طغيانا عظيما و تمردوا غاية التمرد.
[۲۳] إنهم لا بد و أن يروا الملائكة لكن فى وقت لا فائدة فى إيمانهم حينذاك يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ عند قبض أرواحهم لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ إنما يبشرون بالجنة و الثواب فى هذه الدنيا، قبل أن ينكشف لهم العالم الآخر، أما يوم الانكشاف عند قبض الروح، لا بشارة لهم، و إنما عذاب و نكال، و ذلك كناية عن رفع التكليف وَ يَقُولُونَ أى يقول الكفار فى ذلك اليوم حِجْراً مَحْجُوراً كانت

---

(۱) النمل: ۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۸
[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۲۳ الى ۲۵]

وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (۲۳) أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا (۲۴) وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا (۲۵)

العرب إذا رأى أحدهم من يريد قتله يقول حجرا محجورا دماءنا، أى حراما محرما، و هم حين يرون الملائكة يظنون إن هذا القول ينفع، و لقد كانت هذه الكلمة كالاستعاذة عندنا حين نرى مكروها، فنقول «نعوذ بالله».

[۲۴] وَ قَدِمْنا أى قصدنا و تعمدنا، من باب استعمال المسبب فى السبب، فإن القاصد إلى عمل يتقدم إليه إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ كانوا يظنون إنه عمل خيرى فَجَعَلْناهُ أى ذلك العمل الخيرى للكفار هَباءً و هو الغبار الذى يرى إذا أشرقت الشمس من الكوّة، و مفرده هباءه مَنْثُوراً أى منتشرا، فكما أن الهباء لا ينتفع به و لا يمكن التحصيل عليه كذلك أعمال هؤلاء الكفار التى ظنوها حسنات لم ينتفعوا بها، إذ شرط القبول الإيمان، الذى فقدوه.

[۲۵] أَصْحابُ الْجَنَّةِ و هم المؤمنون يَوْمَئِذٍ أى يوم القيامة خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا أى أفضل منزلا فى الجنة، من أصحاب النار وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا أى موضع قائلة، و هى من القيلولة، و هو النوم قبل الظهر و الاستراحة فيه فى وقت الحر، و قد كان هذا من فعل كبرائهم، و استحب فى الشريعة لما فيه من التنشيط للعمل بعده، و قوله «خير» و «أحسن» يراد بهما الفضل لا الأفضلية، إذ لا خير فى مكان أهل النار.

[۲۶] وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ يأتى متعلقه فى قوله «الملك يومئذ» و المراد بتشقق السماء انقلاب أوضاعها، ففى يوم القيامة تنقلب أحوال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۲۶ الى ۲۷]

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ وَ كانَ يَوْماً عَلَى الْكافِرِينَ عَسِيراً (۲۶) وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (۲۷)

الأرض و السماء، و لعلّ معنى التشقق أن الإنسان يرى كأنّ شقّا كبيرا أحدث فى السماء، بأن ظهر لون غير اللون المرئى الآن، و لعل المراد بالغمام السحب التى تتراكم من الدخان و الأبخرة الحادثة من جراء الانقلابات الكونية، أو يأتى غمام يحمل الملائكة، و هو الذى يشقق السماء، و يكوّن لونا غير لون السماء، حتى يرى الإنسان فيها شقا وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا كما قال سبحانه «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ» و هذا حال يوجب الدهشة و الاضطراب لأهل الأرض، فقد عرفوا أن القيامة قد قامت، و أن الملائكة عمال الله سبحانه و تعالى للحساب و التنظيم و السيطرة على الموقف نزلوا.

[۲۷] الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ أى يوم تشقق السماء الْحَقُّ أى الملك الذى هو الملك حقا، لا كملك ملوك الدنيا الذى يكون زائلا لِلرَّحْمنِ و إنما خص الملك به فى ذلك اليوم، لأن فى الدنيا يرى بعض أقسام الملك للناس، أما هناك فلا أحد يملك شيئا حتى ملكا ظاهريا وَ كانَ ذلك اليوم يَوْماً عَلَى الْكافِرِينَ عَسِيراً أى صعبا لشدته و هوله و مشقته.

[۲۸] وَ يَوْمَ عطف على «يوم تشقق» يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ أسفا و ندما لما سبق منه من الظلم، و العض هو الأخذ بالأسنان، و كأن النادم إنما يفعل ذلك لإرادة إيلام جسمه انتقاما لما صدر منه مما ألقاه فى هذا النادم، و العض على اليدين فى الندم الشديد يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا أى ليتنى اتبعت محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اتخذت معه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۰

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۲۸ الى ۲۹]

يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا (۲۸) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا (۲۹)

فى سبيل الهداية حتى لا أبتلى بهذا اليوم العصيب.

[۲۹] يا وَيْلَتى أى يا هلاكى احضر، أو يا قوم اطلبوا هلاكى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً أى الكافر الفلانى الذى أضلنى خَلِيلًا أى صديقا حتى

يقرأ في أذني و يضلني عن الرشاد، و المراد كل صديق يفسد الإنسان و يضله.

[۳۰] لَقَدْ أَضَلَّنِي و أغواني و صرفني خليلي عَنِ الذِّكْرِ القرآن، أو الرسول بَعْدَ إِذْ جاءَنِي و حال بيني و بين الإيمان وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا أي كثير الخذلان، يقال خذله إذا تركه في الشدة، و لم ينصره، و هذا أما من تتمة كلام الظالم، متحير لماذا تبع الشيطان حتى يخذله في القيامة، أو ابتداء من الله سبحانه للإلفات إلى وجوب عدم اتباع الشيطان، فإنه يخذل في أحرج الساعات.

قال ابن عباس نزل قوله «وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ» في عقبة بن أبي معيط و أبيّ بن خلف، و كانا متخالين و ذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلّا صنع طعاما فدعى إليه أشراف قومه و كان يكثر مجالسة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما و دعا الناس، فدعا رسول الله إلى طعامه فلما قرب الطعام قال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله و أني رسوله، فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله، فبلغ ذلك أبيّ بن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱

[سورة الفرقان (۲۵): آية ۳۰]

وَ قالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (۳۰)

خلف، فقال صبأت يا عقبة؟ قال: لا و الله ما صبأت و لكن دخل على رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي و لم يطعم فشهدت له فطعم. فقال أبي: ما كنت براض عنك أبدا حتى تأتيه فتبصق في وجهه، ففعل ذلك عقبة و ارتد و أخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا- ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبرا، و أما أبيّ بن خلف فقتله النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم أحد بيده في المبارزة

«۱».

أقول: و بناء على هذا النزول يكون مصداق قوله «فلانا» «أبيّ» لأنه الذي كان خليلا مع عقبة، و

قد ورد في حديث آخر أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين بصق في وجهه احمرّ وجهه المبارك، و مسح البصاق بيده

، كما

ورد أن الرسول جاء شاكيا إلى أبي طالب، فأمر أبو طالب بعض خدمه أن يأخذ رحم دابة، و جاء بها حتى رأى عقبة فأفرغها في رأسه، كما صنع بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۳۱] و قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في ذلك الموقف الهائل، شاكيا إلى قومه يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً أي هجروا القرآن و ابتعدوا عنه، و المراد بالقوم، إما قريش أو مطلق الناس، لأن المراد بقوم الأنبياء، من أرسلوا إليهم و هذا يناسب قول الظالم «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ» و الآية و إن كانت ظاهرة في الكفّار إلا أنها أعم،

قال الإمام

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۶۹. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۳۱ الى ۳۲]

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً (۳۱) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (۳۲)

الصادق عليه السّلام ليس رجل من قريش إلا و قد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار، تجرى فيمن بعده إن خيرا فخير، و إن شرا فشر

«۱»، و على هذا فهجر القرآن- في هذا الزمان- ترك العمل بأحكامه و اتخاذ مناهج الكفار نظاما للحكم، دون دساتير القرآن.

[۳۲] و يسلى الله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأن ترك الأقوام للهدى إنما هو شيء قديم، فقد كان للأنبياء أعداء يهجرونهم، و يعادونهم وَ كما لك أعداء يهجرون كتابك و ينصبون لك العداء كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا و معنى جعل الله سبحانه أنه لا يأخذهم حيث يعادون الأنبياء، و إنما يتركهم و شأنهم، ليبلغوا أجلهم، و ليرفع مقام النبى بالصبر على المكاره. يقال: جعل الملك اللص فى الطريق، إذا لم يضرب على يده و تركه يفعل ما يشاء مِنَ الْمُجْرِمِينَ أى من الذين يأتون بالجرائم، و هى المعاصى وَ كَفى بِرَبِّكَ يا رسول الله هادِياً فإنه سبحانه يهدى الناس وَ نَصِيراً ينصر المؤمنين بالآخرة فلا يهمك أن يقف المجرم فى طريق الدعوة و يكون له الغلب المؤقت.

[۳۳] و بعد أن بين الله تعالى بعض كلمات الكفار حول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و القرآن مثل «قالوا لو لا أنزل علينا الملائكة» ذكر بعض مناقشاتهم الأخر وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ أى على الرسول الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۸۹ ص ۸۷، وردت عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۳۳ الى ۳۴]

وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً (۳۳) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إِلى جَهَنَّمَ أُوْلئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلاً (۳۴)

لا منجما، فلو كان من عند الله كان قادرا على أن ينزله مرة واحدة كما أنزلت التوراة و الإنجيل من قبل جملة واحدة؟ و لعلهم كانوا يريدون بذلك تقوية افترائهم. أن الرسول إنما يتعلم القرآن من «عداس» و أضرابه، كما سبق منهم هذا الافتراء.

لكن جواب هذا أن القرآن إنما يأتى بالمناسبات، و التدرج خير لذلك من الإنزال جملة، و لذا يكون لكل آية شأن نزول، لا يجمل لو نزلت قبل ذلك، أو بعده بزمان كَذلِكَ أنزلناه متفرقا لِنُثَبِّتَ و نقوّى بِهِ أى بالقرآن فُؤادَكَ أى قلبك، فإن الوحى إذا جاء متدرجا فى كل حادثة و كل أمر كان ذلك موجبا لتقوية قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أن ينزل جملة واحدة، و هذا ضرورى بالنسبة إلى البشر، و إن كان رسولا ـ معصوما، أ رأيت أن المؤمن كامل الإيمان ليزداد قوة كلما مرّ عليه آى الكتاب وَ رَتَّلْناهُ أى رتلنا القرآن تَرْتِيلًا و هو التبيين من تثبيت و ترسّل.

[۳۴] وَ لا يَأْتُونَكَ يا رسول الله، المشركون بِمَثَلٍ سيئ لك لإبطال أمرك، إذا أرادوا بذلك تشبيه الرسول بمن لا اتصال له بالوحى، حيث لا بد له أن يصنع الكلام تدريجا إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِ فى جواب ذلك المثل و دحضه وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً لعملك من تفسيرهم، فإنا نبيّن وجه عملك بما هو عليه، و ذلك أحسن من بيانهم الذين يريدون به إبطال أمرك.

[۳۵] إن تفسير هؤلاء المقلوب، لأعمال الرسول، سيودى بهم إلى أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۳۵ الى ۳۶]

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (۳۵) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (۳۶)

يحشروا مقلوبين على وجوههم الَّذِينَ يُحْشَرُونَ و يساقون عَلى وُجُوهِهِمْ سحبا على الوجوه إِلى جَهَنَّمَ ليلاقوا جزاء أعمالهم الكافرة فى الدنيا أُوْلئِكَ شَرٌّ مَكاناً أى منزلا من غيرهم وَ أَضَلُّ سَبِيلًا فإن سبيلهم يؤدى إلى الهلاك، بينما سبيل المؤمنين يؤدى إلى الجنان، و هذا فى مقابل قولهم فى المؤمنين «أنهم لضالون». و «شر» و «أضل» لا يراد بهما التفضيل حقيقة.

[۳۶] ثم ذكر سبحانه قصص بعض الأنبياء عليهم السّلام الذين كذبهم الأقوام فكانت لهم العاقبة السيئة بسبب تكذيبهم، و هذا تسلية للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إنذار للمشركين وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا مُوسَى الْكِتابَ أى التوراة وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً له

یساعده فی التبلیغ و الإرشاد.

[۳۷] فَقُلْنَا لهما اذْهَبا إِلَی الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا و هم فرعون و قومه، و المراد بتکذیبهم، إما بعد إتیانهما إلیهم، و إما قبل ذلک حیث لم یقبل فرعون و قومه ما بقی من علوم الأنبیاء علیهم السّلام و آثار المرسلین، و جاء موسی و أخوه إلیهم و دعیاهم إلی الله فلم یقبلوا فَدَمَّرْناهُمْ أی أهلکنا فرعون و قومه بالغرق تَدْمِیراً أی إهلاکا عظیما.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۵

[سورة الفرقان (۲۵): الآیات ۳۷ الی ۳۹]

وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا کَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آیَةً وَ أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِینَ عَذاباً أَلِیماً (۳۷) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَیْنَ ذلِکَ کَثِیراً (۳۸) وَ کُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ کُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِیراً (۳۹)

[۳۸] وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا کَذَّبُوا الرُّسُلَ فإن تکذیب رسول واحد تکذیب لجمیع رسل الله تعالی أَغْرَقْناهُمْ بالطوفان وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آیَةً أی عبرة و موعظة وَ أَعْتَدْنا أی هیأنا لِلظَّالِمِینَ الذین یظلمون أنفسهم بالکفر و المعاصی عَذاباً أَلِیماً سوی ما حل بهم فی دار الدنیا، أو المراد العموم أی أن کل ظالم قد هیئ له عذاب مؤلم موجع.

[۳۹] وَ أهلکنا عاداً قوم هود علیه السّلام وَ ثَمُودَ قوم صالح وَ أَصْحابَ الرَّسِّ ورد أنهم کانوا قوما یعبدون شجرة صنوبر یقال لها «شاه درخت» و إنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا بینهم فی الأرض و ذلک بعد سلیمان بن داود علیه السّلام فأهلکوا بریح عاصفة شدیدة الحمرة تحیروا فیها و ذعروا منها و تضام بعضهم إلی بعض، ثم صارت الأرض من تحتهم حجر کبریت یتوقد سحابة سوداء فألقت علیهم کالقبة جمرا یلتهب فذابت أبدانهم کما یذوب الرصاص فی النار وَ أهلکنا قُرُوناً بَیْنَ ذلِکَ کَثِیراً أی بین هذه الأقوام الذین ذکروا من عاد و ثمود و قوم نوح و أصحاب الرس، و القرن هو الجیل، یقال لهم قرن لتقارن أعمارهم.

[۴۰] وَ کُلًّا من تلک القرون و الأقوام التی أهلکناها بسبب کفرهم و فسادهم ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ أی ذکرنا لهم أنهم إن لم یؤمنوا عذبوا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۶

[سورة الفرقان (۲۵): الآیات ۴۰ الی ۴۱]

وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَی الْقَرْیَةِ الَّتِی أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ یَکُونُوا یَرَوْنَها بَلْ کانُوا لا یَرْجُونَ نُشُوراً (۴۰) وَ إِذا رَأَوْکَ إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلَّا هُزُواً أَ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (۴۱)

کما عذب من سبقهم- و هذا کما نمثل لقوم الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم- وَ کُلًّا من أولئک القرون و الأقوام تَبَّرْنا تَتْبِیراً أی أهلکناهم إهلاکا، یقال:

تبره بمعنی أهلکه.

[۴۱] وَ لَقَدْ أَتَوْا أی مضوا و رأوا، و المراد کفار مکة عَلَی الْقَرْیَةِ الَّتِی أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ یعنی قریة لوط التی أمطرت علیها الحجارة، فإن قریته بین مکة و الشام، و قد کان أهل مکة یمرون علیها عند ذهابهم إلی الشام و لدی إیابهم أَ فَلَمْ یَکُونُوا هؤلاء الکفار یَرَوْنَها أی یرون تلک القریة؟ فلما ذا لا یخافون أن یصیبهم بتکذیبهم مثل ما أصاب تلک القریة؟ بَلْ رأوها، و لکنهم کانُوا لا یَرْجُونَ نُشُوراً أی أنهم إنما لم یعتبروا بها لأنهم لا یقرون بالبعث و الحساب، و من أنکر الآخرة و أنکر المبدأ، حمل کل شیء علی غیر وجهه و لعلهم کانوا ینسبون قصة قوم لوط إلی الصدفة، کما نشاهد أمثالهم فی أیامنا هذه.

[۴۲] وَ إِذا رَأَوْکَ الکفار، یا رسول الله إِنْ یَتَّخِذُونَکَ أی لا یحسبونک إِلَّا هُزُواً أی مهزوا به، کأنه أداة للسخریة و الاستهزاء، فیقولون علی وجه السخریة أ هذَا الرسول هو الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ إیاه رَسُولًا أی کیف یمکن أن یکون هذا رسولا، و لم یکن استهزاءهم إلا عنادا و حسدا و کبرا، و إلا لم یکن لهم دلیل و منطق علی عدم رسالة الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۷

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۴۲ الى ۴۴]

إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (۴۲) أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (۴۳) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (۴۴)

[۴۳] إِنْ كادَ «إن» مخففة من الثقيلة، يعنى إنه كاد لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا فقد قارب أن يأخذنا إلى طريق إلهه، فنضل طريق عبادة آلهتنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها أى لو لم يكن صبرنا على عبادتها، فإنه أزالنا عنها، بما يأتى به من الأدلة و الحجج، إنهم سموا طريق الله سبحانه ضلالا وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ فى الآخرة حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ الذى يحل بهم جزاء على شركهم و كفرهم مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا هل هم الضالون، أم الرسول و المؤمنون؟ و المعنى أنهم هناك يعرفون ضلال سبيلهم فى الدنيا، حيث لا منجى و لا مهرب.

[۴۴] أ رَأَيْتَ يا رسول الله، استفهام للتهكم بالمشركين مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ فهو يعبد ما تشتهيه نفسه، لا ما أرشده العقل و الدليل، و قد كان الرجل منهم يعبد حجرا ثم إذا رأى حجرا أحسن منه رماه و اتخذ الثانى إلها، و هكذا أ فَأَنْتَ يا رسول الله تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا كفيلا تحفظه عن الضلال، و المعنى أنك لست عليه بوكيل حتى تحزن و تغتم لأجل انحرافه و ضلاله و إنما أنت مبلغ مرشد و قد بلغت و أرشدت.

[۴۵] أَمْ تَحْسَبُ يا رسول الله، أى تظن أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ سماع تفهم و تعلم أَوْ يَعْقِلُونَ ما تقوله و تقرأه عليهم؟ و هذا و إن كان بصورة الاستفهام لكنه بمعنى النفى، أى أن أكثر هؤلاء لا يستمعون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸

[سورة الفرقان (۲۵): آية ۴۵]

أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (۴۵)

إليك للتفهم و لا يعطون ألبابهم و عقولهم للتدبير و إنما هم معاندون يريدون الإنكار إِنْ هُمْ أى ما هم إِلَّا كَالْأَنْعامِ أى البهائم التى لا تسمع سماع تفهم، و لا عقل لها، و إنما تسمع النداء و الصوت فقط بَلْ هُمْ أى هؤلاء الكفار أَضَلُّ سَبِيلًا فإن الأنعام تهتدى إلى مصالحها أما هؤلاء فلا يعقلون صالحهم عن غير الصالح لهم و لذا يعرضون عن الحق.

[۴۶] ثم يأتى السياق للتذكير بجملة من الآيات الكونية التى توقظ الضمائر، و تلفت العقول إلى الله سبحانه أ لَمْ تَرَ يا رسول الله، أو كل من يتأتى منه الرؤية إِلى رَبِّكَ أى أ لم تعلم أن هذا الذى نذكره هو من فعل الله سبحانه لا مدخلية للغير فى ذلك كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ فإن الشمس إذا طلعت امتد لكل شيء ظل طويل نحو المغرب، فمن يا ترى جعل للأجسام ظلال عند إشراق النور و الظل يوحى بالهدوء و البرد و الراحة، إنه الله الذى جعل هذه الظلال وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً لا يتحرك بأن يوقف الشمس فى مكانها حتى يبقى الظل فى مكانه، لكنه سبحانه حسب الحكمة العليا جعل الظل متحركا بحركة الشمس فمن يا ترى جعل الشمس متحركة حتى يتبعها فى الحركة الظل؟ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ أى على الظل دَلِيلًا فإنها هى التى تحدده و تعيّنه و تدل على ماهيته، إذ لو لا الشمس و إشراقها، لم يعرف الظل، و الأشياء تعرف بأضدادها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۴۶ الى ۴۸]

ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً (۴۶) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً (۴۷) وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً (۴۸)

[۴۷] ثُمَّ قَبَضْناهُ أى قبضنا الظل، بمعنى أخذناه إِلَيْنا تشبيه بالذى يقبض الشيء إلى نفسه قَبْضاً يَسِيراً فى يسر و سهولة، فإن الشمس كلما ارتفعت انتقص الظل حتى يعدم و لا يبقى منه شيء، و القبض تدريجى كمن يقبض الشيء بيسر لا عنف فيه و لا اندفاع.

[۴۸] وَ هُوَ الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ أيها البشر اللَّيْلَ لِباساً فإنه يشتمل على الإنسان حتى يستره مثل اللباس يشتمل على الإنسان، و فى الليل

يقضـى الإنسان من الأمور التى يحب سترها ما لا يقضـى فى النهار وَ النَّوْمَ سُباتاً أى راحـة لأبدانكم و قطعا لأعمالكم، و السبات قطع العمل، و منه سبت رأسه إذا حلقه و يوم السبت لأنه كان يوم قطع العمل وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً لانتشاء الروح فى البدن فلا نوم، و لانتشاء الناس فى حوائجهم.

[۴۹] وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ بُشْراً مبشرات، فإن المصدر يستعمل للمفرد و التثنية و الجمع بلفظ واحد بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ أى أمام رحمته التى هى المطر، فإن الرياح تثير السحاب، فإذا جاءت الرياح فى فصل المطر استبشر الناس بأن وراءها الأمطار، فيفرحون للمنافع المترتبة على المطر وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ أى جهة العلو ماءً أى المطر طَهُوراً طاهرا فى ذاته مطهرا لغيره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۰

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۴۹ الى ۵۱]

لِنُحْیِیَ بِهِ بَلْدَةً مَیْتاً وَ نُسْقِیَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِیَّ کَثِیراً (۴۹) وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا فَأَبی أَکْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ کُفُوراً (۵۰) وَ لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ نَذِیراً (۵۱)

[۵۰] لِنُحْیِیَ بِهِ أى بالمطر بَلْدَةً مَیْتاً قد ماتت بالجدب و عدم الماء، و إحيائها بالماء، حيث ينبت بالمطر الزرع، و يسمن الحيوان، و يكون وسيلة لنمو حياة الإنسان و ازدهارها، و ذكر البلدة إنما هو لأن فائدة المطر تعود إليها، و إن كانت الحياة تظهر مظاهرها- غالبا- فى الصحارى وَ نُسْقِیَهُ أى نسقى بذلك الماء مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً أى الحيوانات التى خلقناها وَ أَناسِیَ جمع إنسان جعل الياء عوضا عن النون کَثِیراً أى كثير من أفراد الناس، و لعل تأخير الإنسان لأن احتياج الأنعام إلى ماء المطر أكثر، فإن الإنسان يستخرج الماء إن لم يجده على ظاهر الأرض، و هكذا بالنسبة إلى النبات و الحيوان، فإن احتياج النبات أكثر.

[۵۱] وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ أى صرفنا المطر بَیْنَهُمْ بأن أدرناه فى جهات الأرض لانتفاع الكل، فلا يمطر مكانا دون مكان لِیَذَّکَّرُوا نعم الله سبحانه، بما أودع فيهم من الفطرة، أصله «تذكر» أدغمت التاء فى الذال- على القاعدة- ثم جيء بهمزة الوصل لئلا يمتنع الابتداء بالساكن فَأَبی أَکْثَرُ النَّاسِ إِلَّا کُفُوراً أى جحودا للّه سبحانه و لفضله و إحسانه، و يحتمل أن يكون الضمير فى صرفناه عائدا إلى القرآن.

[۵۲] وَ لَوْ شِئْنا بأن كانت المصلحة تقتضى ذلك لَبَعَثْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ نَذِیراً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

فَلا تُطِعِ الْکافِرِینَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً کَبِیراً (۵۲) وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۵۳)

ينذرهم و لكن توحيد الناس تحت لواء واحد بما فى ذلك من فوائد التعاون اقتضى أن يرسل رسولا واحدا، ثم ينتشر البلاغ منه إلى سائر الناس، و هذا بالنسبة إلى وقت إرسال محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلا ينافى قوله تعالى وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِیها نَذِیرٌ «۱» و هذه الآية أنسب إلى كون الضمير فى «صرفناه» للقرآن لا للمطر.

[۵۳] فَلا تُطِعِ يا رسول الله الْکافِرِینَ فيما يدعونك من المداهنة و الإجابة إلى بعض رغباتهم و ترك التبليغ مدة من الزمان وَ جاهِدْهُمْ و المراد الكفاح معهم بِهِ أى بالقرآن جِهاداً کَبِیراً فإن صبر الأعزل على الأذى أكبر من قتال المسلح مع الكفار فى ميدان الحرب.

[۵۴] ثم يرجع السياق إلى عدّ الآيات الكونية وَ هُوَ الله الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ بحر المياه المالحة، و بحر المياه الحلوة فإن مياه البحار مالحة، و المياه التى تنزل من السماء فتسكن فى أجواف الأرض كالبحار حلوة حتى تخرج من النفق الموجودة فى الجبال، و الله سبحانه حيث جعل بحيث يتلاقى هذين البحرين إذ مياه الأنهر تصبّ فى البحار المالحة، فى جميع أطراف الأرض، حتى كان بعضها مختلط ببعض و مع ذلك لا يطغى البحر المالح على البحر العذب، حتى يفسده و يسقطه عن الانتفاع فى الزرع و الشرب.

هذا يعنى أحد البحرين عَذْبٌ فُراتٌ أى طيب شديد الطيب

---

(۱) فاطر: ۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۵۴ الى ۵۵]

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ كانَ رَبُّكَ قَدِيراً (۵۴) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً (۵۵)

سائغ شرابه وَ هذا أى البحر الثانى مِلْحٌ أى كالملح فى الملوحة، و إنما قيل ملح مبالغة، مثل زيد عدل أُجاجٌ شديد الملوحة وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بين البحرين بَرْزَخاً أى حجابا أو حاجزا من قدرة الله وَ حِجْراً أى منعا مَحْجُوراً ممنوعا دخول بعض المياه إلى بعض، حتى يفسد العذب بالمالح، و هذا لتأكيد المبالغة فى عدم اختلاطهما اختلاطا مفسدا، و إن «مرج» أخيرا بعد أخذ الأرض و الناس حاجتهما منه، و هذا من بديع القدرة حيث جعل قرار المياه العذبة فوق سطح البحر.

[۵۵] وَ هُوَ الله الَّذِي خَلَقَ و أوجد مِنَ الْماءِ أى المنى، أو الماء المكون للنبات و الحيوان، حتى يأكلهما الإنسان، فيتحول فى بدنه منيا بَشَراً أى إنسانا، قيل سمى بشرا، لظهور بشرته، بخلاف غالب الحيوانات المكسى جلدها بالريش أو الشعر أو ما أشبه فَجَعَلَهُ أى جعل البشر بكيفية يتلاقى بعضهم مع بعض بسببها نَسَباً وَ صِهْراً فالأولاد و الأحفاد يتلاقون بالمصاهرة و الزواج، و التقدير «جعله ذا نسب و صهر» و الصهر من صهر بمعنى قرب، و منه يقال للشيء المذاب منصهر، لأنه يقترب بعضه إلى بعض وَ كانَ رَبُّكَ قَدِيراً أى قادرا على كل شيء، و لذا خلق هذه المخلوقات المدهشة، بهذا النظام و الكيفية العجيبين.

[۵۶] إن الله سبحانه هو الذى خلق كل شيء، كما نشاهد فى الآيات الكونية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۵۶ الى ۵۷]

وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۵۶) قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (۵۷)

وَ مع ذلك يَعْبُدُونَ أى هؤلاء المشركون مِنْ دُونِ اللَّهِ أى سواه سبحانه ما لا يَنْفَعُهُمْ بذاته وَ لا يَضُرُّهُمْ فإن الأصنام أشياء جامدة لا تقدر على النفع و لا الضرر و المراد لا ينفعهم إن عبدوها، و لا يضرهم إن لم يعبدوها وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً الظهير العون، أى أن الكافر يعين الشيطان على ضد ربه و إلهه بينما اللازم على الإنسان العاقل أن يعين ربه على عدوه لا أن يعين عدوه ضد ربه.

[۵۷] وَ ما أَرْسَلْناكَ يا رسول الله إِلَّا مُبَشِّراً لمن آمن و أطاع بالثواب وَ نَذِيراً لمن كفر أو عصى بالعقاب، فليس عليك انحراف هؤلاء، و إنما أنت مبلغ و مرشد فمن قبل فلنفسه و من أبى فعليها.

[۵۸] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أى على التبليغ و الإرشاد مِنْ أَجْرٍ و ثمن تعطونه لى عوض تبليغى و أتعابى إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا إما أن الاستثناء منقطع بمعنى أنه ما أسألكم إلا أن تتخذوا سبيلا إلى ربكم، و قد ذكرنا سابقا أن المستثنى منه لأنه مشتمل على أصل شيء و قيده، فقد يستثنى من الأصل و يكون الاستثناء حينئذ منقطعا و قد يستثنى من مجموع القيد و المقيد فيكون الاستثناء متصلا، و إما أن الاستثناء متصل، و المراد أنى لا أسألكم أجرا و لكنى لا أمنع من إنفاق المال فى طلب مرضات الله سبحانه،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۵۸ الى ۵۹]

وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً (۵۸) الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً (۵۹)

و لا يخفى أن الخمس ليس أجرا، بل هو تعيين قسم من المال لقسم من الفقراء.

[۵۹] وَ تَوَكَّلْ يا رسول الله، و معنى التوكل إيكال الأمر إلى الغير عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ فإنه خير من وكله الإنسان، إذ هو لا يموت فيضطرب أمر الوكالة، و قيد «الذى لا يموت» للتخصيص، إذ سائر الأحياء يموتون، توكل عليه، فى أمر التبليغ و ما تلاقيه من العنت و الإرهاق فى سبيل الدعوة وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ أى نزهه تنزيها بالثناء، فإن التنزيه يكون بنفى النقائص و قد يكون بإثبات الكمالات المستلزمة لنفى النقائص وَ كَفى بِهِ الضمير فاعل كفى، و أدخل حرف الجر على الفاعل، لأنه بمعنى اكتفى به بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً أى عالما، فإنه يعلم ما يذنب العباد و سيجازيهم عليه، فلا تهتم بكفر الكافرين فإن حسابهم على الله، و إنما أنت مبلغ تسبح بحمد الله، و تتوكل فى أمرك عليه.

[۶۰] ثم يبين السياق وصف الإله ليوقظ فى الناس ما فطر فيهم من أنّ الكون لا بد له من خالق فرجعوا إلى ما غفلوا عنه الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما من أنواع الملائكة و البشر و الحيوان و سائر المخلوقات فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ و خصوصية ستة أيام لأجل أنه أحد أفراد التحديد، كما فى خصوصية الإبطاء، مع أنه تعالى كان قادرا على أن يخلقها فى لمح البصر لما عليه سنّة الله من تدريجية تكوينه فى هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵

[سورة الفرقان (۲۵): آية ۶۰]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً (۶۰)

الكون، كما نشاهد أن الزرع و الجنين و غيرهما بحاجة إلى زمان حتى وقت الإكمال ثُمَّ اسْتَوى أى استولى عَلَى الْعَرْشِ بمعنى الإحاطة على الكون، و هذا كما يقال: بنى الملك المدينة ثم استقر على السرير، يراد أنه أحاط بالسلطة، لا أن هناك سريرا جلس عليه، و الإتيان ب «ثم» مع أن الاستيلاء كان من الأول، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، و كأن الإتيان بهذا الكلام لإفادة أن مثل هذا الإله يلزم التوكل عليه، فإنه لا- يخيب من فوض أمره إليه الرَّحْمنُ قالوا: بأنه خبر، ل «الذى» أى أنه هو الرحمن الذى يتفضل بالرحم على كل شىء فما أجدر بالإنسان أن يكل أموره إليه فَسْئَلْ يا رسول الله بِهِ أى بواسطته خَبِيراً و المعنى إن تسأله عن شىء فإنه خبير بذلك الشىء، و هذا كناية عن أنه عالم بكل شىء فإخباره عن أى شىء كان، مطابق للواقع، و قد ذكر أهل الأدب إن من البلاغة أن يتوهم الإنسان شيئا على وصفين، وصف الأصالة و وصف التوسط، ثم يقصد الأصيل بواسطة المتوسط، كما يقال: شربت به ماء، و الضمير للماء، أو قتلت به كافرا، أو وجدت به عالما متحدثا، و هكذا، و هذه الجملة لإفادة إن أخباره فى أصل الخلقة هو الحق.

[۶۱] وَ بعد هذه الآيات الكونية، و الإلفاتات الجمّة إِذا قِيلَ لَهُمُ أى للكفّار اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ و اخضعوا له، فإنه الخالق الراحم قالُوا على طريق الكبر و الاستعلاء وَ مَا الرَّحْمنُ و قد أتوا بلفظ «ما» الذى هو لما لا يعقل استهزاء، فقد كانوا لا يعترفون بهذا «اللفظ» من جملة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۶

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۶۱ الى ۶۲]

تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً (۶۱) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً (۶۲)

سخافاتهم الكثيرة أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا استفهام إنكار، أى نترك آلهتنا و نسجد لمن لا نعترف به وَ زادَهُمْ ذكر الرحمن نُفُوراً أى تنافرا عن الحق و الإيمان.

[۶۲] و ارتد السياق ليبين جملة أخرى من الآيات الكونية تَبارَكَ أى تعالى و تقدس الإله الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً من برج إذا ظهر، و هى البروج المعروفة الإثنى عشر، و هى منازل للكواكب السبع السيارة، أو يراد هنا بالبروج نفس الكواكب، لظهورها وَ جَعَلَ

فِيها أى فى السماء، و هى سماعى سِراجاً أى مصباحا هى الشمس وَ قَمَراً مُنِيراً أى مضيئا.

[۶۳] وَ هُوَ الإله الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً أى يخلف أحدهما الآخر، فإن «خلفة» هى كل شىء بعد شىء، و تقديم الليل- فى الكلام- لأنه أشبه بالأصل، إذ النور يشقه و يمحيه لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أى يتفكر و يستدل بذلك على الإله، فإن الغاية من خلق الأشياء هو الإنسان، و الغاية من خلق الإنسان العبادة، و هى لا تتحقق إلا بالمعرفة، فصح أن يقال: خلقهما للتذكر، و سمى تذكرا لما أودع فى فطرة الإنسان من الاعتراف، و إنما الأشياء مذكرات أَوْ أَرادَ شُكُوراً أى أراد شكر النعمة فإنهما نعمتان عظيمتان و من أهم ما يوجب الشكر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۶۳ الى ۶۵]

وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (۶۳) وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً (۶۴) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً (۶۵)

[۶۴] و بعد الإلفات إلى هذه الآيات نرى عباد الله العقلاء يخضعون لله سبحانه، و يعتدلون فى سلوكهم، و ينتهجون المنهج المقرر لهم وَ عِبادُ الرَّحْمنِ فى مقابل الذين كانوا ينفرون من اسم الرحمن الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً هذا خبر «عباد الرحمن» و المعنى مشيهم مشية المتواضع، فيمشون هينا بسكينة و وقار، و لا يمشون بكبرياء و تجبّر، فإن «هون» مصدر «هين» وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ بخطاب يكره و يثقل على الإنسان قالُوا فى جواب الجهال سَلاماً أى سدادا من القول، و ما يوجب السلامة، لا ما يوجب الخصام و النزاع، فليس المراد هذه اللفظة بالذات، بل المعنى الدفع بالتى هى أحسن، كما قال سبحانه ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ «۱».

[۶۵] وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ من بات بمعنى أوصل الليل بالصباح لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً جمع ساجد و قائم، و إنما خص الليل، لأن العبادة فيه أشق و أبعد من الرياء و أقرب إلى فراغ القلب، و لعلّ تخصيص هذين الأمرين، لأنهما الأكثر فى العبادة دون الركوع و الجلوس.

[۶۶] وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ بمعنى عدم الوقوع

---

(۱) فصلت: ۳۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۶۶ الى ۶۸]

إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (۶۶) وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً (۶۷) وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً (۶۸)

فيها، و كأن التعبير بلفظ الصرف، لأجل استحقاق الناس للنار بأعمالهم، فالمطلوب صرفها إِنَّ عَذابَها أى عذاب جهنم، فإنها مؤنثة سماعية كانَ غَراماً أى غرامة تلحق الإنسان أو لازما دائما، و إنما سمى الغريم غريما لملازمته و إلحاحه، و فلان مغرم بفلان أى ملازم له عاشق.

[۶۷] إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً أى أن جهنم بئس موضع قرار و إقامة.

[۶۸] وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا فى سبيل الله لَمْ يُسْرِفُوا بأن يكون إنفاقهم فى غير محله، أو زيادة لا يعترف بها الشرع وَ لَمْ يَقْتُرُوا من القتر، بمعنى البخس و عدم الإعطاء بقدر الحق الذى أمر به الشرع وَ كانَ إنفاقهم بَيْنَ ذلِكَ الذى ذكر من الإسراف و الإقتار قَواماً و هو ما أقام الإنسان، أى إنفاقا يقيم الإنسان، فلا يدخله فى المبذرين و لا فى البخلاء، أو كان إنفاقا ذا قوام، وسطا بدون إسراف و تقتير.

[۶۹] وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ أى لا يجعلون له سبحانه شريكا، بل يوحّدونه، و يوجهون عبارتهم إليه وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ

أى الإنسان الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قتلها، و إتيان الضمير المؤنث، لأن النفس مؤنث سماعى إِلَّا بِالْحَقِ لأجل كونه كافرا حربيا، أو لأجل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۹

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۶۹ الى ۷۰]

يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً (۶۹) إِلاَّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۷۰)

القصاص، أو الحد، أو ما أشبه ذلك، و الاستثناء من الأصل، و قوله «حرم الله» تلميح إلى وجه عدم إقدامهم على القتل وَ لا يَزْنُونَ و هو الفجور بالمرأة وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ الذى ذكره من الشرك و القتل و الزنى، و إنما خص هذه الأمور، ليشرعها عند الجاهليين، بل و حتى الآن، و كونها من أعظم المعاصى الموجبة للفساد، فى العقيدة، أو فى الحياة يَلْقَ أَثاماً أى عقوبة و جزاء على ما عمل يقال: أثمه الله أى جازاه جزاء الإثم.

[۷۰] يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ و لعلّ المراد المضاعفة بالنسبة إلى سائر المعاصى، يعنى إن عذاب هؤلاء أكثر من عذاب غيرهم، و إن كان بقدر استحقاقهم وَ يَخْلُدْ أى يبقى دائما فِيهِ أى فى العذاب مُهاناً فى حال كون ذاك العذاب على وجه الإهانة، و من المعلوم أنّ الخلود بالنسبة إلى الكفار لا بالنسبة إلى المؤمن فإنه تدركه الشفاعة.

[۷۱] إِلَّا مَنْ تابَ أى رجع إلى الله سبحانه عما اقترفه من الآثام وَ آمَنَ فإن الإيمان فى أثر التوبة؟ و لذا ذكر بعقبها وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحاً المراد به الجنس، أى أتى بجنس العمل الصالح، الذى يصلح لإسعاد الإنسان فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ أى يمحى عنهم السيئات و يكتب مكانها حسنات، و من المحتمل أن يراد إعطاء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۷۱ الى ۷۲]

وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً (۷۱) وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً (۷۲)

الثواب على نفس السيئة التى ارتكبها، بعد أن آمن و عمل صالحا و تاب، فمثلا كان قد زنى، فإنه إذا تاب توبة نصوحا، أعطاه سبحانه ثواب النكاح لزناه ذلك- كما قال بذلك بعض- وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً يغفر الذنب لمن أذنب رَحِيماً يتفضّل عليهم، فليس غفرانا مجردا، بل مغفرة و فضلا.

[۷۲] وَ مَنْ تابَ مما سلف عنه من المعاصى وَ عَمِلَ عملا صالِحاً بأن صحت عقيدته و عمله فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ أى أنه هو الذى يرجع إلى الله مَتاباً أى رجوعا حقيقيا، أما من آمن و لم يعمل صالحا، أو عمل صالحا و لم يؤمن فإنه لم يرجع إليه حقيقة، إذ لو اعترف الإنسان بالله اعترافا عميقا لا بد و أن يؤمن و يعمل صالحا أو المراد أنه يرجع إليه مرجعا عظيما من قبيل فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ «۱» و «المتاب» مصدر ميمى، من تاب بمعنى رجع.

[۷۳] وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ شهادة الزُّورَ أى الكذب، و أصل الزور تمويه الباطل بما يوهم أنّه حق، من «زوّره تزويرا» وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ أى الباطل، أو الشامل له و لما لا فائدة فيه- كما هو الظاهر- مَرُّوا كِراماً جمع كريم، أى يفعلون عند مشاهدة الباطل، ما يفعله الإنسان الكريم الرفيع النفس، ففى مقام النهى ينهون، و فى مقام السكوت

---

(۱) طه: ۷۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۷۳ الى ۷۴]

وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً (۷۳) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا

لِلْمُتَّقِينَ إِماماً (۷۴)

يسكتون، و في مقام التأديب يتأدبون، و هكذا، يقال: تكرم فلان عما يشينه أى تنزه، و أكرم فلان نفسه، أى لم يهو بها فى مهوى المهانة و الانحطاط.

[۷۴] وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا أى ذكرهم الناس، أو ذكرتهم الحياة، بأن رأوا صاعقة تلفت الأنظار، أو زرعا جميلا يذكّر خالقه، و هكذا بِآياتِ رَبِّهِمْ الدالة على وجوده و صفاته و سائر الشؤون المتعلقة به لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها أى لم يقعوا على تلك الآيات صُمًّا جمع أصم وَ عُمْياناً جمع أعمى، أى لم يطلعوا عليها اطلاع الأصم الأعمى الذى لا يرتب الأثر إذ لا يسمع و لا يبصر، فإن الإنسان إنما يرتب الأثر على الأشياء من جهة السماع أو الإبصار، و كأن الإنسان الأصم الأعمى يقع على الشىء المرغوب فيه بلا استفادة منه، أو المنفور منه بلا فرار عنه، يخر على الأوراد، و على الكنيف، و هذا كناية عن عدم الاستفادة، بخلاف السميع البصير، فإن السميع يجلبه الترغيب و ينفّره الإنذار، و البصير يرى فيقدم أو يحجم، و المؤمن يسمع الآيات، و يشاهد الآثار، فيرتب الأثر، بخلاف الكافر.

[۷۵] وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ من دعائهم، يا رَبَّنا هَبْ لَنا أى أعطنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا أى أولادنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ أى أولاد تقرّ بهم العين، و هو كناية عن الولد الصالح، فإن الإنسان إذا صلح ولده أو سرّ بشىء آخر، قرّت عينه، بخلاف الإنسان المحزون الذى أصيب ببؤس أو ولد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲

[سورة الفرقان (۲۵): الآيات ۷۵ الى ۷۷]

أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً (۷۵) خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (۷۶) قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً (۷۷)

سيئ، فإنه يقلّب طرفه هنا و هناك ليجد ملجأ أو حيلة للتخلص، و قوله مِنْ أَزْواجِنا يراد الأولاد الصلبيين، و «ذرياتنا» الأحفاد وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً أى نكون أئمة أهل التقى، و ذلك لا للاستعلاء، بل لأن ينالوا تلك الدرجات الرفيعة التى يحصل عليها الإنسان فى الآخرة، إذا أرشد و أفاد إرشاده التقوى، إذ معنى الإمامة للمتقى أن يكون مصدرا للتقوى.

[۷۶] أُوْلئِكَ الذين هذه صفاتهم يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ أى يثابون الدرجة الرفيعة فى الجنة، فاللام فى الغرفة، للعهد الذهنى بِما صَبَرُوا أى بسبب صبرهم على طاعة الله سبحانه، و ثباتهم على أوامره و نواهيه وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً أى تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية و السلام، كأن يقال لهم «حياكم الله حياة طيبة، و سلام عليكم» أو كناية عن الترحيب بهم.

[۷۷] فى حال كونهم خالِدِينَ فِيها أى فى الغرفة- أى الجنة- فهم دائمون لا يزالون هناك فى نعيم جسمى و روحى حَسُنَتْ تلك الغرفة مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً أى محل استقرار و إقامة، فالإنسان فيها مستقر غير متزلزل، باق غير متحول.

[۷۸] و إذ بيّن سبحانه أدعية المؤمنين، بعد ما بين أنهم آمنوا و عملوا صالحا، قال قُلْ يا رسول الله، للناس ما يَعْبَؤُا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳

بِكُمْ رَبِّى أى ما يبالى بكم الله، يقال لم يعبأ به أى لم يبال به، فكان وجوده و عدمه سواء لَوْ لا دُعاؤُكُمْ أى توجّهكم إلى اللّه سبحانه فإن البشر هيّن فى جنب الله لا شأن له لو لا أن يتوجه إليه سبحانه فتكون له قيمة بهذا الترفع الذى يحصّله من جراء توجهه إلى الله تعالى فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أيها الكفار ما أخبرتكم به من المبدأ و العقيدة و المعاد فَسَوْفَ يَكُونُ التكذيب، أى جزائه المترتب عليه من النار و النكال لِزاماً أى ملازما لكم لا يفارقكم، و لا يخفى أن من مصاديق «دعاؤكم» هو الدعاء المعتاد الذى ندعو الله به لقضاء حوائجنا، و لذا جىء بهذه الآية هنا، حيث تقدم دعاء المؤمنين، و إن كان الظاهر أن قوله: «لو لا دعاؤكم» يراد به التوجه إلى الله سبحانه بالإيمان و العمل الصالح و الدعاء و غيرها- بصورة عامة- كما يناسب ذلك «فقد كذبتم»، و من هذا يعرف ما للدعاء من الأهمية، فقول بعض المنحرفين: إن الدعاء لا ثمره له إذ لو قدّر شىء يكون، و لو لم يقدّر لا يفيد الدّعاء، هو غلط، إذ التقدير: أن يكون ذلك الشىء بالدعاء كما أن التقدير أن يأكل الإنسان الشىء و يحصّل على الشىء بالعمل و الطلب، و الله الهادى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴

۲۶ سورة الشعراء مكية/ آياتها (۲۲۸)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظ «الشعراء» و ما يتعلق بهم. و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، قالوا: إنها مكية إلا من قوله «و الشعراء .. إلى آخر السورة». و حيث ختمت سورة الفرقان بقصة تكذيب الكفار للرسول، جاء مفتتح هذه السورة تسلية للرسول أن لا يهتم بهم بعد الإنذار.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ شروع بذكر اسم الإله الذى له كل شيء، و من أبرز صفاته الرحم، مما يحتاج إليه الإنسان فى كل خطوة من خطى الحياة، فإن الإنسان مجموعة نواقص، فلو لا رحمه سبحانه لتكميله من آنات الحياة، لذهب عاطلا لا ينتفع و لا ينتفع به.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱ الى ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

طسم (۱) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (۲) لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۳) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ (۴)

[۲] طسم «طاء» و «سين» و «ميم».

[۳] تِلْكَ الحروف و ما يجانسها من حروف الهجاء آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ الواضح الظاهر الذى لا ريب فيه و لا غموض، فإن كان مكذوبا، فأتوا بمثله إذ هو مركب من لغتكم و حروفكم التى تلهجون بها طيلة أعماركم، و قد ذكرنا سابقا، إن الإتيان بحروف خاصة ك «طاء» و نحوها من باب الإشارة إلى حروف الهجاء و إن «تلك» و ما أشبه مما يقع بعد هذه «المقطعات» خبر لمبتدأ هو تلك الحروف المقطعة، هذا على أحد الأقوال فى معنى «الحروف المقطعة» و فى إعرابها، و هناك أقوال أخر.

[۴] لَعَلَّكَ يا رسول الله باخِعٌ نَفْسَكَ من بخع بمعنى أهلك، أى مهلك نفسك حزنا و أسفا، ب أَلَّا يَكُونُوا هؤلاء الكفار مُؤْمِنِينَ فقد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحزن حزنا شديدا على عدم إيمانهم، فسلّاه الله سبحانه بذلك و «لعل» بمعنى «الاحتمال» و إنما يستعمل للترجّى، لأنه «احتمال المطلوب» و الجملة يراد بها النهى الإرشادى الإشفاقى، كما لا يخفى.

[۵] إِنْ نَشَأْ جبر الناس على الهدى نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً أى معجزة مجبرة لهم على الإيمان فَظَلَّتْ أى صارت أَعْناقُهُمْ أى أعناق هؤلاء الكفار لَها لتلك الآية خاضِعِينَ و إنما نسب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۵ الى ۷]

وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (۵) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبؤُا ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۶) أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (۷)

الخضوع إلى الأعناق لأنها أول ما يظهر عليها الخضوع تميل نحو الأرض، لكن الله سبحانه لا يشاء ذلك لأنه مخالف لكون الدنيا دار اختبار و امتحان، نعم وردت بعض الروايات الدالة على أنها تكون فى زمان المهدى عليه السّلام «۱».

[۶] وَ ما يَأْتِيهِمْ أى البشر مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ «من» زائد لتأكيد العموم، و لعل الإتيان بلفظة «الرحمن» للدلالة على أن المراد بذلك الذكر ما يسبب لهم الرحمة مُحْدَثٍ أى جديد، كالقرآن إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ يعرضون عنه، فقد اعتاد الناس على أن لا يخضعوا إلا للتقاليد و إن رأوا الحق و الصدق فى الشيء الجديد، فقد كانوا يتعاملون مع كل كتاب جديد هذه المعاملة، من غير فرق بين التوراة و الإنجيل و القرآن، و سائر الكتب.

[۷] فَقَدْ كَذَّبُوا بالقرآن، و المراد كفار مكة، فَسَيَأْتِيهِمْ أى عند الموت، أو فى يوم القيامة أَنْبؤُا أخبار ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ و المراد عاقبة أعمالهم، و هذا كما تقول لمن تريد تهديده، سأخبرك بما كنت تعمل.

[۸] أَ وَ لَمْ يَرَوْا أى ألم ينظر هؤلاء الكفار إلى الآيات الكونية؟ فلينظروا

---

(۱) تأويل الآيات: ص ۳۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۸ الى ۱۲]

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۹) وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ (۱۱) قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۱۲)

إِلَى الْأَرْضِ ليروا كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ أى كل صنف من أصناف النبات كَرِيمٍ حسن نافع جميل، و المعنى ذى كرامة و رفعة.

[۹] إِنَّ فِي ذلِكَ الإنبات لَآيَةً دلالة على الإله و على صفاته وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بالله و بما يجب الإيمان به، عنادا و تقليدا لآبائهم.

[۱۰] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لا- يضره إعراض هؤلاء فإنه لَهُوَ الْعَزِيزُ له العزة و الغلبة الرَّحِيمُ فإنه يرحمهم مع قدرته كيما يندموا و يعودوا عن غيهم.

[۱۱] ثم بدأ السياق ليذكر فصلا من قصة موسى عليه السّلام فيها العبرة و الذكر و التسلية للرسول و التبشير للمؤمنين بغلبتهم على أعدائهم و لو بعد حين وَ اذكر يا رسول الله إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أى اذهب إليهم.

[۱۲] ثم بين المراد بالقوم الظالمين بقوله قَوْمَ فِرْعَوْنَ و المراد هو و قومه، كما هو الشائع فى مثل هذا التعبير أَ لا يَتَّقُونَ أى أما آن لهم أن يتقوا الكفر و العصيان؟ و هذا تعجب فى لفظ الاستفهام، حكاية لما قاله سبحانه لموسى عليه السّلام.

[۱۳] قالَ موسى عليه السّلام يا رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ أى يكذبنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۳ الى ۱۵]

وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ (۱۳) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۱۴) قالَ كَلَّا فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (۱۵)

فرعون و قومه فيما أدعوهم إليه، و قد قال موسى ذلك تمهيدا لطلبه مؤازرته هارون له، و إلا لم يكن موسى عليه السّلام يريد بذلك الفرار عن حمل التبليغ.

[۱۴] وَ يَضِيقُ صَدْرِي بتكذيبهم المتوقع، و السبب أن الإنسان إذا كذب، هاج، و غلبته الحرارة فتنتفخ الرئة لجذب الهواء المبرّد للقلب، و بذلك يضيق الصدر الذى هو مكان الرئة وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِي بالكلام، فقد كان فى لسان موسى عليه السّلام عقدة قبل أن يرسله الله تعالى ثم حل العقدة من لسانه فَأَرْسِلْ يا رب إِلى هارُونَ أخى ليكون رسولا معى يؤازرنى فى الرسالة.

[۱۵] وَ لَهُمْ أى لقوم فرعون عَلَيَّ ذَنْبٌ هم يعتبرونه ذنبا، و إن لم يكن ذنب حقيقى، فقد سبق أن قتل موسى قبطيا حين تشاجر مع إسرائيلى، فعده آل فرعون ذنبا، و إن كان قتل موسى له بحق فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ أى يقتلنى آل فرعون بمجرد ما يرونى، قصاصا على قتيلهم.

[۱۶] قالَ الله تعالى فى جواب موسى كَلَّا لا تخف، فإنهم لا يتمكنون من إيذائك و قتلك، أما دعاءك بإطلاق لسانك فقد استجيب، و أما دعاءك أن نجعل هارون نبيا لك فقد قبلناه فَاذْهَبا أنت و أخوك إلى فرعون و ملأه بِآياتِنا أى الأدلة و المعاجز الدالة على التوحيد و الرسالة و المعاد إِنَّا مَعَكُمْ أى مع الجميع، أنتما و آل فرعون مُسْتَمِعُونَ فيكون ما يدار بينكم من الحديث بمسمع منّا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶ الى ۱۹]

فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۶) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۷) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (۱۸) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (۱۹)

و هذا تشجيع لهما، إذ الإنسان إذا علم أنه بمنظر و مسمع الملك كان أربط جأشا و أقوى احتجاجا.

[۱۷] فَأْتِيا فِرْعَوْنَ أى اذهبا إليه فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ إفراد لفظ «الرسول» باعتبار كل واحد واحد، أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته و طاعته و الإيمان بنا.

[۱۸] و قد أمرك الله ب أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ فإن فرعون كان قد سجن جمعا من بنى إسرائيل و هم أحفاد يعقوب عليه السّلام، كما قد استعبد جماعة آخرين منهم، و كان هؤلاء لهم صبغة التوحيد، و عدم عبادة فرعون، و لذا أمر الله موسى عليه السّلام أن يقول لفرعون، بإطلاق سراح بنى إسرائيل، ليقودهم موسى عليه السّلام إلى حيث خيرهم و صلاحهم، بعد ما كانوا قلة مضطهدة.

[۱۹] فأتى موسى و هارون فرعون، و بعد اللقاء، و بيان أنهما رسولان إليه، و أنّ الله يأمره بإطلاق سراح بنى إسرائيل قالَ فرعون لموسى عليه السّلام أَ لَمْ نُرَبِّكَ يا موسى فِينا فى منزلنا و محلنا وَلِيداً أى فى حال كونك طفلا صغيرا أخذناك من البحر و ربيناك حتى صرت فتى قويا؟

وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ أى كنت فى بلاطنا سنوات متعددة من عمرك، و هى اثنتى عشرة سنة، عل حديث، أو ثمانية عشر على قول؟

[۲۰] وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ أى قتلت ذلك القبطى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۰ الى ۲۱]

قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (۲۰) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۲۱)

وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ بنا و بما أنعمنا عليك، فقد خالفت طريقتنا بعد تلك النعم و ذلك الاجرام.

[۲۱] قالَ موسى عليه السّلام فى جواب فرعون: فَعَلْتُها أى فعلت تلك الفعلة و هى القتل إِذاً فى ذلك الزمان وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ يقال يضل لمن انحرف عن الطريق، سواء أريد بالطريق طريق الحق، أم طريق الباطل، كما قال سبحانه وَ إِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ «۱» يريدون: ضالون عن طريقنا الذى هو كفر، و لعل مراد موسى عليه السّلام ذلك، أى أنى ضال عن طريقتك يا فرعون، فلم يكن القتل إجراما كما تزعم أنت، و إنما كان ضلالا عن منهجك، و إلا فقد كان فى موقعه حيث إنه قتل كافرا مهاجما على مسلم.

[۲۲] فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ فإن موسى عليه السّلام لما قتل ذلك القبطى، قرر فرعون و ملأه أن يقتصوا من موسى، فجاءه رجل قائلا إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ «۲» فخرج منها خائفا يترقب لَمَّا خِفْتُكُمْ على نفسى من القتل فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً بأن جعلنى حاكما فى الأرض فإن الحكومة ليست إلا لله و لمن وهبها له وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ فقد أرسلنى إليكم لأهديكم سبيل الرشاد.

---

(۱) المطففين: ۳۳.

(۲) القصص: ۲۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۲ الى ۲۵]

وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۲۲) قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ (۲۳) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ

كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (۲۴) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ (۲۵)

[۲۳] قدّم موسى عليه السّلام جواب قول فرعون «فعلت فعلتك» لأنه كان إلصاق تهمة القتل، و من البلاغة أن يقدم الإنسان جواب الأهم من كلمات الخصم، لئلا يبقى و لو لمدة تعمل أثر الكلمات فى أدمغة السامعين فيذهب بالموقف عن يد المتهم، ثم رجع عليه السّلام ليجيب عن كلامه الأول و هو امتنانه عليه بأنه ربّاه فى قصره، فقال وَ هل تِلْكَ التربية نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَ فإن تربيتك كانت من جهة أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ أى جعلتهم عبيدا مضطهدين، حتى اضطرت أمى لإلقائى فى البحر لنجاتى من السفاكين الذين جعلتهم لقتل كل ولد يولد لبنى إسرائيل، إنها، بالأحرى، عليك لا لك، فلو لم تكن عبّدت بنى إسرائيل لكفّلونى، و لم يكون لك سبيل إلىّ.

[۲۴] قالَ فِرْعَوْنُ بعد أن انقطع عن المحاورة مع موسى حول التربية و الجريمة وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ أىّ شيء هذا الذى تدعونى إلى عبادته، و كأنه لم يقل «من» استخفافا.

[۲۵] قالَ موسى عليه السّلام فى جواب فرعون: رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى خالقهما و مبدعهما وَ ما بَيْنَهُمَا من الإنسان و الملك و الحيوان و الجماد و غيرها إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ أى إن كنتم أصحاب يقين لعلمتم أن لهذه الأشياء ربّا، و كأن فى مقابل ذلك، من لا يبالى و لا يهتم حتى لا يعلم الارتباط و أن لكل شيء مؤثرا، ككثير من الجهال.

[۲۶] قالَ فرعون لِمَنْ حَوْلَهُ من الوزراء و الحكام أَ لا تَسْتَمِعُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۶ الى ۲۸]

قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۲۶) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (۲۷) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۲۸)

إلى مقالة موسى؟ إنى أسأله ما جنس الإله؟ و هو يجيب بما فعل و أبدع، و هذا الجواب ليس مرتبطا بالسؤال، لكن موسى عليه السّلام أراد بذلك أن يلقم فرعون الحجة، فهل يتمكن أحد أن ينكر أن للكون إلها؟ أما جنسه فهو غير مرتبط بهذا المقام.

[۲۷] لكن موسى عليه السّلام لم يأبه لاستخفاف فرعون، و أخذ يسرد الحجج الدالة على وجوده سبحانه، كى يركّز الألوهية فى الأذهان، و يتم الحجة ف قالَ ثانيا إن الله الذى أدعوا إليه رَبُّكُمْ أيها الملأ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ و فى هذا كان ردا على فرعون إذ كان يدعى أنه الرب، فمن كان رب آبائكم هل هو فرعون؟ و هذا ما لا يقول به، أم غيره؟ إذا ثبت بطلان ربوبية فرعون.

[۲۸] و لما رأى فرعون أن موسى غلبه فى الحجة، رماه بما يرمى به كل مصلح حين لا يقدر خصمه من إقامة المنطق ف قالَ فرعون إِنَّ رَسُولَكُمُ و الإضافة للاستهزاء الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ و ما يدعيه من الرسالة دعوى جنونية.

[۲۹] لكن موسى عليه السّلام لم يهتم باتهام فرعون، بل أخذ يفيض فى الكلام، مستدلا بالآيات الكونية على الله، موجها أنظار الملأ إليها ف قالَ موسى إن الله هو رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما من أصناف الخلق إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ أى إن أعملتم عقولكم لعلمتم أن لهذه الأشياء ربّا و خالقا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۹ الى ۳۴]

قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (۲۹) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (۳۰) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۱)
فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۳۲) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (۳۳)
قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۳۴)

[۳۰] و هنا التجأ فرعون إلى التهديد ف قالَ مهددا لموسى عليه السّلام لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي بأن اعتقدت بإله آخر و دعوت إلى ذلك الإله لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ أى أسجنك جزاء لهذه العقيدة.

[۳۱] قالَ موسى عليه السّلام أَ وَ لَوْ جِئْتُکَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ أى هل تحبسنى حتى إذا جئتك بدليل واضح دال على نبوّتى؟.

[۳۲] قالَ فرعون فَأْتِ بِهِ أى جىء بما تدعيه من الحجة و المعجزة إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى دعواک النبوة.

[۳۳] فَأَلْقى حينئذ موسى عليه السّلام على الأرض عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ أى حية عظيمة مُبِينٌ ظاهر واضح أنه ثعبان و ليس شعوذة و سحرا.

[۳۴] وَ أدخل يده فى جيبه، أو تحت إبطه ثم نَزَعَ يَدَهُ أى أخرجها من ذلك المكان فَإِذا هِيَ اليد بَيْضاءُ منيرة كنور الشمس لِلنَّاظِرِينَ إليها، و لم يكن حديثا يسمع، و إنما رأوها رأى العين.

[۳۵] قالَ فرعون لِلْمَلَإِ أى الأشراف و سموا ملأ لأنهم يملئون العيون هيبة حَوْلَهُ أى الذين كانوا حوله إِنَّ هذا الرجل، يعنى موسى عليه السّلام لَساحِرٌ عَلِيمٌ بالسحر و الحيلة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۳۵ الى ۳۸]

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۳۵) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۳۶) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (۳۷) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۳۸)

[۳۶] و إنه إنما يدعى النبوة و يظهر السحر يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ أى مصر، لأنه لو سيطر، اضطر فرعون و الملأ أن يفروا منه، كما هى عادة الملوک لدى الانهزام بسبب سحره و هنا أراد فرعون أن يجلب انتباه الأشراف لئلا يميلوا إلى موسى، أليس يريد إخراجهم من أرضهم؟ فاللازم أن يقفوا صفا واحدا ضده فَما ذا تَأْمُرُونَ أيها الأشراف، أن نفعل ضد موسى؟

[۳۷] قالُوا و قد خانوا موسى، و صدقوا مقالة فرعون أَرْجِهْ أخره، وَ أَخاهُ أى أبقهما عندک وَ ابْعَثْ أرسل فِي الْمَدائِنِ أى المدن المرتبطة بک جماعة حاشِرِينَ يحشرون و يجمعون لک السحرة، من «حشر» بمعنى جمع.

[۳۸] يَأْتُوكَ أى الرسل الذين أرسلتهم لجمع السحرة، يأتون إليك بِكُلِّ سَحَّارٍ أى كثير السحر عَلِيمٍ فى علم السحر، حتى يقابلوا موسى فى سحره فإذا جاءوا و أظهروا تفوقا عليه بطل سحر موسى، و انفضح أمام الناس، و بطلت حجته، فلم يتبعه أحد حتى يخشى منه.

[۳۹] و ذهبت الرسل إلى البلاد و أخبروا السحرة بأن فرعون يطلبهم و يدعوهم إلى أن يحضروا أرض مصر فَجُمِعَ السَّحَرَةُ جمع ساحر لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ أى لوقت يوم خاص، فإن «ميقات» اسم للزمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۳۹ الى ۴۲]

وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (۳۹) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۴۰) فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۴۱) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۲)

و للمكان، و المراد باليوم المعلوم، يوم الزينة، فقد كان لهم يوم عيد يخرج فيه الجميع خارج المدينة، للمعايدة.

[۴۰] وَ قِيلَ أى قال فرعون و ملأه لِلنَّاسِ و هم أهل مصر هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ هذا طلب بصورة الاستفهام؟ نحو قوله (هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى) «۱».

[۴۱] لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ أى السحرة المعارضين لموسى، و المراد باتباعهم عدم ترک دينهم إلى دين موسى، فكنى عن ذلک باتباع السحرة، لتقابله مع أتباع موسى عليه السّلام إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ على موسى و هارون.

[۴۲] فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ و حضروا بين يدى فرعون قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً، هل لنا أجر و جزاء عندک إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ على موسى و هارون؟

[۴۳] قـالَ فرعـون نَعَـمْ لکـم الأـجر و الجزاء وَ إِنَّکـمْ بالإضافـهٔ إلی مـا تعطـون من الجزاء إِذاً أی إذا غلبتم علیهم لَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ عنـدی أقربکم إلی نفسی، حتی تکونوا من خواصی، فلکم المال و الجاه معا.

---

(۱) النازعات: ۱۹.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۶

[سورهٔ الشعراء (۲۶): الآیات ۴۳ الی ۴۶]

قالَ لَهُمْ مُوسی أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۴۳) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِیَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ (۴۴) فَأَلْقی مُوسی عَصاهُ فَإِذا هِیَ تَلْقَفُ ما یَأْفِکُونَ (۴۵) فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ ساجِدِینَ (۴۶)

[۴۴] و اجتمع الجمیع فی یوم الزینهٔ، و اصـطف الطرفان، فهنا موسـی و هارون، و هناک فرعون بملئه و السـحرهٔ و سائر النظارهٔ قالَ لَهُمْ أی للسـحرهٔ مُوسی أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ تحداهم علیه السّلام بذلک، بأن یأتوا بما عندهم من أنواع السحر حتی یبطلها، و لیس هذا طلبا حتی یقال:

کیف یطلب النبی السحر و هو حرام؟

[۴۵] فَأَلْقَوْا أی السـحرهٔ حِبالَهُمْ جمع حبل وَ عِصِـیَّهُمْ جمع عصا، فقد صوروا الحبال و العصی بصورهٔ الحیّات و لونوها و طلوها بالزئبق و غیره، بحیث تتحرک فیظن النـاس أنهـا حیـات و ثعـابین وَ قـالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ حلفوا بـذلک، و أصـل الحلف أن الإنسان یبـدی ما فی ضمیره مبینا أنه مؤکد عنده بسـبب ربط کلامه بشـیء عظیم واقعا، أو عند الاجتماع، و کأنه یرید أن یبین أن مسلمیهٔ ما یقول کمسلمیهٔ ذلک الشیء العظیم، و العزهٔ هی القوهٔ و الغلبهٔ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ زعما منهم أن موسی لا یقدر علی ما قدروا علیه.

[۴۶] فَأَلْقی مُوسی عَصاهُ أی ألقاها من یده فَإِذا هِیَ تنقلب حیهٔ عظیمهٔ تَلْقَفُ أی تأکل بالتهام ما یَأْفِکُونَ أی إفکهم و هو الکذب، لأن حیاتهم کانت مکذوبهٔ لا حقیقهٔ لها.

[۴۷] فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ ساجِدِینَ فإنهم قد رأوا الحق فی موسی علیه السّلام

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۷

[سورهٔ الشعراء (۲۶): الآیات ۴۷ الی ۴۹]

قـالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ (۴۷) رَبِّ مُوسـی وَ هـارُونَ (۴۸) قـالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ إِنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ أَجْمَعِینَ (۴۹)

و عصاه، إذ هم أهل خبرهٔ بالسـحر، و علموا أن عصاه لیست بسـحر، فاندهشوا بحیث ملکهم الأمر و ألقوا أنفسـهم للسـجود لله سـبحانه إظهارا لاستسـلامهم و خضوعهم، و الإتیان ب «ألقی» مجهولا، للدلالهٔ علی دهشـتهم حتی کأنهم لم یسـجدوا اختیارا، و إنما اضـطرارا من أنفسهم، فقد حدث فی حالهٔ ألقتهم إلی السجود.

[۴۸] قالُوا أی السحرهٔ آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ صدقنا بأنه الإله، لا فرعون و الأصنام.

[۴۹] رَبِّ مُوسـی وَ هـارُونَ و إنمـا عطفـوا بـذلک، لئلاـ یتـوهم أن مرادهم برب العـالمین هو «فرعون» إذ فرعون کـان یقول أنـا ربکم الأعلی.

[۵۰] و عنـد ذلک سـقط فرعون فی یـده، إذ ظهرت غلبـهٔ موسـی أمام الجماهیر فتوجه إلی السـحرهٔ مهددا لهم قالَ کیف آمَنْتُمْ لَهُ أی لرب العـالمین، أو لموسـی قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ و قـد کـان فرعون یری نفسه فوق الکـل حتی أنه لو أراد أحـد الإیمـان کـان اللاـزم أن یسـتأذنه، ثم أراد أن یموه الأمر علی السـذج فقال إِنَّهُ أی موسـی لَکَبِیرُکُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ فهو أسـتاذکم و معلمکم و قـد تواطأتم أنتم و موسی علی هذا الأمر، بأن یأتی هو بسحر فوق سحرکم حتی تظهروا للناس أنه نبی و تسیطروا علی الأمر فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ العقاب

الذى يحل عليكم، ثم فسر ما هدده بقوله: لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ أى اليد من جانب و الرجل من جانب، و هذا أبلغ فى التنكيل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۵۰ الى ۵۲]

قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (۵۱) وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (۵۲)

من قطعها من طرف واحد وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ و الصلب هو أن يعلق الجسم بعمود طويل إما بدق الجسم عليه بالأوتاد، أو بربطه بالحبل و نحوه، فيموت فورا أو بعد زمان.

[۵۱] قالُوا أى قالت السحرة المؤمنون فى جواب فرعون لا ضَيْرَ أى لا ضرر علينا مما تفعله بنا، يقال: ضاره يضيره ضيرا، بمعنى يضره ضررا، فـ إِنَّا إِلى رَبِّنا الله مُنْقَلِبُونَ راجعون إلى ثوابه و لطفه فيجازينا على إيماننا و صبرنا بما هو خير لنا من الدنيا، و من المعلوم أن الإنسان لا يعد الألم القليل لفوائد كثيرة ضررا، قال بعض المفسرين:

إن فرعون لم يقدر على قتل أحد من السحرة، و قد ورد أن جمعا آمنوا بموسى فحبسهم مع السحرة، حتى أرسل الله على آل فرعون الجراد و القمل و الضفادع، فأطلق سراحهم.

[۵۲] إِنَّا نَطْمَعُ أى نرجو أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا السالفة من الكفر و السحر و العصيان، حيث أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بموسى عليه السّلام و بما دعانا إليه، فإن أول الناس إيمانا أعظم أجرا، لما يتوجه إليه من الخطر و الضرر الذين لا يتوجهان إلى سائر المؤمنين من بعده.

[۵۳] وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى بعد ما أطلق فرعون عن بنى إسرائيل و سائر المؤمنين أَنْ أَسْرِ أى سر ليلا إلى خارج مصر بِعِبادِي أى مع عبادى المؤمنين إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ أى أن وجه الأمر بالسير ليلا، إنكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۵۳ الى ۵۷]

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۵۳) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (۵۴) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (۵۵) وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (۵۶) فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۵۷)

إن سرتم نهارا يتبعكم الطلب ليحولوا بينكم و بين الخروج من مصر، أو هذا إخبار بأن فرعون يتبعهم فليعلموا ذلك سلفا.

[۵۴] و حيث تقابل قومى موسى و فرعون من حيث المؤمنين بالطرفين، تفكر فرعون لصد الناس عن الإيمان بجمع الجيش لمحاربة موسى فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ جمع مدينة، أى البلاد التى كانت تحت سلطته حاشِرِينَ أى أناسا حاشرين، من حشر بمعنى جمع، أى جماعة يجمعون المال و العسكر، لتهيئة حرب تبيد موسى و المؤمنين به معا.

[۵۵] قال فرعون لمن حوله إِنَّ هؤُلاءِ أى موسى و المؤمنين به لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ أى عصابة من الناس قليلة، فإن شرذمة كل شىء بقيته القليلة، و فى بعض التفاسير أنهم كانوا ستمائة ألف، فقد أراد التقليل لهم و التنقيص من شأنهم.

[۵۶] وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ يقال غاظه أى أغضبه، أى أغضبونا حيث خالفوا معنا فى الطريقة، و هكذا يقول المتكبرون دائما و كأنهم هم المحور حتى أن إغضابهم يوجب النكال و التدمير.

[۵۷] وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ أى جماعة حاذِرُونَ أى خائفون شرهم، من «حذر» بمعنى خاف و استعمل الحزم فى الأمور.

[۵۸] و خرج موسى عليه السّلام و قومه ليلا من مصر، و اتبعهم فرعون بعد ما عرف خروجهم بجيشه الجرار، يريد حربهم أو إرجاعهم، و هكذا أخرج الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۹۹

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۵۸ الى ۶۱]

وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۵۸) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (۵۹) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (۶۰) فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (۶۱)

فرعون من البلاد كما قال فَأَخْرَجْناهُمْ أى فرعون و آله مِنْ جَنَّاتٍ أى بساتين وَ عُيُونٍ جمع عين، أى: العيون الجارية فى أراضيهم و بساتينهم.

[۵۹] وَ كُنُوزٍ جمع كنز، و هو المال المخبأ، أى عن أموالهم الثمينة التى اختزنوها وَ مَقامٍ كَرِيمٍ مقامهم المتصف بالكرامة، لأنهم كانوا يكرمون فى ذلك المقام.

[۶۰] كَذلِكَ الأمر قد كان وَ أَوْرَثْناها أى تلك النعم من الجنات و العيون و الكنوز و المقام الكريم بَنِي إِسْرائِيلَ المؤمنين بالله، فإن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر و صاروا فيها سادة.

[۶۱] و بعد بيان تلك الخاتمة- فورا- يأتى السياق لبيان القصة كيف صار الطرفان، و هل تلاقيا فَأَتْبَعُوهُمْ أى أتبع فرعون و آله، لموسى و المؤمنين مُشْرِقِينَ أى حين شروق الشمس و ظهور ضوئها، بعد أن خرج موسى و المؤمنون، ليلا، و ساروا مسافة طويلة، و وصل موسى و المؤمنون إلى البحر، و ها هم يرون فرعون بجيشه يتبعهم، فما ذا يصنعون؟

[۶۲] فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ أى تقابل جمع موسى مع جمع فرعون، بحيث رأى كلّ صاحبه قالَ أَصْحابُ مُوسى فى خوف و اضطراب إِنَّا لَمُدْرَكُونَ أى سيدركنا جماعة فرعون و لا طاقة لنا بهم، فإنهم لم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۶۲ الى ۶۵]

قالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ (۶۲) فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (۶۳) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ (۶۴) وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (۶۵)

يكونوا حملوا السلاح للمقاتلة.

[۶۳] قالَ موسى عليه السّلام كَلَّا لا يدركونا، ثقة منه عليه السّلام بنصر الله تعالى إِنَّ مَعِي رَبِّي أى معى نصرته و لطفه سَيَهْدِينِ أى سيرشدنى إلى طريق النجاة.

[۶۴] فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ و هو البحر الأحمر الذى وصلوا إليه، فضرب موسى عصاه على البحر كما أمر الله سبحانه فَانْفَلَقَ البحر أى انشق، و ظهر فيه اثنى عشر طريقا بين كل طريقين حاجز من الماء، و ظهر القعر يابسا فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ أى كل قطعة من البحر، التى كانت حاجزة بين طريق و طريق كَالطَّوْدِ أى الجبل الْعَظِيمِ جبل من الماء ممتد عبر البحر، و طريق، ثم جبل و طريق، و هكذا إلى اثنى عشر طريقا وسيعا جافا فى قلب البحر.

[۶۵] وَ أَزْلَفْنا أى قربنا، من زلف بمعنى قرب ثَمَ أى هناك، نحو البحر الْآخَرِينَ أى فرعون و قومه، قربناهم إلى البحر، فإنهم اقتربوا ليحاربوا موسى و من معه، و نسبة الإزلاف إليه سبحانه، لأنه هو الذى أمر موسى بالخروج، فهو السبب الأول لإخراج فرعون.

[۶۶] و لما وصل فرعون إلى البحر، و رأى أن موسى و أصحابه فى وسطه، دخل البحر ليدرك موسى وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ حيث

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۶۶ الى ۷۰]

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۶۷) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۶۸) وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ

(۶۹) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ (۷۰)

وصلوا إلى ساحل البحر سالمين، حين وصل فرعون بجيشه منتصف البحر.

[۶۷] ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ بأن أمرنا ماء البحر أن يرجع إلى محله، فتلاطم الماء و انصبّ على فرعون و جيشه فغرقوا.

[۶۸] إِنَّ فِي ذلِكَ الذى تقدم من نصرة موسى على فرعون لَآيَةً أى دلالة على نصرة الله للمؤمنين على الكافرين، أو دلالة على الله و صفاته و سائر شؤونه وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ أى أكثر الناس مُؤْمِنِينَ مصدقين بهذه الآيات، أو أن آل فرعون رأوا تلك الآية فما آمنوا، فلا تستوحش يا رسول الله من عدم إيمان قومك.

[۶۹] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَهُوَ الْعَزِيزُ فى سلطانه الغالب، كما غلب على فرعون و قومه الرَّحِيمُ بخلقه، و من رحمته سبحانه أنه، يمهلهم، مع كفرهم و معاصيهم، حتى إذا لم يبق أمل فى إيمانهم أهلكهم، أو المراد أنه عزيز غالب على الأعداء، رحيم عطوف بالمؤمنين.

[۷۰] وَ اتْلُ يا رسول الله، أى اقرأ عَلَيْهِمْ أى على الناس نَبَأَ إِبْراهِيمَ أى خبره، و فيه تسلية للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و عظة للعرب الذين كانوا من نسله، حتى ينظروا إلى جدهم، و يتبعوا طريقته.

[۷۱] إِذْ قالَ أى فى زمان، و المراد تلاوة هذه القطعة من قصته لِأَبِيهِ آزر، و المراد عمه، فإن العرب تسمى العمّ أبا، لأنه بمنزلة الأب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۷۱ الى ۷۴]

قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ (۷۱) قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (۷۲) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (۷۳) قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (۷۴)

وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ أى أىّ شىء هذا الذى تعبدونه من دون الله؟ قال ذلك على وجه الإنكار.

[۷۲] قالُوا فى جواب إبراهيم عليه السّلام نَعْبُدُ أَصْناماً جمع صنم فَنَظَلُّ لَها لتلك الأصنام عاكِفِينَ نعكف عليها و نقيم فى عبادتها.

[۷۳] قالَ إبراهيم عليه السّلام يريد إبطال عملهم، و أن عبادتهم لها فى غير موقعها هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ أى هل تسمع هذه الأصنام كلامكم و دعاءكم؟ إِذْ تَدْعُونَ إياهم.

[۷۴] أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ بجلب خير لكم؟ أَوْ يَضُرُّونَ بإيقاع ضرر عليكم؟

و إذ كان الجواب على ذلك بالسلب و النفى، فلما ذا تعبدون ما لا يسمع و لا يضر و لا ينفع؟.

أقول: و لم يكن للقوم أن يقولوا: نعم، فى الجواب، إذ ذلك يحتاج إلى دليل، كما أنه ليس للقوم النقض على إبراهيم بأن الله أيضا كذلك و يطلبوا الدليل، إذ الآثار تدل على المؤثر فهناك ما لا يحصى من الأدلّة على أن فى الكون قوة خارقة تضر و تنفع و تخلق و تميت و تعطى و تمنع، و ما ذاك إلا الله سبحانه.

[۷۵] قالُوا فى جواب إبراهيم، إنما ليس لنا دليل على ألوهية هؤلاء، و إنما نعبدها تقليدا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا و أجدادنا كَذلِكَ الذى نفعل من عبادة الأصنام يَفْعَلُونَ فقلدناهم الأمر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۷۵ الى ۷۹]

قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۷۵) أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (۷۶) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ (۷۷) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (۷۸) وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ (۷۹)

[۷۶] قالَ إبراهيم عليه السّلام معلنا براءته من الأصنام بعد أن اعترف القوم بأنهم لا دليل لهم أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ من الأصنام.

[۷۷] أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ المقدمون عليكم، «و أنتم» للماضى، أى الأصنام التى تعبدونها أنتم و كان آباؤكم يعبدونها.

[۷۸] فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِی فقد جعل الأصنام کالأعداء، لأنه کما یضر العدو، تضر الأصنام، فإن عبادتها تورث النار و الخزی، و الإتیان بضمیر العاقل للأصنام بقوله «فإنهم» جریا علی ما یراه القوم من عقلها، و تنسیقا للکلام الدائر بینه و بینهم إِلَّا رَبَّ الْعالَمِینَ حیث إن قوله «ما کنتم» عام یشمل جمیع معبوداتهم، و قد کانوا یعترفون بالإله، استثنی علیه السّلام عن قوله «عدو» الله سبحانه، فإنه الرحیم الخلیل لإبراهیم دون سائر الأصنام.

[۷۹] ثم أخذ علیه السّلام یصف الله سبحانه بالصفات التی هی له، و فیه تعریض بالقوم، بأنّ أصنامکم لا تضر و لا تنفع الَّذِی خَلَقَنِی أخرجنی من العدم إلی الوجود فَهُوَ یَهْدِینِ أی یهدینی طریق السعادة، کما خلقنی، کما قال سبحانه (الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی «۱» [۸۰] وَ الَّذِی هُوَ لا غیره یُطْعِمُنِی أی یعطینی الطعام، و سائر الناس

---

(۱) طه: ۵۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۸۰ الی ۸۳]

وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ (۸۰) وَ الَّذِی یُمِیتُنِی ثُمَّ یُحْیِینِ (۸۱) وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ (۸۲) رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ (۸۳)

وسائط، و إلا فالمطعم الحقیقی هو الله الذی خلق الطعام وَ یَسْقِینِ الماء إذا عطشت.

[۸۱] وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ أی یشفینی من المرض فهو الشافی حقیقة، و إنما الطبیب وسیلة.

[۸۲] وَ الَّذِی یُمِیتُنِی إذا انقضی أجلی ثُمَّ یُحْیِینِ یوم القیامة للبعث و الحساب و سقوط یاء المتکلم فی هذه الأفعال تخفیفا، لوضوحها بالإضافة إلی حصول التناسق بحذفها.

[۸۳] وَ الَّذِی أَطْمَعُ أی أوجد أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی و الأنبیاء معصومون، إلا أنهم یعدون حتی عملهم بالمباحات خطایا، إذا ما یعرفون من مقام الله و عظمته یقتضی أن یکونوا دائما فی خدمته، حتی لا یشتغلوا بنوم أو أکل أو مباشرة، أ رأیت لو جاءک إنسان کبیر، و أنت وسخ الثیاب تعتذر منه و تخجل، و إن لم یکن ذلک سیئة، و کنت مضطرا إلی هذه الثیاب؟ یَوْمَ الدِّینِ أی فی یوم الجزاء.

[۸۴] ثم توجه إبراهیم علیه السّلام إلی اللّه بالدعاء قائلا رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً فإن کون الإنسان حاکما فی الأرض حکومة مشروعة لا یکون إلّا لله سبحانه، فإذا منحه لأحد کان حاکما شرعیا، و إن لم یمنحه کان غاصبا لا حق له فیه وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ أی اجعلنی فی زمرتهم و معهم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۶

[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۸۴ الی ۸۹]

وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ (۸۴) وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِیمِ (۸۵) وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کانَ مِنَ الضَّالِّینَ (۸۶) وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ (۸۷) یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ (۸۸)

إِلَّا مَنْ أَتَی اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ (۸۹)

[۸۵] وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ أی ثناء جمیلا صادقا فِی الْآخِرِینَ أی الأمم التی تأتی من بعدی، فیثنون علیّ ثناء صادقا، بأن أکون قدوة لهم، فالمراد باللسان الثناء، بعلاقة الحال و المحل، و المراد بالصدق أن یکون الثناء صدقا، فی مقابل الثناء الکاذب و قد أجاب الله سبحانه دعاء إبراهیم، فقد مرت عشرات القرون، و الأمم کلهم یثنون علی إبراهیم، و یذکرونه بتجلة و إکبار.

[۸۶] وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِیمِ أی الذین یرثونها کالإرث الذی ینتقل إلی الإنسان.

[۸۷] وَ اغْفِرْ لِأَبِی بأن تهدیه إلی الحق حتی یستحق الغفران إِنَّهُ کانَ مِنَ الضَّالِّینَ المنحرفین الذی ضلوا الطریق، و المراد «بأبی» عمه

آزر، و إلّا فقد كان أبوه عليه السّلام مؤمنا راشدا.

[۸۸] وَ لا تُخْزِنِي من الخزى، و هو أن يترك الإنسان لشأنه حتى يـذل يَوْمَ يُبْعَثُونَ أى يوم القيامـة، و هـذا أيضا كما تقدم فى قوله عليه السّلام «خطيئتى».

[۸۹] يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ لإنجاء الإنسان من الهلكة، و إسعاده بالجنة وَ لا بَنُونَ يدافعون عن الإنسان، و يهيئون له المكان الحسن الوثير.

[۹۰] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ أى لا ينفع شىء إلا القلب السليم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۹۰ الى ۹۴]

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (۹۰) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ (۹۱) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۹۲) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (۹۳) فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ (۹۴)

و هـذا اسـتثناء منقطع، و قد ذكرنا وجهه سابقا، و أنه اسـتثناء عن أصل المطلب، لا عن المطلب بقيوده، و المراد بالقلب السـليم، القلب السالم عن المعاصى و الآثام، و إنما نسب إلى القلب لأنه مبعث الخيرات و الشرور.

[۹۱] وَ يوم أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ أى قربت، إمـا قربـا زمانيـا، لأن أيـام الـدنيا انقضت، و جـاء دور الآخرة، و إما قربا مكانيا، فإنّ الأرض تكون ساحـة الحشـر، و الجحيم تظهر فى أطباقهـا، و الجنـة- التى لا تبعـد أن تكون فى أعـالى الفضـاء- تقرّب إلى الأرض ليراها المؤمنون لِلْمُتَّقِينَ الذين كانوا يتقون المحارم فى الدنيا.

[۹۲] وَ بُرِّزَتِ أى أظهرت، و المظهر هو الله سبحانه الْجَحِيمُ و هى جهنم- مؤنثـة سـماعا- لِلْغاوِينَ من غوى، بمعنى ضـل، أى الضالين الذين أغواهم الشيطان، فعملوا الكفر و العصيان.

[۹۳] وَ قِيلَ لَهُمْ أى للغاوين أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أى أين ذهبت الأصنام التى كنتم تعبدونها؟

[۹۴] مِنْ دُونِ اللَّهِ أى عوض عبـادة الله هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ بـدفع العـذاب عنكم، فى هـذا اليوم أَوْ يَنْتَصِرُونَ هم لأنفسـهم بـأن لا يكونوا حصب جهنم.

[۹۵] فَكُبْكِبُوا أى جمعوا، بمعنى دفعوا و طرح فيها بعضهم فوق بعض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۹۵ الى ۱۰۰]

وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (۹۵) قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ (۹۶) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۹۷) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۹۸) وَ ما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ (۹۹)

فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ (۱۰۰)

فِيها أى فى الجحيم هُمْ أى الآلهـة وَ الْغاوُونَ أى الكفار الضالون الـذين كانوا يعبدونها، أو المراد ب «هم» هؤلاء عبدة الأصـنام و سائر الغاوين كالطبيعيين و من إليهم.

[۹۶] وَ كبكب فيها جُنُودُ إِبْلِيسَ من اتبعه من ولده و ولد آدم و عصاة الجن أَجْمَعُونَ حتى لا يبقى منهم أحد خارج النار.

[۹۷] قالُوا أى قال هؤلاء الذين فى النار وَ الحال أن هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ يخاصم بعضهم بعضا.

[۹۸] تَاللَّهِ قسم بالله، و التاء تأتى غالبا لأمر مستنكر أو غريب إِنْ أى إنه، ف «إن» مخففة حذف اسـمها كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ أى واضح ظاهر.

[۹۹] إِذْ نُسَوِّيكُمْ الخطاب للأصـنام، و الإتيان بضمير العاقل، باعتبار جعلهم مخاطبين بِرَبِّ الْعالَمِينَ بمعنى إذ سويناكم بالله، و جعلناكم عدلا له، فعبدناكم من دونه، و هكذا يتبرّأ المشركون هناك من الأصنام.

[۱۰۰] وَ ما أَضَلَّنا عن طريق الحق، إلى عبادتكم إِلَّا الْمُجْرِمُونَ أى كبرائنا الذين أجرموا فأغرونا عن الحق.

[۱۰۱] ثم يتضرع المشركون إلى الناس كى ينقذوهم من العذاب قائلين فى صورة استفهام و استعطاف فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ يشفعون لنا كى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۵]

وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (۱۰۱) فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۰۲) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۰۳) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۰۴) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (۱۰۵)

ننجو من العذاب؟

[۱۰۲] وَ لا صَدِيقٍ أى و لا من صديق حَمِيمٍ أى ذى قرابة فإن الحميم هو القريب الذى ترده و يردك؟ و المعنى هل ليس لنا شافع من الأباعد أو صديق من الأقارب؟

[۱۰۳] فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً يتمنون أن يكون لهم رجوع إلى الدنيا، من «كرّ» إذا رجع فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حتى إذا متنا ثانيا فزنا بالنعيم و تخلصنا من الجحيم.

[۱۰۴] إِنَّ فِي ذلِكَ الذى ذكرناه من قصة إبراهيم عليه السّلام لَآيَةً أى دلالة على وحدة الله سبحانه و سائر صفاته و شؤونه و المعاد، أو حجة على هؤلاء القوم الذين يتمسكون بإبراهيم و يعتبرونه نبيا و جدا لهم وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ أى أكثر هؤلاء الذين عاصروك يا رسول الله، أو أكثر أولئك الكفار فى زمن إبراهيم مُؤْمِنِينَ مصدقين، و إنما راكبون رؤوسهم يعاندون فى الأمر.

[۱۰۵] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَهُوَ الْعَزِيزُ فى سلطانه الغالب على أمره، و بعزته يأخذ الكفّار و ينتقم منهم الرَّحِيمُ بعباده المؤمنين فينصرهم، أو رحيم بالكفار فلا يعاجلهم بالعقوبة.

[۱۰۶] ثم انتقل السياق من قصة إبراهيم عليه السّلام إلى قصة نوح شيخ المرسلين فقال سبحانه: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ و إنما دخلت التاء فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۰۶ الى ۱۱۰]

إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۰۶) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۰۷) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۰۸) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۰۹) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۱۰)

كذبت، باعتبار الجماعة، كما قال ابن مالك:

و التاء مع جمع سوى السالم من‌مذكر كالتاء مع إحدى اللبن

ففى غير الجمع السالم يجوز إدخال التاء باعتبار الجماعة، و إنما قال «المرسلين» لأنّ تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الأنبياء.

[۱۰۷] إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ و سماه أخا، لأنه كان من قبيلتهم أَ لا تَتَّقُونَ عذاب الله؟ أى أ فلا تخافون من العذاب فى تكذيبى و إصراركم على الكفر و العصيان؟

[۱۰۸] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ من قبل الله سبحانه أَمِينٌ على الرسالة فيما أقول لكم.

[۱۰۹] فَاتَّقُوا اللَّهَ بتوحيده، و إطاعته وَ أَطِيعُونِ أى أطيعونى فيما آمركم و أنهاكم.

[۱۱۰] وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أى على البلاغ و الإرشاد مِنْ أَجْرٍ «من» زائدة دخلت لتعميم النفى أى لا- أطلب منكم أجرا و جزاء على الرسالة إِنْ أَجْرِيَ أى ما أجرى إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ فهو الذى يعطينى جزائى و أجرى.

[۱۱۱] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ كرّر تأكيدا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۱۱ الى ۱۱۵]

قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (۱۱۱) قالَ وَ ما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۲) إِنْ حِسابُهُمْ إِلاَّ عَلى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (۱۱۳) وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۴) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۱۱۵)

[۱۱۲] قالُوا أى قال الكفار فى جواب نوح عليه السّلام أَ نُؤْمِنُ لَكَ أى كيف نصدقك وَ الحال أنه اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ أى سفلة الناس، و هو الحقير السافل، و المعنى أنا لا نستعد أن نردف أنفسنا بهؤلاء السفلة.

[۱۱۳] قالَ نوح عليه السّلام فى جوابهم وَ ما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ أى لا أعلم أعمالهم ما يصنعون، و هذا كناية عن عدم الارتباط بين إيمانهم و بين صنائعهم و أعمالهم، يقال: لا- أعلم ماذا يقول فلان، و يراد لا- أرتبط بقوله، فقد كان الأنبياء مكلّفين بالبلاغ و الإرشاد، أما أعمال الناس و ما كانوا فى زمان كفرهم، فليس ذلك من مهمة الأنبياء.

[۱۱۴] إِنْ حِسابُهُمْ أى ما حساب هؤلاء إِلَّا عَلى رَبِّي فهو الذى يحاسبهم على مهنهم و أعمالهم لَوْ تَشْعُرُونَ أى لو كنتم تشعرون ذلك و تعلمون إن حساب الناس على الله، لما عبتمونى بأن أتباعى أراذل.

[۱۱۵] وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ أى لا- أطردهم لإرضائكم، و قد كان دأب الكبراء دائما ذلك، حيث يأنفون أن يكونوا فى صف الضعفاء، و لذا كانوا يشترطون على الأنبياء طرد أولئك حتى يؤمنوا، و هكذا قالوا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۱۱۶] إِنْ أَنَا أى ما أنا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أى منذر لكم عن عذاب الله و نكاله، واضح الإنذار و التخويف و هذا شأنى أما أن أطرد بعضا لأقبل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۱۶ الى ۱۲۰]

قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (۱۱۶) قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۸) فَأَنْجَيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (۱۱۹) ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الْباقِينَ (۱۲۰)

آخرين فلست بعامل ذلك.

[۱۱۷] قالُوا أى القوم، لما انقطعوا عن الحجة لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ عن هذه الدعوة التى تدعونا بها لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ أى الذين يرجمون بالحجارة.

[۱۱۸] هناك دعا نوح ربّه قالَ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ أى كذبونى فيما دعوتهم إليه.

[۱۱۹] فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً و المراد النصر له عليهم، و قيل للنصر فتح، لأنه يفتح الطريق المسدود أمام الإنسان وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ من هؤلاء الكفار، الذين لا يفيد فيهم النصح.

[۱۲۰] فَأَنْجَيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ أى السفينة الْمَشْحُونِ من شحنه إذا ملأه، أى السفينة المملوءة من الإنسان و الحيوان، فقد أمر عليه السّلام بصنع سفينة و ركوبها و سائر المؤمنين و من كل حيوان يحمل زوجين اثنين- كما تقدم-.

[۱۲۱] ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ أى بعد أن ركب نوح و سائر المؤمنين السفينة الْباقِينَ الذين بقوا على الأرض و لم يركبوا السفينة، و هم الكفار الذين لم يؤمنوا، فقد أخذ الماء وجه الأرض حتى غرق كل شيء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۲۱ الى ۱۲۶]

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۲۱) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۲۲) كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ (۱۲۳) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۲۴) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۲۵)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۲۶)

[۱۲۲] إِنَّ فِي ذلِكَ الحوار بين نوح و قومه حول التوحيد و سائر المعارف لَآيَةً دلالة واضحة على وجوده سبحانه، أو فى ذلك الغرق دلالة على نكال الله بالكافر وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بالله، أو المراد ما كان أكثر الكفار المعاصرين للرسول مؤمنين بهذه الآية التى هى غرق أعداء نوح عليه السّلام.

[۱۲۳] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب فى سلطانه القاهر، و بعزته أخذ أولئك بالغرق الرَّحِيمُ بالمؤمنين ينصرهم على أعدائهم بالآخرة أو يمهلهم رحمة منه حتى إذا سدوا أبواب الهدى على أنفسهم فلا رجاء فيهم أخذهم.

[۱۲۴] و بعد تمام قصة نوح يأتى السياق لينقل قصة عاد قوم هود النبى عليه السّلام كَذَّبَتْ عادٌ أى قبيلة عاد الْمُرْسَلِينَ فإن تكذيب هؤلاء كان تكذيب لسائر الأنبياء عليهم السّلام، فمن لم يقبل نبيا فكأنه لم يقبل جميع الأنبياء.

[۱۲۵] إِذْ قالَ أى كان التكذيب فى زمان قال لَهُمْ أَخُوهُمْ فى النسب هُودٌ النبى أَ لا تَتَّقُونَ الله باجتناب المعاصى، و هل تخافون عقابه و نكاله؟

[۱۲۶] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ من قبل الله أَمِينٌ على تبليغ الرسالة.

[۱۲۷] فَاتَّقُوا اللَّهَ خافوا عقابه و نكاله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۲۷ الى ۱۲۹]

وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۲۷) أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (۱۲۸) وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (۱۲۹)

وَ أَطِيعُونِ أى أطيعونى فيما آتيتكم به من قبل الله سبحانه.

[۱۲۸] وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أى على البلاغ و الإرشاد مِنْ أَجْرٍ فإني لا أريد الأجرة منكم حتى تخافون ذلك، فتعرضون عن رسالتى إِنْ أَجْرِيَ أى ما أجرى و جزائى إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ فإنّه يجازينى على أتعابى و ما تحملته فى سبيل الرسالة من المشاق.

[۱۲۹] ثم ذكر المعصية البارزة من معاصيهم، كما هو عادة الأنبياء، أن يكثر من النهى عن المعصية البارزة من المعاصى، فقال أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ الريع هو الارتفاع من الأرض، و جمعه أرياع و ريعة أى تبنون فى المحلات المرتفعة من الصحراء آيَةً أى ما يبدوا كأنها علامة للمارة، و لكنها ليست بعلامة، أو ما من شأنها أن تكون علامة لهداية المارة، و لكنكم لا تبنونها لذلك و إنما تَعْبَثُونَ أى عبثا و ترفا، فإن من عادة المترفين أن يصرفوا المال فيما هو مستغنى عنه و كذلك الحكومات المترفة.

[۱۳۰] وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ و هى جمع مصنع، و كأنّ المراد مواضع صنع الآلات و الأسباب للأبنية و القصور، و سائر مرافق الحياة، فإن القوم يكونون دائما هكذا، لهم مصانع، و ليسوا كالبدائيين الذين يكون بناؤهم بسيطا، فلا يحتاج إلى معامل و مصانع لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ أى تظنون خلودكم بهذه الاستحكامات و التصنيعات، و لم يكن القوم يرجون البقاء الأبدى، و إنما كان حالهم حال من يرجو البقاء، لأنّهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۳۰ الى ۱۳۵]

وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (۱۳۰) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۳۱) وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ (۱۳۲) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ (۱۳۳) وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۳۴)

إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۳۵)

كانوا يعملون أعمال الباقين إلى الأبد.

[۱۳۱] وَ إِذا بَطَشْتُمْ أصل البطش هو الأخذ الأليم باليد، ثم استعمل فى كل إنزال عقوبة، يعنى إذا عاقبتم أحدا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ أى عاقبتم عقوبة الجبابرة الذين يتعدون عن الحدّ، بلا رأفة و حساب، و كل هذه الثلاثة من مظاهر البذخ و الكبر و نسيان الآخرة، و إذا رقت الحضارة و لم يرافقها الإيمان كانت كذلك، كما نرى هذه الأمور الثلاثة فى زماننا جلية، و كانت عاد تسكن الأحقاف، و هى الجبال قرب حضرموت، من ناحية اليمن، و كانت ذات حضارة قديمة.

[۱۳۲] فَاتَّقُوا اللَّهَ و لا ترتكبوا معاصيه وَ أَطِيعُونِ أى أطيعونى فيما آمركم به، و حذفت الياء تخفيفا.

[۱۳۳] وَ اتَّقُوا الَّذِي أى الله الذى أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ أى أعطاكم مددا، باستمرار، ما تعملون من أنواع الخير و الرفاه و مرافق العيش.

[۱۳۴] أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ فأكثر لكم من الأولاد و الأنعام، و هى جمع نعم هو الحيوان ذو الأربع.

[۱۳۵] وَ جَنَّاتٍ أى بساتين وَ عُيُونٍ جمع عين.

[۱۳۶] إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ إن تماديتم فى الغى و الطغيان عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۶

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۳۶ الى ۱۳۹]

قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ (۱۳۶) إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (۱۳۷) وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۱۳۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹)

و المراد إما العذاب الذى يأخذهم فى الدنيا إن استمروا على كفرهم و شقاقهم، و إما عذاب يوم القيامة.

[۱۳۷] قالُوا أى قالت عاد فى جواب نبيهم هود سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ فإنّ وعظك و عدم الوعظ متساويان عندنا، لا يؤثر الوعظ فينا شيئا.

[۱۳۸] إِنْ هذا أى ما هذا الذى تقول إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ أى كذب السابقين أو عادة السابقين، فإن خلق يأتى بمعنى الكذب و بمعنى العادة، و هكذا المجرمون فى كل زمان ينسبون المصلحين إلى القدم، ففى زماننا يقولون «رجعية» و «ارتجاع» و بالفارسية «كهنه پرستى»، و فى زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانوا يقولون «أساطير الأولين» و فى زمان هود قالوا «خلق الأولين»، و لعلّ المراد أن ما نبينه و نفعله عادة آبائنا، فلا نتركه لأجلك.

[۱۳۹] وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فمن يقدر على عذابنا؟ أما ما تقولون من عذاب الله، فهو يحبنا، أليس قد أنعم علينا بهذه النعم؟ كما قال ذلك الكافر (وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً) «۱».

[۱۴۰] فَكَذَّبُوهُ أى كذب عاد هودا فَأَهْلَكْناهُمْ بريح سخرت عليهم

---

(۱) الكهف: ۳۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۷

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۴۰ الى ۱۴۵]

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۴۰) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (۱۴۱) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۴۲) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۴۳) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۴۴)

وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۴۵)

فأماتهم جميعا إِنَّ فِي ذلِكَ التبليغ لهم، أو الإهلاك لَآيَةً لأولئك، أو لقوم الرسول وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بذلك البلاغ، بالنسبة إلى أولئك، أو بذلك الإهلاك بالنسبة إلى هؤلاء.

[۱۴۱] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب على الكفّار الرَّحِيمُ بالمؤمنين، و قد تقدم تفصيله.

[۱۴۲] كَذَّبَتْ ثَمُودُ أى قبيلة ثمود الْمُرْسَلِينَ فإنهم بتكذيبهم صالحا، كأنهم كذبوا جميع الأنبياء.

[۱۴۳] إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أى أن التكذيب كان فى زمان قال لهم أخوهم فى النسب صالح النبى عليه السّلام أ لا تَتَّقُونَ الله باجتناب الكفر و المعاصى.

[۱۴۴] إِنِّی لَكُمْ أيها القوم رَسُولٌ من قبل الله أَمِينٌ على أداء الرسالة.

[۱۴۵] فَاتَّقُوا اللَّهَ و خافوا عقابه، و اتركوا معاصيه وَ أَطِيعُونِ أى أطيعونى فيما آمركم به.

[۱۴۶] وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أى على الإرشاد و التبليغ مِنْ أَجْرٍ و جزاء، و «من» لتعميم النفى إِنْ أَجْرِيَ أى ما أجرى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۸

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۴۶ الى ۱۵۰]

أَ تُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ (۱۴۶) فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۴۷) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ (۱۴۸) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ (۱۴۹) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۵۰)

إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ فإنه هو الذى يجزينى.

[۱۴۷] أ تُتْرَكُونَ أى هل تظنون أنتم أنكم تتركون فِي ما هاهُنا أى فى الأرض، و فى هذه النعم الموجودة لديكم آمِنِينَ من الموت، و التغير؟ و هو استفهام استنكارى إلفاتى.

[۱۴۸] فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ فى بساتينكم و قرب عيون الماء الجارية.

[۱۴۹] وَ زُرُوعٍ جمع زرع، و كأنّه النبات الذى لا ساق له وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ الطلع هو الشيء الذى يخرج من النخل، و فى وسطه صغار التمر، سمى طلعا لطلوعه، و «هضيم» بمعنى اللطيف الناضج الحسن.

[۱۵۰] وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فى حال كونكم فارِهِينَ بسهولة، و يسر، من فره، أى هل تظنون أنكم تبقون فى هذه النعم، فالجنات ملتفة، و العيون جارية، و النخيل فى ثمر و طلع، و البيوت الفارهة المنحوتة، و كل الحياة تنحو نحو الخير و التقدم لكم، و أنتم آمنون؟ كلا! لا يكون هذا.

[۱۵۱] فَاتَّقُوا اللَّهَ و لا تخالفوا أوامره وَ أَطِيعُونِ أى أطيعونى فى رسالتى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۹

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۵۱ الى ۱۵۵]

وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (۱۵۱) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ (۱۵۲) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (۱۵۳) ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۵۴) قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱۵۵)

[۱۵۲] وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الذين يسرفون فى أعمالهم و حركاتهم، فإن لكل عمل مقياس وحد إذا جاوزه كان سرفا، و كان فاعله مسرفا.

[۱۵۳] الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ و كأنه جيء بهذا العطف لإفادة أنهم لا يأتى منهم إلا الفساد فى العقيدة و المنهج و الأخلاق، لا كمن يأتى منه الصلاح و الفساد معا.

[۱۵۴] قالُوا أى قالت ثمود فى جواب صالح إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ فقد سحروك و ذهب عقلك- فإنّ الإنسان المسحور يختل عقله و إدراكه- و لذا تدعى النبوة و تقول هذه الكلمات، و لعلّ المراد أنك قد سحرت مرة بعد أخرى، و لذا جيء من باب التفعيل الدال على التكثير.

[۱۵۵] ما أَنْتَ يا صالح إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فكيف تدعى النبوة؟ فَأْتِ بِآيَةٍ أى معجزة دالة على صدقك فى دعواك إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى أنك نبى مبعوث من قبل الله تعالى.

[۱۵۶] قالَ صالح عليه السّلام آتى بالآية، فما ذا تريدون؟ قالوا نريد أن تخرج من هذا الجبل ناقة كبيرة، فسأل الله صالح ذلك، فأخرج لهم من الجبل ناقة كبيرة فقال لهم هذِهِ ناقَةٌ كما طلبتم لَها شِرْبٌ أى حصة من الماء وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ فليس لكم شرب كل يوم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۰

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۵۶ الى ۱۵۹]

وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵۶) فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ (۱۵۷) فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۵۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۵۹)

و إنما تشرب هذه الناقة ماء النهر كاملا، فى يوم، و تعطيكم الحليب عوض الماء، و لكم ماء النهر فى اليوم الآخر، لا تزاحمكم الناقة فى الشرب.

[۱۵۷] وَ لا تَمَسُّوها أى لا تمسوا الناقة بِسُوءٍ بشىء سيئ كأن تؤذوها، أو تضربوها، أو تنحروها فإنكم إذا فعلتم ذلك فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ عليكم، و إنما كان اليوم عظيما بعلاقة الحال و المحل، و إلا فإن العذاب الذى يحل فيه هو العظيم.

[۱۵۸] لكن القوم عتوا، و قالوا لا نريد أن تشرب الناقة كل ماء النهر يوما بين كل يومين و لا نريد لبنها، فاللازم أن نقتلها لكى نتخلص منها فَعَقَرُوها أى أهلكوها، بالنحر، أو ضرب القوائم، و قسموا لحمها بينهم و إنما أسند العقر إليهم مع أن عاقرها كان واحدا لرضى كلهم بذلك فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ حين شاهدوا العذاب، فقد ندموا على كفرهم و معاصيهم و عقرهم للناقة.

[۱۵۹] فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ الذى خوفهم صالح عليه السّلام منه فقد خسفت أرضهم- كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام- إِنَّ فِي ذلِكَ البلاغ، أو العذاب لَآيَةً لهم، أو لقوم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ من أولئك، أو هؤلاء- على تفصيل مضى- مُؤْمِنِينَ

[۱۶۰] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب فى سلطانه القاهر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۱

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۰ الى ۱۶۴]

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (۱۶۰) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۶۱) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۶۲) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۶۳) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۶۴)

للأعداء الرَّحِيمُ بهم يمهلهم، لعلهم يرجعون، أو الرحيم بالمؤمنين ينصرهم على أعدائهم.

[۱۶۱] كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ النبى عليه السّلام الْمُرْسَلِينَ فإن تكذيب لوط كان تكذيبا لجميع الأنبياء عليهم السّلام، أو المراد بالجمع الجنس- فقد ذكرنا سابقا- إن كلّا من الجمع و الجنس يحل محل الآخر، تقول: هكذا قال المفسرون، و تريد أن هذا الجنس قالوا كذلك، و لا تريد الجمع، بل الكلام صادق و إن كان واحد منهم تكلم بذلك الكلام، فإنه فى قبال قال النحويون، و قال المتكلمون، لا فى قبال قال مفسر واحد.

[۱۶۲] إِذْ قالَ لَهُمْ أى كان التكذيب فى زمان قال للقوم أَخُوهُمْ فى النسب لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ الله باجتناب الكفر و العصيان.

[۱۶۳] إِنِّي لَكُمْ أيها القوم رَسُولٌ من عند الله أَمِينٌ على أداء الرسالة لا أزيد فيها و لا أنقص.

[۱۶۴] فَاتَّقُوا اللَّهَ باجتناب الكفر و المعاصى وَ أَطِيعُونِ أطيعوا أوامرى، أو أطيعوا أوامر الله، فالمراد بالتقوى عدم الإتيان بالمنكرات و بالإطاعة الإتيان بالواجبات.

[۱۶۵] وَ ما أَسْئَلُكُمْ أيها القوم عَلَيْهِ أى على الإرشاد و البلاغ مِنْ أَجْرٍ و جزاء، فلا تخافون إن آمنتم بى أن أرهقكم بالضرائب و الجزاء، إِنْ أَجْرِيَ أى ما أجرى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۲

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۵ الى ۱۶۷]

أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ (۱۶۵) وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (۱۶۶) قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (۱۶۷)

إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ فهو يعطينى الجزاء.

[۱۶۶] ثم بين المعصية الظاهرة فيهم، ناهيا لهم عنها فقال أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ على نحو الاستفهام الإنكارى أى كيف تصيبون الذكر، باللواط معهم مِنَ الْعالَمِينَ أى من جملة خلائق العالم، و لعلّ هذا التعبير لأنهم كانوا يفعلون الفاحشة بكل من وجدوه من أهل المدينة أو المسافرين.

[۱۶۷] وَ تَذَرُونَ أى تتركون ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ لأجل قضاء الوطر مِنْ أَزْواجِكُمْ و نسائكم، فقد عطلوا إتيان الأزواج، و تعاطوا إتيان الذكور، حتى اضطرت النساء إلى المساحقة لقضاء وطرهن، فإذن فليس ذلك لأجل أنكم تريدون قضاء الشهوة بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ ظالمون تتعدون الحلال إلى الحرام، و إلا فلو كنتم تريدون قضاء الوطر كانت أزواجكم حاضرة، و الإنسان المعتدى يكون هكذا، يضرب عن الحق الذى يكفيه الى الباطل، تجاوزا و اعتداء.

[۱۶۸] قالُوا أى قال القوم فى جواب لوط عليه السّلام لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ و ذلك بأن لا تستمر فى تبليغك و نصحك لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ أى نخرجك من بلادنا، كما فى آية اخرى (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ) «۱».

---

(۱) الأعراف: ۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۳

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۸ الى ۱۷۳]

قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ (۱۶۸) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (۱۶۹) فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۷۰) إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (۱۷۱) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (۱۷۲)

وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (۱۷۳)

[۱۶۹] قالَ لهم لوط عليه السّلام إِنِّي لِعَمَلِكُمْ هذا، و المراد به اللواط مِنَ الْقالِينَ يقال «قلى» أى كره و أبغض، أى فإنى أعلمكم أنى أكره و أبغض عملكم، فإن إظهار التنفر من الحرام، مرتبة من مراتب النهى عن المنكر.

[۱۷۰] و لما استيأس منهم دعا اللّه سبحانه فقال، يا رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي أى و نجّ أهلى، و المراد بناته مِمَّا يَعْمَلُونَ أى من عاقبة عملهم، أى العذاب الذى يحل بهم، أو المراد أن يبعده عنهم حتى لا يرى عملهم، فوضع «مما يعملون» مكان «منهم» لإفادة العلة فى الدعاء.

[۱۷۱] فَنَجَّيْناهُ أى نجينا لوطا وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ بأجمعهم بحيث لم يبق منهم أحد.

[۱۷۲] إِلَّا عَجُوزاً هى زوجته السيئة فِي الْغابِرِينَ كانت مع الباقين فى المدينة ليأخذها العذاب معهم، فقد أمر لوط أن يسرى فى المدينة بأهله ليلا، حتى لا يشمله العذاب الذى ينزل بالقوم.

[۱۷۳] ثُمَّ من بعد خروج لوط و آله عن القرية دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ أهلكناهم بالخسف و تقليب الأرض، بأن رفع أرضهم جبرائيل ثم قلبها.

[۱۷۴] وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً من الحجارة، و لعلّه كان قبل تقليبهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۴

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۷۴ الى ۱۷۸]

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۷۵) كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (۱۷۶) إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۷۷) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۷۸)

فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ أى بئس مطر الحجارة الذى أمطر على الأشخاص الذين أنذروا فلم يقبلوا.

[۱۷۵] إِنَّ فِي ذلِكَ البلاغ لهم لَآيَةً دالة على صدق لوط وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بلوط و ما جاء به من عند الله، أو المراد أن فى ذلك التعذيب لهم لدلالة على مصير الكفّار، و لكن أكثر كفّار مكة لا يؤمنون و لا ينفع فيهم النذر.

[۱۷۶] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَهُوَ الْعَزِيزُ القاهر للكفّار الرَّحِيمُ بالمؤمنين.

[۱۷۷] كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ هى الغيظة، مجتمع الشجر فى مفيض ماء الْمُرْسَلِينَ و المراد به شعيب عليه السّلام، فقد أرسل إلى قبيلة «مدين» و لعلّ أنّ هناك بالقرب من مدينتهم كانت أيكة ذات أشجار فكانوا يعرفون بها، أو كما ورد أن شعيبا أرسل إلى أصحاب الأيكة، و إلى مدين.

[۱۷۸] إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ قال بعض المفسرين: لم يقل «أخوهم شعيب» كالسياق السابق، لأنّ شعيبا لم يكن من قبيلتهم، و إنما كان من قبيلة مدين أَ لا تَتَّقُونَ الله بإطاعة أوامره و اجتناب نواهيه؟

[۱۷۹] إِنِّي لَكُمْ أيها القوم رَسُولٌ من قبل الله سبحانه أَمِينٌ على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۷۹ الى ۱۸۳]

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۷۹) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۸۰) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (۱۸۱) وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ (۱۸۲) وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۱۸۳)

أداء الرسالة.

[۱۸۰] فَاتَّقُوا اللَّهَ أى خافوا عقابه فى مخالفته وَ أَطِيعُونِ أى:

أطيعونى فيما أبلغكم.

[۱۸۱] وَ ما أَسْئَلُكُمْ أيها القوم عَلَيْهِ أى على البلاغ و الإرشاد مِنْ أَجْرٍ أطلبه منكم إِنْ أَجْرِيَ أى ما أجرى و جزائى إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ فإنه يتفضّل علىّ بالجزاء على تحمل المشاق، فى سبيل التبليغ و الإرشاد.

[۱۸۲] ثم أخذ ينبههم على العصيان الشائع بينهم، فقد كان من دأب الأنبياء- كما مرّ بنا جملة من ذلك- أن يركزوا اهتمامهم على نقطة الضعف فى المجتمع أَوْفُوا الْكَيْلَ أى أعطوا الكيل- فى المعاملات- وافيا غير ناقص وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ أى ممن ينقص الكيل، و يدخل فى الكيل جميع ما يحسب كالوزن و العدد و الزرع.

[۱۸۳] وَ زِنُوا أمر من «وزن» حذف واوه بالإعلال، فالأمر منه «زن» و الواو عاطفة بِالْقِسْطاسِ أى الميزان الْمُسْتَقِيمِ العدل الذى لا حيف فيه، لا بالميزان الناقص.

[۱۸۴] وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ البخس هو النقص فيما يجب على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۶

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۸۴ الى ۱۸۷]

وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (۱۸۴) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (۱۸۵) وَ ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ (۱۸۶) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۸۷)

الإنسان إعطائه، و المراد لا تعطوا للناس ناقصا، و إنما قال «أشياءهم» لأن المقدار المسروق لدى الكيل و الوزن، للغير و هو المشترى- مثلا- وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ أى لا تسعوا فى الأرض بالفساد، فإن العثى أشد الفساد، و الإتيان بالمفسدين إما للتأكيد، و إما بمعنى عازمين الفساد قاصدين له.

[۱۸۵] وَ اتَّقُوا أى خافوا الله الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ خلق الْجِبِلَّةَ أى الخليقة الْأَوَّلِينَ فلا تخالفوا أوامره، و لا تأتوا بنواهيه.

[۱۸۶] قالُوا فی جواب شعیب إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِینَ فقد سحروک مرة بعد مرة، حتی ذهب عقلک، فما دعواک النبوة إلا من جراء ذهاب عقلک و نقص إدراکک.

[۱۸۷] وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فی جمیع المزایا فکیف تدّعی النبوة؟

وَ إِنْ مخففة من الثقیلة، أی أنّا نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکاذِبِینَ فتکذب فی دعواک النبوة، و المعنی أنّا نظنک کاذبا، فی جملة من یکذب، و الإتیان بالظن، لعله لأن القوم أرادوا أن یظهروا أنفسهم بمظهر المنصف البریء عن الکذب، حتی أنهم لا یقولون «نتیقن» بل «نظن».

[۱۸۸] فإن کنت صادقا فیما تقول فَأَسْقِطْ عَلَیْنا کِسَفاً أی قطعا، جمع کسفة بمعنی القطعة مِنَ السَّماءِ فإن النبی بیده أزمة الکون

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۷۷

[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱۸۸ الی ۱۹۰]

قالَ رَبِّی أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۱۸۸) فَکَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ یَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ کانَ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۱۸۹) إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۱۹۰)

إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ فی ادعائک.

[۱۸۹] قالَ شعیب علیه السّلام فی جوابهم رَبِّی أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ فقد کان علیّ البلاغ، فعملت بما هو تکلیفی، أما أنتم- بعد ذلک- فحسابکم علی من یعلم أعمالکم، و فی هذا القول تهدید لهم، و تخویف من عذاب الله.

[۱۹۰] فَکَذَّبُوهُ أخیرا، و لم ینجح فیهم الإرشاد و النصح فَأَخَذَهُمْ جزاء لتکذیبهم عَذابُ یَوْمِ الظُّلَّةِ سمی بذلک، لأنه جللتهم سحابة، و أظلتهم، و فی المجمع: أصابهم حرّ شدید سبعة أیام و حبس عنهم الریح ثم غشیتهم سحابة فلما خرجوا إلیها طلبا للبرد من شدة الحر الذی أصابهم، أمطرت علیهم نارا فأحرقتهم فکان من أعظم الأیام فی الدنیا عذابا «۱»، ذلک إِنَّهُ کانَ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ وصف للعذاب، أو للیوم باعتبار علاقة الحال و المحل.

[۱۹۱] إِنَّ فِی ذلِکَ العذاب لَآیَةً لکفار مکة وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ إذ لا یتدبرون الآیات، أو أن فی بلاغ شعیب کان آیة و لم یکن أکثر قومه مؤمنین به.

---

(۱) مجمع البیان: ج ۷ ص ۳۵۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۷۸

[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱۹۱ الی ۱۹۶]

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ (۱۹۱) وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ (۱۹۲) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ (۱۹۳) عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ (۱۹۴) بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (۱۹۵)

وَ إِنَّهُ لَفِی زُبُرِ الْأَوَّلِینَ (۱۹۶)

[۱۹۲] وَ إِنَّ رَبَّکَ یا رسول الله لَهُوَ الْعَزِیزُ الغالب القاهر المنتقم من الأعداء الرَّحِیمُ بالمؤمنین.

[۱۹۳] وَ إِنَّهُ أی أن هذا القرآن لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ کما أنزل علی من قبلک من الرسل.

[۱۹۴] نَزَلَ بِهِ أی بالقرآن الرُّوحُ أی جبرائیل، و لعلّه إنما سمی روحا، لعدم وجود آثار الجسم فیه الْأَمِینُ فی تبلیغ الرسالة و الوحی.

[۱۹۵] عَلی قَلْبِکَ یا رسول الله، و إنما جیء بهذا اللفظ، لأن الشیء یدخل القلب عن طریق الحواس لِتَکُونَ یا رسول الله مِنَ جملة الأنبیاء الْمُنْذِرِینَ للکفار و العصاة المنحرفین الذین لهم بأس الله و عذابه.

[۱۹۶] و قد نزل بِلِسانٍ عَرَبِیٍ أی بلغة عربیة هی لغة الجزیرة مُبِینٍ أی موضح للناس المعارف، أو ظاهر واضح، لیس فیه عجمة و غلط.

[۱۹۷] وَ إِنَّهُ أی ذکر القرآن النازل علیک لَفِی زُبُرِ جمع زبور، و هو الکتاب، من «زبر» بمعنی کتب الْأَوَّلِینَ أی أن البشارة بالقرآن

مذكورة فى كتب الأنبياء السابقين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۷۹

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۹۷ الى ۲۰۰]

أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۹۷) وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (۱۹۸) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (۱۹۹) كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (۲۰۰)

[۱۹۸] أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أى لهؤلاء الكفار آيَةً و دليل على صدق القرآن، متصفة أَنْ يَعْلَمَهُ أى يعلم القرآن عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ أليس التبشير بالقرآن موجودا فى كتب بنى إسرائيل حتى يعلموه و يصدقوا به؟ و فى هذا تعريض بهم، أنهم كيف أنكروا و الحال أن الأدلة موجودة فى كتبهم، و هى تدل على صدق القرآن.

[۱۹۹] ثم سلا الله سبحانه نبيه بأن لا يغتم لإعراض هؤلاء فإنهم معاندون حتى لو أنزل الله القرآن على رجل أعجمى فقرأه عليهم لم يؤمنوا، لما فى قلوبهم من الكبر و العناد وَ لَوْ نَزَّلْناهُ أى القرآن عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ جمع أعجم، و المراد به إما البهيمة، لأنها تسمى بالأعجم، و إما الرجل الأعجمى الذى لا يعرف التكلم بالعربية إطلاقا.

[۲۰۰] فَقَرَأَهُ أى قرأ القرآن عَلَيْهِمْ أى على هؤلاء الكفار ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ مع ما فى قراءة البهيمة أو الأعجمى من دلالة واضحة على أنه خارق، إن أناسا مثل هؤلاء معاندون، فلا يحزن الإنسان إذا رأى إعراضهم عن الحق.

[۲۰۱] كَذلِكَ الذى ذكر من أن القرآن بلسان عربى مبين سَلَكْناهُ و أدخلناه فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ العاصين حتى تتم عليهم الحجة و لكنهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۰

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۰۱ الى ۲۰۶]

لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۲۰۱) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۲۰۲) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (۲۰۳) أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (۲۰۴) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ (۲۰۵)

ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ (۲۰۶)

[۲۰۲] لا يُؤْمِنُونَ و لا يصدقون بِهِ بالقرآن حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ المؤلم الموجع، بالموت، أو المراد عذاب الآخرة.

[۲۰۳] فَيَأْتِيَهُمْ العذاب بَغْتَةً فجأة فلا مجال لهم للإيمان و العمل الصالح وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ لا يدركون وقت نزول العذاب.

[۲۰۴] فَيَقُولُوا حينذاك فى طلب و استعطاف هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ أى مؤخرون لنؤمن و نصدق و نعمل صالحا، لكنهم يجابون (كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها) «۱».

[۲۰۵] و قد كان الكفار يطلبون من الرسول أن يأتيهم بالعذاب إن كان صادقا، فيأتى إليهم الاستفهام الإنكارى بقوله سبحانه أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ أى كيف يستعجل هؤلاء عذابنا؟ أ فلا يعلمون أن العذاب أليم شديد؟

[۲۰۶] أَ فَرَأَيْتَ يا رسول الله إِنْ مَتَّعْناهُمْ فى الدنيا سِنِينَ أى سنوات متعددة طويلة.

[۲۰۷] ثُمَّ جاءَهُمْ لدى انقضاء مدتهم ما كانُوا يُوعَدُونَ من العذاب.

---

(۱) المؤمنون: ۱۰۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۱

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۰۷ الى ۲۱۱]

ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ (۲۰۷) وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ (۲۰۸) ذِكْرى وَ ما كُنَّا ظالِمِينَ (۲۰۹) وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ

الشَّياطِينُ (۲۱۰) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ (۲۱۱)

[۲۰۸] ما أَغْنى عَنْهُمْ أي ما أفادهم ما كانُوا يُمَتَّعُونَ أي مدة متعتهم و بقائهم في الحياة، و في هذا تنبيه على أنهم و إن أخّر عنهم العذاب لكن إذا أتاهم، لم يكونوا يأبهون بما متعوا به في الحياة، فإن النعيم إذا زال، كان كأن لم يكن، و لم تنفع تلك المدة الطويلة من التنعم في التخفيف من العذاب.

[۲۰۹] وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ «من» لزيادة التعميم إِلَّا وَ لَها مُنْذِرُونَ فليخف هؤلاء أن يهلكهم الله سبحانه، إذ أرسلت إليهم النذر فلم يؤمنوا.

[۲۱۰] فقد أرسلنا المنذرين ذِكْرى أي لأجل تذكرهم بفساد عقيدتهم و عصيانهم فلما أبوا الإطاعة أهلكناهم وَ ما كُنَّا ظالِمِينَ لهم في عقابهم، بل لقوا جزاء كفرهم و ظلمهم.

[۲۱۱] و قد كان المشركون يجعلون القرآن من قسم الكهانة التي تنزل بها الشياطين، فجاءت الآية في مقام ردّهم، إذ لو كانت كهانة لقدر على مثلها سائر الكهان وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ أي بالقرآن الشَّياطِينُ يقال تنزل به إذا نزل معه.

[۲۱۲] وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ أي إنزال القرآن، إذ الشيطان يأمر بالفساد و الكفر و المنكر، فلا يلائمه الإصلاح و الإيمان و المعروف وَ ما يَسْتَطِيعُونَ لأنه خارج عن قدرة المخلوق، و الله سبحانه يحرس الإعجاز عن قدرة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۲

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۱۲ الى ۲۱۴]

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (۲۱۲) فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (۲۱۳) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (۲۱۴)

غيره تعالى، نعم يتمكن الشيطان أن يأتي بالخارقة المفضوحة كونها ليست آية، كما تفل مسيلمة في بئر- لينبع الماء- فجف.

[۲۱۳] إِنَّهُمْ إن الشياطين عَنِ السَّمْعِ أي استماع القرآن و تلقيه من قبل الله سبحانه لَمَعْزُولُونَ فلا يتمكنون أن يتلقوه من الله ليأتوا به إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل الذي يسمعه هو جبرائيل، أو المراد أن الشيطان لا يسمح له باستماع ما في الملأ الأعلى، إذ يرصد هناك بالشهب، فكيف يتمكنون من تلقي القرآن و الإتيان به.

[۲۱۴] و إذ قد تبين لك الحق فَلا تَدْعُ يا رسول الله، و لا بدع في توجه هذا الكلام إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فإن جميع الأوامر و النواهي متوجهة إليه بلا إشكال و في جملتها هذا النهي مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ كما يفعله المشركون فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ أي تعذب بهذا العمل، و تكون في جملة من عذبوا.

[۲۱۵] وَ أَنْذِرْ يا رسول الله عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ إليك، و إنما خصوا بالذكر، لأجل لزوم الاهتمام بالعشيرة أكثر من سائر الناس، فإنهم إن آمنوا كانوا عونا و مساعدين، و إن لم يؤمنوا كانوا أقوى الأعداء، و أشد الألداء،

و قد ورد أن هذه الآية نزلت بمكة فجمع رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بني هاشم و هم أربعون رجلا كل واحد منهم يأكل كثيرا و يشرب القربة فأمر عليا برجل شاة فأدمها ثم قال: ادنوا بسم الله فدنى القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بعقب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا باسم الله، فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۳

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۱۵ الى ۲۱۸]

وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲۱۵) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (۲۱۶) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (۲۱۷) الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ (۲۱۸)

ما سحركم به الرجل فسكت صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يومئذ و لم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام و الشراب، ثم أنذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب إني نذير إليكم من الله عز و جل و البشير فأسلموا و أطيعوني تهتدوا، ثم قال: من يؤازرني

و يكون وصيى بعدى و خليفتى فى أهلى و يقضى دينى؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثا؟ كل ذلك يسكت القوم، و يقول علىّ عليه السّلام أنا، فقال فى المرة الثالثة: أنت، فقام القوم و هم يقولون لأبى طالب أطع ابنك، فقد أمّر عليك

«(۱).

[۲۱۶] وَ اخْفِضْ جَناحَكَ أصل خفض الجناح، أن يسفل الطائر جناحه أمام والديه تواضعا و استعطافا. ثم استعمل بمعنى التواضع و اللين و حسن الخلق لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فتواضع لهم، و ألن جانبك نحوهم.

[۲۱۷] فَإِنْ عَصَوْكَ أى خالفوك أقاربك و لم يؤمنوا فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ من عبادة الأصنام و إتيانكم لسائر المعاصى و الآثام.

[۲۱۸] وَ تَوَكَّلْ يا رسول الله، أى فوض أمرك عَلَى الْعَزِيزِ الغالب بعزته على الكفار الرَّحِيمِ بالمؤمنين، فلا يهونك إعراض قومك و عشيرتك عن الإيمان.

[۲۱۹] الَّذِي يَراكَ أى يحيط علمه بك، أو ينظر إليك حِينَ تَقُومُ

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۳۸ ص ۲۲۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۴

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۱۹ الى ۲۲۲]

وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (۲۱۹) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۲۲۰) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ (۲۲۱) تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (۲۲۲)

بالدعوة و تصدع بالبلاغ، فإنك على عينه، و من رعته عين الله سبحانه لا بد و أن ينجح فى مرامه.

[۲۲۰] وَ يرى تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ أى تصرفك بالذهاب و المجىء، و التنظيم و التحريض و التعليم فى جماعة المؤمنين الذين يسجدون لله، و أتى بالسجود لأنه غاية الخضوع، و هو من سمات المؤمنين، و

قد روى فى تفسير هذه الآية عن الباقر عليه السّلام

الذى يراك حتى تقوم بالنبوة و تقلبك فى الساجدين أى فى أصلاب النبيين

«(۱).

و

روى عن الباقر و الصادق عليهما السّلام قالا: فى أصلاب النبيين نبى بعد نبى حتى أخرجه من صلب أبيه نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السّلام

«(۲).

[۲۲۱] إِنَّهُ تعالى هُوَ السَّمِيعُ لأقوالك الْعَلِيمُ بأحوالك فتوكل عليه يكفيك كل مهمة.

[۲۲۲] و حيث نفى سبحانه أن ينزل على الرسول الشيطان، أراد إثبات ذلك بالنسبة إلى الكفار المفترين عليه هَلْ أُنَبِّئُكُمْ أى هل أخبركم أيها الناس عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ للوسوسة و إلقاء الباطل.

[۲۲۳] تَنَزَّلُ أصله «تتنزل» حذفت إحدى تاءيه للقاعدة فى باب المضارع إذا اجتمع عليه تاءان عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ مبالغة من الإفك، و هو

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۲۲۹.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۰۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۲۳ الى ۲۲۵]

يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ (۲۲۳) وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ (۲۲۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ (۲۲۵)

الكذب، أى كل إنسان يكذب كثيرا أَثِيمٍ آثم آت بالمعصية.

[۲۲۴] يُلْقُونَ السَّمْعَ أى أن الشياطين يلقون ما يسمعونه من هنا و هناك إلى الكهنة و الأفاكين وَ أَكْثَرُهُمْ أى أكثر الشياطين كاذِبُونَ لأنهم يكذبون عمدا، بالإضافة إلى أنهم يتلقون كلما وصل إليهم من صدق الأخبار و كذبها، فمثلا يسمع الشيطان من قصّاص فى الروم قصة حول خلقة آدم، فيلقيها على الكاهن، و هكذا.

[۲۲۵] و قد كان بعض الكفار يرمون الرسول بأنه شاعر، و لما أبطل السياق كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كاهنا- كما كان يقول بعض- جاء لإبطال كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاعرا وَ الرسول ليس بشاعر إذ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ من غوى بمعنى ضل، أى أن المنحرفين هم الذين يتبعون الشعراء، و لا يتبع الرسول إلا كل مؤمن مهتدى، فكيف يمكن أن يقال عنه: إنه شاعر؟

و هذا أبلغ من أن يقال: إن الشعراء أهل الغواية و الفساد و الهوى، إذ تبعية الغاوى لأحد، يدل على شدة الغواية فى المتبوع.

[۲۲۶] أَ لَمْ تَرَ يا رسول الله، أو كل من يتأتى منه الرؤية أَنَّهُمْ أى الشعراء فِي كُلِّ وادٍ أى فى كل طريق من طرق الضلال و الهوى و الفسق و الفحش يَهِيمُونَ أى يذهبون هائمين، كالهائم الحيران فى الصحراء الذى لا يعلم أين يذهب و ماذا يريد؟ و هكذا الشعراء، فمرة يمدحون، و مرة يذمون، و مرة يشببون، و مرة يكذبون فى بطولاتهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۶

[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۲۶ الى ۲۲۷]

وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ (۲۲۶) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۲۲۷)

و فسقهم و مجونهم و هكذا.

[۲۲۷] وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ حول بطولات و فسوق و ترغيب و تحريض و تنفير و إنذار ما لا يَفْعَلُونَ من تلك الأمور التى ينسبونها إلى أنفسهم، و الرسول بالعكس من ذلك كله فهو يمشى وفق منهج مستقيم ذى فضيلة و عدل و إحسان، و إنه لا يكذب و إنما يفعل ما يؤمر به، و ينتهى عما يزجر عنه.

[۲۲۸] ثم استثنى سبحانه عن هذا العموم الشاعر الذى ليس كذلك، فإن الشعر ليس مذموما لذاته، و إنما هو مذموم لهذه الاعتبارات المذكورة فى الآية السابقة، و لذا قال سبحانه إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ من الشعراء وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً حتى لم يشغلهم الشعر إلى نسيان الله سبحانه، حتى يكذبوا و يفعلوا ما لا يليق بالمؤمنين وَ انْتَصَرُوا من المشركين، للرسول و المؤمنين مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا أى ظلمهم الكفار بسبهم و هجائهم فى الشعر و نحوه وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا عند الموت، أو فى القيامة أَيَّ مُنْقَلَبٍ أى مرجع و يسمى المرجع و المصير المنقلب، لانقلاب الإنسان من حاله إلى ذلك المحل يَنْقَلِبُونَ و يصيرون إليه، و هذا تهديد لهم، و لذا كان أمير المؤمنين عليه السّلام و كثير من أولاد المعصومين عليهم السّلام يقولون الشعر، كما وردت بذلك متواتر الروايات.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۷

۲۷ سورة النمل مكيّة/ آياتها (۹۴)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظ «النمل» و قصة منهم، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و إذ كان موضوع القرآن، من أخريات مواضيع سورة الشعراء، افتتحت هذه السورة بذكر القرآن.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أستعين، أو نستعين باسم الإله، و تخصيص «الله» بالذكر، بأنه علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال، و ما أجدر أن يجعله الإنسان أول عمله، و أن يستعين به فى أموره، فإنه هو الرحمن الرحيم، المتفضل بالرحم، و قد ذكر أهل المعنى

أن التكرار فى ذكر اسم من أسماء الله سبحانه، ليستعطف فضله فى توصفه الإنسان بذلك القبيل من الوصف، فالمكرر لاسم «الغنىّ» يثرى، و لاسم العطوف يعطف، و هكذا، و هذا صحيح فإن علم النفس يقر إن للتكرار إيحاء على النفس.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۸

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱ الى ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَ كِتابٍ مُبِينٍ (۱) هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (۲) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (۳) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (۴)

[۲] طس «طاء» و «سين» و هما نموذج من حروف الهجاء تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ ف «طس» مبتدأ، و «تلك» خبره، و هذا أحد الأقوال فى المسألة، أو هى رموز بين الله و بين خاتم الأنبياء، كما ورد على قول آخر، أو غير ذلك مما تقدمت الإشارة إلى بعضها وَ كِتابٍ مُبِينٍ أى واضح ظاهر لا غموض فيه و لا التواء، و إنما أتى بوصفين للدلالة على أنه يقرأ و يكتب، و لعلّه إشارة إلى لزوم الاحتفاء بالقرآن من جميع النواحى، فإنه للكتابة و القراءة.

[۳] هُدىً أى فى حال كونه هداية إلى طريق الحق وَ بُشْرى أى بشارة بالثواب و السعادة لِلْمُؤْمِنِينَ به فإنهم هم الهادون المبشرون أما غيرهم فإنهم ضالون منذرون.

[۴] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ بإتيانها فى أوقاتها مع شرائطها و آدابها و يداومون عليها وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ يعطونها، و المراد الزكاة المستحبة أى الصلاة و الصدقات، لأن السورة مكية و لم تفرض هناك الزكاة، أو المراد الأعم باعتبار التشريع مستقبلا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ أى بالنشأة الآخرة من سؤال القبر و البعث و الجزاء و غيرها هُمْ يُوقِنُونَ أى لا يشكون، فهم معترفون بالمعاد، و تكرار «هم» لعلّه لإفادة أن غير مقيم الصلاة و مؤتى الزكاة لا يوقن بالآخرة، و إن اعترف لسانا بها.

[۵] إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ و أعرضوا عن قبول الإيمان، فإن الإيمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۸۹

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۵ الى ۶]

أُوْلئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (۵) وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (۶)

بالآخرة يلازم الإيمان بسائر أصول الاعتقاد زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ بأن جعلنا الإنسان بحيث إذا تكرر منه شىء زيّن فى نظره للملكة الحاصلة له من التكرار، فإنهم لما وقفوا فى الصف المقابل للمؤمنين و عملوا بالكفر و المعاصى و تمادوا فيها، حصلت لهم ملكة حسب أعمالهم تدريجيا، حتى ترسخت الرغبة قلوبهم، و من المعلوم أنّ اللّه خلق البشر هكذا، فيصبح نسبة التزيين إليه تعالى، باعتبار أنه الخالق و السبب الأول، أو باعتبار عدم الضرب على أيديهم، كما يقال أفسد الملك اللص الفلانى، بمعنى أنّه لم يضرب على يده و لم ينتقم منه، و من المعلوم أن التزين لأعمالهم فى نظرهم لا ينافى أنهم يعلمون بطلان طريقتهم، كما نشاهد الفساق المنصفين يعترفون بأن أعمالهم باطلة، مع أن العمل مزين فى نظرهم، حتى لا يتمكنون بسهولة من مفارقتها فَهُمْ يَعْمَهُونَ العمه عمى القلب، أى يمشون فى المعاصى، كما يمشى الإنسان الأعمى فى الطريق، لا يهتدى سبيلا.

[۶] أُوْلئِكَ الَّذِينَ لم يؤمنوا بالآخرة لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ أى العذاب السيئ و هو عذاب النار وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ أى فى الدار الآخرة هُمُ الْأَخْسَرُونَ إذ لم يربحوا شيئا و قد خسروا أنفسهم، حيث ألقوها فى العذاب و النار الأبدية، و المراد ب «الأخسر» إما التفضيل باعتبار أنهم أكثر خسارة من العصاة، و إما منسلخ عن معنى التفضيل فى مقابل أهل الجنة، فالمعنى هم الخاسرون.

[۷] وَ إِنَّكَ يا رسول الله، لست كما يقولون إن قرآنك شعر أو كهانة، بل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۰

[سورة النمل (۲۷): آیة ۷]

إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَسْتُ ناراً سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (۷)

لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ أی لتعطى القرآن، و التلقی الأخذ مِنْ لَدُنْ أی من طرف إله حَکِیمٍ فی أمره یفعل الأشیاء حسب المصالح و یضع الأمور فی مواضعها عَلِیمٍ عالم بالأشیاء، و لا تلازم بین الوصفین خارجا، و لذا جیء بهما، إذ رب عالم لا حکمة له، أو رب حکیم لا علم له.

[۸] ثم یأتی السیاق لینقل طرفا من قصة موسى علیه السّلام تسلیة للرسول صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و تنبیها للکفّار على عاقبة المجرمین، و قد تکررت هذه القصة فی القرآن الحکیم، لکن بمزایا و خصوصیات و ملامح مختلفة، فاذکر یا رسول الله إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ أی زوجته بنت شعیب لما رجع من بلاده یقصد مصر، و قد کان وحیدا فی الصحراء فی لیلة مظلمة، و أخذ زوجته الطلق، و ضل الطریق إِنِّی آنَسْتُ أی أبصرت، ما یؤنس و یفرح فقد رأیت ناراً فقد رأى من بعید ما یشبه النار فی شجرة سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ فالزموا مکانکم، حتى أذهب و أجیء بخبر النار هل یمکن الاستفادة منها أم لا؟ و إنها لمن؟ لعلنا نتمکن أن نذهب إلى أصحابها لیعاونونا فی مشکلتنا أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ أی بشعلة منها، و الشهاب قطعة منها و قبس بمعنى الشیء الذی یؤخذ و یقتبس لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ و الاصطلاء الاستدفاء بالنار، من صلّى، و أصله «اصتلى» بالتاء، قلبت «طاء» على قاعدة باب التفعیل و إنما أتى بالضمائر جمعا، مع أن المراد زوجته فقط، إما تعظیما، أو لما سبق،

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۱

[سورة النمل (۲۷): الآیات ۸ الى ۹]

فَلَمَّا جاءَها نُودِیَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (۸) یا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۹)

من أن کلا من الجمع و الجنس یقوم مقام الآخر، فیراد من الجمع الواحد فما فوق، و من الجنس، الجمع.

[۹] فَلَمَّا جاءَها أی جاء موسى علیه السّلام نحو النار و وصل إلیها نُودِیَ من قبل الله سبحانه، و المنادی إما هو الله سبحانه، بأن خلق صوتا سمعه موسى علیه السّلام، أو بعض الملائکة بإذنه سبحانه أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها و لم یکن ما رآه موسى علیه السّلام نارا، و إنما هو نور یتراءى کالنار، و الذین کانوا فیها هم الملائکة و الأرواح الطاهرة، و الذین کانوا حولها هم موسى و الملائکة الحافین بها و به علیه السّلام، و المراد بالبرکة هی الخیر الکثیر، و المعنى أن موسى و الملائکة أنعموا- بتفضیل الله لهم- و منحوا الخیر الکثیر الدائم، و لعلّ ظهور النار لأجل الإشارة إلى الهدایة، فکما یهدی الضیاء الحائر إلى الطریق، کذلک تهدی الرسالة الناس إلى السعادة، و الظاهر أن قوله «أن بورک» دعاء بهذا اللفظ، و هو تبریک بالرسالة، کما یبارک الإنسان من یظفر بمنصب أو نعمة وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ سبحان منصوب على تقدیر فعل محذوف أی أسبح و أنزه الله تنزیها، و لعل الإتیان بهذه الجملة هنا، لإفادة أن أول الإیمان هو تنزیه الله من الشرک، أو لأجل دفع أن یتوهم أن الله جسم موجود فی تلک النار، و هو الذی یتکلم بفمه و لسانه.

[۱۰] یا مُوسى إِنَّهُ أی المتکلم أَنَا اللَّهُ الْعَزِیزُ الغالب فی سلطانه القاهر لأعدائه الْحَکِیمُ الذی یفعل کل شیء بالحکمة و الصلاح.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۲

[سورة النمل (۲۷): الآیات ۱۰ الى ۱۱]

وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّی لا یَخافُ لَدَیَّ الْمُرْسَلُونَ (۱۰) إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۱)

[۱۱] وَ أَلْقِ أی اطرح من یدک عَصاکَ فلقد کانت فی یده علیه السّلام عصا، فألقاها فصارت حیة فَلَمَّا رَآها موسى علیه السّلام، و إتیان الضمیر مؤنثا، لکون العصى مؤنث سماعی تَهْتَزُّ أی تتحرک بشدة، کَأَنَّها جَانٌّ و هی الحیة الصغیرة، و المراد أنها فی خفة حرکتها- مع عظم جثتها- کالحیّة الصغیرة التی تتحرک بکل سرعة و خفّة وَلَّى موسى علیه السّلام مُدْبِراً فجعل یرکض إلى الوراء

خوفا منها وَ لَمْ يُعَقِّبْ أى لم يرجع و لم يلتفت، فكأنّ الراجع و الملتفت يعقب الأمر السابق، بخلاف الماشى فى طريقه الذى لا يلتفت، و لعلّ إلقاء هذا الخوف فى قلب موسى عليه السّلام كان لحكمة التدريب على تحمل المشاق فإن الإنسان ينضج بسبب المخاوف و الأتعاب، فيكون أصلح لإدارة دفة الحياة.

و هناك خوطب بقوله سبحانه يا مُوسى لا تَخَفْ من هذه الحية إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ فإنهم بعين الله سبحانه، و معنى «لدىّ» لدى لطفى بهم و عنايتى لهم و هذا الكلام كان تمهيدا لتقوية قلب موسى حتى يلاقى المكذبين و المهددين برباطة جأش و قلب قوىّ غير و جل.

[۱۲] إِلَّا مَنْ ظَلَمَ استثناء منقطع، و قد ذكرنا أن مثل هذا الاستثناء إنما يؤتى به بملاحظة انسلاخ المستثنى منه عن القيد، فكأنه قال «إنى لا يخاف لدى أحد» «إلّا من ظلم» «أما المرسلون فلا يخافون» ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ أى تاب- و هو حسن- بعد العصيان- و هو سوء-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۳

[سورة النمل (۲۷): آية ۱۲]

وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۱۲)

فإنه يخاف أن لا يغفر ذنبه، و خصص الخوف بهؤلاء، لأن من لم يسىء، و من أساء و لم يتب، لا يخافان فإن الأول لا موجب لخوفه، و الثانى لا يعترف و إلّا تاب، و غير المعترف لا يخاف، و فى الكلام انتقال من الخوف من الأسباب الخارجية- كالحيّة- إلى الخوف من عذاب الله و انتقامه و من تاب بعد العصيان فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ أغفر ذنبه، و أتفضل عليه و هو فوق الغفران، فإنك قد تغفر للمذنب ثم تعطيه فوق ذلك دينارا، و كان هذا الكلام «إلا من ظلم ... إلى آخره» تمهيد لحال الكفار و العصاة الذين يرسل إليهم موسى عليه السّلام و تعليم لموسى بأنّ الله غفّار لمن تاب.

[۱۳] وَ أَدْخِلْ يا موسى يَدَكَ فِي جَيْبِكَ و هو شق الثوب الأعلى طرف الحلق، فكان يدخل يده من الشق، و يجعلها تحت إبطه تَخْرُجْ اليد حين تخرجها بَيْضاءَ مشرقة كالشمس مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أى من غير أن يكون البياض من أجل المرض و البرص، و هى آية أخرى زوّد بها موسى عليه السّلام حجة على نبوته فِي تِسْعِ آياتٍ أى إنا أرسلناك فى تسع معجزات، و الإتيان ب «فى» لتشبيه الإنسان الحائز لها، بالّذى فى وسط الشيء، لأنها تحيط بها و تحرسها و كأنّها مشتملة عليه كما يقال جاء فلان فى جلالة إِلى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ القبط الكافرين بالله و باليوم الآخر إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ أى خارجين عن طاعة الله سبحانه، و أمره، من فسق بمعنى خرج.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۴

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱۳ الى ۱۴]

فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (۱۳) وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۴)

[۱۴] فذهب موسى إلى فرعون بتلك الآيات، و أظهرها له فَلَمَّا جاءَتْهُمْ أى جاءت فرعون و قومه آياتُنا معاجزنا التى زودنا بها موسى عليه السّلام مُبْصِرَةً أى فى حال كون تلك الآيات تبصّر عن العمى، و تهدى السبيل قالُوا هذا الذى جئت به يا موسى سِحْرٌ مُبِينٌ واضح ظاهر، فليس ما جئت به إعجازا، و إنما هو سحر.

[۱۵] وَ جَحَدُوا أى أنكر آل فرعون بِها أى بالآيات و الباء فى «بها» من قبيل «الباء» فى (فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً) «۱» كما تقدم فى تفسير الآية وَ اسْتَيْقَنَتْها أى علموا أنها معاجز علم يقين أَنْفُسُهُمْ فاعل استيقنتها أى تيقنت نفوسهم بالآيات، و إنما جيء بلفظ «أنفسهم» للدلالة على رسوخ اليقين و الاطمئنان فى النفوس، و إنّما جحدوا بعد اليقين ظُلْماً على أنفسهم بالكفر، و على بنى إسرائيل الذين اضطهدوهم وَ عُلُوًّا أى طلبا للعلو و الرفعة و تكبرا فَانْظُرْ يا رسول الله، أو كل من يتأتّى منه الرؤية، و المراد رؤية القلب كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أى فرعون و قومه الذين أفسدوا بالكفر و العصيان فقد كانت عاقبتهم أن أغرقهم الله سبحانه فى البحر، حتى لم تبق منهم باقية، و أورث

أرض مصر بنى إسرائيل، و جعل كلمته هى العليا، و كلمة الذين كفروا السفلى.

---

(۱) الفرقان: ۶۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۵

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (۱۵) وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (۱۶)

[۱۶] ثم يأتى السياق لبيان قصة داود و سليمان و هما من أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى عليه السّلام، و إذ شاهدنا بعض قصص موسى فلنشاهد بعض قصص هذين النبيين العظيمين، مع الارتباط لما ذكر هنا بموضوع العقيدة ارتباطا وثيقا وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ و هو ابن داود عليهما السّلام عِلْماً أى علما عظيما، و من جملة علومهم كان علم الحكومة و الفصل فى القضايا وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنا بالرسالة و العلم و سائر الأمور عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ و إنما قالوا «على كثير» لأن جملة من عباد الله المؤمنين- و هم جماعة من الأنبياء- مساوون لهما أو أفضل منهما.

[۱۷] وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ فى الأمور المعنوية و المادية، و بهذه الآية استدلت الصديقة الطاهرة عليها السّلام، على أن الأنبياء عليهم السّلام يورثون فى مقابل

الحديث المختلف الذى نسبوه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كذبا و زورا ب «إنا ۲ معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» وَ قالَ سليمان عليه السّلام على وجه الشكر و الاعلام يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ أى نطقها، فإن الطيور تتكلم بعضها مع بعض، و قد منح الله سبحانه فهم نطقها لسليمان عليه السّلام و المنطق مصدر ميمى بمعنى النطق وَ أُوتِينا أى أعطينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ما يحتاج إليه الأنبياء عليهم السّلام و الملوك، من العلم و القدرة و المال و الجاه و غيرها إِنَّ هذا الذى منحنا الله سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۶

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱۷ الى ۱۹]

وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (۱۷) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۸) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبادِكَ الصَّالِحِينَ (۱۹)

لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ الظاهر الذى تفضل علينا به.

[۱۸] وَ حُشِرَ أى جمع لِسُلَيْمانَ عليه السّلام، فى ذات يوم جُنُودُهُ فقد أحضر الجميع بخدمته مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فقد كان الجميع مسخرين له بأمر الله سبحانه و قدرته فَهُمْ يُوزَعُونَ أى يمنعون، و يحبس أولهم عن المضى ليلحقه الأخير من الجيش فيجتمعون، من وزع بمعنى منع، يقال ليس لفلان وازع، أى مانع يمنعه عن العمل الفاسد.

[۱۹] حَتَّى إِذا أَتَوْا سليمان مع الجنود عَلى وادِ النَّمْلِ إضافة إلى النمل لكثرة النمل فى ذلك الوادى قالَتْ نَمْلَةٌ و التاء للوحدة كتمرة و تمر، و شجرة و شجر يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ و جحوركم لا- يَحْطِمَنَّكُمْ التحطيم التكسير و التهشيم أى لا- يكسرنكم و لا يدوسكم بالأقدام سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ و لا يلتفتون إلى تحطمكم فإن الإنسان لا يبالى بتحطيم النمل و صغار الحيوان، و يظهر من هذا أنهم كانوا ركبانا و مشاة، لا محمولين على الريح فى الهواء.

[۲۰] و شاء الله سبحانه أن يسمع سليمان كلام النملة فَتَبَسَّمَ سليمان ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها التبسم هو مقدمة الضحك، فإنه ضحك خفيف، و الإتيان بضاحكا، لإفادة أنه عليه السّلام ضحك ضحكا كثيرا لكن على نحو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۷

[سورة النمل (۲۷): آية ۲۰]

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ (۲۰)

التبسم لا على نحو القهقهة، و إنما ضحك عليه السّلام أن الإنسان إذا سمع أو رأى ما لا عهد له به أخذه التعجب ثم الضحك، ثم توجه إلى الله سبحانه شاكرا لهذه النعمة التى أنعمها عليه بتعريفه منطق الحيوانات وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أى ألهمنى من وزع بمعنى كفّ و المعنى اجعلنى أزع شكر نعمتك أى أكفّه و امنعه أن يذهب عنى فلا أنفك عنه أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَ و المراد بالنعمة الجنس فإن سماع كلام النملة ذكّره بنعم الله عليه، كما إن الإنسان إذا رأى نعمة تذكر سائر النعم وَ عَلى والِدَيَ فقد أكرمت أبى بالنبوة و الحكمة و فصل الخطاب و أن الحديد كان يلان فى يده و أكرمت أمى بأن جعلتها زوجة نبى و والدة نبى بما كان لها من الطهارة و النزاهة وَ ألهمنى أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً أى عملا صالحا، و المراد به الجنس، نحو ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، و السرّ فى ذلك أن لفظ المفرد له جهتان جهة المادة و جهة الأفراد، فقد يراد الأولى فيفيد الجنس، و قد يراد الثانية مع الأولى فيفيد الفرد تَرْضاهُ بأن يكون صلاحه من هذا النوع الذى أنت ترضاه، لا صلاحا- بنظر الناس- و لكنك لا ترضاه وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ يا رب فِي عِبادِكَ أى فى جملة الصَّالِحِينَ بأن أكون فى جملتهم فى الدنيا و الآخرة.

[۲۱] ثم ينتقل السياق إلى قصة أخرى من قصص سليمان عليه السّلام وَ فى ذات يوم تَفَقَّدَ سليمان عليه السّلام الطَّيْرَ أى تعرّف على أحوال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۸

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (۲۱) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (۲۲)

الطيور ليرى أيها حاضر و أيها مفقود، فلم يجد الهدهد من بينها فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أى ما للهدهد لا أراه، و كان هذا تعبير مؤدّب، حتى كأن الإنسان أصابه شيء- كغفلة أو ذهول أو جهل- حتى لا يرى ما يطلبه، و إن كان المطلوب حاضرا أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ فهو غائب حتى لم أره، و المعنى أنى لا أراه مع حضوره، أم إنه غائب و لذا لا أراه؟

[۲۲] لَأُعَذِّبَنَّهُ أى أعذبن الهدهد عَذاباً شَدِيداً كنتف ريشة أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ جزاء لغيبته بدون رخصة، فيعتبر بذلك أبناء جنسه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي أى يجيء إلىّ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ أى بحجة واضحة ظاهرة تبين عذره فى غيبته بدون رخصة، و إنما تسمى الحجة، سلطانا، لأنها تسيطر على الخصم فلا مفلت له منها.

[۲۳] فَمَكَثَ أى لبث سليمان مكثا غَيْرَ بَعِيدٍ فى المدة، أى انتظر زمانا يسيرا قليلا، و قد رأى الهدهد راجعا، فَقالَ لسليمان أَحَطْتُ أى علمت، و يقال للعلم إحاطة، لأنه يحيط بالمعلوم، و نسبة الإحاطة إلى الشخص من باب علاقة الحال و المحل، إذ الإنسان وعاء العلم بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ أنت يا سليمان، و كأنّه أراد بذلك أن يبدى عذره فى غيبته و أنه لم يشتغل بأمر نفسه، و إنما كانت غيبته لأجل الفحص و البحث فى أطراف ملك سليمان، كجولة استطلاعية يريد بها خير سليمان عليه السّلام لا خير نفسه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۹۹

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۳ الى ۲۵]

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (۲۳) وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (۲۴) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ (۲۵)

وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ و هى مدينة فى اليمن، سميت باسم رجل كان يسمى «سبأ» لسكونة أولاده فيها «بنبإ» أى بخبر- متعلق ب «جئتك» يَقِينٍ لا كذب فيه.

[۲۴] إِنِّي وَجَدْتُ فى ذلك البلد امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ أى أنها ملكة عليهم، و مراده بالمرأة «بلقيس» و معنى تملكهم تتصرف فيهم تصرف الملّاك فى أملاكهم وَ أُوتِيَتْ أى أعطيت مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه الملوك، من المال و الجلال و الجاه و نفوذ الكلمة و ما أشبهها وَ لَها عَرْشٌ أى كرسى تجلس عليه عَظِيمٌ و بعد ما ذكر الهدهد ملكها بين دينها.

[۲۵] قال وَجَدْتُها وَ قَوْمَها أى أتباعها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ فلا يسجدون لله سبحانه، و إنما سجدتهم للشمس وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ حيث أن الشيطان هو الذى يوحى و يوسوس إلى الكفار و العصاة بكفرهم و عصيانهم فَصَدَّهُمْ أى منعهم عَنِ السَّبِيلِ الحق، و هو سبيل الدين، و سبيل الله سبحانه فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ إلى السبيل حيث إن الشيطان منعهم عنه.

[۲۶] فقد منعهم عن السبيل لكى أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۱۴۹

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۶ الى ۲۸]

اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (۲۶) قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۲۷) اذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ (۲۸)

أى المخفى من الأشياء فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فإن المخلوقات كلها مخفية فى كتم العدم و إنما يخرجها الله سبحانه إلى الوجود، و لعلّ توصيف الهدهد، لله سبحانه بهذا الوصف، لأجل أنه سبحانه زوده بنظر حادّ يرى به الماء تحت الأرض كما يرى الإنسان الماء فى القارورة وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ فى أنفسكم، و فى أسراركم، و من مخابئ فى الأرض وَ ما تُعْلِنُونَ من الكلام و من سائر الأشياء.

[۲۷] اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا شريك له، من شمس أو غيرها رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أى الملك العظيم، الذى وسع كرسيّه السماوات و الأرض، فما ذكرته من كون عرش بلقيس عظيم، إنما هو عظيم بالنسبة إلى عروش الدنيا، أما العرش العظيم الذى هو أعظم من كل شيء فهو عرش الله سبحانه، و قد يحتمل أن يكون هذا من كلام سليمان، أو من كلامه تعالى فى القرآن.

[۲۸] و لما أخبر الهدهد سليمان عليه السّلام بهذا الخبر قالَ سليمان سَنَنْظُرُ فى قولك و نبحث عن خبرك لنرى أَ صَدَقْتَ فى مقالك أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ أى فى جملتهم و منهم.

[۲۹] ثم كتب سليمان عليه السّلام كتابا يأمر فيه بلقيس بالإيمان و بأن تسافر إليه و أعطاه إلى الهدهد ليوصله إليها و قال له اذْهَبْ يا هدهد بِكِتابِي هذا الذى كتبته فَأَلْقِهْ أى اطرحه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۱

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۹ الى ۳۲]

قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ (۲۹) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳۰) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (۳۱) قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ (۳۲)

إِلَيْهِمْ أى إلى أهل سبأ، و المراد إلى الملكة و قومها ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ أى أعرض كأنك راجع، و استتر فى محل تسمع كلامهم فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ أى ماذا يردون فى جواب الكتاب، و يقولون بينهم عنه؟

[۳۰] فمضى الهدهد بالكتاب و ألقاه فى مجلس بلقيس، فأخذته و فضته و قرأته ثم قالَتْ لمن حضرها من الوزراء و الأشراف يا أَيُّهَا الْمَلَأُ و يسمى الأشراف ملأ لأنهم يملئون العيون جلالا و الصدور هيبة إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ أى رفيع، فإن الكتاب الرفيع يكرم و يحترم.

[۳۱] إِنَّهُ أی الكتاب مِنْ سُلَيْمانَ النبی وَ إِنَّهُ أی الشیء المكتوب فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[۳۲] أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ هاتان الجملتان كانتا كل ما فی الكتاب الذی أرسله سليمان إلی بلقيس، و معناها، آمركم أن لا تظهروا الكبر و العلو علیّ، بعدم إطاعة أمری، و آمركم أن تسيروا- أی الملكة و من فی حاشيتها- نحوی فی حال كونكم مسلمين منقادين لی، أو مسلمين لله تعالی.

[۳۳] و لما قرأت بلقيس الكتاب عليهم قالَتْ للأشراف و الوزراء

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۲

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۳۳ الی ۳۴]

قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي ما ذا تَأْمُرِينَ (۳۳) قالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (۳۴)

يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أی الجماعة أَفْتُونِي أی أشيروا علیّ فِي أَمْرِي أی الأمر المرتبط بی من التسليم لسليمان أو الحرب معه، و الفتوی الحكم بالصواب أی احكموا بالصواب فی هذه القضية ما كُنْتُ أنا قاطِعَةً أَمْراً أجزم فيه برأيی وحدی حَتَّی تَشْهَدُونِ أی تحضرون و تشيرون فعن رأيكم و مشورتكم أمضی فی الأمر.

[۳۴] قالُوا فی جوابها نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ أی أصحاب قوة و قدرة و سلاح و جيش وَ أُولُوا بَأْسٍ أی شجاعة شَدِيدٍ لا يغالبنا أحد فإن شئت أن لا تسلمی حاربنا و إن شئت أن تسلمی صالحنا وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ أی مفوض إليك فی القتال و عدمه فَانْظُرِي و فكری فی أمرك ما ذا تَأْمُرِينَ أی ما الذی تأمريننا به لنمتثله؟

[۳۵] قالَتْ فی جوابهم، إن الأصلح أن لا نحاربهم، فإنا إذا حاربناهم و غلبوا علينا أذلّونا ف إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أی مدينة، و المراد دخلوها بالعنوة و الغلبة أَفْسَدُوها بالإهلاك و التدمير و السلب و النهب وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً أی أهانوا أشرافها و كبراءها، لأن الأشراف لا يخضعون لهم، فلا بدّ لهم أن يذلوهم حتی يستقيم لهم الأمر وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ الظاهر إن هذا من تتمة كلام بلقيس، فإن الإنسان غالبا يؤكد الكلام بالتصديق الإجمالی، فإنك بعد أن تقص قصة تقول

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۳

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۳۵ الی ۳۶]

وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (۳۵) فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (۳۶)

«هكذا كان» و بعد أن تأمر أمرا «هكذا فأفعل».

و قد أراد بعض الذين بهرتهم الديمقراطية الغربية أن يطبق هذه الآية عليها، بتقريب أن اللازم أن يكون للرئيس مجلس يراجعهم فی شؤون الدول، و هم يظهرون ما لديهم من قوة و مال و فكر و يكون المرجع الأخير هو الرئيس، و لكن لا ربط لهذه الآية بذلك، إذ إنما استشارت بلقيس الوزراء و الأشراف، و هذا هو المعتاد فی كل حكومة ملكية و إن لم يكن لهم مجلس و برلمان بالإضافة إلی ذلك حكاية عن عمل جماعة من عبّاد الشمس الكافرين، و لا يدل علی تقرير الله لهم.

[۳۶] وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ أی إلی سليمان و قومه بِهَدِيَّةٍ لأصانعهم و ألیّن جانبهم حتی لا يطمعوا فی ملكی فَناظِرَةٌ أی أنظر و أنتظر بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ أی بقبول أو ردّ- من جانب سليمان- يرجعون رسلی الذين أرسلهم مع الهدية.

[۳۷] ثم أرسلت رسولا بهدية فَلَمَّا جاءَ الرسول سُلَيْمانَ عليه السّلام قالَ سليمان للرسول أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ علی نحو الاستفهام الإنكاری؟ فإنی لا أحتاج إلی مالكم، و «تمدون» جمع المخاطب من فعل المضارع، من باب الأفعال و الهمزة للاستفهام و النون الثانية للوقاية، و قد حذفت ياء المتكلم تخفيفا فَما آتانِيَ اللَّهُ أی أعطانيه من أنواع النبوة و الملك و الجاه خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ أی أعطاكم من أموال الدنيا

بَلْ أَنْتُمْ أی من لا حظ له كحظی بِهَدِيَّتِكُمْ أی هدية

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۴

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۳۷ الی ۳۹]

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَ هُمْ صاغِرُونَ (۳۷) قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِی بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِی مُسْلِمِينَ (۳۸) قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَ إِنِّی عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (۳۹)

بعضكم إلی بعض تَفْرَحُونَ أما مثلی فلا يفرح بالهدية.

[۳۸] ارْجِعْ أيها الرسول إِلَيْهِمْ إلی بلقيس و قومها فقل لهم إن لم يسلموا فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها أی لا طاقة لهم و لا قدرة لهم علی دفعها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها من مدينتهم، إن بقوا مصرين علی الكفر أَذِلَّةً جمع ذليل، أی فی حال كونهم أذلاء وَ هُمْ صاغِرُونَ أی صغيروا القدر.

[۳۹] و رجع الرسول إلی بلقيس يخبرها بأمر سليمان عليه السّلام، و قد ذكر لها علائم كونه نبيّا، لا ملكا فقط و لذا تجهزت بلقيس للمسير إليه حسب أمره «و أتونی مسلمين»، و أخبر سليمان بأنها خرجت من اليمن مستعدة للسفر إليه حينذاك قالَ سليمان عليه السّلام يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا لمن حضر عنده من الأشراف و العظماء أَيُّكُمْ يَأْتِينِی بِعَرْشِها أی كرسی بلقيس، فلقد كان لها كرسی عظيم تجلس عليه قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِی أی تأتی بلقيس و أشراف قومها إلیّ، لأنها سافرت فی عدّتها مُسْلِمِينَ أی فی حال كونهم مسلمين، و لعلّ وجه طلب سليمان عرشها أنه أراد أن يريها مقدرته علی مثل ذلك الأمر الخارق، حتی تذعن بنبوته، و تصدق دعوته، فكان من قبيل معاجز الأنبياء لإثبات الرسالة.

[۴۰] قالَ فی جواب سليمان عليه السّلام عِفْرِيتٌ أی قوّی مِنَ الْجِنِ

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۵

[سورة النمل (۲۷): آية ۴۰]

قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِيَبْلُوَنِی أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ كَرِيمٌ (۴۰)

الذين كانوا بحضرة سليمان أَنَا آتِيكَ بِهِ أی أجیء إليك بالعرش قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ أی مجلسك، فإنه من الطبيعی أن يمتد جلوس الملوك إلی وقت الظهر ثم يقومون من محلهم للصلاة و الراحة و الغذاء- مثلا-.

و لقد كان ذلك العفريت يريد أن يطير فيأتی بالعرش بالطريق العادی لدی الجن وَ إِنِّی عَلَيْهِ أی علی إتيان العرش لَقَوِیٌّ قادر علی حمله أَمِينٌ آتيك به بدون خيانة.

[۴۱] قال سليمان عليه السّلام أريد أسرع من ذلك قالَ آصف بن برخيا و كان وزير سليمان و ابن أخته و يعرف الاسم الأعظم لله سبحانه الذی إذا دعا به أجاب الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ و المراد الكتاب المخزون المكنون عند الله سبحانه، الذی لا يطلع عليه إلا من شاء من الأنبياء و الأئمة و الصالحين أَنَا آتِيكَ بِهِ بالطلب من الله سبحانه باسمه الأعظم قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ارتداد الطرف رجوعه بعد النظر إلی مكان ما، فإن الإنسان إذا نظر إلی مكان ثم أراد أن يأخذ نظره منه إلی أمام رجله، يقال ارتد إليه طرفه، لأن الطرف رجع إلی نفسه بعد أن كان إلی محل آخر، قال آصف هذا الكلام و دعا باسم الله الأعظم، و إذا يری سليمان أن عرش بلقيس حاضر أمامه.

فَلَمَّا رَآهُ أی رأی سليمان العرش مُسْتَقِرًّا فی حال استقرار و ثبات عِنْدَهُ بعد أن ارتد طرفه إلی قرب محلّه قالَ هذا الإحضار

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۶

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۴۱ الی ۴۲]

قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (۴۱) فَلَمَّا جاءَتْ قِيلَ أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ (۴۲)

مِنْ فَضْلِ رَبِّي و نعمه إلىّ حيث وهب لى خليفة كآصف يتمكن من هذا العمل العجيب و قد كان سليمان قادرا على أن يحضره هو بالذات، لكنه أراد إظهار فضل آصف على قومه، و قد فضلنى بهذا لِيَبْلُوَنِي البلاء الامتحان و الاختبار، أى ليمتحننى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ أى هل أشكره سبحانه على النعمة، أم أكفر نعمته و لا أشكره؟ فإن الله سبحانه إذا منح أحدا نعمة كان اختبارا ليظهر هل أنه يشكر أم يكفر بالنعمة- لا ليعلم الله، فإنه عالم، بل- ليستحق المحسن الثواب و المسىء العقاب وَ مَنْ شَكَرَ لله تعالى فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ إذ فائدة الشكر تعود إليه بالذات وَ مَنْ كَفَرَ و لم يشكر النعمة فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ عن شكر الشاكرين كَرِيمٌ متفضل على عباده شاكرهم و كافرهم.

[۴۲] قالَ سليمان عليه السّلام نَكِّرُوا لَها عَرْشَها أى غيروا سريرها إلى حالة تنكرها و لا تعرفها، إذا رأته، و قد قيل أنه عليه السّلام أراد بذلك اختبار عقلها و إنها هل تعرف أم لا، ل نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي إلى معرفة عرشها بفطنتها أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ قيل فنزع ما كان على العرش من الفصوص و الجوهر و غيرت ألوان مواضعه الملونة، فجعل ما كان أحمر أخضر و هكذا.

[۴۳] فَلَمَّا جاءَتْ بلقيس إلى محلّ سليمان قِيلَ لها أَ هكَذا عَرْشُكِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۷

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۴۳ الى ۴۴]

وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ (۴۳) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ قالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۴)

أى هل أن عرشك مثل هذا العرش الموضوع ها هنا؟ قالَتْ و قد أدركت بفطنتها الحقيقة كَأَنَّهُ أى كأن هذا العرش الموضوع هُوَ العرش الذى لى و خلفته ورائى جئتم به إلى هنا ثم قالت وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ بقدرة الله سبحانه، و صحة نبوة سليمان مِنْ قَبْلِها أى من قبل هذه الخارقة التى نشاهدها بالنسبة إلى العرش وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ بسليمان، فلا نعجب من إتيان العرش إلى هنا.

[۴۴] ثم ذكر سبحانه، إنها إنما أسلمت بعد كتاب سليمان، و إلا فإنها كانت تعبد الشمس، كما قال «الهدهد» وَ صَدَّها أى منعها- سابقا- عن الإسلام ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى عبادتها للشمس، و إنما عبدت الشمس ل إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ أى نشأت فيهم و كانت منهم، و لذا اعتقدت كما كان يعتقد قومها، فإن للمحيط أثرا قاهرا على النساء.

[۴۵] و قد أمر سليمان عليه السّلام أن يبنى لها «صرح» أى موضع منبسط من قوارير كالقصر، و قد أجرى الماء تحت أرض الصرح بحيث كان يبدو أنه ماء واقف على الأرض، و لعلّه أراد بذلك اختبار عقلها أيضا، هل تعرف إنه صرح أم تظن أنه ماء، و قيل أن الشياطين خافت أن يكون لها ولد منه، فنفروا سليمان منها، قائلين إن رجلها كرجل حمار، فأراد سليمان أن يعرف صدق ذلك، أقول: و إن صدق هذا، لم يكن فيه دليل على إن سليمان أو بعض الرجال نظروا إلى ساقها، فلعلّ سليمان كان قد أحضر نساء للنظر إلى ساقيها، بدون أن يقلن لها اكشفى عن ساقك، كما أنه ليس دليل على إن قول الشياطين أثّر فى سليمان، إذ هو عليه السّلام أعلم منهم، و إنما أراد الكشف للناس عن كذبهم بما تشهده النساء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۸

[سورة النمل (۲۷): آية ۴۵]

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ (۴۵)

و لما جاءت بلقيس قِيلَ لَهَا و القائل بعض الخدم ادْخُلِي الصَّرْحَ و هو المحلّ المعدّ لاستقبالها فَلَمَّا رَأَتْهُ أى رأت بلقيس الصرح حَسِبَتْهُ أى ظنته لُجَّةً من الماء، و اللجة معظم الماء، فاستعدت لخوضها بأرجلها وَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها أى رفعت ثوبها عن رجليها، لتدخل الماء، و لا يبلل ثوبها قالَ سليمان، أو بعض الخدم إِنَّهُ أى ما ترين ليس ماء، و لعلهم أعلموا سليمان بأنها أخذت فى كشف قدميها لخوض

الماء- بظنها- صَرْحٌ أى قصر مُمَرَّدٌ قد مرّد و ملّس، و منه يقال لمن لا شعر له، أى هو مملّس مِنْ قَوارِيرَ جمع قارورة، و المراد بها الزجاج، و إذ دهشت الملكة من هذا الحادث جعلت تستغفر عن ذنبها، فإن من عادة الإنسان طلب الغفران حين يدهش و يصاب بكارثة، إذ يزول الكبرياء، حينذاك قالَتْ مناجية، يا رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بعبادتى للشمس فى سالف الزمان وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فالإسلام لله تعالى، لكنه مع سليمان النبى، و لعلّ الإتيان بهذه اللفظة، للاعتراف برسالته، و أرادت أن تبدى اعترافها بالمبدأ و الرسالة.

[۴۶] و بعد تمام قصة سليمان، يأتى السياق ليبين طرفا من قصص سائر الأنبياء وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أى قبيلة ثمود أَخاهُمْ فى النسب صالِحاً فقال لهم أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده لا شريك له فَإِذا هُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۰۹

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۴۶ الى ۴۷]

قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۴۶) قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (۴۷)

أى ثمود فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ مؤمنون، و كافرون، و كل يخاصم الفريق الآخر يقول أنت على باطل و أنا على حق.

[۴۷] قالَ صالح عليه السّلام لمن بقى فى الكفر يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ فقد كانوا يقولون لصالح عجّل علينا بالعذاب الذى وعدتنا إن بقينا على الكفر،- على وجه الاستهزاء- فقال لهم صالح لم تطلبون عجلة العذاب قَبْلَ الْحَسَنَةِ أى قبل التوبة، و سمى العذاب سيئة لأنه يسىء إلى الإنسان، و المراد ب «قبل الحسنة»، عوض طلبكم الحسنة، فإنه كثير ما يأتى قبل لا بمعنى الزمان، بل بمعنى العوض لَوْ لا أى هلّا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تطلبون غفرانه بسبب الإيمان و العمل الصالح؟

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لكى ترحموا بسبب الاستغفار.

[۴۸] قالُوا فى جواب صالح عليه السّلام اطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ أى تشأمنا بك و بمن على دينك من المؤمنين فأنتم شؤم علينا تجلبون لنا الفقر و القحط و المشاكل، و أصل «اطير» تطير، أدغمت التاء فى الطاء، و جىء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن قالَ لهم صالح طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أى أن الشؤم أتاكم من عند الله حيث كفرتم و للكفر نكبة و مشاكل كما قال سبحانه (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) «۱» و قد كانت الأمم تتشاءم بالطائر الخاص، كالبوم، و الغراب، لما كان عندهم

---

(۱) طه: ۱۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۰

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۴۸ الى ۴۹]

وَ كانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ (۴۸) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۴۹)

مشهورا أن الإنسان إذا وقع نظره على الطائر الفلانى عند حاجة له فإنها لا تقتضى تأثرا من ذلك الطائر، ثم سمى كل تشاؤم بالشر طائرا، و إن كان تشاؤما من الشخص أو حيوان برى، و اشتق منه «التطير» بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ أى تختبرون بالخير و الشر، فإن الفتنة بمعنى الاختبار، كما قال تعالى (أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) «۱» يعنى ليس هذا الذى يصيبكم من المشاكل بسببى و إنما هى فتنة و امتحان لكم.

[۴۹] وَ كانَ فِي الْمَدِينَةِ التى بها صالح، و هى «الحجر» تِسْعَةُ رَهْطٍ أى تسعة أشخاص يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بإلقاء الفتن و تدبير المكر وَ لا يُصْلِحُونَ لعلّ الإتيان بهذه الجملة لإفادة أنه لم يكن فى عملهم إصلاح، و إنما فساد محض.

[۵۰] قالُوا أى قال بعض هؤلاء الرهط المفسدون لبعضهم الآخر تَقاسَمُوا بِاللَّهِ أى ليحلف بعضكم لبعض، ف «تقاسموا» فعل أمر، من باب التفاعل لَنُبَيِّتَنَّهُ أى لنقتلن صالحا وَ أَهْلَهُ بياتا أى بالليل ثُمَّ لَنَقُولَنَّ صباحا إذا ظهر قتله و رمينا بذلك- و إنما قالوا هذا لأنهم كانوا معروفين بالفساد فإذا حدث حادث رموا به فلا- بد لهم من إحضار الجواب- لِوَلِيِّهِ أى ولى صالح الذى يطالب بدمه، و المراد إما الحكومة أو ذووا رحمه أو من أشبههما ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ

---

(۱) الأنفال: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۱

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۰ الى ۵۲]

وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۵۰) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۱) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۵۲)

أى هلاك أهل صالح، و يطلق الأهل على العائلة حتى الرئيس، و مهلك مصدر ميمى، أو اسم زمان أى زمان هلاكهم أو اسم مكان أى مكان الهلاك وَ إِنَّا لَصادِقُونَ فيما نقول، هكذا دبروا حيلة أن يفعلوا الفعلة ثم يقولوا لوليه هذه الجملة ليبرّءوا ساحتهم من القتل.

[۵۱] وَ مَكَرُوا هؤلاء مَكْراً بتدبير هذه الخطة وَ مَكَرْنا مَكْراً أى دبّرنا تدبيرا خفيا بحيث لم يعلموا به- فإن المكر هو التدبير الخفى لإلقاء الخصم إلى الهلاك- فقد أمر الله سبحانه بعذاب ثمود وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ بمكر الله لهم،

فقد روى أنهم لمّا أرادوا قتل صالح وقعت عليهم قطعة من الجبل فهلكوا جميعا و أنجى الله صالح من أيديهم

.«۱»

[۵۲] فَانْظُرْ يا رسول الله أو كل من يتأتى منه النظر، و المراد اعلم و اعتبر كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ فهل مكرهم نفذ أم ردّ إلى نحرهم؟ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ أى أهلكناهم وَ قَوْمَهُمْ بأن صاح عليهم جبرائيل صيحة صاروا كهشيم المحتضر أَجْمَعِينَ حتى لم ينجح منهم أحد، و بقى صالح، و المؤمنون فى سلامة و عافية.

[۵۳] فَتِلْكَ التى يراها الرائى فى طريقه من الحجاز إلى الشام و قد مرّ بها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فى غزوة تبوك بُيُوتُهُمْ و آثارها الباقية خاوِيَةً أى فى

---

(۱) راجع مجمع البيان: ج ۷ ص ۳۹۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۲

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۳ الى ۵۵]

وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۵۳) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۵۴) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۵۵)

حال كونها خاوية، أى خالية منهدمة بِما ظَلَمُوا أى بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر و العصيان إِنَّ فِي ذلِكَ الإهلاك لَآيَةً على بأس الله سبحانه لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى يعلمون الأمور، أما الجهّال فإنّهم لا يدركون العبر و العظات.

[۵۴] أهلكنا الكفار وَ أَنْجَيْنَا من العذاب الَّذِينَ آمَنُوا بصالح وَ كانُوا يَتَّقُونَ المعاصى و الآثام.

[۵۵] ثم يأتى السياق لبيان قصة لوط وَ اذكر يا رسول الله لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ منكرا عليهم العصيان أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ و المراد بها اللواط؟ أى كيف تلوطون، و الفاحشة، صفة لمقدر، أى الفعلة الفاحشة و سميت فاحشة لأنها تفحش و تتجاوز الحد، من فحش بمعنى تجاوز الحد وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أى و الحال أنكم تعلمون أنها فاحشة.

[۵۶] أ إِنَّكُمْ أيها القوم لَتَأْتُونَ الرِّجالَ أى تعملون مع الرجال شَهْوَةً إما مفعول أو تمييز، و أصلها ما تشتهيه النفس مِنْ دُونِ النِّساءِ فقد تركوا نساءهم، و اشتغلوا بالرجال، إن ذلك ليس لقضاء الشهوة، و إلا كانت النساء أحسن بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ما فى هذا العمل من الإثم و العقاب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۳

تقريب القران الى الأذهان الجزء العشرون من آية (۵۷) سورة النمل إلى آية (۴۶) سورة العنكبوت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۴

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۵

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۶ الى ۵۹]

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۵۶) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (۵۷) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (۵۸) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (۵۹)

[۵۷] فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ للوط إِلَّا أَنْ قالُوا أى قال بعضهم لبعض أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ أى لوط و آله- و قد مرّ إن «آل فلان» يطلق عليه و على آله، تغليبا- مِنْ قَرْيَتِكُمْ أى مدينتكم إِنَّهُمْ أُناسٌ أى جماعة يَتَطَهَّرُونَ عن إتيان أعمالنا، و كان هذا على وجه السخرية.

[۵۸] فَأَنْجَيْناهُ أى أنجينا لوطا وَ أَهْلَهُ بناته اللاتى كنّ معه إِلَّا امْرَأَتَهُ التى كانت تساعد القوم على أعمالهم الفاسدة قَدَّرْناها أى هكذا جرى تقديرنا بالنسبة إليها إنها مِنَ الْغابِرِينَ أى الباقين فى القرية لتعذب بعذابها.

[۵۹] وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ أى على أهل القرية مَطَراً من الحجارة فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ أى بئس المطر مطر الذين أنذروا فلم ينفع فيهم الإنذار.

[۶۰] و بعد ذكر جملة من أحوال الأمم السالفة و كيف أن الله عذبهم لما تمردوا عن الأوامر يرجع السياق إلى الرسول و حاله مع قومه و كيفية تبليغهم قُلِ يا رسول الله الْحَمْدُ لِلَّهِ الذى وفقنا للإيمان، و نجاة المؤمنين و هلاك الكافرين وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى أى تحية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۶

[سورة النمل (۲۷): آية ۶۰]

أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (۶۰)

على الرسل المتقدمين الذين اصطفاهم الله سبحانه و اختارهم لوحيه، و معنى «السلام» أن يكونوا سالمين فى تلك الدار من الأخطار، و إن غلب معنى التحية عليه، عند العرف آللَّهُ خَيْرٌ هنا همزتان، أحدهما للاستفهام، و الثانية همزة «أل» و إذا اجتمعت همزتان جاز أن تخفف أحدهما فى صورة مدّ، أى: هل الله خير أَمَّا يُشْرِكُونَ أى الأصنام التى يشركونها بالله تعالى؟ و قد تقدم أن الله كيف نجى المؤمنين، و أهلك من كان يعبد الأصنام، و على هذا فالجواب- الطبيعى- بعد تلك المشاهدات: أنّ الله خير.

[۶۱] أَمَّنْ أصله «أم» «من» فأدغمت إحدى الميمين فى الثانية خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أى ما تشركون خير أم خالق السماوات و الأرض وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ أى جهة العلو ماءً و هو المطر فَأَنْبَتْنا بِهِ بذلك الماء، و هذا من الالتفات من الغيبة إلى التكلم و هو فن من فنون البلاغة حَدائِقَ جمع حديقة، و هى مجتمع الورود و الأشجار ذاتَ بَهْجَةٍ أى منظر حسن يبتهج به من رآه و يسر و يفرح ما كانَ لَكُمْ أيها الناس أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أى أنتم لا تتمكنون من إنبات أشجارها، لو لا أن الله أنبتها فلا يزعم زاعم أنه هو الذى ينبت حيث يحرث و يكدّ و يسقى، إنه سبب ضعيف، و إنما الذى ينبت هو الله سبحانه أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ أى هل هنا لك فى الكون إله آخر مع

الله سبحانه؟ و هذا استفهام إنكارى، يأتى بعد الإلفات إلى صنع الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۷

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶۱ الى ۶۲]

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۶۱)

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (۶۲)

سبحانه بَلْ ليس معه إله و إنما هؤلاء المشركون هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ يجعلون غير الله عدلا لله تعالى.

[۶۲] أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً أى مستقرا لا تميل و لا تضطرب و تصلح للسكنى لما هيّئ فيها من الوسائل وَ جَعَلَ خِلالَها أى وسطها و فى مسالكها أَنْهاراً من الماء تجرى لسقى الأرض و الإنسان و الحيوان وَ جَعَلَ لَها أى للأرض رَواسِيَ جمع راسية، و هى الجبال التى حفظت الأرض من التفكك و الاضطراب، فإن الأرض كرة تسبح فى الجو، و لو لا- الجبال التى هى كالأوتاد الحافظة للخشبات المتعددة من التفكك، لتفككت الأرض و انتشرت فى الفضاء وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ أى بحر الملح و المراد به بحار الدنيا، و بحر العذب المراد به المياه الجارية العذبة حاجِزاً أى مانعا من شقوق الأرض حتى لا يختلط بعضها ببعض- كما تقدم فى سورة الفرقان- أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ

صنع ذلك أو بعض ذلك، أم هو الله وحده؟ فلما ذا تشركون؟ بَلْ ليس إله مع الله و إنما أَكْثَرُهُمْ أى أكثر الناس لا يَعْلَمُونَ إنه ليس إله مع الله و لذا يشركون به.

[۶۳] أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ اضطرّ فعل متعد، يقال اضطر زيد خالدا، فخالد مضطر بصيغة المفعول إِذا دَعاهُ و إنما جىء باسم «المضطر»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۸

[سورة النمل (۲۷): آية ۶۳]

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۶۳)

مع إنه سبحانه يجيب كل من دعاه، لأن إجابة المضطر أوقع و ألزم حيث إنه لا علاج له و لا ملجأ يلجأ إليه، و المراد إجابة دعائه و كشف ضره و حاجته وَ يَكْشِفُ السُّوءَ النازل بالشخص من فقر و مرض و سجن و غيرها، ثم إما المراد كشف سوء المضطر، فيكون كعطف بيان، أو كشف مطلق الأسواء، فيكون تأسيسا لا تأكيدا، و هنا نكتة لا بأس بالتنبيه عليها، و هى أن بعض الأخيار، سلكوا هذه الجملة من الآية سلك الختوم تفؤلا، و اتباعا لما

ورد من «خذ القرآن ما شئت لما شئت»

فقراءتها من باب التعريض، لا- من باب الطلب، حتى يقال، إنها عدل لما يشركون، و لا دعائية لها، فليست مثل «رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً» «۱» فهذا من قبيل ما لو قال أحد الكرماء: أنا الذى أطعم الجائع، فجاء جائع يريد إشباعه، فإنه يقول: «أنا الذى أطعم الجائع» يريد التعريض به حيث إن هذا الكلام صدر منه وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أى تخلفون آباءكم فى ديارهم و أعمالهم، فمن غير الله سبحانه يهلك قرنا و يخلف قرنا آخر مكانه، و يفنى جيلا و يجعل جيلا آخر خلفا له؟ أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ يفعل ذلك؟ كلا! و لكن قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ أى قليل تذكركم و اتعاظكم، لأنكم لا تتفكرون و لا تعتبرون، و «ما» زائدة، لتأكيد القلة.

[۶۴] أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ أى يرشدكم إلى طرقكم و مقاصدكم فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حيث تقطعون الصحراء أو البحار فى الليالى المظلمة. إنه

---

(۱) البقرة: ۲۰۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۱۹

[سورة النمل (۲۷): آية ۶۴]

أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۶۴)

هو الله الـذى يهـديكم بمـا جعل للطرق من علائم بالكواكب، و القمر، و مهب الرياح، و معالم الجبال، و غيرها، و إنما خصّ الظلمات بالـذكر، مع أن الهادى فى النهار هو الله أيضا، لشدة الحاجة فى الليل المظلم إلى الهادى، و هناك يدرك الإنسان حاجته إلى الاهتداء أكثر من إدراكه فى النهار وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ الجامعة للسحاب و المثيرة له من أطراف السماء بُشْراً أى لأجل البشارة بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ أى أمام رحمته التى هى المطر؟ أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ يفعل ذلك بالاستقلال أو بالإشراك؟

كلا! تَعالَى اللَّهُ أى أن الله أعلى- و ليس فى الفعل معنى الماضويـة، و إنما يفيد معنى المادة فقط- عَمَّا يُشْرِكُونَ أى عن الأصـنام التى يشركونها بالله، أو تنزّه عن شركهم، على أن «ما» مصدرية.

[۶۵] أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ أى ينشأ الخلق و يوجده من كتم العدم ثُمَ يميته ثم يُعِيدُهُ حيّا يوم القيامة للحساب و الجزاء؟ و قسم من الكفار و إن لم يكونوا يعترفون بالإعادة، لكن قسما آخر منهم كاليهود و النصارى يعترفون بذلك مع أنهم مشركون وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ بإدرار المطر وَ الْأَرْضِ بإنبات النبات؟ أ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ يفعل ذلك؟ قُلْ يا رسول الله للمشركين هاتُوا بُرْهانَكُمْ أى هاتوا حجتكم على الشرك، و إن هناك إلها مع الله إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۰

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶۵ الى ۶۶]

قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (۶۵) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ (۶۶)

فى دعواكم تعدد الآلهة و إن الأصنام شريكة لله سبحانه فى الألوهية.

[۶۶] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء، إن كان هناك شريك مع الله لزم أن يعلم الغيب إذ لا يكون الإله جاهلا، لكن لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ من الملائكة وَ الْأَرْضِ من البشر الْغَيْبَ الذى غاب عن الحواس إِلَّا اللَّهُ وحده، و إنما يعلم الأنبياء و الأئمة و من إليهم بعض الغيب بإرادة الله و تعليم الله لهم، كما قال سبحانه (فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ) «۱» و لا- منافاة بين الأمرين بأن لا يعلم الغيب أحد إلا- الله، و أن يعلم غير الله الغيب بدلالة الله، أو يقال: إن المراد بالغيب فى الآية مطلق الغيب- كما هو مقتضى كون «الغيب» جنسا محلى باللام- و هذا لا يعلمه أحد وَ ما يَشْعُرُونَ هذه المعبودات أَيَّانَ يُبْعَثُونَ أىّ وقت بعثهم، فكيف يمكن أن يكون إلها ما لا يعلم الغيب، و ما لا يعلم وقت بعثه؟

[۶۷] و بمناسبة الحديث عن عدم شعور المعبودات بالآخرة و وقت بعثها يأتى الكلام حول إنكار الكفار لها، كما ينكرون التوحيد، و الرسالة بَلِ إضراب عن الكلام الماضى الذى كان يدور حول الشرك و تعدد الآلهة إلى كلام مستأنف حول القيامة ادَّارَكَ أصله «تدارك» من باب «التفاعل» أدغمت «التاء» فى «الدال» و جىء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، و التدارك هو متابعة الشىء للشىء، يقال: تدارك

(۱) الجن: ۲۷ و ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۱

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶۷ الى ۶۸]

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ (۶۷) لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۶۸)

القوم أى تلاحقوا و جاء بعضهم إثر بعض، و المعنى تلاحق عِلْمُهُمْ و تتابع فِي باب الْآخِرَةِ فانتهى علو حدودها، و قصر عن الوصول

إليها يقال هذا ما أدركه علمى أى بلغه و لم يلج فيه فهو منتهى العلم بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها أى من الآخرة، فكيف يعرفوا موعدها و خصوصياتها؟ بَلْ هُمْ مِنْها أى من الآخرة و معرفتها عَمُونَ جمع عمى، و هو أعمى القلب لتركه التدبر و النظر، و هذه مراتب ثلاث متدرجة فى الشدة، فالأولى أن لا يعلمها إطلاقا، و الثانية أن يشك فيها، و الثالثة أن يكون أعمى عنها حتى لا يكون قابلا لتعلمها، و حيث إن كل مرتبة أشد من سابقتها صحت الرتبة و الإضراب- و هذا هو الذى نستظهره من الآية، و الله العالم-.

[۶۸] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و اليوم الآخر أ إِذا كُنَّا تُراباً بأن متنا و تحولنا إلى التراب وَ آباؤُنا كانوا ترابا أ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ من القبور للبعث و الحساب؟ قالوا ذلك على وجه التعجب و الإنكار، لأنهم أنكروا أن يتحول التراب إنسانا كما كان.

[۶۹] لَقَدْ وُعِدْنا هذا أى البعث نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ فيما مضى على لسانك و لسان الأنبياء، و لم يظهر أثر لذلك إِنْ هذا أى ما هذا الوعد و الإخبار بالبعث إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ أى إخباراتهم الخالية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۲

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶۹ الى ۷۲]

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (۶۹) وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (۷۰) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۷۱) قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (۷۲)

عن الصحة، جمع أسطورة، و هى القصة الخيالية.

[۷۰] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المكذبين، إن تماديتم فى تكذيبكم و إنكاركم أصابكم مثل ما أصاب المكذبون السابقون و سِيرُوا فِي الْأَرْضِ حتى تصلوا إلى بلاد الأقوام الذين أهلكوا بتكذيبهم الأنبياء فَانْظُرُوا بأعينكم كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ الذين أجرموا و عصوا، فإنكم ستشاهدون آثارهم الدراسة و بلادهم الخربة و لا ترون من نسلهم أحدا.

[۷۱] وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يا رسول الله كيف أنهم يعصون حتى تكون النار مصيرهم وَ لا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ نفسى مِمَّا يَمْكُرُونَ أى يدبرون فى أمرك، لإبطال دينك و قتلك، فإن مكرهم سيرد إلى نحورهم، و الحزن على المعاند مما لا ينبغى.

[۷۲] وَ يَقُولُونَ أى هؤلاء الكفار المنكرون للبعث مَتى هذَا الْوَعْدُ أى فى أى زمان يكون العذاب أو بعث الأموات؟ إِنْ كُنْتُمْ أيها المؤمنون القائلون به صادِقِينَ بأنه يكون.

[۷۳] قُلْ يا رسول الله عَسى أى لعل أَنْ يَكُونَ هذا الوعد بالبعث أو العذاب رَدِفَ لَكُمْ أى وراءكم رديفا لكم يلحقكم عن قريب، من الرديف الذى هو الإنسان الراكب على دابة ردف الآخر و خلفه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۳

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۷۳ الى ۷۶]

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (۷۳) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (۷۴) وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۷۵) إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۷۶)

بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ من العذاب و البعث.

[۷۴] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ و من فضله أنه يؤخّر عذاب هؤلاء، لعلهم يرجعون و يندمون فلا يلاقوا العذاب و المهانة وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أى أكثر الناس لا يَشْكُرُونَ نعمه و فضله.

[۷۵] وَ إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ أى ما تخفيه صدورهم من الكفر و المكر و الرذيلة وَ ما يُعْلِنُونَ من أنواع الشرك و المعاصى، و مع ذلك يتفضل عليهم و يمهلهم.

[۷۶] و ليس علمه سبحانه خاصا بما يفعله هؤلاء من الأسرار و الإعلان بل وَ ما مِنْ غائِبَةٍ أى خصلة، أو عين غائبة عن الحواس فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ أى كتاب ظاهر لدينا، فإنّا نعلم كل شىء غاب عن الحواس.

[۷۷] ثم عطف السياق- بعد الألوهية و المعاد- إلى ذكر القرآن فقال سبحانه إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ و تخصيصهم بالذكر هنا، لأن هذه السورة تعرضت إلى ذكر جملة من قصصهم كقصة سليمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۴

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۷۷ الى ۷۹]

وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (۷۷) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (۷۸) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (۷۹)

و موسى و داود عليهم السّلام و معنى القصة نقل الخبر أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من القصص و الأحكام، فقد حرفت كتبهم و لذا اختلفوا في القصص، و القرآن يبين الحق الواقع، و لذا ورد في وصفه قوله (وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ). «۱» [۷۸] وَ إِنَّهُ أي القرآن لَهُدىً هداية ترشد الطريق الذي يوجب سعادة الإنسان في دنياه و عقباه وَ رَحْمَةٌ أي سببا لتفضل الله على البشر و رحمته بهم لِلْمُؤْمِنِينَ و إنما خصتهم، لأنهم هم المنتفعون به الفائزون بجزاء عمله على طبقه.

[۷۹] إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله يَقْضِي بَيْنَهُمْ أي بين المختلفين من بني إسرائيل في قصص الأنبياء عليهم السّلام و جهات المبدأ و مزايا المعاد بِحُكْمِهِ أي على طبق حكمه الواقعي، لا على ما في كتبهم المحرفة، و المراد القضاء بينهم يوم القيامة ليجزي كلّا حسب ما عمل، كما يقول الحاكم: سأفصل بينكم، يريد الفصل مع الجزاء وَ هُوَ الْعَزِيزُ الغالب على أمره فيفعل ما يشاء الْعَلِيمُ بما فعل كل أحد، فيكون الجزاء طبق العمل بلا زيادة أو نقصان.

[۸۰] و إذ كان الله سبحانه عزيزا عليما فَتَوَكَّلْ يا رسول الله عَلَى اللَّهِ و فوض أمورك إليه، فإنه غالب

---

(۱) المائدة: ۴۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۵

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۸۰ الى ۸۱]

إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (۸۰) وَ ما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (۸۱)

عالم إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ أي الواضح، إنك على الحق، و تحت سيطرة إله غالب فلا يتمكن أحد من السوء بك، عالم فيجازيك بما لقيت من الأتعاب في سبيل التبليغ.

[۸۱] أما هؤلاء الذين يعاندون، فلا تغتم لهم، و لا يلقون اليأس في نفسك، فإنهم كالأموات و كالأصم إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى أي سماعا نافعا، فإن الميت لا يتحرك و لا يتجه حسب ما وجهه الإنسان و هؤلاء المعاندون كالأموات في عدم تأثير الكلام فيهم و «موتى» جمع ميت وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ جمع «أصم» و هو الفاقد لحاسة السمع الدُّعاءَ أي الدعوة و الكلام الذي تناديه به إِذا وَلَّوْا أي أعرضوا عنك مُدْبِرِينَ أي بحيث كان دبرهم نحو الإنسان، و هذا للمبالغة في عدم السماع، فإنه لا مطمع في إفهام الأصم المدبر، و إن كان كل أصم لا يسمع الكلام و إنما لو كان وجهه مقابلا أمكن إفهامه و إلّا لم يمكن.

[۸۲] وَ ما أَنْتَ يا رسول الله بِهادِي الْعُمْيِ أي لا يمكنك يا رسول الله أن تهدي الأعمى من هؤلاء و المراد المعاند الأعمى القلب، شبّه بالأعمى بصرا الذي لا يهتدي إلى الطريق، إذ درك المعارف يتوقف على بصر القلب، كما أن درك الطريق يتوقف على بصر العين عَنْ ضَلالَتِهِمْ بأن تصرفهم عن ضلالتهم و انحرافهم إلى طريق الرشاد، إِنْ تُسْمِعُ أي ما تسمع سماعا مفيدا إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا أي ليس معاندا إذا سمع الحق قلبه فَهُمْ مُسْلِمُونَ أي يسلمون أنفسهم لله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۶

[سورة النمل (٢٧): آية ٨٢]

وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (٨٢)

و الدين و ينقادون لأوامرك.

[۸۳] و من علامات الساعة التی کان الکفار یکذبون بها إن الله سبحانه یظهر للناس «دابة» أی حیوانا مهولا یکلم الناس بلسان یفهمونه و لعل هذا من أهوال الساعة وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أی وجب العذاب لهم، و ثبت وقت ما قلنا من أنهم یعذبون أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ و هل المراد بالإخراج أنها تخرج من الأرض کما یخرج النبات منها، أو المراد به ظهورها؟ و لفظة «من الأرض» فی مقابل من السماء، و قد ورد فی بعض الروایات، إن المراد بدابة الأرض حیوان مدهش «۱»، کما ورد فی روایات أخری إن المراد بها الإمام المرتضی علیه السّلام «۲»- و الدابة تطلق علی کل ما یدب علی وجه الأرض- کما أن خروج الدابة فی بعض الروایات من أشراط الساعة، و فی بعضها من علائم ظهور المهدی علیه السّلام «۳» و لا منافاة بین الأمرین، فی الموضعین، لتعدد الدابة و کون کل واحدة مصداقا، و لکون ظهور المهدی «عجل الله فرجه الشریف» أیضا من أشراط الساعة، بل بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، أیضا، من علائم الساعة تُكَلِّمُهُمْ أی تتکلم تلک الدابة مع الناس، و من کلامها معهم أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ أی بأدلتنا الدالة علی وجودنا و سائر شؤوننا، و قد لاءمت هذه الآیة جو السورة التی تعالج العقیدة، کما لاءمت مع تکلم الحیوانات و الجن مع البشر، فی قصة الهدهد،

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۶ ص ۳۰۰.

(۲) تأویل الآیات: ص ۳۹۹.

(۳) راجع تأویل الآیات: ص ۴۰۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۷

[سورة النمل (٢٧): الآيات ٨٣ الى ٨٥]

وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذا جاؤُ قالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ (٨٥)

و النملة، و عفریت الجن، و هاهنا دابة تتکلم.

[۸۴] وَ اذکر یا رسول الله لهؤلاء يَوْمَ نَحْشُرُ أی نجمع مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا، و إذ تقدم بعض علائم القیامة من خروج دابة الأرض، جاء السیاق لیتم مشهد القیامة، و جاء ذکر المکذبین فقط لأنهم محل الکلام و محور البحث فی تکذیب المعاد، فلننظر ماذا یکون مصیرهم؟ و قوله «ممن» بیان «فوجا» أی نجمع من کل أمة فوجا هم من الذین یکذبون بالآیات فَهُمْ يُوزَعُونَ أی یحبسون، حتی یجتمعوا جمیعا من «وزع» بمعنی «حبس» فإن أول الفوج یحبسون لآخر الفوج، حتی یجتمع الجمیع.

[۸۵] حَتَّى إِذا جاؤُ إلی موقف الحساب قالَ الله تعالی لهم أَ كَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَ الحال أنکم لَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً؟ أی کیف کذبتم و لیس لکم علم بکذبها؟ و حیث إن المقام مقام أن یکذب الکفار قائلین لم نکذب بها، یأتی السیاق لیقول لهم ثانیا- سادّا علیهم طریق الإنکار- أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إن لم تکونوا کذبتم بالآیات فما ذا کان عملکم؟ لکنهم لا یقدرون أن یقولوا کنا نعمل صالحا، و بهذا ینقطعوا عن الجواب، و لا یتمکنون من الإنکار.

[۸۶] وَ وَقَعَ الْقَوْلُ أی ثبت القول الذی قلنا: إنهم یعذبون جزاء کفرهم عَلَيْهِمْ فالعذاب یأخذهم بعد ذلک الحوار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۸

[سورة النمل (٢٧): الآيات ٨٦ الى ٨٧]

أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۸۶) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ (۸۷)

بِما ظَلَمُوا أى بسبب ظلمهم فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ فى هذا الموقف، و إن نطقوا فى المواقف الأخر، و فى جملة من الأحاديث تفسير «يوم نحشر»- إلى آخره- بزمان ظهور المهدى عليه السّلام، و ذلك من باب المصداق، فإن اللفظ عام مستعمل فى الأمرين، القيامة، و ظهور الإمام عليه السّلام و إن لم نقل بالعموم و المصداق، نقول إنه من باب البطن، أو من باب استعمال اللفظ فى أكثر من معنى و ذلك جائز لدى وجود القرينة، و القرينة هى الروايات المفسرة.

[۸۷] أَ لَمْ يَرَوْا هؤلاء المنكرون للمبدأ و المعاد، آياتنا الدالة على وجودنا، و التى تدل على إله عليم حكيم، و تدل على القدرة الكاملة، التى لا يمتنع لديها إحياء الأموات؟ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ أى أوجدناه لِيَسْكُنُوا فِيهِ عن الحركة و التعب وَ جعلنا النَّهارَ مُبْصِراً أى موجبا لبصر الإنسان، و هو من المجاز بنسبة ما للحال إلى الزمان، نحو «يا سارق الليلة»، كما أن جرى النهر، من نسبة ما للحال إلى المكان إِنَّ فِي ذلِكَ الذى ذكر لَآياتٍ دلالات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فإنهم يستدلون منها على وجود الله العليم القدير، و الاختصاص بهم لأنهم هم الذى يستدلون، أما غيرهم، فإنهم معرضون غافلون.

[۸۸] وَ اذكر يا رسول الله يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ هو البوق الذى يشبه قرن الحيوان ينفخ فيه إسرافيل عليه السّلام لإحياء الأموات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۲۹

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۸۸ الى ۸۹]

وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (۸۸) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (۸۹)

فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ أى خافوا جميعا من هول قيام الساعة إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ أن لا يفزع و هم بعض الأنبياء و بعض الملائكة وَ كُلٌّ من الأموات الذين أحيوا من النفخ أَتَوْهُ أى يأتون المحشر، أو يأتون الله سبحانه- و المراد من إتيان الله الإتيان إلى الموضع المعد لهم، نحو إنى ذاهب إلى ربى- داخِرِينَ أى أذلاء صاغرين، من دخر بمعنى ذل.

[۸۹] وَ تَرَى الْجِبالَ أيها الرائى، فى ذلك اليوم، فى حال كونك تَحْسَبُها و تظنها جامِدَةً فى مكانها، كالسابق، واقفة غير متحركة، و الحال أنها وَ هِيَ تَمُرُّ و تسير مَرَّ السَّحابِ أى مثل مرور السحاب سيرا حثيثا سريعا، و قد صار الكل كالقطن المندوف، إن قلع الجبال و تسييرها إنما هو صُنْعَ اللَّهِ منصوب على المصدر أى صنع الله ذلك صنعا الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ فأتقن أهوال المعاد بقلع الجبال و تسييرها، كما أحيى الأموات و جعلهم هائمين يسيرون فى فزع و خوف إِنَّهُ خَبِيرٌ أى عالم بِما تَفْعَلُونَ فيجازيكم عليها.

[۹۰] مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ المراد بها الجنس و هو الإيمان و العمل الصالح، نحو «رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» فإن المراد بهما الجنس أيضا فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها أى يضاعف ثوابها عشرة أضعاف أو أكثر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۰

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۹۰ الى ۹۲]

وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۰) إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۹۱) وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (۹۲)

وَ هُمْ أى الذين جاءوا بالحسنة مِنْ فَزَعٍ و خوف يَوْمَئِذٍ أى يوم القيامة آمِنُونَ فلا يفزع المؤمن حيث يفزع الناس.

[۹۱] وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ و المراد السيئة الكاملة التى لا حسنة معها، و هى الكفر و المعاصى، حتى صحّ أن يقال: إنه جاء بالسيئة فَكُبَّتْ الكب هو الإلقاء منكوسا وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ أى ألقوا على وجوههم فى النار، و يقال لهم هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ استفهام فى

معنى النفى، أى ليس هذا إلا جزاء أعمالكم من الكفر و العصيان.

[۹۲] قل يا رسول الله لهؤلاء الكفار بعد تهديدهم بالعذاب إِنَّما أُمِرْتُ أنا بأمر الله سبحانه أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ أى رب مكة، لا الأصنام التى نحتّموها بأيديكم الَّذِي حَرَّمَها أى الله الذى حرم هذه البلدة بأن جعلها محترمة لا يحل فيها القتال، أو الدخول بدون الإحرام، أو الإتيان ببعض الأعمال كتنفير الصيد و قلع الشجر و نحوهما وَ لَهُ أى لله كُلُّ شَيْءٍ بيده وَ أُمِرْتُ من قبله سبحانه أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ و هذا لا- يدل على عدم كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مسلما فيما قبل، إذ الأمر قد يكون للابتداء، و قد يكون للاستدامة نحو:

«اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ».

[۹۳] وَ أمرت أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ أقرأه على مسامعكم و أدعوكم لما فيه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۱

[سورة النمل (۲۷): آية ۹۳]

وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۹۳)

فَمَنِ اهْتَدى إلى الحق و عمل بما فيه فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ فإن فائدة هدايته تعود إلى نفسه حيث تسعد فى الدنيا و الآخرة وَ مَنْ ضَلَ عن القرآن و انحرف عن أحكامه و أوامره فَقُلْ له يا رسول الله إن ضلالك لا يعود إلىّ ف إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ الذين يخوّفون من عذاب الله، و قد خوفتك، فعدم عملك إنما يعود سيئه عليك.

[۹۴] وَ قُلِ يا رسول الله الْحَمْدُ لِلَّهِ الذى هدانى و جعلنى منذرا سَيُرِيكُمْ أيها الناس آياتِهِ بإلفاتكم إليها، أو إيجادها لترونها فَتَعْرِفُونَها بأنها آيات الله و الأدلة على وجوده و سائر شؤونه وَ ما رَبُّكَ يا رسول الله بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أيها الناس، و فى هذا التفات من المخاطب إلى غيره من سائر الناس لأن «كاف» تعود إلى الرسول و «تعملون» إلى الناس.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۲

۲۸ سورة القصص مكيّة/ آياتها (۸۹)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على قصص موسى عليه السّلام مع فرعون، و شعيب عليه السّلام و قارون و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة و لما ختمت سورة النمل بتلاوة الرسول للقرآن، جاءت هذه السورة مفتتحة بتلاوة بعض قصص القرآن، و هى قصة موسى و فرعون.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله الذى يستعان به فى كل حاجة، و هو الرحمن المتفضل بالرحم، الرحيم الذى يرحم العباد، بل كل شىء، كما قال سبحانه (وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) «۱» فإن الرحم هو التفضل، و قد تفضل سبحانه على الأشياء حيث خلقها من غير استحقاق و إن كان فضله على الإنسان أكثر حيث إنه كلما زيدت النعم زيد الفضل.

---

(۱) الأعراف: ۱۵۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۳

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۱ الى ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

طسم (۱) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (۲) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (۴)

[۲] طسم «طاء» و «سين» و «ميم».

[۳] تِلْكَ أى من هذه الحروف الهجائية التى تركبون منها كلماتكم أيها العرب العاجزون عن الإتيان بمثل القرآن آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ أى الظاهر الواضح الذى لا غموض فيه، فإن الكتاب قد يكون سريا، غير واضح، و قد يكون غامضا غير ظاهر المعنى و المراد، و قد يكون غير معلوم الانتساب، و كل ذلك مفقود فى القرآن الحكيم، و فى مقطعات السور، و إعرابها أقوال أخر تقدم بعضها.

[۴] نَتْلُوا أى نقرأ عَلَيْكَ يا رسول الله مِنْ نَبَإِ أى خبر مُوسى وَ فِرْعَوْنَ أى بعض أطراف خبرهما، و لذا دخلت «من» بِالْحَقِ أى بالصدق، فإن خبر الله سبحانه عنهما حق لا كذب فيه لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ أى أن ما نتلو عليك إنما هو لقوم مؤمنين أما غيرهم فلا يعتبرون بالقرآن، و لا يصدقون ما فيه من القصص و الأحكام.

[۵] إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا أى ترفع و تكبر فِي الْأَرْضِ و المراد بها أرض مصر وَ جَعَلَ أَهْلَها أهل أرض مصر شِيَعاً أى طوائف، جمع شيعة، و هى الطائفة التى تتبع مسلكا خاصا، من شايعه إذا تابعه، و هذا دأب الطغاة دائما، إذ لو لم يجعلوا الناس طوائف متناحرة، حتى يشتغل بعضهم ببعض، خافوا من أن يتحدوا ضدهم فى حال كونه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۴

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۵ الى ۶]

وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ (۵) وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ (۶)

يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ و المراد بهم بنى إسرائيل، فقد كان بعضهم ضعيفا فى مصر، و لذا يؤذيهم و يسخرهم فى الأعمال الشاقة، و يفعل بهم ما ذكره سبحانه يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ إنما جىء من باب التفعيل للدلالة على التكثير، فإن هذا الباب يدل على ذلك، فإن فرعون كان يكثر القتل فى أبناء إسرائيل، حينما سمع بأن زوال ملكه على يد رجل منهم يولد فى ملكه، فقد وكّل بكل حامل إسرائيلية قابلة حتى إذا ولدت أخبرت الجلادين فيأتون و يقتلون الولد وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ أى يبقيهن أحياء، كأنه يطلب حياتهن لاستخدامهن فى البيوت إِنَّهُ أى فرعون كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ الذين يفسدون فى الأرض بالكفر و المعاصى و الظلم.

[۶] إن فرعون كان يريد إهلاك بنى إسرائيل و إفنائهم وَ نُرِيدُ نحن بعكس ذلك، و جىء بفعل المضارع لأنه حكاية عن ذلك الوقت أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ أى نمن على بنى إسرائيل الذين استضعفهم فرعون وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً فى الحق، بأن يكونوا مقتدى الناس و ملوكهم وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ لفرعون بأن يرثوا الأرض، و يكونوا خلفا لهم.

[۷] وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أى نجعل بنى إسرائيل قادرين على أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۵

[سورة القصص (۲۸): آية ۷]

وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۷)

يتصرفوا فى أرضى كيفما شاءوا وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وزيره وَ جُنُودَهُما من سائر الذين تعاونوا معهما على إيذاء بنى إسرائيل مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ أى من طرف بنى إسرائيل و على أيديهم، ما كانوا يخافون من الإفناء و الإبادة، و قد أصدق الله وعده فأهلك فرعون و هامان و جنودهما، و جعل بنى إسرائيل ملوك الدنيا و سادتها، و بعث فيهم الأنبياء.

و قد ورد فى جملة من الأحاديث تطبيق الآيتين الكريمتين على الشيعة و الأئمة عليهم السّلام، و أعدائهم «۱»، و هذا مما لا مجال للشك فيه، فإن آيات القرآن الحكيم دائما مدى الدهر، تجرى فى اللاحقين كما جرت فى السابقين، كما دل على ذلك العقل، و ورد به روايات كثيرة.

[۸] ثم بين سبحانه كيف نصر بنى إسرائيل و كيف أهلك فرعون و جنوده وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى و الإيحاء هو الإلقاء فى القلب، و

نحوه قوله سبحانه (فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً) «۲» و قوله (وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) «۳» أَنْ أَرْضِعِيهِ أى أعطيه اللبن فى الفترة التى لم تخافى على موسى فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ من القتل، و فى بعض التفاسير، المراد بذلك أن ذلك إذا أظهر الصوت فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِ أى اطرحيه فى البحر، بجعله فى

---

(۱) مشكات الأنوار: ص ۹۵ فصل ۵.

(۲) المائدة: ۳۲.

(۳) النحل: ۶۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۶

[سورة القصص (۲۸): آية ۸]

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ (۸)

صندوق و إلقائه فيه وَ لا تَخافِي عليه الغرق و الهلاك وَ لا تَحْزَنِي لمفارقته إِنَّا رَادُّوهُ أى نرد موسى إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ أى نجعله فيما بعد مِنَ الْمُرْسَلِينَ قال فى المجمع: و فى هذه الآية أمران و نهيان و خبران و بشارتان، و حكى إن بعضهم سمع بدرية تنشد أبياتا فقال لها ما أفصحك؟ فقالت الفصاحة لله تعالى و ذكرت هذه الآية و ما فيها «۱».

[۹] فولدت أم موسى بموسى عليه السّلام، و جعلته فى صندوق و ألقته فى البحر، و قالت لأخت موسى اذهبى فى أثره حتى ترين ماذا يصنع به، و جاء الصندوق تحمله الأمواج حتى ألقته فى شط يمر بدار فرعون، فَالْتَقَطَهُ أى أخذه آلُ فِرْعَوْنَ أى حاشيته لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً هذه «اللام» تسمى لام العاقبة، لأنها بمعنى «كى تكون العاقبة» و ليست للعلة، نحو قوله «للقتل ما ولدوا للنهب ما جمعوا» أى كانت عاقبة الالتقاط أن يكون موسى لهم عدوا، و موجبا للحزن، لما كان الكلام موهما تعدى موسى عليهم، قال سبحانه إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما الذين تصافقوا على إذلال بنى إسرائيل كانُوا خاطِئِينَ قد أخطئوا حيث اختاروا الكفر و العصيان، على الإطاعة و الإيمان، و لهذه الخطأ صار موسى عدوا لهم، و أهلكهم الله سبحانه.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۷ ص ۴۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۷

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۹ الى ۱۰]

وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۹) وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۰)

[۱۰] و لما جيء بموسى من الصندوق إلى فرعون و كان جالسا مع زوجته «آسية» أمر بفتح الصندوق، و إذ ما رأيا فيه غلاما ألقى الله محبته فى قلبهما، كما قال سبحانه (وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) «۱» ثم أراد فرعون قتله لأنه علم أنه إسرائيلى، و لكن «آسية» حالت دون ذلك وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ أيها الملك إنه قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ أى يوجب هذا الولد قرار عيوننا، فإن الإنسان المسرور تقر عينه فى مكانها، فلا تطير هنا و هناك طالبة المفزع و الملجأ، بخلاف الإنسان الواله و الخائف، و لم يكن لهما ولد و لذا طمعت فى أن يكون موسى كالولد لهما. لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أى لعله ينفعنا فى المستقبل، بأن نستخدمه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً أى نجعله بمنزلة ولدنا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ إن هلاكهم على يده، و

قد روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنه لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها.

[۱۱] فلنرجع إلى أم موسى كيف صنعت بعد ما ألقت طفلها فى البحر وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً أى خاليا من الاتزان كالإناء الفارغ

الذی لا شـیء فیه، لما دهمتهما من المصـیبة و الغم بفقد ولدها، کیف ألقت به فی الیم؟ و کیف صنعت به هذا الصنع العجیب؟ و هل الولد فی حضن الأم یخشی علیه، أما فی الیم فلا یخشی علیه؟ إِنْ کادَتْ لَتُبْدِی بِهِ

---

(۱) طه: ۴۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۸

[سورة القصص (۲۸): الآیات ۱۱ الی ۱۲]

وَ قـالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ فَبَصُـرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا یَشْـعُرُونَ (۱۱) وَ حَرَّمْنـا عَلَیْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْـلُ فَقـالَتْ هَـلْ أَدُلُّکُمْ عَلی أَهْـلِ بَیْتٍ یَکْفُلُونَهُ لَکُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ (۱۲)

و «إن» مخففـة، و اسـمها محذوف، أی أنها- و المراد أم موسـی- کادت و قربت أن تظهر للمجتمع قصة ابنها، کما هو شأن النساء، إذا فجعن بفقـد عزیز ینقلن الأمر للناس، لیجدن من یساعدهن فی الغم و المصـیبة لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلی قَلْبِها بأن حفظناه حتی لا یظهر ما فیه من الهم و الألـم، و لاـ تنتقـل القصـة إلی اللسان لتـذیعه فی الناس، و قـد شـبه قلبها بشـیء لا یسـتقر، فإذا ربط علیه برباط، اسـتقر و لم یتحرک لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ فـإن إخبارهـا کـان خلاف تصـدیقها بوعـد الله «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَیْکِ» فربطنا علی قلبها، لتکون من المصـدقین بوعدنا، فإن ربط القلب بالثبات و الصبر کان سببا لإیمانها، و إلا فلو اضطرب قلبها و أبدی ما فیه لم تکون مصدقة بالوعد.

[۱۲] وَ قالَتْ الأم لِأُخْتِهِ أی أخت موسی، و کانت صغیرة قُصِّیهِ أی اتبعی أثر موسی لنری ماذا یصنع به البحر؟ من قص إذا اتبع الأثر، و منه سـمیت القصـة قصـة، لأنهـا تتبع المقصوص عنهم، و جـاءت الأـخت حتی دخلت دار فرعون، و کـان کبلاـط الملوک فی السـابق یـدخل فیهـا کـل أحـد فَبَصُـرَتْ الأـخت بِهِ أی بموسـی عَنْ جُنُبٍ أی عن بعـد، فإنهـا لم تـدن، لئلاـ تعرف وَ هُمْ أی فرعون و أهله لا یَشْعُرُونَ بأنها أخت موسی، و جاءت لاستقاء الأخبار.

[۱۳] و لمـا کان موسـی طفلا، لم یصبر عن الثـدی، و أخـذ یطلب اللبن، فأمر فرعون بأن تؤجر له مرضـعة، و جاءت النساء لتحوز هـذا الفخر و لکن

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۳۹

[سورة القصص (۲۸): آیة ۱۳]

فَرَدَدْناهُ إِلی أُمِّهِ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۱۳)

موسـی أبی أن یقبل ثـدی امرأة إطلاقا وَ حَرَّمْنا عَلَیْهِ الْمَراضِعَ جمع مرضـعة، أی منعنا موسـی عن الارتضاع من ثدیهن، فلم یکن یمیل إلیهن، بل تأبی نفسه من الارتضاع منهن مِنْ قَبْلُ أی من قبل أن یؤتی بهن، و ذلک بجعل نفسه أبیّة عنها.

فَقـالَتْ الأـخت و کـانت تشاهـد القصـة هَـلْ أَدُلُّکُمْ أرشـدکم عَلی أَهْلِ بَیْتٍ عائلـة یَکْفُلُونَهُ لَکُمْ یقبلون أن یرضـعوا موسـی و یقوموا بخدماته لأجلکم وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ أی تلک العائلة ناصحة لموسی لا تدّخر جهدا فی القیام بخدماته؟

[۱۴] و قـد قبـل فرعون ذلـک و ذهبت الأـخت إلی الأم و حکـت لها القصـة و جاءت الأم إلی بیت فرعون و لما أرضـعت موسـی قبل موسـی الثـدی بکل إصـرار و شوق و سـر فرعون و أهله بقبول موسـی فَرَدَدْناهُ أی أرجعنا موسـی إِلی أُمِّهِ حسب ما وعدناها «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَیْـکِ» کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها أی لأجل أن تسـر و تفرح فتقر عینها عن الحرکـة و الاضـطراب- کما تقـدم- وَ لا تَحْزَنَ علیه فی مقابل ما سـبق منها حیث قال سـبحانه «وَ أَصْـبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسـی فارِغاً» وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فقد و فی سبحانه بوعده حیث أرجع إلیها ابنها وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ أی أکثر الناس لا یَعْلَمُونَ أن وعد الله حق، و یظنون أن مواعیده تخلف، و لیس

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۰

[سورة القصص (۲۸): الآیات ۱۴ الی ۱۵]

وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۴) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵)

هكذا، فإن الله سبحانه لا يخلف الميعاد.

[۱۵] و كبر موسى عليه السّلام فى بيت فرعون يختلف إلى أمه فتفرح به وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ و قد ورد عن الصادق عليه السّلام: إن المراد بلوغه ثمانية عشر سنة «۱» وَ اسْتَوى أى اعتدل قوامه آتَيْناهُ أى أعطيناه حُكْماً بأن يحكم الناس، فإن منصب الحكم خاص بالله سبحانه لا يجوز لأحد أن يستقل به إلا بإذنه سبحانه وَ عِلْماً أى علمناه علم الأشياء مما يليق بمقام النبوة وَ كَذلِكَ أى و كما جازينا موسى لصلاحه بهذا المنصب الخطير كذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى عقيدتهم و عملهم، بإعطائهم أجورهم.

[۱۶] وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ أى مدينة من مدائن مصر عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها أى فى وقت غفلة الناس عن تتبع الأمور و قد ورد أنه كان بين المغرب و العشاء، فإن فى هذه الساعة حيث يسدل الظلام ستاره و الناس من حال إلى حال يكونون غافلين، غير ملتفتين إلى ما يقع فَوَجَدَ موسى عليه السّلام فِيها أى فى تلك المدينة رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ أى يختصمان، و لعل المراد القسم الخاص من الاختصام، و هو ما يؤدى إلى القتل هذا أى أحدهما مِنْ شِيعَتِهِ شيعة موسى، و قد كان إسرائيليا وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ أى من جملة أعدائه- و المراد بالعدو

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۲۸۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۱

[سورة القصص (۲۸): آية ۱۶]

قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۱۶)

الجنس- فإنه كان قبطيا فَاسْتَغاثَهُ أى استغاث و استجار بموسى الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ و هو الإسرائيلى عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ بأن ينصره عليه و يعينه فَوَكَزَهُ مُوسى أى دفع القبطى بالوكز و هو اللكم، بجمع الكف فَقَضى موسى عَلَيْهِ أى أهلكه و أماته، ثم قالَ موسى عليه السّلام غاضبا على القبطى المقتول هذا الاختصام منه للإسرائيلى مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فإنه هو الذى أمره بالاختصام فيما لم يكن له الحق، حتى يؤدى به إلى هذه الحالة إِنَّهُ أى الشيطان عَدُوٌّ للإنسان مُضِلٌّ مُبِينٌ واضح العداء و الإضلال، و قد أضل القبطى حتى سبب له القتل.

[۱۷] و لما قتل القبطى خاف من مكر فرعون و أن يقتص منه، و لذا تضرع إلى الله سبحانه فى أن يستر له هذا الأمر حتى لا يؤخذ به عند فرعون قالَ موسى عليه السّلام، مناجيا، يا رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي و الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه، و منه يسمى التعدى ظلما، إذ هو أن يعمل الإنسان ما لا ينبغى، و المعنى إنى وضعت نفسى فى غير موضعها حيث جئت إلى هذه المدينة التى سببت لى هذه المشكلة فَاغْفِرْ لِي الغفران هو الستر، و منه تسمى المغفرة مغفرة لأنها تستر الذنب، و المعنى فاسترنى من كيد فرعون فَغَفَرَ الله لَهُ بأن ستره عن كيد فرعون، و إن اطلع عليه، لكنه لم يتمكن أن يقتص منه إِنَّهُ سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۲

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۱۷ الى ۱۸]

قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (۱۷) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (۱۸)

هُوَ الْغَفُورُ الساتر كثيرا الرَّحِيمُ الذى يرحم الناس و يتفضل عليهم.

[۱۸] و هناك شكى موسى ربه و قالَ يا رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ أى بما تفضلت على من القوة حتى تمكنت من قتل بعض أعدائك فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً و ناصرا لِلْمُجْرِمِينَ و إنما سمى الناصر ظهيرا لأنه يأخذ ظهره فى مقابل الأعداء و المعنى أنى أشكر نعمة قوتك لى بأن لا

أصرفها فى مناصرة المجرمين.

[۱۹] و شاع قتل موسى للقبطى فَأَصْبَحَ موسى فِي الْمَدِينَةِ التى قتل فيها القبطى خائِفاً من كيد فرعون يَتَرَقَّبُ أى ينتظر الأخبار حتى يعرف إلى أى مدى أثر هذا القتل، و ماذا يفعله القوم من عقاب موسى، و مرّ على مكان فى المدينة فَإِذَا به يرى الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ أى الاسرائيلى الذى طلب نصرة موسى بِالْأَمْسِ فى حين كان يختصم مع القبطى يَسْتَصْرِخُهُ أى يطلب من موسى أن ينصره على قبطى آخر تخاصم معه، و المعنى أن الاسرائيلى يختصم مع شخص آخر و يطلب من موسى أن ينصره على عدوه كما نصره بالأمس على ذلك القبطى المقتول قالَ لَهُ أى للاسرائيلى مُوسى عليه السّلام محذرا له عن المخاصمة مع القبط الذين هم من الكثرة بمكان إِنَّكَ أيها الاسرائيلى لَغَوِيٌّ أى ظاهر الغواية و الخسران إذ من يقاتل كل يوم قبطيا فى حكومتهم يخسر- بالآخرة- و يقع فى كيدهم، و الغواية كما تطلق على العاصى لأنه خسر الآخرة، كذلك تطلق على من يأتى بما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۳

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۱۹ الى ۲۰]

فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (۱۹) وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (۲۰)

لا يحمد عقباه، لأنه يخسر الدنيا مُبِينٌ أى ظاهر الغواية.

[۲۰] و استعد موسى لتلبية الطلب و أن ينصر الاسرائيلى على القبطى فَلَمَّا أَنْ أَرادَ موسى عليه السّلام أَنْ يَبْطِشَ بالضرب بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما أى بالقبطى الذى هو عدو لموسى و للاسرائيلى، ظن الاسرائيلى أن موسى يريد أن يبطش به، لا بالقبطى، حيث سبق منه أن قال «إنك لغوى» قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ حيث قتلت ذلك القبطى؟ قاله على نحو الاستفهام الإنكارى، و من المحتمل إن هذا قول القبطى حيث اشتهر الخبر و عرف أن موسى هو قاتل القبطى إِنْ تُرِيدُ أى ما تريد إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً و هو الظالم، و سمى جبارا، لأنه يجبر الناس على المكروه فِي الْأَرْضِ كأن الإتيان بهذا اللفظ هنا لزيادة التشنيع، فليس جبارا فى مدينة، أو محل خاص، و إنما جبارا فى الأرض وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ يا موسى مِنَ الْمُصْلِحِينَ الذين يصلحون بين الناس، و هذا تأكيد للجملة السابقة، فتلك عقد إيجابى و هذا عقد سلبى.

[۲۱] و إذ قد انتشر خبر قتل موسى رجلا من القبط ائتمر فرعون برجاله و قرروا قتل موسى قصاصا لما فعل وَ جاءَ رَجُلٌ

قد ورد أنه كان خازن فرعون و كان مؤمنا بموسى يكتم إيمانه تقية

مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۴

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۱) وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ (۲۲)

أى آخرها يَسْعى أى يسرع ليصل إلى موسى لئلّا يلحقه القبض قبل إعلامه بالواقعة قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ أى الأشراف، و هم فرعون و حاشيته يَأْتَمِرُونَ بِكَ أى يتشاورون فيك، و يأمر بعضهم بعضا لِيَقْتُلُوكَ قصاصا فَاخْرُجْ من هذه المدينة إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ و كأن الله سبحانه شاء ذلك لموسى حتى ينضج، فإن الرئيس يحتاج إلى أكبر قدر من النضج حتى يتمكن من إدارة الأمة.

[۲۲] فَخَرَجَ موسى عليه السّلام مِنْها من مصر خائِفاً عن أن يلحقه الطلب يَتَرَقَّبُ خلفه هل يأتى ورائه أحد أم لا، من المراقبة و هى ملاحظة الأمر لئلا يقع ما يحذره الإنسان قالَ ضارعا إلى الله سبحانه يا رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان، و هم فرعون و آله.

[۲۳] وَ لَمَّا تَوَجَّهَ موسی علیه السّلام تِلْقاءَ أی حذاء و مقابل مَدْیَنَ أی صرف وجهه نحو «مدین» شعیب و هی مدینة سمیت باسم أول من مدّنها و هو «مدین بن إبراهیم» و لم تکن تلک المدینة تحت سلطان فرعون و کان بینها و بین مصر ثلاثة أیام- کما ورد- قالَ عَسی رَبِّی أی لعل الله سبحانه أَنْ یَهْدِیَنِی و یرشدنی سَواءَ السَّبِیلِ أی الطریق المستوی الموصل إلی المقصد، بأن لا أضل حیث المتاهة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۵

[سورة القصص (۲۸): الآیات ۲۳ الی ۲۴]

وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ یَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَیْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُکُما قالَتا لا نَسْقِی حَتَّی یُصْدِرَ الرِّعاءُ وَ أَبُونا شَیْخٌ کَبِیرٌ (۲۳) فَسَقی لَهُما ثُمَّ تَوَلَّی إِلَی الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ (۲۴)

و الهلاک، و کان هذا دعاء منه بلفظ الخبر.

[۲۴] و طوی اللیل و النهار حتی اقترب من المدینة وَ لَمَّا وَرَدَ وصل موسی علیه السّلام ماءَ مَدْیَنَ بئر کانت لهم یستقون منها أنعامهم و مواشیهم وَجَدَ عَلَیْهِ أی علی الماء أُمَّةً جماعة مِنَ النَّاسِ یَسْقُونَ أنعامهم و مواشیهم، و حذف مفعول السقی لأنه لا حاجة إلیه فی موضوع الکلام وَ وَجَدَ موسی علیه السّلام مِنْ دُونِهِمُ أی من خلفهم امْرَأَتَیْنِ تَذُودانِ ذاد بمعنی منع، أی تمنعان أغنامهما عن الورود علی الحوض فقد کرهتا الاشتراک مع الرجال، و أن تختلط مواشیهما بمواشی القوم، فکانتا تنتظران أن یذهب القوم ثم تسقیان الأغنام قالَ موسی علیه السّلام لهما ما خَطْبُکُما أی ما شأنکما و ما العلة فی عدم إسقاء أغنامکما مع القوم؟ قالَتا لا نَسْقِی عند المزاحمة مع الرجال حَتَّی یُصْدِرَ من أصدر إذا رجعت عن الماء ماشیتهم الرِّعاءُ جمع راع، و هو الذی یرعی الماشیة، أی ننتظر حتی یرجع الرعاة مواشیهم، فیبقی فضول الماء فی الحوض، فنسقی أغنامنا، ثم اعتذرتا عن إتیانهما و هما امرأتان قائلتین وَ أَبُونا شَیْخٌ کَبِیرٌ لا یطیق أن یخرج و یتولی السقی بنفسه، و لذا نحن نقوم مقامه.

[۲۵] فَسَقی موسی علیه السّلام الغنم لَهُما أی لأجلهما، بأن ساق الغنم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۶

[سورة القصص (۲۸): آیة ۲۵]

فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِی عَلَی اسْتِحْیاءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ ما سَقَیْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَیْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۲۵)

حتی شربت من الحوض، مع مواشی الناس ثُمَّ تَوَلَّی أی أعرض و رجع إِلَی الظِّلِ من حر الشمس، و جلس تحته و هو متعب جائع فَقالَ یا رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ أی إنی فقیر محتاج لما تنزله إلی من أقسام الخیر، الطعام و المأوی و الکنف المطمئن، فقوله، «لما» متعلق بقوله «فقیر» و «من خیر» للعموم، لأن الإنسان الغریب الفقیر الخائف یرید کل شیء لیهنأ و یستریح.

[۲۶] و قد کانت البنتان ترجعان کل یوم بعد مدة، و قد رجعتا الیوم قبل الموعد المقرر، فتعجب أبوهما من ذلک و سأل السبب؟ فأخبرتاه بقصة موسی علیه السّلام فقال لإحداهما علی به فَجاءَتْهُ أی جاءت إلی موسی إِحْداهُما و فی بعض التفاسیر أنها الکبری تَمْشِی عَلَی اسْتِحْیاءٍ أی مستحیة کما هی عادة النساء الخفرات إذا أردن الذهاب إلی رجل أجنبی للتکلم معه أو معاملته أو نحوهما، و لما وصلت إلی موسی قالَتْ له إِنَّ أَبِی شعیب یَدْعُوکَ أن تأتی إلیه لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ ما سَقَیْتَ لَنا أی لیعطیک جزاء سقیک لأغنامنا، و ذهب موسی معهما فَلَمَّا جاءَهُ أی جاء موسی إلی شعیب وَ قَصَ موسی علیه السّلام عَلَیْهِ أی علی شعیب الْقَصَصَ التی سبقت له من قتل القبطی و فراره من القوم لما أرادوا قتله و سائر أحواله فی مصر قالَ شعیب له لا تَخَفْ بعد هذا، فقد نَجَوْتَ و تخلصت

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۷

[سورة القصص (۲۸): الآیات ۲۶ الی ۲۷]

قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (۲۶) قالَ إِنِّی أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (۲۷)

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان، يريد فرعون و آله.

[۲۷] قالَتْ إِحْداهُما أی أحدی البنتين، و

قد ورد إن اسمهما «صفوراء»

«۱» يا أَبَتِ التاء عوض عن الياء، كما قال ابن مالک:

و في النداء أبت أمت عرض‌بعد النداء و من اليا، التاء عوض

اسْتَأْجِرْهُ أی اتخذه أجيرا، و لعلها أرادت إيجاره ليكفی عنهما شأن السقی إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ أی أن خير الأجراء الذی يكون قويا يتمكن من العمل، أمينا لا يخون المستأجر، و هذا تعريض بأن موسى قوی أمين، كقولک: قبّل يد زيد إن خير يد تقبل يد العالم الورع، تريد العريض بأن زيدا عالم ورع،

قال الإمام الكاظم عليه السّلام قال لها شعيب يا بنية هذا قوی قد عرفته برفع الصخرة، و الأمين من أين عرفتيه؟ قالت: يا أبت إنی مشيت قدامه فقال: امشی من خلفی فإن ضللت فأرشدينی إلی الطريق فإنا من قوم لا ننظر فی أدبار النساء

«۲».

[۲۸] قالَ شعيب عليه السّلام لما عرف موسى إِنِّی أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ أی أزوجک إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ اللتين رأيت سوادهما عَلى أَنْ تَأْجُرَنِی

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۳ ص ۵۸.

(۲) من لا يحضره الفقيه: ج ۴ ص ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۸

[سورة القصص (۲۸): آية ۲۸]

قالَ ذلِكَ بَيْنِی وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ (۲۸)

أی تكون أجيری، فإن الأجير يؤجر نفسه للمستأجر فی مقابل ثمن يأخذه، و الثمن هنا كان تزويج البنت، فقد جعل شعيب عليه السّلام مهر بنته عمل موسى عليه السّلام له ثَمانِيَ حِجَجٍ جمع حجة، و هی العام أی تعمل لی ثمان سنوات، و ثمان حجج ظرف زمان، أی تكون أجيری فی هذه المدة فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً بأن عملت لی عشر سنوات، مقابل تزويجی لک ابنتی فَمِنْ عِنْدِكَ أی أن السنتين الزائدتين تفضل من عندک، لا واجب عليک، و إن كنت راغبا فی ذلک، و المعنى من عندک تفضلا لا من عندی إلزاما وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ فی هذه السنوات الثمان، بأن أكلفک ما يشق عليک من الخدمة سَتَجِدُنِی يا موسى لدی معاشرتک لی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ فی السيرة و المعاشرة، و قيل للصالح صالح، لأنه يصلح للدنيا و الآخرة، ثم إن الظاهر من الآية كون ذلک كان جائزا فی شريعة شعيب، بأن يكون المهر للأب، و يحتمل أن يكون «على» بمعنى الشرط، و إنما كان المهر شيئا آخر، و على أی حال فقد كان ذلک لموسى عليه السّلام نعمة كبرى حيث يجد الزوجة، و الأهل و المأوی، و المعيشة، و

قد ورد أن موسى و فی بأبعد الأجلين، و إنها كانت هی التی ذهبت تدعوه إلی أبيها

«۱».

[۲۹] قالَ موسى عليه السّلام فی جواب شعيب ذلِكَ التزويج، بمقابل عشر

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۳ ص ۳۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۴۹

[سورة القصص (۲۸): آية ۲۹]

فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹)

سنوات بَيْنِي بأن أعمل أنّا وَ بَيْنَكَ بأن تزوج أنت، و كأن هذه الجملة لإبرام العهد، بمعنى أنّا لا نخرج عن ذلك الذى قلنا، إذ لو خرج أحدهما عن الشرط فكأنه لم يصر بين الطرفين، و إنما طرف مربوط بالموفى، و طرف آخر مقطوع لا يرتبط بأحد أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ أى المدتين و هما ثمان، و عشر سنوات قَضَيْتُ و عملت بطبقه فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ أى ليس ظلم على بأن أكلف أكثر من ذلك الذى أريد، و لا- أطالب بالزيادة وَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ أى نكله فى أن يشهد المعاقدة بيننا، حتى نعلم أنه وسط و شاهد، فمن أراد الخلف كان خلفا مع الله، إذ هو الموكل فى الأمر، حسب توكيلنا له.

[۳۰] و تزوج موسى عليه السّلام بالبنت، و خدم شعيب عشر سنوات فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ و وفى بما وعد من خدمة شعيب، هاجت به العاطفة نحو أمه التى خلفها فى مصر، فاستأذن شعيبا أن يزور أمه، فأذن له، فخرج من «مدين» وَ سارَ بِأَهْلِهِ أى مع زوجته، و لعلهما كانا يسيران فى اختفاء لئلا يظفر بهما فرعون، و فى ذات ليلة إذ الهواء بارد، و الليلة مظلمة، أخذ زوجته الطلق، فاحتاج إلى الغذاء و التدفئة و حينذاك آنَسَ أى رأى ما يوجب الأنس، و هو اطمئنان النفس و فرحها مِنْ جانِبِ الطُّورِ و هو صحراء فى الشام ناراً تشتعل، فسر بذلك لأنه قصد أن يذهب إليها، ظانا إن لها أهلا، فيستعين بهم فى حل مشكلته قالَ موسى عليه السّلام لِأَهْلِهِ أى لزوجته امْكُثُوا أى الزموا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۱۹۹

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۳۰ الى ۳۱]

فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (۳۰) وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (۳۱)

مكانكم لا تسيروا منه، حتى إذا رجعت لا أضل محلكم، و الإتيان بضمير الجمع لقصد الاحترام، كما هو الشائع فى كلام المتأدبين. إِنِّي آنَسْتُ ناراً أرى هناك نارا تشتعل، أذهب إليها لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها أى من النار بِخَبَرٍ لنذهب إلى أهلها، و نستعين بهم فى أمرنا، أو نسترشدهم الطريق أَوْ آتيكم ب جَذْوَةٍ أى قطعة مِنَ النَّارِ إذا لم يمكن السير إليها، لمحذور كعدم حسن الطريق أو ما أشبه لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ أى تستدفئون بها.

[۳۱] فَلَمَّا أَتاها أى وصل موسى قرب النار نُودِيَ و المنادى هو الله سبحانه، بأن خلق الصوت فسمعه موسى عليه السّلام مِنْ شاطِئِ أى جانب الْوادِ الْأَيْمَنِ صفة للشاطئ، أى الجانب الأيمن من وادى سيناء فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ أى القطعة من الأرض التى بوركت بنزول الوحى فيها مِنَ الشَّجَرَةِ التى كانت ثابتة هناك أَنْ يا مُوسى بيان ل «نودى» أى كان النداء هو؛ يا موسى إِنِّي المتكلم معك أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ أى خالقهم و مربيهم.

[۳۲] وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ أى اطرحها على الأرض من يدك، و قد ورد أن عصاه كانت من الجنة، و أعطاها شعيب له حينما أراد السفر، فألقاها موسى من يده، و إذا بها انقلبت حية عظيمة تسرع فى الحركة و القفز

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۱

[سورة القصص (۲۸): آية ۳۲]

اسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ (۳۲)

فَلَمَّا رَآها موسی علیه السّلام تَهْتَزُّ و تتحرک کَأَنَّها جَانٌّ و هی الحیۀ السریعۀ الحرکۀ، و قد کان التشبیه بها- مع إنها کانت کبیرۀ- لأجل سرعۀ حرکتها، فإن الحیۀ الصغیرۀ أسرع حرکۀ من الکبیرۀ- کما قالوا- وَلَّی أي أعرض عن الحیۀ، و أخذ یسرع فی الهرب منها مُدْبِراً فقد أعطاها قفاه و وجهه إلی جانب الصحراء، راکضا للفرار منها وَ لَمْ یُعَقِّبْ لم یرجع إلیها، و لم ینظر، کما هو شأن الخائف الفار، إنه لا یرجع و لا ینظر عقبه، لئلا یلحقه- فی هذه الفترۀ- الطلب و حینذاک نودی یا مُوسی أَقْبِلْ إلی نحو الحیۀ وَ لا تَخَفْ من ضررها إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ من شرها، فإنها معجزۀ لک و لیست حیۀ تؤذی.

[۳۳] ثم نودی ثانیا اسْلُکْ أي أدخل یا موسی یَدَکَ فِی جَیْبِکَ أي فی شق ثوبک الأعلی من طرف النحر تَخْرُجْ الید حین تخرجها بَیْضاءَ مشرقۀ کالشمس مِنْ غَیْرِ سُوءٍ أي بدون أن یکون ذلک البیاض من قبیل بیاض البرص، و إنما قید بهذا القید لاعتیاد أن بیاض الید، أو سائر الجسم إنما هو من البرص، و قد ورد إنه إذا أراد إرجاع الحیۀ عصا، أخذها، و إذا أراد إرجاع الید إلی حالتها السابقۀ، أدخلها ثانیا فی جیبه، فإذا أخرجها صارت کالسابق وَ اضْمُمْ یا موسی إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ و قد أخذ یرتعد و یرتعش من خوف

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۲

[سورة القصص (۲۸): الآیات ۳۳ الی ۳۴]

قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۳۳) وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ (۳۴)

الموقف، فنودی أن یضم یدیه إلی نفسه کالطائر الذی یضم جناحیه، فإن ذلک موجب لشدۀ الأعصاب فلا یرتعش الإنسان فالمراد من «جناحک» یدک، و معنی «من الرهب» لأجل الخوف الذی عرض علیک.

فَذانِکَ أي العصا، و الید البیضاء، و إنما جیء بالمذکر باعتبار المشار إلیه، و هو «برهان» بُرْهانانِ اثنان، و خارقتان تدلان علی نبوتک، و الکاف فی «ذانک» للخطاب مِنْ رَبِّکَ أي من طرفه سبحانه إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ أي جماعته إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ خارجین عن طاعۀ الله، و لذا احتیج إلی بعث الرسول إلیهم، و تزویده بالخارقۀ لیکون أقرب إلی التصدیق.

[۳۴] قالَ موسی علیه السّلام یا رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً و هو القبطی الذی قتله حینما تخاصم مع الإسرائیلی فَأَخافُ إن ذهبت إلیهم لأدعوهم أَنْ یَقْتُلُونِ أي یقتلوننی قصاصا.

[۳۵] وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فقد کانت فی لسان موسی عقدۀ، من جراء أن جعل الجمر علی لسانه فی صغره- فی قصۀ تقدمت- و قد دعا موسی علیه السّلام أن یزیلها بقوله: «وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِی» فأزالها سبحانه فَأَرْسِلْهُ مَعِی رسولا رِدْءاً أي معینا لی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۳

[سورة القصص (۲۸): الآیات ۳۵ الی ۳۶]

قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما بِآیاتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغالِبُونَ (۳۵) فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسی بِآیاتِنا بَیِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًی وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِی آبائِنَا الْأَوَّلِینَ (۳۶)

علی تبلیغ رسالتک، یقال فلان ردء فلان، أي ظهره و معینه و ناصره یُصَدِّقُنِی فیما أؤدیه من الرسالۀ إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ أي یکذبوننی فیما أدعیه من الرسالۀ، و الخوف یطلق علی المقطوع، کما یطلق علی المشکوک و المظنون.

[۳۶] قالَ الله سبحانه، فی جواب طلبه سَنَشُدُّ عَضُدَکَ أي نقویک بِأَخِیکَ فنجعله نبیا معک، و هذه استعارۀ تشبیها بشد بعض الأشیاء إلی بعض الموجب لتقویۀ الجمع حتی لا یؤثر فیها الکسر، و نسبۀ الشدّ إلی العضد لأن الإنسان یعمل بیده، و العضد مظهر القوۀ فی الید، و لو قیل سنشد یدک، کان بعیدا عن الذوق وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً أي سلطۀ و سیطرۀ علی فرعون و قومه، بالحجۀ و البرهان، فَلا

يَصِلُونَ أي فرعون و قومه إِلَيْكما بالإيذاء بسبب ما تزودان به من آياتنا الخارقة كالعصا، و اليد، و غيرهما، و هذا في جواب قول موسى «فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» أَنْتُما يا موسى و هارون وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا من المؤمنين الْغالِبُونَ على فرعون و أتباعه.

[۳۷] و رجع موسى عليه السّلام إلى أهله يخبرهم بما كان من أمر النار، و قد سهل الله لهم الأمر، حتى سارا و وصلا إلى مصر، و أخبر هارون بقدوم موسى، إذ كان في ذلك الوقت في مصر، فأوحى الله إليه و جعله نبيّا، ثم جاءا إلى فرعون فَلَمَّا جاءَهُمْ أي فرعون و قومه مُوسى و أخوه بِآياتِنا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۴

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۳۷ الى ۳۸]

وَ قالَ مُوسى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۳۷) وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ (۳۸)

الدالة على نبوته بَيِّناتٍ أي واضحات ظاهرات قالُوا عن الآيات ما هذا الذي أتيت به من أنواع الخارقة إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً أي أنت اختلقته و نسبته إلى الله سبحانه، و ليس هناك إله أعطاك هذه الأمور وَ ما سَمِعْنا بِهذا الذي تقوله من وجود الإله، و ما أعطيته دليلا على نبوتك فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ أي لم يظهر فيهم بمثل هذا، حتى ينقل إلينا، و نسمعه، فهو أمر جديد مختلق.

[۳۸] وَ قالَ مُوسى في جواب تكذيبهم رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ فإن هذا من عند الله، و ليس افتراء، و هو هداية لا سحر، و الله يعلم ذلك، و لو كان افتراء و ضلالا حال بيني و بينه حتى لا أكون سببا للإضلال وَ ربي أعلم ب مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ و هذا تعريض بهم بأن العاقبة الحسنة لنا لا لكم إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ أي لا يفوزوا بعاقبة الدار، و قوله عليه السّلام «و من تكون» تهديد، يعني إنكم إن لم تؤمنوا تكون عاقبتكم سيئة، و نسبة العاقبة إلى الدار من باب النسبة إلى المكان مجازا، و المراد عاقبة الإنسان في الدار، أو المراد آخر الدار، فالنسبة حقيقة.

[۳۹] و لما انقطع فرعون عن الاحتجاج مع موسى التفت إلى قومه يحفظهم عن السير مع موسى و يقويهم ليبقوا على باطلهم وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۵

[سورة القصص (۲۸): آية ۳۹]

وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ (۳۹)

الأشراف من قومي ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فلا إله إلا أنا، ثم توجه إلى وزيره هامان فقال فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ أي أجج النار و اصنع الآجر، فإن الطين سواء أو قد تحته أو فوقه طبخ و صار أقوى في البنيان فَاجْعَلْ لِي أي ابن لي صَرْحاً أي قصرا عظيما مشيدا من الآجر، ليكون أقوى استحكاما لَعَلِّي اصعد عليه و أَطَّلِعُ أي أشرف من فوق القصر إِلى إِلهِ مُوسى فقد أراد أن يلبس على العوام أن إله موسى في الأرض فإذا صعد الإنسان السطح العالي أشرف عليه حتى يراه و يعرف مزاياه وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ أي أظن موسى مِنَ الْكاذِبِينَ في مقاله أن للكون إلها، و أنه رسوله، و الإتيان بلفظ «لأظنه»، للتلبيس على الناس بأنه منصف حتى أنه لا يقول الكلام الخشن، بل الكلام المنصف المريد العثور على الواقع.

[۴۰] وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ أي فرعون وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ أي ترفعوا أنفسهم فوق مقدارها بِغَيْرِ الْحَقِ أي ترفعا بالباطل، في مقابل ترفع الإنسان عن الدنايا، فإنه ترفع بالحق وَ ظَنُّوا بأن لم يكونوا متيقنين بل ظانين أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ في الحشر حتى نحاسبهم على أعمالهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۶

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۴۰ الى ۴۱]

فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (۴۰) وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ

(۴۱)

[۴۱] فَأَخَذْناهُ تعظيم للعذاب، و تحقير له حتى كأنه يؤخذ باليد وَ جُنُودَهُ الذين ظاهروه على الكفر و الطغيان فَنَبَذْناهُمْ أى طرحناهم- بكل مهانة كمن يأخذ جرادة و يطرحها فى مهلكة- فِي الْيَمِّ أى فى البحر، و هو البحر الأحمر فى مصر الموجود إلى الآن فَانْظُرْ يا رسول الله، أو كل من يتأتى منه النظر، و المراد بالنظر الاعتبار و العلم كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان، و هذا تصديق لقوله تعالى (مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) «۱».

[۴۲] وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً جمع إمام، أى مقتدون للناس، و نسبة الجعل إليه سبحانه باعتبار أنه خلقهم و هيئ الأشياء و الأسباب لهم، و لم يمنعهم منعا تكوينا عن أعمالهم يَدْعُونَ الناس إِلَى النَّارِ فإن الدعوة إلى الكفر و المعاصى دعوة إلى النار، و هذا كما يقول الملك «جعلت فلانا مثالا للعصيان و محلا للمتمردين» يريد أنه لم يضرب على يده و لم يأخذه وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ عن النار، فإنهم يدخلونها أذلاء، كما لم ينصروا هنا عن الغرق، بل أغرقوا فى اليم، فليعلم أتباعهم إنهم معذبون فى الدنيا و الآخرة.

---

(۱) الأنعام: ۱۳۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۷

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۴۲ الى ۴۴]

وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (۴۲) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولى بَصائِرَ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۳) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (۴۴)

[۴۳] وَ أَتْبَعْناهُمْ أى أردفنا بعقبهم فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم و البراءة منهم، و جعلناهم بعداء عن الخير و السعادة طرداء عن الرحمة وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ فهنا لك لهم القبح و الخزى و العار و المقت و النار.

[۴۴] ثم يأتى السياق ليؤكد سنّة الله فى إهلاك الكافرين، كما أهلك فرعون و من قبله وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا مُوسَى الْكِتابَ أى التوراة مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولى حيث كذبوا أنبياءهم، مثل قوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم و المراد بإتيان الكتاب: الإرسال، أى كان إرسال موسى بعد إهلاك المجموع المكذبين بَصائِرَ لِلنَّاسِ أى فى حال كون الكتاب براهين تبصر الناس أمور دينهم و دنياهم، و إنما أوتى بلفظ الجمع، باعتبار الجمل التى فى الكتاب وَ هُدىً يهدى إلى الحق وَ رَحْمَةً موجبا لرحمة الناس، فإن من عمل بالكتاب يرحمه الله سبحانه لَعَلَّهُمْ أى لعل قوم موسى يَتَذَكَّرُونَ ما أودع فيهم من الفطرة حول الأصول و الآداب، فقد أودع فى فطرة الإنسان المبدأ و المعاد و الرسالة- إجمالا- كما أودع فيه حسن الأشياء الحسنة و قبح الأشياء القبيحة.

[۴۵] و إنك يا رسول الله إنما تنقل هذه القصص بوحى من الله، و إلا لم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۸

[سورة القصص (۲۸): آية ۴۵]

وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (۴۵)

تكن حاضرا فى تلك الأزمنة حتى تشاهدها بعينك، ثم تحكيها، و إنما هى دالة على أنك نبى، و إلا فمن أين يعلم من لم يقرأ و لم يكتب و لم يشهد وقت القصة، التفاصيل و المزايا؟ وَ ما كُنْتَ يا رسول الله بِجانِبِ الْغَرْبِي أى بجانب الجبل الواقع فى طرف الغرب و هو جبل طور الذى كلم الله فيه موسى و أعطاه التوراة إِذْ قَضَيْنا أى أرسلنا و عهدنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ بإعطائه الكتاب و الشريعة وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ الحاضرين فى ذلك الزمان مع بنى إسرائيل لتعرف عن مشاهدة قضايا موسى عليه السّلام التى تنقلها فى القرآن.

[۴۶] و لكن إخبارك إنما هو عن الوحى، و إنما أوحينا إليك لأن الرسل قد انقطعوا، و رجعت الناس إلى الضلالة، فأرسلناك و أوحينا إليك بهذه الأخبار وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً و أجيالا جديدة بعد عهد النبوات السابقة فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أى ابتعد عنهم قضايا تلك

الأزمنة السابقة، لأن تطاول عمر الأجيال يستلزم نسيان الأنباء القديمة التى تدل على نصرة الله للأنبياء و إهلاكه للظالمين، فقوله «تطاول» من باب إقامة السبب مقام المسبب، لأن المراد به «نسيان الأمور السابقة».

و حيث أن هذا الجيل المعاصر لك، لا يعلمون الأمور، و ينكرون الألوهية الصحيحة و المعاد و أرسلناك إليهم لتذكرهم، و تذكرتك عن الوحى، و إلا لم تكن أنت مع موسى، و لا مع قومه وَ ما كُنْتَ يا رسول الله ثاوِياً أى مقيما فِي أَهْلِ مَدْيَنَ شعيب، حتى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۵۹

[سورة القصص (۲۸): آية ۴۶]

وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۶)

تَتْلُوا عَلَيْهِمْ على أهل مكة آياتِنا التى سبقت فى أهل مدين، حتى تكون أخبارك عن قضايا مدين لأنك شاهدتها بعينك و كنت مقيما فى تلك المدينة فى زمان شعيب وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ لك و بالوحى نعلمك تلك القضايا حتى تقرأها على قومك حجة على صدقك، و لقائل أن يقول فمن أين يعلم أهل مكة صدق الرسول؟ و الجواب إنهم يعلمون ذلك باستحضار الأخبار من أهل الكتاب، كما قال (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) «۱».

[۴۷] وَ ما كُنْتَ يا رسول الله بِجانِبِ الطُّورِ الذى صار موسى فيه نبيا إِذْ نادَيْنا موسى فقد كان لموسى ميقاتان، الأول حين أرسل رسولا إلى فرعون و الثانى حين أرسل إليه الكتاب بعد إهلاك فرعون و خروجهم من مصر وَ لكِنْ كان إخبارك عن تلك الأحوال رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تفضل بها عليك حيث جعلك رسولا، و على أمتك حيث أرسلك إليهم لِتُنْذِرَ قَوْماً هم أهل مكة، تخوفهم من الكفر و المعاصى ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ فإن جيل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يبعث فيهم نبى قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ما أودع فيهم من الفطرة فيرجعوا عن غيّهم و ضلالهم، بسبب القرآن الهادى لهم إلى ما

---

(۱) النحل: ۴۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۰

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۴۷ الى ۴۸]

وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۴۷) فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ (۴۸)

أودع فى فطرتهم.

[۴۸] ثم قال سبحانه إنه لو لا عدم إتمام الحجة على هؤلاء من قومك لما أرسلناك إليهم، أما حيث إنهم ابتعدوا عن النبوات السابقة، و غمرهم الجهل، أرسلناك إليهم وَ لَوْ لا- أَنْ تُصِيبَهُمْ أى تصيب قومك مُصِيبَةٌ من العقاب بسبب ما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من الكفر و المعاصى فَيَقُولُوا محتجين على الله فى أن عاقبهم بدون إتمام الحجة: يا رَبَّنا لَوْ لا أى هلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا يدعونا إلى الحق حتى لا نعصى فنستحق العقاب فَنَتَّبِعَ آياتِكَ و ما أنزلت و أمرت وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ و جواب «لو لا» محذوف أى لو لا عدم تمام الحجة عليهم، لم نرسلك، أما و إنهم لم تتم الحجة عليهم لبعدهم عن الأنبياء، فقد أرسلناك و ها هم يعاندون و لا يؤمنون، و هناك قول آخر بأن جواب «لو لا» «لجعلنا لهم العقاب» إنهم كانوا يقولون هكذا لو لم نرسل، و عذبناهم، فها نحن قد أرسلنا، و لم يؤمنوا.

[۴۹] فَلَمَّا جاءَهُمُ أى جاء أهل مكة الْحَقُّ الذى هو الرسول و القرآن مِنْ عِنْدِنا حيث أرسلنا الرسول و أنزلنا القرآن قالُوا تبريرا لموقفهم ضد الرسول لَوْ لا أى هلا أُوتِيَ محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى لو كان هذا نبيا لأتى بمثل معاجز موسى من فلق البحر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۱

[سورة القصص (۲۸): آية ۴۹]

قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۹)

و العصا و اليد و غيرها.

فهل إنا لو أعطيناك مثل ما أعطينا موسى أ كانوا يقبلون؟ كلا! و الشاهد على ذلك إن الناس الذين هم من جنس هؤلاء كفروا بمعاجز موسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى من الخوارق و المعاجز؟ مِنْ قَبْلُ أى من قبل إرسالك قالُوا سِحْرانِ مبالغة فى كونهما ساحرين، مثل زيد عدل، أى قالوا إن موسى و هارون ساحران تَظاهَرا صار أحدهما ظهر الآخر و عونه وَ قالُوا إِنَّا بِكُلٍ منهما كافِرُونَ و لو فرض أن النبى جاء بمثل تلك المعاجز قالوا فيها ما قالوا لموسى و هارون، بالإضافة إلى أنهم لم يدركوا أن المعجزة يجب أن تلائم أهل الزمان، و لذا جاء موسى بتلك المعاجز حيث كثر فى زمانه السحر، و جاء عيسى بالإحياء و الإبراء، حيث كثر فى زمانه الطب، و جاء الرسول بالقرآن حيث كثر فى زمانه الفصاحة و البلاغة- كما ذكر مفصلا فى علم الكلام-.

[۵۰] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار الذين لا يقبلون منك القرآن و يريدون إعجازا مثل عصا موسى فَأْتُوا أى هاتوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أى أكثر هداية من التوراة و القرآن حتى أَتَّبِعْهُ و آخذ بأحكامه إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى أن القرآن لا يكفى للهداية، و إنما يجب أن يكون خارق حتى نهتدى بك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۲

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۰ الى ۵۲]

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵۰) وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۵۱) الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (۵۲)

[۵۱] فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا أى هؤلاء الكفار لَكَ يا رسول الله، بأن لم يتمكنوا من إتيان كتاب هو أهدى من القرآن فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ فإنهم يكفرون بالقرآن عن هوى و ميل نفس لا عن حجة و برهان، فقد انسد عليهم باب البرهان وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ أى لا أحد أكثر ضلالا منه، حيث يترك أحكام الإله و يتبع الهوى، و قوله «بغير هدى» تأكيد، فهو جانب السلب من القصة و إذا أريد بالتأكيد جىء بالجانبين، فيقال: زيد يسمع كلام الشيطان و لا يسمع كلام الرحمن- مثلا- و اعلم: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي إلى الإيمان الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين عاندوا الحق بعد ما رأوه، فإنه لا يلطف بهم الألطاف الخفية بل يتركهم و شأنهم.

[۵۲] وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ أى جئنا بآية بعد أخرى، متصلة الآيات لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ما أودع فيهم من الفطرة، فإن لدوام الوعظ و الإنذار أثرا فى التذكير و الإيقاظ.

[۵۳] الَّذِينَ آتَيْناهُمُ أى أعطيناهم الْكِتابَ إعطاء بسبب الأنبياء عليهم السّلام، و قد أخذوه حق الأخذ مِنْ قَبْلِهِ أى من قبل الرسول، أو من قبل القرآن هُمْ بِهِ أى بالرسول أو بالقرآن يُؤْمِنُونَ لأنهم يعرفون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۳

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۳ الى ۵۴]

وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (۵۳) أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۵۴)

الرسول، و قد تهيأت نفوسهم للإيمان حيث لا يتبعون الأهواء، أما من لا يؤمن من أهل الكتاب فكأنه لم يعط الكتاب، إذ غير العامل به و الذى لم يعط على حد سواء، و

قد ورد أن الآية نزلت فى جماعة من مؤمنى أهل الكتاب

«۱».

[۵۴] وَ إذا يُتْلى القرآن عَلَيْهِمْ أى على أهـل الكتاب المؤمنين قالُوا آمَنَّا بِهِ أى بالقرآن إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا ليس باطلا اختلقه الرسول كما يقول المشركون إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ أى قبل نزوله مُسْلِمِينَ حيث رأينا صفات النبى فى التوراة و الإنجيل.

[۵۵] أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أى يعطيهم الله أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ مرة لتمسكهم بـدينهم حتى جاء الرسول، و مرة لإيمانهم بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بِما صَبَرُوا أى بسبب صبرهم على الإيمان بالكتاب الأول، و بالقرآن وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أى يدفعون بالأعمال الحسنة السيئات، إن هـذا فوق الصبر فـإنهم إذا رأوا سيئة، لم يصبروا عليهـا فحسب، بـل دفعوهـا بالحسـنة، كمـا قال سـبحانه (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) «۲» وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فى سبيل الله سبحانه، و الرزق أعم من المال و العلم و الجاه و سائر ما أعطى الله الإنسان- و إن كان المنصرف هو المال-.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۶۴ ص ۲۶۴.

(۲) المؤمنون: ۹۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۴

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۵ الى ۵۶]

وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ (۵۵) إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۵۶)

[۵۶] وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أى الهزء و السفه من الكلام و اللغو الذى لا فائدة منه أَعْرَضُوا عَنْهُ أى عن ذلك الكلام، و لم يقابلوه بالمثل، و لم يخوضوا مع اللاغين فى اللغو وَ قالُوا لأولئك اللاغين لَنا أَعْمالُنا و ديننا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ و دينكم فكل منا يجازى على أعماله سَلامٌ عَلَيْكُمْ فأنتم فى سـلام و أمن من ناحيتنا لا نقابلكم بالمثل و لا نقصد لكم سوء لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ أى لا نطلب مجالستهم و معاونتهم و التخاصم معهم، و إنما هم فئة، و نحن فئة.

[۵۷] و بعد ما بين السياق إن أهل الكتاب يؤمنون بهذا القرآن، بين إن الكفار الذين لا يؤمنون ليس على الرسول حسابهم، حتى يجهد نفسه لكى يهديهم، بل إنما عليه البلاغ إِنَّكَ يا رسول الله لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ أى لا تتمكن من هداية من تحب أن يهتدى من الناس، فإن الرسول كان يحب هداية عمه أبى لهب و غيره من أشـراف قريش، بل الناس أجمعين، و لكنه لم يكن يتمكن من ذلك، و المراد بالهدايـة العمل الذى يجبرهم على الإسـلام، لا مجرد إرائة الطريق، وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ بأن يلطف به الألطاف الخفية حيث يراه مسـتعدا للإيمان مهيأ نفسه للإذعان، فإرائـة الطريق من الله و الرسول، عامـة لكل أحد أما الألطاف الخفية فالرسول لا يقدر عليها، و الله قـادر عليهـا لكنه إنمـا يلطف بهـا على من أعـد نفسه و أخـذ يأتى فى الطريق. و ممن تنطبق هـذه الآيـة الكريمـة عليه هو «سـيد قطب» صاحب كتاب «فى ظلال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۵

القرآن» الذى لم يهتد بنور الإيمان إذ ملأ قلبه بالحقد و الغل للرسول و آله و ذويه، فتراه فى عرض تفسـير و طوله، ينتقص من الرسول و عمه و سـائر ذوى قرابته، فى لفـائف من الكلام المزيف، بالتقليـد الأعمى عن الأمويين أعـداء الله و الرسول، و الشـجرة الملعونـة فى القرآن، فقـد أخـذ يطبق هـذه الآيـة الكريمة على أبى طالب، مع أنه قد ورد من طرق العامة و الخاصة أن أبى طالب من أول المؤمنين بالرسول، و هو القائل:

و لقد علمت بأن دين محمدمن خير أديان البرية دينا

و لو كان أبو طالب أبا لأحـد كبرائهم لأهالوه بمقام الملائكـة المكرمين، لكن ذنبه الوحيـد أنه أبو على أمير المؤمنين، و ماذا يقال فى

من يطبق آية «عبس و تولى» على رسول الله، ليبرئ ساحة عثمان الذى وردت فيه الآية عن التولى؟ و هكذا و هلم جرا، و قد صدق الله سبحانه حيث يقول «إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ» و هل من محمل لعمل من يخوض دقائق الأمور، فيعرف الشعرة فى الليل المظلم، ثم لا يرى الشمس الضاحية فى وسط السماء، إلا العناد، و انه استحق عليه كلمة العذاب؟. و قد كنت أريد أن أنزه هذا السفر عن مثل هذه الأمور لكن غلو «قطب» جرنى إلى ذلک فإنه أتى بكل ما لفقته الأموية النكراء، و لكن فى لفائف حريرية، و قفازات براقة، فيظن الغير أنه برئ عن العصبية الجاهلية (وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) «۱» «۲» وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أى القابلين للهداية، أو الذين

(۱) الشعراء: ۲۲۸.

(۲) راجع كتاب «مؤمن قريش» للاستاذ الخنيزى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۶

[سورة القصص (۲۸): آية ۵۷]

وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۵۷)

اهتدوا فيجازيهم حسب علمه.

[۵۸] و لقد كان من أعذار كفار مكة، فى عدم إيمانهم، أنهم إن آمنوا بالرسول، يسلب مقامهم، لأن القبائل المجاورة، لا تخضع لهم بعد ذلک، فيكونون مجبورين أن يخرجوا من هناک إلى حيث يتمكنون من العيش، و هذا هو الخطف، فإن الخاطف قد يكون إنسانا، و قد يكون تقديرا، كذا ذكر بعضهم، و ذكر بعض أنهم خافوا أن يختطفهم فارس و الروم إن علموا باختراع العرب دينا جديدا و منهجا جديدا، و

قد روى عن السجاد عليه السّلام إن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: و الذى نفسى بيده لأدعون إلى هذا الأمر الأبيض و الأسود و من على رؤوس الجبال، و لجج البحار و لأدعون إليه فارس و الروم، فتجبّرت قريش و استكبرت و قالت لأبى طالب: أما تسمع إلى ابن أخيک ما يقول؟ و الله لو سمعت بهذا فارس و الروم لاختطفتنا من أرضنا و لقلعت الكعبة حجرا حجرا فأنزل الله تعالى هذه الآية «۱» وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَکَ يا رسول الله بأن نؤمن كما تقول نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أى نستلب من أرض مكة، فيأخذوننا الناس أسراء و لا طاقة لنا بهم أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً؟

أى ألم نجعل لهم مكانا آمنا هو الحرم، و هم كافرون، فمن يقدر على هذا يقدر على ان يأمنهم إذا أسلموا يُجْبى إِلَيْهِ أى يؤتى إليه و يجلب نحو محلهم ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ من الفواكه، و الصنائع، و أنواع الأقمشة، و غيرها، فإن مكة حيث كانت مطافا للعرب، كانت تروج

(۱) روضة الواعظين: ج ۱ ص ۵۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۷

[سورة القصص (۲۸): آية ۵۸]

وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها فَتِلْکَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ (۵۸)

أسواقها بثمرات الجزيرة، و ثمرات الشام و اليمن، التى كانت ثمارها أيضا تجبى- بدورها- من الهند و الصين و الروم و غيرها رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا نرزق به أهل مكة وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ أنا قدّرنا لهم هذا التقدير بأن جعلنا محلهم أمنا، و رزقهم وفرا. فإذا آمنوا كانوا أحق بذلک، و قد صدق الله سبحانه، فقد دل التاريخ- و الذى نشاهده الآن- إن أهل مكة منذ أن آمنوا قويت مكانتهم أكثر و صار الأمن و الرزق فيهم أوفر.

[۵۹] أما إن بقوا على هذه الحالة ففى ذلك الوقت يختطفون بالهلاك و العذاب، و تقل أرزاقهم، كما كان كذلك القرى التى لم تؤمن، و انحرفت عن جادة الصواب وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ أى أهل قرية، بعلاقة الحالة و المحل، و لأن إهلاك الأهل مستلزم لإهلاك نفس القرية بخرابها بَطِرَتْ مَعِيشَتَها البطر هو الطغيان عند النعمة، أى طغت فى المعيشة، فالمعيشة منصوبة بنزع الخفض و المعنى أعطيناهم المعيشة الواسعة، فجرتهم تلك إلى أن يكفروا من باب (إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى «۱» فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ التى يمر عليها المارة فى طرف الشام، و طرف اليمن، كأراضى لوط، و شعيب، و صالح لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا فقد انقرضوا بالهلاك، و باءت قراهم بالخراب، فلم يسكن فى بلادهم إلا نفر قليل من الناس الذين جاءوا من بعدهم

---

(۱) العلق: ۷ و ۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۸

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۹ الى ۶۰]

وَ ما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ ما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى إِلاَّ وَ أَهْلُها ظالِمُونَ (۵۹) وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۶۰)

وَ كُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ لديارهم فلم يكن وارث يرث الأرض منهم، و لذا بقيت كسائر الأراضى لا مالك لها إلا الله سبحانه.

[۶۰] وَ ما كانَ رَبُّكَ يا رسول الله مُهْلِكَ الْقُرى التى تكفر و تعصى الله حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها المركز لها رَسُولًا يقيم الحجة عليهم يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا الدالة على المعارف و أصول الدين، فإذا أعرضوا عن الرسول، و لم يؤمنوا استحقوا الهلاك و النكال وَ ما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى أصله «مهلكين» حذف النون للإضافة إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ أنفسهم بالكفر و العصيان فالهلاك معلول لأمرين، الأول ظلم أهل القرية، و الثانى إتمام الحجة عليهم ببعث الرسول.

[۶۱] فلا تغترّوا أيها الناس بالحياة الدنيا التى تصدكم عن الإيمان، لأجل المال و المنصب و التقليد و ما أشبه وَ ذلك لأن ما أُوتِيتُمْ أى أعطيتم مِنْ شَيْءٍ من الزخارف فهو متاع الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها أى هو شىء تتمتعون به فى هذه الحياة القريبة و تتزينون به وَ ما عِنْدَ اللَّهِ أى الجنة، و المراد بكونها عند الله، إن الله هيّأها للصالحين خَيْرٌ من هذه النعم وَ أَبْقى أى هى أكثر بقاء أَ فَلا تَعْقِلُونَ ألا تتفكرون بعقولكم حتى تميزوا بين الآخرة الباقية، و الدنيا الفانية؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۶۹

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶۱ الى ۶۳]

أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (۶۱) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۶۲) قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ (۶۳)

[۶۲] أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً أى الذى وعدناه بالجنة، و هو المؤمن فَهُوَ لاقِيهِ أى نفى له بالوعد، فيلاقى الشىء الحسن الموعود به كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا أى كالذى متع بمتاع هذه الحياة فقط ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أى يحضر للعقاب و الجزاء، فهل هذا و ذاك متساويان؟ فكما أن متع الحياة لا تتساوى مع ما عند الله كذلك لا يتساوى المؤمن الذى وعد بالخير، و غيره الذى يحضر لأجل العذاب، و إنما يطلق «المحضر» على من حاله سىء إذ الذى علم أن حاله حسن لا يحتاج إلى الإحضار، بل يحضر هو بنفسه.

[۶۳] وَ اذكر يا رسول الله يَوْمَ يُنادِيهِمْ أى ينادى الله الكفار و المراد يوم القيامة فَيَقُولُ الله لهم على نحو استفهام تقريعى أَيْنَ شُرَكائِيَ أى من جعلتموهم شركاء لى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ إنهم شركاء لى؟ لقد ذهب الشركاء، فلا شريك هناك، و عنت الوجوه للحى القيوم.

[۶۴] و إذ يرى قادة الكفار إن ذنب أتباعهم يلقى على عواتقهم، يتبرءون منهم، قائلين إنهم لم يقسروهم على الكفر، و إنما هم تبعوهم فى الغواية قالَ الكفار الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ أى ثبت عليهم قول الله سبحانه الذى وعد الكفار بالنار، و المراد ب «الذين» الرؤساء، يا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۰

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶۴ الى ۶۵]

وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ (۶۴) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (۶۵)

رَبَّنا هؤُلاءِ أتباعنا الَّذِينَ أَغْوَيْنا هم عن الطريق و أضللناهم أَغْوَيْناهُمْ لا بقسر منا، بل كَما غَوَيْنا نحن بلا قسر أحد فليس تبعة أعمالهم علينا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ منهم و من أفعالهم ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ فهؤلاء ليسوا عبّادا لنا، و علينا تبعتهم، بل عبدوا الشياطين و أطاعوهم فلا قسرناهم، و لا عبدونا، و لذا لا نتحمل تبعة أعمالهم.

[۶۵] وَ قِيلَ و القائل من جانب الله سبحانه ادْعُوا أيها الأتباع شُرَكاءَكُمْ أى الأصنام و القادة الذين جعلتموهم لله سبحانه شركاء، حتى ينجوكم من العذاب، و إنما أضيف الشركاء إليهم، لما تقرر من أنه يكفى فى الإضافة أدنى ملابسة فَدَعَوْهُمْ و تضرعوا إليهم حتى ينجوهم من العذاب فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا أى المتبوعين لَهُمْ أى للأتباع وَ رَأَوُا الْعَذابَ بعد ما لم يجدوا ناصرا و شافعا لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ فى الدنيا، لم يروا العذاب، أو هو حكاية كلامهم هناك، فإن المستلزم من عمل و قد فات الأوان يقول: لو إنى فعلت كذا، أى لم أقع فى هذا المحذور.

[۶۶] وَ اذكر يا رسول الله يَوْمَ يُنادِيهِمْ أى ينادى الله الكفار فَيَقُولُ لهم ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ أى ما كان جوابكم للذين أرسلوا إليكم من النبيين؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۱

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶۶ الى ۶۸]

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ (۶۶) فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (۶۷) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۶۸)

[۶۷] فَعَمِيَتْ أى اختفت كالأعمى الذى يختفى عليه الطريق عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ أى الأخبار، يعنى صارت الأخبار كالعميان الذين لا يهتدون يَوْمَئِذٍ أى يوم القيامة، حتى أنهم لا يدرون ماذا يقولون فى جوابه سبحانه إن قالوا الصدق عوقبوا، و إن قالوا الكذب فضحوا؟ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب المنجى، إذ الإنسان المحسن يأتى بالجواب، و الشاك يتساءل، أما المجرم الذى يعلم أن جرمه لا يخفى، و أن إقراره فضيحة، فهو لا يجيب و لا يتساءل عن زملائه كيف يجيب؟.

[۶۸] هكذا حال المكذبين، رؤساء و أتباعا فَأَمَّا غيرهم ف مَنْ تابَ عن الكفر و العصيان وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً أى عملا صالحا، بأن أطاع فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ أى لعله يكون فائزا، و إنما جىء ب «عسى» لأن المؤمن العامل بالصالحات، لا يدرى هل يبقى على الإيمان، أم تكون عاقبة أمره خسرا.

[۶۹] و قد تقدم أن الكفار كانوا يقولون إن نتبع الهدى نتخطف من أرضنا، فهل لهم أن يختاروا طريق الأمن و السعادة، فى الدنيا أو فى الآخرة؟

كلا! إن الاختيار لله وحده، كما أنه ليس للكفار أن يختاروا قادة ضلّالا، فإن اختيار القادة بيد الله، و بأمره تنصب الرؤساء للدين و الدنيا، كما أن جميع النعم منه، فله كل حمد وَ رَبُّكَ يا رسول الله يَخْلُقُ ما يَشاءُ و هذا تمهيد لقوله وَ يَخْتارُ فإن من له الخلق هو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۲

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶۹ الى ۷۱]

وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (۶۹) وَ هُوَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۷۰)
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ (۷۱)

الذی له الاختيار، إذ كيف يمكن أن يخلق و يملك شخص، و يكون الاختيار بيد غيره؟ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ أی ليس للكفار أن يختاروا لأنفسهم، كما كانوا يختارون الكفر خوفا من الاختطاف، و الخيرة، اسم من الاختيار، أقيم مقام المصدر سُبْحانَ اللَّهِ أی أنزه الله تنزيها عن أن يكون أعطى الاختيار بيد الناس، حتى يعملوا كيفما يشاءون وَ تَعالى أی ترفع، و المعنى أنه أرفع عَمَّا يُشْرِكُونَ فليست الأصنام شركاء له سبحانه، و ليس لهم أن يختاروها آلهة.

[۷۰] وَ رَبُّكَ يا رسول الله يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ فهو الخالق الذی يختار العالم بالضمائر وَ ما يُعْلِنُونَ أی ما يخفون و ما يعلنون.

[۷۱] وَ هُوَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا شريك له فی خلق أو اختيار أو علم بما فی الكون لَهُ الْحَمْدُ أی أنه هو المستحق الوحيد للحمد، إذ جميع النعم منه فِي الْأُولى أی الدنيا وَ الْآخِرَةِ لأن خيراتهما بيده لا بيد من سواه فيستحق بعض الحمد وَ لَهُ الْحُكْمُ أن يحكم و يشرع ما يشاء وَ إِلَيْهِ أی إلى جزائه تُرْجَعُونَ أيها البشر، بعد الموت، فكيف يتخذ غيره مما لا ميزة من هذه الميزات له إلها يعبد، و شريكا له فی الألوهية؟.

[۷۲] ثم ألفت السياق إلى جملة من الآيات الكونية التی يذعن الكفار أنها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۳

[سورة القصص (۲۸): آية ۷۲]

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (۷۲)

ليست مربوطة بالأصنام، ليبرهن بذلك لزوم التوحيد فی العبادة، و بطلان الشرك قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار المشركين أَ رَأَيْتُمْ أی أخبرونی إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً أی دائما أبدا، بحيث لم تطلع الشمس أبدا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ بأن وقفت الأفلاك عن الحركة مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ؟ أی بنور يضیء لكم الأرض كضوء الشمس أَ فَلا تَسْمَعُونَ أيها الكفار إلى هذا الأمر؟ و ماذا جوابكم؟ و بالطبع يقولون لا إله سواه يأتی بالنهار، فلما ذا يجعلون غيره شريكا له؟.

[۷۳] ثم قُلْ يا رسول الله لهم أَ رَأَيْتُمْ أی أخبرونی إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً أی باقيا دائما إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ بأن بقيت الشمس على أفقكم فلم تزل مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ بأن يزحزح الشمس حتى يأتی الليل تَسْكُنُونَ فِيهِ أی تستريحون فيه و تجعلونه وقتا لمنامكم و راحتكم أَ فَلا تُبْصِرُونَ أيها الكفار المشركون إلى هذه الآية العظيمة، ليل و نهار و كلاهما بيد الله؟ و هل من شركائكم من يقدر على ذلك؟ و إذ كان الجواب الطبيعی عدم قدرة أحد على ذلك فلما ذا اتخذتم شركاء لله، و هم لا يقدرون على شیء؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۴

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۷۳ الى ۷۵]

وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۷۳) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۷۴) وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۷۵)

[۷۴] ثم من جعل الليل و النهار؟ وَ مِنْ رَحْمَتِهِ تعالى، لا من أثر غيره من الآلهة الباطلة جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ بأن خلقهما، فإن الظلمة كسائر الأشياء مخلوقة، إلا أن يقال أنها عدم و العدم غير مخلوق، و إنما جعله بجعل ضده و هو النهار- بأن يكونا من باب العدم و الملكة- لِتَسْكُنُوا فِيهِ أی فی الليل وَ لِتَبْتَغُوا أی تطلبوا الرزق و المعاش مِنْ فَضْلِهِ تعالى، فی النهار، أو أن «فيه» يرجع إليهما باعتبار كل واحد، و كذلك «لتبتغوا»، فإن الإنسان ينام بعض النهار، كما يكتسب فی بعض الليل وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعم الله سبحانه التی أعطاها لكم منّا و فضلا، و لا يخفى أن جعل الليل و النهار، غير تصريفهما بهذا الشكل المنظم، ففی الآية الأولى تذكير بالأمر الثانی، و فی هذه تذكير بالأمر الأول.

[۷۵] و إذ ذكر السياق جملة من النعم التى لا مناص للكفار من الإذعان بأنها من الله وحده، رجع إلى الكلام السابق حول شركهم وَ اذكر يا رسول الله يَوْمَ يُنادِيهِمْ الله تعالى، و المراد به يوم القيامة فَيَقُولُ لهم أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أنهم شركاء معى؟ لكن الشركاء هناك لا أثر لهم و لا عين، و هذا الاستفهام إنما هو للتقريع و التبكيت.

[۷۶] و ليس لهم أن يقولوا إنا لم نكن نعلم وحدة الإله فهناك الشهداء- من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۵

[سورة القصص (۲۸): آية ۷۶]

إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (۷۶)

الأنبياء و الأئمة و المرشدين- الذين يشهدون عليهم بأنهم بلّغوا لكنهم عصوا إلا الشرك و الكفر وَ نَزَعْنا أى أخرجنا و أظهرنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ من الأمم شَهِيداً يشهد عليكم بالتبليغ و الإرشاد فَقُلْنا للكفار هاتُوا بُرْهانَكُمْ أى ائتوا بحجتكم التى تدل على تعدد الآلهة فَعَلِمُوا هناك أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وحده لا لشركائهم، لكن حيث لم ينفعهم العلم وَ ضَلَّ عَنْهُمْ أى ذهب و تاه ما كانُوا يَفْتَرُونَ من الكذب على الله حيث كانوا يقولون إن الله اتخذ لنفسه شريكا، إن آلهتهم بطلت، و لا برهان لهم، و الشهداء، شهدوا عليهم بالإنذار و علموا صحة قولهم، فما هو جزاؤهم؟ ليس إلا النار و الخزى، حيث لا منجى و لا مهرب.

[۷۷] و بعد إتمام قصة موسى مع فرعون، و تعقيب القصة بجملة من المشاهد فى القيامة و بعض تعقيبات القصة، يأتى السياق لينقل حلقة أخرى من حياة موسى عليه السّلام، و هى حياته مع قارون الذى كان قريبا لموسى عليه السّلام و كان عالما حافظا للتوراة كثير المال، لكنه لما ظلم لم ينفعه علمه و ماله و قرابته و حفظه للكتاب، و فيه تنبيه لأهل الكتاب، كما فى الآيات السابقة و تنبيه للكفار كى يعتبروا بما أصاب فرعون حيث قابل موسى بالكفر إِنَّ قارُونَ

و هو ابن خالة موسى عليه السّلام، كما ورد عن الصادق عليه السّلام

«۱» كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى من بنى إسرائيل المؤمنين به

---

(۱) مجمع البيان: ج ۷ ص ۴۵۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۶

فَبَغى أى استطال و تكبر عَلَيْهِمْ أى على قوم موسى حيث اغتر بماله و كماله و قرابته وَ آتَيْناهُ أى أعطيناه مِنَ الْكُنُوزِ جمع كنز و هو المال المدخور فى خابية أو صندوق أو نحوهما ما أى مقدارا كثيرا حتى إِنَّ مَفاتِحَهُ جمع مفتح، بمعنى المفتاح، يعنى مفاتيح بيوت أمواله و صناديق ذهبه و فضته لَتَنُوأُ أى تثقل بِالْعُصْبَةِ أى جماعة الرجال أُولِي الْقُوَّةِ فما كانوا يتمكنون أن يحملوها إلا بمشقة، يقال: ناء بحمله إذا نهض به مع ثقله، و

قد ورد أن العصبة ما بين العشرة إلى تسعة عشر

«۱»، و كان يحمل مفاتيح خزائنه بين هذين العددين من الرجال الأقوياء إذا أراد نقل المفاتيح من مكان إلى مكان، و لا بعد فى ذلك، فإن المفتاح غالبا يصنع من الحديد و لو قدرنا أن عشرة مفاتيح تعادل ال «كيلو» و إن عشرة كيلوات تثقل الإنسان، و إن الأموال كانت فى صندوق ثم فى غرفة، ثم فى بيت، و لكلّ مفتاح خاص، لم يتجاوز المال من بضع ملايين، و فى عصرنا فى العراق من قدر ماله ب «ملايين الدنانير» إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ المؤمنون من بنى إسرائيل، لا تَفْرَحْ بهذا المال فرحا يؤدّى إلى البطر إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ جمع «فرح» و هو الذى يفرح من البطر و الكبرياء، و المراد ب «لا- يحب» إنه يكرههم، إذا لا- وساطة بين حب الله و كراهته، فإن الإنسان إذا كان طائعا أحبه الله، و إن كان عاصيا كرهه،

(۱) تفسير القمى: ج ۲ ص ۱۴۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۷

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۷۷ الى ۷۸]

وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۷۷) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (۷۸)

و لعل الإتيان ب «لا يحب» للتأدب.

[۷۸] وَ ابْتَغِ أى اطلب يا قارون فِيما آتاكَ اللَّهُ أى ما أعطاك من الأموال الدَّارَ الْآخِرَةَ بأن تنفق منها فى الخيرات و على الفقراء حتى تشترى الآخرة بها وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا إما بمعنى أطلب الدنيا بمالك كما تطلب الآخرة، و كان ذلك نهيا عن بذل جميع الأموال، كما قال سبحانه (وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ) «۱» أو المراد لا تنس نصيبك من الدنيا التى أقبلت عليك لتحصّل بها الآخرة، فتكون الجملة تأكيدا للجملة السابقة، و إنما الفرق أنها للجانب السلبى، و الجملة الأولى للجانب الإيجابى وَ أَحْسِنْ إلى الناس، أو إلى نفسك بفعل الطاعات كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ بإعطائك المال و الجاه و سائر النعم وَ لا تَبْغِ أى لا تطلب الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إما بمنع الحقوق و الإنفاق، فإنه فساد و موجب لحرمان جماعة من الناس، و إما بصرف المال فى المصارف المحرمة إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ الذين يفسدون فى الأرض، بمنع الحقوق، أو بتعاطى الفساد.

[۷۹] قالَ قارون فى جواب نصيحة القوم إِنَّما أُوتِيتُهُ أى أعطيت هذا المال عَلى عِلْمٍ عِنْدِي فما للناس يتحكمون بى فأنا حصّلته

(۱) الإسراء: ۳۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۸

بعلمى؟، و هو إما بمعنى إن الله أعطانى ذلك بسبب علمى و فضلى، و إما بمعنى إن ذكائى و فطنتى هما ورّثانى هذا المال، فلا حق لأحد فيه، و حيث إنى قد جمعته بفضلى فلى أن أعمل فيه بما أشاء، و إما بمعنى علمى بالكيمياء، كما قيل إنه كان يعلم بالكيمياء، و قد جمع ماله من تبديل الصفر ذهبا أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ قارون أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ و سمى القرن قرنا، لتقارن أعمار الأشخاص فيه بعضهم مع بعض مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ أى من قارون قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً للمال، فليس المعيار أن يكون الإنسان جمع المال لعلمه و فضله و إنما المعيار كيفية التصرف فى المال، فإن تصرف الإنسان فى المال تصرفا حسنا بقى له، و إن تصرف تصرفا سيئا، فنى المال و أهلكه معه. إن قارون كان ينبغى أن يعلم هذا، لا ما تكبر به حيث قال «أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي».

فمن تكبر و عتى، و تصرف فى المال تصرفا سيئا، فإنه مجرم، مصيره الهلاك، و المجرم يؤخذ بغتة وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فلا يقال لهم ماذا فعلتم؟ إذا أريد إهلاكهم فى الدنيا، و إن كان فى الآخرة يسألون عن ذنوبهم لزيادة التقريع و التأنيب كما قال سبحانه: (فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) «۱» و قال

(۱) الحجر: ۹۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۷۹

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۷۹ الى ۸۰]

فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (۷۹) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقَّاها إِلاَّ الصَّابِرُونَ (۸۰)

(وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ) «۱».

[۸۰] إن قارون لم ينفع فيه النصح، بل بقى على تطاوله و كبريائه فَخَرَجَ ذات يوم عَلى قَوْمِهِ مستعرضا ماله و ترفه فِي زِينَتِهِ و فى أبّهة و جلال، يريد أن يرى بنى إسرائيل ثروته و عزته قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا أى الحياة القريبة، من ضعفاء الإيمان- و هم كثيرون فى المؤمنين دائما- يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ من الأموال و الثروة و الزينة إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ أى نصيب وافر من الدنيا، فقد تمنوا مثل ماله و منزلته.

[۸۱] وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ علم الآخرة و ما أعد الله فيها من الثواب للمؤمنين المتقين وَيْلَكُمْ أيها المتمنون ثروة قارون و جلاله، و «ويل» كلمة تستعمل بمعنى الدعاء على المقصود به، يعنى «الهلاك لكم» أو «سوء الحال لكم» ثَوابُ اللَّهِ المعد للأخيار خَيْرٌ مما أوتى قارون لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ عملا صالِحاً فلا تتمنوا مثل أمواله، كى تبتلون بطغيانه و يفوتكم الثواب وَ لا يُلَقَّاها أى لا تعطى الجنة- المشار إليها بقوله «ثواب الله»- إِلَّا الصَّابِرُونَ الذين

---

(۱) الصافات: ۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۰

[سورة القصص (۲۸): آية ۸۱]

فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (۸۱)

يصبرون فى الحياة الدنيا عن الثروة إذا لم يجدوها فلا يحصلون عليها من الحرام.

[۸۲] و قد صار مال قارون وبالا عليه فَخَسَفْنا بِهِ أى بقارون وَ بِدارِهِ التى فيها الأموال الْأَرْضَ أى انخسفت الأرض معهما، فذهب قارون هالكا، و ذهبت أمواله ضياعا. قال القمى: و كان سبب هلاك قارون أنه لما أخرج موسى بنى إسرائيل من مصر و أنزلهم البادية أنزل الله عليهم المن و السلوى ففرض الله عليهم دخول مصر و حرمها عليهم أربعين سنة و كانوا يقومون من أول الليل و يأخذون فى قراءة التوراة و الدعاء و البكاء و كان قارون منهم و كان يقرأ التوراة و لم يكن فيهم أحسن صوتا منه و كان يسمى «المنون» لحسن قراءته و كان يعمل الكيمياء، فلما طال الأمر على بنى إسرائيل فى التيه و التوبة و كان قارون قد امتنع من الدخول معهم فى التوبة و كان موسى عليه السّلام يحبه فدخل عليه موسى فقال له: يا قارون قومك فى التوبة و أنت قاعد هاهنا؟ ادخل معهم و إلا ينزل بك العذاب فاستهان به و استهزأ بقوله فخرج موسى من عنده مغتما فجلس فى فناء قصره و عليه جبة شعر و فى رجله نعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر و بيده العصا فأمر قارون أن يصب عليه رماد قد خلط بالماء فصب عليه فغضب موسى غضبا شديدا و كان فى كتفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه و قطر منها الدم فناجى موسى ربه فأوحى الله عز و جل إليه قد أمرت الأرض أن تعطيك فمرها بما شئت و قد كان قارون قد أمر أن يغلق باب القصر فأقبل موسى فأومأ إلى الأبواب فانفرجت و دخل عليه فلما نظر إليه قارون علم أنه قد أوتى بالعذاب فقال: يا موسى أسألك بالرحم الذى بينى و بينك فقال له موسى: يا بن لاوى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۱

[سورة القصص (۲۸): آية ۸۲]

وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (۸۲)

لا تزدنى من كلامك. و قال عليه السّلام: يا أرض خذيه فدخل القصر بما فيه فى الأرض، و دخل قارون فى الأرض إلى ركبتيه فبكى و حلفه بالرحم فقال له موسى: يا بن لاوى لا تزدنى من كلامك يا أرض خذيه فابتلعته بقصره و خزائنه «۱»، أقول: لقد كان موسى

عليه السّلام فى منتهى الحلم و الرقة و لكن انحراف بنى إسرائيل الشديد، كان يسبب له فى بعض الأحيان أن يغضب الله سبحانه، و الغضب لله تعالى من أفضل صفات الأنبياء، كما قال تعالى: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ) «۲».

فَما كانَ لَهُ أى لقارون مِنْ فِئَةٍ أى جماعة، و سميت الجماعة فئة، لأن الإنسان يعود و يرجع إليها كلما دهمه أمر، من «فاء» بمعنى: رجع يَنْصُرُونَهُ أى ينصرون قارون مِنْ دُونِ اللَّهِ أى سوى الله، يعنى أن الله وحده كان قادرا على دفع العذاب عنه أما غيره فلا أحد كان يقدر على ذلك. و هذا من قبيل الاستثناء المنقطع الذى مرّ الكلام فى وجهه مكررا وَ ما كانَ قارون بنفسه مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ أى يقدر على أن ينصر نفسه.

[۸۳] وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ حين خرج عليهم فى زينته فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون يَقُولُونَ متعجبين مما نزل بقارون من

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۳ ص ۲۵۱.

(۲) الفتح: ۳۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۲

[سورة القصص (۲۸): آية ۸۳]

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۸۳)

العذاب وى اسم فعل بمعنى «عجب» وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ بأن يوسعه عليه وَ يَقْدِرُ أى يضيق الرزق على من يشاء من عباده، فإنهما تابعان لمصالح خفية لا لكرامة تقتضى البسط و لا لهوان يوجب النقص لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا حيث لم يوسع علينا حتى نطغى لَخَسَفَ الأرض بنا كما خسف بقارون وى أعجب من هذه القصة كأنه لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ فلا يفوزوا بثواب الله و لا ينجوا من عقابه، فالحمد لله الذى لم يعطنا ما أعطاه حتى نبتلى بما ابتلى به. و قارون لم يظهر الكفر، و إنما قالوا ذلك لأن فعله كان فعل الكافرين و لذا جوزى بجزائهم، و الإتيان ب «كأن» تعبير عرفى لمن يريد أن يتراجع عن كلامه السابق، فإذا قلت: إن فلانا زيد، ثم أردت أن ترجع عن كلامك بعد ما تبينته فرأيته عمروا تقول: كأنه عمرو، و ذلك للتدرج الحاصل للنفس من أحد الطرفين إلى الطرف الآخر.

[۸۴] ثم بين سبحانه أن الآخرة إنما هى لمن لا يريد الاستكبار و الفساد، فى مقابل قارون الذى استكبر و طلب الفساد فى الأرض، حتى يعلم المؤمن، أن الاستكبار و الفساد يبانيان الإيمان بالعالم الآخر تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ يعنى الجنة نَجْعَلُها و نقدرها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ أى استكبارا و تجبرا وَ لا فَساداً أى لا يريدون عملا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۳

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۸۴ الى ۸۵]

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۸۴) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۸۵)

بالمعاصى وَ الْعاقِبَةُ الجميلة المحمودة لِلْمُتَّقِينَ الذين يتقون عقاب الله، فلا يعصونه.

[۸۵] مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ أى بالصفة الحسنة، من الإيمان، و العمل الصالح فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها عند الله، فإنه يعطى عشرة أضعاف جزائه، فمثلا من تصدق بدينار أعطى عشرة دنانير وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ و تسمى سيئة لأنها تسىء إلى الإنسان فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ أى بمقدار السيئة لا أزيد منها، و إنما أعد العذاب الشديد للسيئات لأنه بقدر جزائها حسب العقل و المنطق كما يجزى الساب للملك- مثلا- بالقتل.

[۸۶] و إذ انتهت قصص موسى مع فرعون و بنى إسرائيل و قارون، يتوجه السياق إلى الرسول، الذى كانت تلك القصص تسلية له، بقدر ما كانت تهديدا لكفار قريش فيقول إنَ الله الَّذِی فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أى أوجب عليك العمل بأحكامه لَرادُّكَ أى يردك و يرجعك إِلى مَعادٍ أى محل العود و المراد به مكة، فلا تشرّد عن بلادك بدون أن ترجع إليها ظافرا منتصرا، كما رجع موسى إلى أرض مصر- التى خرج منها خائفا يترقب- ظافرا منتصرا، و قد قالوا: إنها نزلت حين خروج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مكة مهاجرا إلى المدينة، حينما أراد الكفار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۴

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۸۶ الى ۸۷]

وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ (۸۶) وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۸۷)

قتله قُلْ يا رسول الله لهؤلاء رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى منا، و منكم، فقد كان الكفار يرون أنفسهم على حق و هدى، و يرون الرسول على باطل وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ إنه يعلم ذلك و سينصر الهادى، و يخذل الضال، و هذا كلام من يرى أن لا أثر فى الجدال مع المعاند يسلى نفسه و يهدد طرفه، بالعاقبة.

[۸۷] إنك لا بد و أن ترجع إلى مدينتك، و إنك لا بد و أن تنتصر على الكفار، فإن رحمة الله لم تزل معك، ألم يلقى إليك الكتاب، و ما كنت ترجو ذلك لو لا رحمته؟ فإن رحمته التى أوجبت إلقاء الكتاب عليك هى التى تنصرك و تردك إلى وطنك وَ ما كُنْتَ يا رسول الله تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ يعنى إنه لم يكن رجاء لو لا الرحمة، و هذا صحيح، فلا يقال كيف لم يرج الرسول إلقاء الكتاب، و قد كان نبيا و آدم بين الماء و الطين؟ فَلا تَكُونَنَ يا رسول الله ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ أى معينا لهم، بل جانبهم و باعدهم و حاربهم، فإن الذى رحمك فى إلقاء الكتاب إليك، سيرحمك بنصرتك عليهم و إرجاعك إلى بلادك سيدا منتصرا.

[۸۸] وَ لا يَصُدُّنَّكَ أى لا يمنعنك الكفار عَنْ آياتِ اللَّهِ أى اتباع آيات الله، و إبلاغها للناس بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ لا يمنعنّك عن تنفيذ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۵

[سورة القصص (۲۸): آية ۸۸]

وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۸۸)

رسالتك خوفك منهم، فإن الله ناصرك وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ بالإيمان به و اتباع أوامره وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الذين يجعلون لله شريكا.

[۸۹] وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ و كان الفرق بين «وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و بين هذا أن الأول نهى عن مجرد الشرك و لو القلبى منه، و الثانى نهى عن الدعوة و الدعاء إلى إله آخر، و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان منتهيا عن ذلك بدون نهى، و إنما جىء تعريضا على المشركين، كما تقول لولدك المطيع: بنى أطعنى، تريد التعريض بخادمك الذى لا يطيعك لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الله وحده لا شريك له، فهو الإله الأزلى كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ فهو الإله الأبدى، و المراد بالوجه «الذات» يقال هذا وجه الرأى أو وجه الطريق، و يراد الرأى و الطريق، و لعل التعبير بالوجه للتنبيه على بقاء جهة الاتجاه إليه سبحانه، فليتوجه الإنسان إليه تعالى لأن وجهه باق أبدى، كلما أراد الإنسان أن يتجه إليه و يطلب منه الحاجة، قابله تعالى بوجهه، و هذا مجاز، و إلا فليس لله سبحانه وجه و سائر الأمور الجسمية و العرضية، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لَهُ الْحُكْمُ فهو الحاكم فى الكون، و لا يصدر شىء إلّا عن حكمه و إرادته وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أيها البشر، فى القيامة ليجزى كل إنسان بما عمل من شر أو خير، فهو واحد أزلى أبدى، بيده الحكم و إليه

المرجع.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۶

۲۹ سورة العنكبوت مكية أو مدنية/ آياتها (۷۰)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «عنكبوت» و هى كسائر السور المكية تبين موضوع العقيدة الدائرة بين المبدأ و المعاد و الرسالة، و لما ختمت سورة القصص بالوعد و الوعيد، افتتحت هذه السورة بذكر الامتحان الذى من خرج منه ناجحا نال الوعد، و من خرج منه ساقطا نال الوعيد.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى هو بدأ التكوين و التشريع، فمن الجدير أن يجعل اسمه الكريم بدء كل حركة و سكون، و التوصيف له بالرحم- مكررا- للنيل من فيض رحمته الواسعة الموجبة للسعادة فى الدنيا و الآخرة فلو لا رحمة الله سبحانه لهلك الإنسان جسدا و روحا، و بعد فإنه لو لا رحمته ابتداء لم يوجد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۷

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱ الى ۳]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (۱) أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (۲) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ (۳)

[۲] الم «ألف» و «لام» و «ميم» من أمثالها تركّب سور القرآن، تركيبا يوجب الإعجاز حتى لا يتمكن البشر من الإتيان بمثلها، أو التقدير:

هذه «الم» فهو خبر مبتدأ محذوف، و قد تقدم التلميح إلى بعض الأقوال فى «مقطعات السور» معنى، و إعرابا.

[۳] أَ حَسِبَ النَّاسُ أى هل ظن الناس أَنْ يُتْرَكُوا فى أمن و راحة، مجرد أَنْ يَقُولُوا: آمَنَّا ثم تدرّ عليهم الخيرات و البركات و يسعدوا فى الآخرة و الأولى وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ أى لا يمتحنون بأنواع الشدائد، فى طريق الإيمان، حتى يميز بين الصادق و الكاذب، و المجاهد و القاعد؟ هل ظنوا ذلك؟ إنهم أخطئوا إن ظنوا إن مجرد التلفظ بالإيمان كاف فى نيل السعادة.

[۴] و كيف يقتنع عنهم بمجرد التلفظ بالإيمان وَ الحال إنا لَقَدْ فَتَنَّا و امتحنا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من المؤمنين الذين أظهروا الإيمان، فى الأمم السابقة، امتحانهم بأنواع الشدائد و المحن، فكيف نترك هؤلاء بلا امتحان؟ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ أى يمتحن ليعلم بالتأكيد الَّذِينَ صَدَقُوا فى إيمانهم حتى أنه لا يزول بالمصائب و المحن وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ الذين كذبوا فى دعوى الإيمان، بل كان لقلقة لسان، و المراد بالعلم تعلق العلم بالمعلوم بوقوعه فى الخارج، فإنه يقال «علم» لمن جهل ثم علم، كما يقال: «علم» لمن علم و لكن لم يكن معلومه خارجيا ثم أوجد المعلوم فى الخارج، فإنّ العلم الفعلى إنما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۸

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۴ الى ۶]

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (۴) مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۵) وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (۶)

يتحقق بتحقق المعلوم الفعلى.

[۵] لقد كان ذلك للمؤمنين، أما الكافرون، فإن موقفنا معهم أشدّ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ «أم» منقطعة، أى: هل حسب و ظن العاملون بالمحرمات أَنْ يَسْبِقُونا أى يفوتوننا، فلا نلحقهم تشبيه بمن يلحق المجرم الذى فرّ، و قد سبقه فى الفرار حتى لم يلحق به، إن

من أجرم بالنسبة إلى أوامر الله، لا يفوت الله، بل يـدركه الطلب و إن فرّ إلى كهوف الجبال ساءَ ما يَحْكُمُونَ أى ساء الحكم حكمهم، الـذى حكموا حسب ظنهم بأنّا لا نـدركهم و لا ننتقم منهم، فالله سـبحانه يمتحن، و من رسب فى الامتحان يدركه و ينتقم منه، فليخش الناس مؤمنهم و كافرهم، و برهم و فاجرهم من عقاب الله سبحانه.

[۶] أما من آمن و نجح فى الامتحان فليطمئن بنصر الله مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ أى يأمل ثوابه سبحانه، بأن آمن و عمل صالحا، فإنه هو الـذى يرجو، أما غيره فقوله أنا راج، كذب، لأنه من قبيل من لم يبذر و يقول أنا راج ريع زرعى فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ أى الوقت الذى وقّته الله للقـائه و ثوابه- و الإضافـة لأدنى مناسـبة- لَآتٍ أى يأتى قطعا، فلا خلف فى وعـده وَ هُوَ السَّمِيعُ لأقوال عباده الْعَلِيمُ بأعمالهم و نياتهم، فيكون جزائه عادلا لا ظلم فيه.

[۷] وَ مَنْ جاهَدَ الشيطان و نفسه و الأعداء، و هو مشتق من «جهد» بمعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۸۹

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۷ الى ۸]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ (۷) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸)

أتعب نفسه فى دفـاعه لأجـل الإيمـان فَإِنَّمـا يُجاهِـدُ لِنَفْسِهِ إذ فائـدة الجهاد تعود إليه إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فهو لا يحتاج إلى جهاد المؤمنين، و إنما المؤمنون يحتاجون إلى الجهاد لنيل السعادة لأنفسهم.

[۸] وَ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله و اليوم الآخر و ما جاء به الرسول وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ الملازم لعدم السيئات لَنُكَفِّرَنَ أى نبطلنّ و نمحون عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ الـتى اقترفوهـا حـتى يبقون بلاـ سيئة وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أى نعطيهم الجزاء ب أَحْسَنَ الَّذِى كـانُوا يَعْمَلُونَ إمـا المراد أحسن جزاء أعمالهم، كأن يكون الجزاء مثلا للعمل الفلانى درجة واحدة فنعطيهم درجتين، و إما المراد يعطون جزاء أحسن أعمالهم، أما الأعمال السيئة التى توجب النكال، و الأعمال التى توجب خفة الإنسان و نزول رتبته فى أعين الناس، فلا نجزيهم عليها.

[۹] و حيث ذكر سبحانه جزاء من عمـل الصالحـات أشـار إلى مـا هو من أهمّ الأعمـال الصالحـة، الـذى هو بر الوالـدين فقال وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ أى أمرناه أن يعاشر والديه حُسْناً بإطاعتهما، و النزول عند رغبتهما.

وَ إِنْ جاهَداكَ أيها الإنسان، و ألزماك لِتُشْرِكَ بِى بأن تجعل لى شريكا، حيث كانا مشركين ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ «ما» مفعول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۰

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۹ الى ۱۰]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (۹) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ (۱۰)

«تشـرك» أى تجعل شيئا شريكا لى، و ليس لك بذلك الشريك علم، من باب السالبة بانتفاء الموضوع، إذ تعلم إنه ليس لى شريك، فلاـ شـريك حتى تعلمه، كما يقال: لا يعلم الله لنفسه شـريكا، يعنى إنه لا شـريك له حتى يعلمه فَلا تُطِعْهُما فى الإشـراك بى إِلَيَ أى إلى حسـابى و جزائى مَرْجِعُكُمْ أى رجـوعكم أيهـا البشـر، و «مرجع» مصـدر ميمى فلاـ تخـالفوا أوامره حـتى تبتلوا بالعقـاب و النكـال فَأُنَبِّئُكُمْ أى أخبركم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و المراد بالإخبار الجزاء على العمل، كما تقول لمن تريد وعده أو إيعاده: سأخبرك بعملك.

[۱۰] وَ الَّذِينَ آمَنُوا بما يجب الإيمان به وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ رجوع إلى ما سبق ليرتب عليه قوله لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ أى فى جملتهم و زمرتهم.

[۱۱] و إذ قد سـبق امتحان الله للمؤمنين و لزوم الجهاد فى سبيله ذكر السـياق من ليس كذلك ممن يظهر الإيمان و لا يجاهد و يرسب عنـد الامتحـان وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِـاللَّهِ بمجرد قولـة اللسـان فَإِذا أُوذِيَ آذاه الكفار فِي اللَّهِ أى فى جهـة علاقته بالله و إيمانه به

جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ و يظن أنه إن ترك الإيمان لا يعذّب بعذاب الله أكثر من هذا العذاب الذى يلقاه بواسطة إيمانه، و لذا يفكر فى الرجوع عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۱

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۱ الى ۱۲]

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ (۱۱) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۱۲)

الدين، لأنّ عذاب الله آجل، و عذاب الناس له- المساوى فى زعمه لعذاب الله- عاجل، و لم يعذّب نفسه عاجلا خوفا من عذاب آجل؟

هذا هو مقدار إيمانه فى البلاء، فإنه لا يطيق و يسقط عند الامتحان، و إذ ذهب الإيذاء و جاء النصر، بسط ادعائه فى وجه المؤمنين قائلا أنه كان معهم فى ساعة الشدة ليجعل نفسه فى مقدمة القافلة فيحوز الجاه العريض، بعد تلك الانتكاسة وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ يا رسول الله، لك و للمؤمنين، و ذهب أذى الكفار لَيَقُولُنَّ ذلك الساقط فى الامتحان المتراجع عند الإيذاء إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أيها المؤمنون فى ساعة العسرة أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ من الإيمان و النفاق، و ألم يعلم سبحانه أن هذا كيف انتكس عند البلاء؟ فهيهات أن يجعل كالصابرين القانتين الصامدين أمام الإغراء و الإيذاء.

[۱۲] وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بحقيقة الإيمان فدخل الإيمان قلوبهم حتى أن الافتتان لا يصرفهم عن حقيقة إيمانهم وَ لَيَعْلَمَنَ الله الْمُنافِقِينَ الذين آمنوا ظاهرا، فإذا فتنوا جعلوا فتنة الناس كعذاب الله.

[۱۳] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و رسوله لِلَّذِينَ آمَنُوا بحقيقة الإيمان اتَّبِعُوا سَبِيلَنا فى الكفر و الطغيان وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ فنحن نحمل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۲

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۳ الى ۱۴]

وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ (۱۳) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (۱۴)

آثامكم عنكم، و مرادهم بذلك أن لا إثم حقيقى فى اتباع الكفر و العصيان، و إنما هو إثم خيالى، إذ لا بعث و لا نشور، ثم ردّ الله سبحانه عليهم بقوله وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ إن كفروا و كذبوا مِنْ شَيْءٍ قليل أو كثير، فإن الله سبحانه لا يعذب أحدا بذنب آخر، نعم إن على هؤلاء عقاب الإضلال، لكن ذلك لا يخفف من عقاب الأتباع شيئا، بل للمضل عقاب إضلاله، و لمن ضل عقاب ضلاله إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ فيما ضمنوا من حمل خطاياهم.

[۱۴] وَ لَيَحْمِلُنَ هؤلاء الذين أضلوا أَثْقالَهُمْ أى أوزار أعمال أنفسهم وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ أى أوزار إضلالهم للناس وَ لَيُسْئَلُنَ يسألهم الله سبحانه يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ من أنه لا ذنب للكفر و العصيان كما يقولون للمؤمنين يريدون إغواءهم، و المراد بسؤالهم منهم أنهم يسألون مقدمة للعقاب، فإن المجرم يسأل عنه سؤال تقرير ليعذّب حسب جوابه.

[۱۵] ثم ينتقل السياق إلى بعض قصص الأنبياء لإنذار كفار مكة بأنهم إن لم يؤمنوا كان مصيرهم مصير الأقوام من قبلهم حيث كذبوا الرسل فأخذهم الله بعقاب كفرهم و عصيانهم وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ ليدعوهم إلى الإيمان و الطاعة فَلَبِثَ فِيهِمْ أى مكث داعيا لهم إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۳

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ (۱۵) وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

(۱۶)

الإيمان أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً أى تسعمائة و خمسين سنة فلم يجيبوه، و لم يؤمن إلا نفر قليل منهم، و مثل هذا العمر ممكن فقد وصل العلم الحديث إلى إمكان تمديد العمر بواسطة الأغذية و الأدوية فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ و هو أن نزل من السماء المطر و تفجرت الأرض عيونا، حتى علا الماء و أغرق الكل، و الطوفان الماء الكثير الغامر سمى طوفانا لأنه يطوف- بكثرته- في نواحى الأرض، أو في النواحى التى يقع الكلام فيها وَ هُمْ ظالِمُونَ قد ظلموا أنفسهم بالكفر و الطغيان.

[۱۶] فَأَنْجَيْناهُ أى خلصنا نوحا منهم و من الطوفان وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ فقد أمر نوح أن يصنع سفينة و يركبها هو و المؤمنون و ركبها و نجا من الغرق وَ جَعَلْناها أى السفينة، أو هذه القصة بكاملها آيَةً دالة على التوحيد، أو على عذاب المكذبين لِلْعالَمِينَ أى الخلائق الذين يأتون بعد ذلك.

[۱۷] وَ لقد أرسلنا إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ و لا تعبدوا سائر الآلهة الباطلة وَ اتَّقُوهُ بإتيان أوامره و اجتناب نواهيه ذلِكُمْ «ذلك» إشارة إلى ما ذكره من العبادة لله و التقوى و «كم» خطاب خَيْرٌ لَكُمْ من الكفر و العصيان، و التفصيل هنا منسلخ عن معنى الفضل، أو المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۴

[سورة العنكبوت (۲۹): آية ۱۷]

إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۱۷)

بالنسبة إلى الخير الذى هم فيه مع الكفر إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى إن كان لكم علم بالواقع لعلمتم أنّ الإيمان و التقوى خير.

[۱۸] إِنَّما تَعْبُدُونَ أنتم مِنْ دُونِ اللَّهِ أى من غير الله أَوْثاناً جمع «وثن» و المراد به الصنم أى أنكم تعبدون حجارة لا تضر و لا تنفع وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً أى تقولون كذبا، فى قولكم إنّ هذه الأوثان آلهة، و الكذب يسمى خلقا باعتبار أن الكاذب يخلقه و يأتى به من العدم إلى الوجود مع أنه لا حقيقة له، بخلاف الصدق الذى هو حكاية من الواقع و الخارج إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى الأصنام، و إنما أتى بضمير العاقل، جريا على كلام القوم عند الحوار، كما قال الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخةقلت اطبخوا لى جبة و قميصا

لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فليست أرزاقكم التى ترزقونها مملوكة لهذه الأصنام حتى تقولوا إنا نعبدها لما تهيئ لنا من الرزق، أو تقولوا إنما نعبدها لتدر علينا الأرزاق فَابْتَغُوا و اطلبوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ فإنه هو المالك للرزق و المعطى له. و كم يقبح أن يتصرف الإنسان فى رزق الله، و يعبد غيره، و يطلب من لا يكون بيده الرزق و يترك الطلب ممن بيده الرزق؟ وَ اعْبُدُوهُ وحده وَ اشْكُرُوا لَهُ على ما أنعم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۵

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۸ الى ۲۰]

وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۱۸) أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (۱۹) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۰)

عليكم، فهو الإله و هو المتنعم إِلَيْهِ تعالى تُرْجَعُونَ أى إلى حسابه و جزائه مرجعكم إذا متم و إذا قامت القيامة، فهو المبدئ، و هو المعيد، و هو المعطى لكم الرزق الآن.

[۱۹] ثم قال لهم إبراهيم عليه السّلام وَ إِنْ تُكَذِّبُوا قولى و لم تؤمنوا بى فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ أنبياءهم، فلم يضر التكذيب الأنبياء وَ إنما ضر المكذبين إذ ما عَلَى الرَّسُولِ أى ليس عليه شيء إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ أى أن يبلغ بلاغا ظاهرا واضحا، فإذا أنجز عمله فقد ترى من عهدة ما كلف و يلقى جزائه الحسن.

[۲۰] أ وَ لَمْ يَرَوْا هؤلاء الكفار، و هـذا إما من تتمة كلام إبراهيم، أو هذه الآية و السابقة و اللواحق، معترضة بين أثناء الكلام، جيء بها للإيقاظ و التنبيه كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ من العـدم إلى الوجود ثُمَّ يُعِيـدُهُ بعـد الإماتـة، كما أنشأه من العدم، فإن من يقدر على الابتداء قـادر على الإعادة إِنَّ ذلِكَ الإرجاع و الإعادة بعـد الموت عَلَى اللَّهِ يَسِـيرٌ سـهل هيّن، فكيف ينكرون البعث و هم يرون النشأة الأولى؟ كما أنهم كيف ينكرون وجود الله و هم يرون آثاره؟ و كيف ينكرون الرسالة و قد رأوا المكذبين كيف أهلكوا؟.

[۲۱] قُلْ يا رسول الله، للكفار سِيرُوا فِي الْأَرْضِ بالسفر إلى البلاد،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۶

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (۲۱) وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۲۲)

و المرور على الصـحارى و القفار فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الله الْخَلْقَ فإنّ الإنسان يألف الجو الذى ينشأ فيه و لذا يتفتح قلبه إلى مشاهد الخلقة الخارجيـة التى تظهر فى الأولاد إذا ولـدوا، و النبات إذا نبت، و هكـذا أما إذا سار لفت نظره إلى رؤيـة البلاد، و تقلب الأحوال ثُمَّ اللَّهُ بعـد إهلاك الناس أجمع يُنْشِـئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ فإنه كما أنشأها ابتـداء ينشأوها ثانيا، و معنى الإنشاء الإيجاد إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ فإنه سبحانه على الإنشاء و الإفناء و الإعادة قادر، فكيف ينكر هؤلاء المعاد؟.

[۲۲] إنه يعيـد الخلق ليجـازيهم حسب أعمالهم ف يُعَـذِّبُ مَنْ يَشاءُ ممن كفر و عصـى، فإنّ الله سـبحانه حكيم لا يفعل عبثا أو خلاف العـدل وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشـاءُ من آمن و أطاع وَ إِلَيْهِ أى إلى جزائه و حسـابه تُقْلَبُونَ أيهـا البشـر، و معنى تقلبون: ترجعون، لأن الرجوع هو انقلاب الإنسان من حال إلى حال.

[۲۳] و إنكم أيّهـا الكفار لا تقـدرون على الإفلات من عقاب الله سـبحانه، فإن الإنسان تحت قـدرة الله، يقلبه كيف يشاء، و يفعل به ما يشاء، سواء كان فى الأرض أو فى السـماء وَ ما أَنْتُمْ أيّها الكفار بِمُعْجِزِينَ الله تعالى بأن تصـنعوا صـنعا يمنع من أخذكم و العذاب على أعمالكم، سواء كنتم فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ على تقدير إن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۷

[سورة العنكبوت (۲۹): آية ۲۳]

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۲۳)

تمكنتم من الذهاب إليها، كما

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم* غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

«۱» وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى سواه مِنْ وَلِيٍ يلى أموركم وَ لا نَصِـيرٍ ينصركم، فلا أحد يتولى شؤونكم، و لا أحد ينصركم، فما تظنون من أن الأصـنام تنفع فهو ظن باطل، إذن فأنتم بـذاتكم لا تتمكنون من إعجازه سـبحانه، و لا ناصـر لكم حتى يقف ذلك الناصـر دون بأس الله.

[۲۴] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ بأن كذبوا الآيات التكوينية و لم يعترفوا بدلالتها على وجود الله، و كذبوا بآيات الله المنزلة بأن قالوا إنّها ليست من قبـل الله تعـالى وَ لِقـائِهِ فقـالوا أن لا ـ بعث و لا ـ نشور، و المراد لقـاء ثوابه و جزائه أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي فإنه لا عمل لهم حتى يستحقّوا الثواب، فيكون لهم رجاء، و المعنى إنهم يائسون حقيقة، و إن كان فيهم من لا يأس له، و هذا كقوله «لا رَيْبَ فِيهِ» حيث يراد فيه أنه ليس محلا للريب، و إن ارتاب فيه المبطلون، و هذا من تتمة قوله «وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ» حتى لا يزعم الكفار أنهم يدخلون فى زمرة من يرحمهم الله، كما قال ذلك الكافر:

(۱) دیوان الإمام علی علیه السلام: ص ۳۲۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۸

[سورة العنکبوت (۲۹): الآیات ۲۴ الی ۲۵]

فَما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۲۴) وَ قالَ إِنَّما اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَیْنِکُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا ثُمَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکْفُرُ بَعْضُکُمْ بِبَعْضٍ وَ یَلْعَنُ بَعْضُکُمْ بَعْضاً وَ مَأْواکُمُ النَّارُ وَ ما لَکُمْ مِنْ ناصِرِینَ (۲۵)

(وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلی رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْها مُنْقَلَباً) «۱» وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ مؤلم موجع فی النار، و هذا بالتأکید، فهو طرف الإیجاب، و یئسوا، طرف السلب.

[۲۵] لقد کان إبراهیم علیه السّلام یحتج علی قوله بأنواع الاحتجاج، کما سبق بعضه فَما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ أی قوم إبراهیم علیه السّلام و هم نمرود و سائر الکفار المعاصرون له إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أی اقتلوا إبراهیم جزاء علی دعوته إلی التوحید و تعییبه الأصنام أَوْ حَرِّقُوهُ بالنار و أخیرا استقر رأیهم علی إحراقه، و ألقوه فی النار فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إذ قال سبحانه للنار: کونی بردا و سلاما علی إبراهیم إِنَّ فِی ذلِکَ الذی ذکر من قصة إبراهیم: دعوته، و کید الأعداء، و إنجائه لَآیاتٍ دالة علی أنه کیف ینصر الله أولیائه، و یخذل أعدائه لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ أن اللّه ینصر أولیاءه، و یخذل أعداءه أما غیرهم فلا یعتبرون بهذه القصص، و لذا لا ینتفعون بهذه الآیات.

[۲۶] وَ قالَ إبراهیم علیه السّلام لقومه، إما بعد نجاته من النار، و إما قبل إلقائه فی النار، و آخر السیاق هذه الجملة، لاستعجال المخاطب أن یعرف کیف صارت النتیجة- کما هو الطبیعی فی أمثال هذه القصص- إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ أیها القوم مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً أی أصناما، لأجل

(۱) الکهف: ۳۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۱۹۹

[سورة العنکبوت (۲۹): آیة ۲۶]

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّی مُهاجِرٌ إِلی رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۲۶)

مَوَدَّةَ بَیْنِکُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا فإنّ الأصنام کانت تجمعهم علی العقیدة الواحدة، فإذا أراد أحدهم الخروج عن عبادتها انفصمت مودته عن سائر أقربائه و أصدقائه، و لذا کان یحافظ علی هذه المودة بالاستمرار فی عبادتها، فاتخاذکم للأصنام للمجاملة لا للعقیدة، لکن هذه المودة تنقلب عداوة یوم القیامة ثُمَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکْفُرُ بَعْضُکُمْ بِبَعْضٍ أی یتبرأ بعض الکفار من بعض، القادة من الأتباع و الأتباع من القادة وَ یَلْعَنُ و یسب بَعْضُکُمْ بَعْضاً فیلعن الأتباع القادة الذین أضلوهم، و یلعن القادة الأتباع لئلّا یحملوا إثم الأتباع وَ مَأْواکُمُ أی مرجعکم و مصیرکم النَّارُ جزاء لشرککم وَ ما لَکُمْ مِنْ ناصِرِینَ ینصرونکم و یدفعون العذاب عنکم.

[۲۷] إنّ القوم لم یؤمنوا بإبراهیم، فَآمَنَ لَهُ أی لإبراهیم لُوطٌ النبی علیه السّلام، و هو ابن أخت إبراهیم و معنی آمن أنه صدقه فی دعوته، و إن کان هو أیضا نبیا وَ لما أن رأی إبراهیم أنهم لا تنفع فیهم الدعوة قالَ إِنِّی مُهاجِرٌ من بلادکم و قد کان قرب الکوفة إِلی رَبِّی أی إلی المکان الذی یختاره ربّی إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الغالب سلطانه، فلا یذل من نصره الْحَکِیمُ الذی یفعل الأشیاء بالحکمة و الصواب.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۰

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۴ ۲۴۹

[سورة العنکبوت (۲۹): الآیات ۲۷ الی ۲۸]

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨)

[٢٨] وَ وَهَبْنا لَهُ أى لإبراهيم إِسْحاقَ من سارة زوجته العقيمة، فقد كان إعطائه الولد منها خارقا، أما إسماعيل عليه السّلام، فقد كان من الطريق المألوف وَ يَعْقُوبَ ابن إسحاق، جد بنى إسرائيل وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ أى فى ذرية إبراهيم عليه السّلام النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ فقد بعث الله منهم أنبياء كثيرين و ما موسى و عيسى و محمد «صلوات الله عليهم أجمعين» إلا من ذريته عليه السّلام، و قد أعطى التوراة و الإنجيل و القرآن وَ آتَيْناهُ أى أعطينا إبراهيم أَجْرَهُ أى جزاء بلاغه و صموده فى الدعوة فِي الدُّنْيا حيث رفعنا مقامه، و جعلنا له الذكر الحسن، و جعلنا السيادة و الملك و النبوة فى أولاده و أحفاده وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ بأن يكون فى زمرة الأنبياء العظام.

[٢٩] وَ أرسلنا لُوطاً إلى قومه إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ و يجوز أن يكون التقدير، و اذكر لوطا حين تكلمه مع قومه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أى لتعملون الخلة الفاحشة فى الإثم، فإن فحش بمعنى تجاوز الحدّ، و اللواط إذ كان كبيرة جدا، يسمى بالفاحشة ما سَبَقَكُمْ بِها أى بهذه الفاحشة مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ فإنكم اخترعتموها، و من المعلوم أن البادئ فى العمل القبيح أظلم، لأنه يعلّم غيره و يمهد السبيل لغيره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ٢٠١

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٩ الى ٣١]

أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١)

[٣٠] أَ إِنَّكُمْ أيها القوم لَتَأْتُونَ الرِّجالَ أى تفعلون معهم وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ فقد اشتهر عملهم الفاحش فى القرى المجاورة، و إن من يمر بهم يفعلون به، و لذا ترك الناس المرور بمدنهم، خوف الفضيحة وَ تَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ؟ النادى هو محل الاجتماع، مشتق من النداء، لأن بعض الناس ينادى بعضا آخر للاجتماع و الذهاب إليه، فقد كانوا يتحابقون فى النادى بغير حشمة و احترام، و لعلّ أن نواديهم كانت مركزا لأنواع الفسوق، كما هو الطبيعى فى مثل تلك الأمة، و نشاهد مثلها فى زماننا هذا، و من المعلوم أن الاستفهام إنكارى فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ أى قوم لوط إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا و جىء إلينا بِعَذابِ اللَّهِ الذى تعدنا على كفرنا و منكرنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى دعواك و ما تقول بأن البقاء على الكفر و العصيان موجب للعذاب.

[٣١] عند ذاك قالَ لوط عليه السّلام مناجيا ربه، يا رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ بتعذيبهم، و نجاتى منهم، و قد دعا بذلك بعد ما يأس من اهتدائهم.

[٣٢] و قد استجاب الله دعاء لوط، فأرسل جبرائيل و معه ملكين آخرين لتعذيب أهل القرية، و فى طريقهم إلى بلاد لوط مرت الملائكة على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ٢٠٢

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٢ الى ٣٣]

قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢) وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣)

إبراهيم عليه السّلام وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ جلسوا عنده فى زيّ لم يعرفهم، ثم عرفهم، و زفّوا إليه بِالْبُشْرى أى البشارة بإسحاق، و إن الله يرزقه ولدا من زوجته «سارة» بعد ذلك قالُوا أى الملائكة إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ أى قرية قوم لوط، و قد كانت قريبة من محل إبراهيم عليه السّلام إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ كافرين مرتكبين للفواحش و المنكرات.

[٣٣] قالَ إبراهيم عليه السّلام للرسل إِنَّ فِيها أى فى القرية لُوطاً و هو عبد صالح، فكيف تهلكون القرية و هو فيها؟ قالُوا أى قالت

الملائکـة فی جواب إبراهیم نَحْنُ أَعْلَمُ من غیرنـا بِمَنْ فِیهـا فلا نریـد إهلاک الجمیع حتی لوط علیه السّـلام لَنُنَجِّیَنَّهُ أی نخلص لوط وَ أَهْلَهُ المؤمنین بإخراجهم من القریـة إِلَّا امْرَأَتَهُ فإنها تبقی لتعـذب فیمن یعذّب لأنها فاسدة ظالمة کسائر القوم کانَتْ المرأة مِنَ الْغابِرِینَ أی الباقین لتعذب مع القوم، من «غبر» بمعنی مضی، کأنها تمضی فیمن یمضی.

[۳۴] وَ تحرکت الملائکـة من عند إبراهیم قاصدین قری لوط و لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا أی الملائکة لُوطاً علیه السّـلام سِیءَ بِهِمْ أی ساء لوط

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۳

[سورة العنکبوت (۲۹): الآیات ۳۴ الی ۳۵]

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلی أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ (۳۴) وَ لَقَدْ تَرَکْنا مِنْها آیَةً بَیِّنَةً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۳۵)

مجیء الرسـل، فـإنه لم یعرفهم ابتـداء و ظنهم ضـیوفا آدمیین، و قـد کانوا أصـحاب جمال، فخاف لوط إن اطلع القوم أن یعملوا معهم الفاحشة وَ ضاقَ لوط بِهِمْ أی بسـبب الرسل ذَرْعاً هذا تمییز ل «ضاق» أی ضاق من حیث الذرع، و هو الطاقة، و قد عرف القوم بمکان الضـیوف، و جاءوا لأخذهم و عمل الفاحشة، فخاف لوط من الفضیحة، و هناک أظهر الرسل حقیقة أمرهم وَ قالُوا للوط لا تَخَفْ علینا و لا ـ علی نفسک وَ لا تَحْزَنْ بما نفعله بالقوم من العـذاب، أو لا تحزن علینا، فإنهم لن یصـلوا إلینا و لا إلیک إِنَّا مُنَجُّوکَ وَ أَهْلَکَ أی ننجیک من العـذاب الـذی یشـملهم إِلَّا امْرَأَتَکَ الکافرة فإنا لا ننجیها بل نـذرها مع القوم کانَتْ مِنَ الْغابِرِینَ من جملـة الباقین لتعـذب بعذابهم.

[۳۵] إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلی أَهْلِ هـذِهِ الْقَرْیَةِ التی أنت بها، و هی «سدوم» رِجْزاً أی عذابا مِنَ السَّماءِ بِما کانُوا یَفْسُـقُونَ أی بسـبب فسـقهم و خروجهم عن طاعة الله بالکفر و العصیان.

[۳۶] ثم خرج لوط و المؤمنون لیلا، و نزل العذاب علی أهل القریة وَ لَقَدْ تَرَکْنا مِنْها أی أبقینا من القریة آیَةً بَیِّنَةً أی علامة واضـحة، و هی آثار منازلهم الخربة، و أرضهم التی لا تنبت

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۴

[سورة العنکبوت (۲۹): الآیات ۳۶ الی ۳۸]

وَ إِلی مَـدْیَنَ أَخـاهُمْ شُـعَیْباً فَقالَ یا قَوْمِ اعْبُـدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِـدِینَ (۳۶) فَکَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ (۳۷) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَـدْ تَبَیَّنَ لَکُمْ مِنْ مَساکِنِهِمْ وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِیلِ وَ کانُوا مُسْتَبْصِرِینَ (۳۸)

لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ فإذا ذهب الإنسان من الحجاز إلی الشام، أو رجع رأی أرضهم الیباب فی الطریق.

[۳۷] وَ أرسـلنا إِلی مَدْیَنَ اسم قبیلة سمیت باسم جدهم الأعلی «مدین» أَخاهُمْ شُعَیْباً فإن شعیب کان من نفس تلک القبیلة فَقالَ لهم یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده لا شـریک له و لا تتخذوا الأصـنام آلهة شـرکاء مع الله وَ ارْجُوا الْیَوْمَ الْآخِرَ أی اعتقدوا به، راجین لثوابه، و ذلک کنایـة عن طلبه لهم- فوق الاعتقاد بالقیامة- العمل الصالح لأجل لقائه وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ یقال «عثی» إذا أفسد فسادا کثیرا، و لعل التأکید ب «مفسدین» لإفادة أن لا یکون فسادهم عن قصد و تعمد، أی لا تفسدوا فی الأرض عامدین.

[۳۸] فَکَـذَّبُوهُ و قـالوا له أنت تکـذب فی وحـدة الإلـه، و وجود الیوم الآخر، و إنـک رسول من قبـل الله فَأَخَـذَتْهُمُ الرَّجْفَـةُ صـاح بهم جبرائیل صـیحة رجفت و اضـطربت منها أجسامهم فَأَصْـبَحُوا فِی دارِهِمْ التی ینبغی أن یکونوا فی أمن و سلام فیها، فإن الإنسان یصاب بالمکروه فی الأسفار لا فی الدیار جاثِمِینَ من جثم، بمعنی بقی بدون حرکة، و هو کنایة عن موتهم من تلک الصیحة.

[۳۹] وَ أهلکنا أیضا عاداً بعد ما أنذرهم النبی هود علیه السّلام، فلم یقبلوا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۵

[سورة العنكبوت (۲۹): آية ۳۹]

وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ما كانُوا سابِقِينَ (۳۹)

قوله وَ ثَمُودَ بعد ما أنذرهم النبى صالح فكذبوه وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ يا كفار قريش، بعض مِنْ مَساكِنِهِمْ الباقية فى أطراف بلادكم، فكان «حجر» بلاد ثمود فى طرف الشام، و الأحقاف بالقرب من حضرموت يمن بلاد عاد وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فكانت أعمالهم العصيانية مزينة فى أعينهم، و المزين هو الشيطان، لأنه الذى يوسوس بالقبائح إلى الإنسان فَصَدَّهُمْ أى منعهم عَنِ السَّبِيلِ أى سبيل الله وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ يبصرون الأمور و يميزون بين الحق و الباطل، و مع ذلك ارتكبوا المعاصى فأهلكوا، و المراد بهذا أنهم، قد تمت عليهم الحجة.

[۴۰] وَ أهلكنا قارُونَ الذى كان من قوم موسى، و مرت قصته فى السورة السابقة وَ فِرْعَوْنَ الذى كان يقول أنا ربكم الأعلى وَ هامانَ وزير فرعون وَ لَقَدْ جاءَهُمْ أى جاء إلى هؤلاء الثلاثة مُوسى النبى عليه السّلام بِالْبَيِّناتِ أى بالحجج الواضحات من العصا و اليد، و فلق البحر و غيرها فَاسْتَكْبَرُوا أى طلبوا الكبرياء فِي الْأَرْضِ و لم يخضعوا لأوامر موسى، لما قد ظنوا أن فى ذلك منافاة لمقامهم و عظمتهم وَ ما كانُوا سابِقِينَ أى لم يفوتنا، تشبيه بمن يسبق الطالب فى الفرار، فلا يتمكن من اللحاق به ليعاقبه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۶

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۴۰ الى ۴۱]

فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۰) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۴۱)

[۴۱] فَكُلًّا من تلك الأقوام، و أولئك الأفراد الذين عتوا عن الحق، و لم يطيعوا الأنبياء أَخَذْنا بِذَنْبِهِ أى عذبناه حسب معصيته فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً و هى الحجارة، و هم قوم لوط الذين أمطروا بالحجارة وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ و هم ثمود، و أهل مدين، حيث صاح بهم جبرائيل فأهلكوا من شدة وقع الصيحة فى قلوبهم و على أرواحهم وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ فذهب فى الأعماق، و هو قارون وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا فى البحر، و هو فرعون و هامان و قومهما وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ فى تعذيبهم بهذه الأنواع من العذاب من غير ذنب، و بدون إتمام الحجة وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فقد ظلموا أنفسهم بالكفر و الطغيان فرأوا جزاء أعمالهم.

[۴۲] ألا- فليعتبر كفار قريش بهذه العبر، و إلا- أصابهم ما أصاب أولئك، و ماذا يتخذ الكفار من الآلهة؟ فهل هؤلاء الأولياء يقاسون بالله؟ كلا إنها أوهن من بيت العنكبوت، و مثل هؤلاء الذين يتخذون الأصنام آلهة كمثل العنكبوت التى تبقى و تحرز نفسها بالبيت الضعيف الذى صنعته من خيوط واهية لا بقاء له، و لا يقيها من شر الأعداء مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ و هى الأصنام التى كان المشركون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۷

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۴۲ الى ۴۳]

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۴۲) وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ (۴۳)

يتولونها، و يجعلونها أولياء لهم عوض أن يتخذوا الله وليا كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً لنفسها لتأوى إليه، و يقيها الكوارث، فكما أن بيت العنكبوت لا يفيدها شيئا، كذلك أولياء هؤلاء لا يفيدونهم شيئا و لا يضرونهم فى الدنيا، و لا فى الآخرة وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ التى تصنعها الحيوانات لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فإن بيتها يطير بنفح من وهنه و ضعفه لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ أى لو كان هؤلاء يدركون الواقع، لعلموا أن أولياءهم كبيت العنكبوت الذى لا يغنى شيئا.

[۴۳] فليعملوا ما شاءوا، و ليتخذوا من شاءوا أولياء، فهم بعلم الله، و سيجزيهم بما اقترفوا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ أى

أنه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار من الأصنام، فهو يعلم دعوتهم، كما يعلم معبوداتهم، و هذا تهديد لهم، كما تقول: أنا أعلم من تجالس، تريد تهديده فى هذه المجالسة وَ هُوَ الْعَزِيزُ سلطانه، فإذا أراد شيئا تمكن عليه الْحَكِيمُ لا يفعل شيئا إلا حسب المصلحة، فتأخير إهلاك هؤلاء، ليس عجزا، بل عن حكمة و صلاح.

[۴۴] وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ الأشباه و النظائر التى نشبه بها بعض الأمور، كتشبيه أولياء الكفار ببيت العنكبوت نَضْرِبُها لِلنَّاسِ أى نذكرها لهم، و قد سبق أنه يسمى «ضربا» باعتبار أنه يوجد اصطداما فى الذهن، مما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۸

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۴۴ الى ۴۵]

خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (۴۴) اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ (۴۵)

يسبب تركيز المطلب و بقائه وَ ما يَعْقِلُها أى ما يفهم الأمثال إِلَّا الْعالِمُونَ فإن العلماء هم الذين تهز مشاعرهم الأمثال، أما من سواهم، مما لا فكر له و لا تدبير، فيبقى جامدا لا حراك لذهنه.

[۴۵] إن كل ما يذكره سبحانه للحق لا للهو، و منه ضرب المثل، فقد خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِ فلم يكن خلقهما لأجل اللعب و اللهو، فكيف من يخلق الأشياء بالحق يأتى بالمثل لعبا؟ إذ فعل الواحد بعضه يشبه بعضا؟ إِنَّ فِي ذلِكَ أى فى خلق الكون لَآيَةً دالة على وجود الله و صفاته لِلْمُؤْمِنِينَ لأنهم المنتفعون بهذه الآية، و إن كان كونه علامة عامة لجميع العقلاء، فكيف يتخذ الكفار من دونه أولياء؟

[۴۶] اتْلُ أى أقرأ يا رسول الله ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ أى القرآن وَ أَقِمِ الصَّلاةَ أى أدّها بحدودها و آدابها إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ الفحشاء صفة للمعصية المقدرة، و هى أعظم من المنكر لاعتبار كونها فاحشة فى الحرمة متعدية للحدود تعديا كثيرا، من فحش بمعنى تعدى، و المنكر كل عصيان ينكره العقل و الشرع، و إنما كانت الصلاة ناهية عن المنكرات، لأنها- باستمرارها- تولد فى الإنسان ملكة الخوف من الله الموجب لاجتناب المعاصى وَ لَذِكْرُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۰۹

اللَّهِ بأن يكون الإنسان متذكر لله سبحانه دائم الأوقات، حتى لا يصدر منه عصيان إطلاقا، لخوفه منه تعالى أَكْبَرُ من الصلاة، لأن الصلاة من إحدى مصاديق الذكر و لوازمه وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ أيها البشر، فاعملوا الطاعات، و لا تعملوا المعاصى، فإنكم تحت اطلاعه و علمه، لا يفوته شىء من أعمالكم، و لعل المراد بهذه الآية، إعلام النبى، بأنه يستمر فى عمله و دعوته، فلا يهتم بما يفعله المشركون و العصاة، إنه مأمور بالسير فمن شاء تبعه، و من لم يشأ بقى فى كفره و ضلاله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۱

تقريب القران الى الأذهان الجزء الحادى و العشرون من آية (۴۷) سورة العنكبوت إلى آية (۳۱) سورة الأحزاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۲

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۳

[سورة العنكبوت (۲۹): آية ۴۶]

وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۴۶)

[۴۷] و لما ذكر سبحانه لزوم الدعوة إليه سبحانه، و تقدم قسم من الاحتجاجات مع المشركين، بين كيفية دعوة أهل الكتاب، و خصهم

بالذکر لأنهم أکثر خطرا علی الدعوة الإسلامیة من المشرکین، فإنهم إن ثارت حفیظتهم عملوا عملهم فی هدم الإسلام، فقال سبحانه وَ لاـ تُجادِلُوا أیها المسلمون، و الجدال الاحتجاج مع الخصم فی مطلب مختلف فیه أَهْلَ الْکِتابِ و هم الیهود و النصاری و المجوس إِلَّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ أی بالطریقة التی هی أحسن الطرق، بأن تکون بعیدة عن آثار الغضب، قریبة إلی النصفة، قویة فی الحجة، برفق و لین إِلَّا الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالاعتداء فی البحث و الإفراط، فإن أخذ طرف اللین، و جانب الرفق، یوجب تقویة جانبهم، فإنه مباح أن تکون المجادلة حینئذ بالمثل وَ قُولُوا لهم عند الجدل آمَنَّا نحن المسلمین بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنا و هو القرآن وَ أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ و هو التوراة أو الإنجیل- مثلا- وَ إِلهُنا نحن المسلمین وَ إِلهُکُمْ أنتم أهل الکتاب واحِدٌ فلا نعبد إلها لا تعبدونه وَ نَحْنُ لَهُ لذلک الإله مُسْلِمُونَ قد خضعنا و أنقذنا، و إذ کان لنا و لکم أمور مشترکة، فلنجتمع علیها، و ندع الأمور المفرقة، ککون البشر الفلانی ابن الله، و نحو ذلک و هذا مثل قوله سبحانه (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَةٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ) «۱»

---

(۱) آل عمران: ۶۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۴

[سورة العنکبوت (۲۹): الآیات ۴۷ الی ۴۸]

وَ کَذلِکَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ فَالَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلاَّ الْکافِرُونَ (۴۷) وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸)

[۴۸] وَ کَذلِکَ أی کما أنزلنا علی موسی و عیسی علیهما السّلام الکتاب أَنْزَلْنا إِلَیْکَ یا رسول الله الْکِتابَ الذی هو القرآن، فالکتب کلها منزلة من عند إله واحد، لغایة واحدة، و إنما التحریف حصل من أهواء قوم قد ضلوا أو أضلوا فَالَّذِینَ آتَیْناهُمُ أی أعطیناهم الْکِتابَ بأن کانوا حقیقة من أهل الکتاب لا من أهل الأهواء و التعصب یُؤْمِنُونَ بِهِ أی بهذا الکتاب الذی أنزل إلیک وَ مِنْ هؤُلاءِ الکفار الذین فی مکة مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ أی بالقرآن وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا ینکرها، و لا یعترف بها إِلَّا الْکافِرُونَ الذین کفروا بالله، و لا یریدون الحق، سواء کانوا فی زی أهل الکتاب، أو فی زی المشرکین و إلاـ فالأدلة الدالة علی صدق هذا الکتاب متوفرة، فما یمنعهم عن الإیمان، إلا بالکفر و الجحود؟

[۴۹] و قد حفظنا هذا القرآن عن کل شبهة، لمن أراد الحق و الإنصاف، فقد جعلنا الرسول أمیّا لم یختلف إلی معلم قط، فلم یکن القرآن محل شبهة أن یکون الرسول تعلم قبلا ثم جاء به وَ ما کُنْتَ یا رسول اللّه تَتْلُوا و تقرأ مِنْ قَبْلِهِ أی من قبل القرآن مِنْ کِتابٍ فلم یکن الرسول قارئ حسب الموازین الاجتماعیة، و إن کان یعرف القراءة بإلهام الله تعالی وَ لاـ تَخُطُّهُ أی لم تکن تکتب الکتاب بِیَمِینِکَ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۵

[سورة العنکبوت (۲۹): الآیات ۴۹ الی ۵۰]

بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (۴۹) وَ قالُوا لَوْ لاـ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآیاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ (۵۰)

أی بیدک، و إنما خصّ الیمین، لأنه الغالب فی الکتابة إِذاً أی لو کنت تقرأ أو تکتب لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ أی لوجد المبطلون طریقا للتشکیک فی القرآن، و لقالوا إنما جمعه مما تعلمه سابقا، و إنما قال «المبطلون» لأن الارتیاب أیضا فی ذلک الوقت کان فی غیر محله إذ إن الکاتب القارئ، لا یتمکن أن یأتی بمثل هذا القرآن.

[۵۰] إذن لم یکن القرآن مجموعا من علوم سابقة تعلمها الرسول، ثم جاء بها بهذه الصورة بَلْ هُوَ أی القرآن آیاتٌ بَیِّناتٌ واضحات فی کونها خارقة من عند الله سبحانه، لاـ من صنع بشر، و تألیف إنسان فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ فمن کان عالما، یعلم أن هذا

القرآن، لا يمكن أن يأتى به بشر، فقوله «فى صدور» متعلق ب «بينات» أى أنها واضحة عند أهل العلم، أما الجهّال، فإنهم لا يميزون بين المعجز، و بين المؤلف، كما لم يميزوا بين عصا موسى، و سحر السحرة، و بين إحياء عيسى و طب الأطباء وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا و ينكرها، بل يقول إنها مختلقة اختلقها الرسول إِلَّا الظَّالِمُونَ الذين ظلموا أنفسهم بالانحراف عن منهج الحق، فتمسكوا بالافتراء لإطفاء نور الإسلام.

[۵۱] وَ قالُوا أى الكفار لَوْ لا أى هلّا، و لماذا ما أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ خارقة، كخارقة العصا، و اليد البيضاء؟ فإنه لو كان نبيا لأتى بمثل ما أتى موسى، فقد أعرضوا عن القرآن المعجز الباقى، إلى طلب معجزة مادية مؤقتة قُلْ يا رسول الله، فى جوابهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۶

[سورة العنكبوت (۲۹): آية ۵۱]

أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۵۱)

إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ فإذا شاء أنزلها، و إن لم يشأ لم ينزلها، أما ما يكفى للحجة، فقد أتيتكم به، و أما للمعاند، فلا تكفى حتى تلك الآيات المادية وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أى منذر واضح إنى من قبل الله تعالى، أما كيفية المعجزة، فهو سبحانه أعلم بمصالح العباد، و قد كان هؤلاء معاندون، و إلا ألم يكفر الناس بموسى (قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) «۱» ثم إن الله خصّ كل نبى بآية تناسب زمانه، و زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان زمن الفصاحة و البلاغة، كان المناسب له الإتيان بهذا الجنس من الإعجاز- كما قرر ذلك فى علم الكلام مفصلا-.

[۵۲] أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أى ألا يكفى هؤلاء الكفار، دليلا على صدقك و نبوتك أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ يا رسول الله الْكِتابَ الذى هو القرآن يُتْلى عَلَيْهِمْ و يقرأ لديهم، فلا يتمكنون من الإتيان بأقصر سورة منه، مع أنهم فصحاء بلغاء؟ إِنَّ فِي ذلِكَ الإنزال للكتاب لَرَحْمَةً حيث يقرر القرآن مناهج السعادة للبشر وَ ذِكْرى تذكر البشر، بما أودع فيهم من الفطرة بالنسبة إلى المعارف و الآداب، و أصول الاجتماع لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ و إنما خصهم، لأنهم هم المنتفعون بالقرآن، و إلا فالقرآن ذكرى لجميع البشر، و هل بعد هذا الكتاب العظيم، يطلب

(۱) القصص: ۴۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۷

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

قُلْ كَفى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۵۲) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۵۳)

منك الكفار أن تأتيهم بآية مادية، لا تقرر للحياة منهجا، و لا تذكر الإنسان تذكيرا؟

[۵۳] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الذين يناقشون فى نبوتك و يطلبون الخوارق المادية للإيمان برسالتك كَفى بِاللَّهِ أى كفى الله، و إنما جيء بالباء، لأنه بمعنى اكتفى فلان بالله بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً فالنزاع الذى بينى و بينكم حول رسالتى، يشهد الله لى، و ذلك لأنه أجرى هذه الخارقة- و هو القرآن- على لسانى، و لو كنت كاذبا لتمكن كل فصيح أن يأتى بمثله، و لا مجال، لأن تقولوا إن الله لا يعلم بادعائك هذا، حتى يرد عليك و يمنعك، فإنه يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فكيف لا يعلم بى، و بادعائى وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ بأن عبدوا الأصنام، و جعلوها آلهة وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ بأن أنكروه أو أشركوا به أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ الذين خسروا أنفسهم، فعوض أن يعطوا النفوس، ليحصلوا على الجنة، أعطوا النفوس فحصلوا على النار، حتى ابتليت نفوسهم، كالخاسر الذى يذهب رأس ماله، و حيث إن طرف كلام الرسول كان المشركين الذين ينكرون التوحيد، و الرسالة، و المعاد، جاءت الآيات معترضة لكل ذلك، فلا يقال أى ربط بإنكارهم للرسالة التى كان التعرض عليها فى أول الآية، مع الذين آمنوا بالباطل؟

[۵۴] وَ يَسْتَعْجِلُونَکَ يا رسول الله بِالْعَذابِ أى يطلبون عجلة العذاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۸

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۴ الى ۵۵]

يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (۵۴) يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۵)

لأنفسهم، فإنهم كانوا يقولون للرسول، إن كان حقا، فادع ربک أن ينزل علينا العذاب- استهزاء- لأن يقولوا، حيث لم تقدر على إنزال العذاب، فأنت كاذب، لا اتصال لک بالله وَ لَوْ لا أَجَلٌ و وقت قدّره الله لهم مُسَمًّى قد سمّى ذلک الوقت فى اللوح المحفوظ لَجاءَهُمُ الْعَذابُ الذى استحقوه، فإنه سبحانه قدّر لهم أجلا، للامتحان، و لإيمان بعض الكافرين، لذا ترى أنه لو عجل على كفار مكة العقاب، فات إيمان جماعة منهم آمنوا بعد ذلک وَ لا يستبطئ الكفار العذاب، فإنهم إن بقوا على كفرهم لَيَأْتِيَنَّهُمْ العذاب بَغْتَةً أى فجأة بدون سابق إنذار، و ذلک عند مماتهم، أو عند حرب الرسول لهم، و قتلهم و أسرهم، أو ما أشبه، كما ابتلى جماعة منهم بأنواع الأمراض المهلكة وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ بوقت إتيان العذاب حتى يأخذوا حذرهم.

[۵۵] يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ أى إن هؤلاء، إنما يطلبونک يا رسول الله، بأن تجعل لهم العذاب فى الدنيا، فلنأخذ أنهم لم يعذبوا هنا- لبعض المصالح- فهل لهم إفلات عن عذاب جهنم؟ كلا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ مشتملة عليهم بحيث لا مفرّ لأحد منهم، منها، و سيلاقونها و يعذبون فيها بأنواع العذاب.

[۵۶] إن عذاب جهنم ليحيط بهم فى يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ و يسترهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۱۹

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۶ الى ۵۷]

يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (۵۶) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ (۵۷)

مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ فهم فى وسط النار المحيطة بهم وَ يَقُولُ الله لهم ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى جزاء أعمالكم فقد أسند ما للمسبب إلى السبب، إذ العمل سبب العذاب.

[۵۷] و إذ رأينا جزاء الكافرين فلننظر إلى المؤمنين كيف يجازون، و قد كان الكفار يؤذونهم و هم فى مكة، و يخاف المؤمنون إن بقوا هناک أن يقتلوهم- كما قتلوا ياسرا و سمية- و إن خرجوا أن يقتلوهم، لئلا ينشروا الدعوة خارج البلاد، و لذا عقّبوا جعفرا حين ذهب إلى الحبشة، فخاطبهم سبحانه بقوله يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فأنتم عبادى، و هذه أرضى واسعة أمامكم فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ و لا تشركوا بى شيئا، فإن تمكنتم من عبادتى فى بلادكم، فهو، و إلا فاخرجوا منها إلى حيث تتمكنون من عبادتى فيها.

[۵۸] و إن خفتم من القتل و الموت عند الهجرة؟ فهوّنوا على أنفسكم ذلک، أليس مصير كل إنسان إلى الفناء؟ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ أى تذوق الموت حتما «من فاته اليوم سهم لم يفته غدا» فلا تخافوا من الموت، إن احتملتم لقائه فى هجرتكم ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ فنجازيكم على حسن أعمالكم، و هذان سببان محفّزان لعدم مبالاة المؤمن بالموت، الأول، أن الموت يدرک الإنسان لا محالة، و الثانى، أنه يرجع إلى الله الذى أعد له كل ثواب و جزاء حسن.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۰

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۸ الى ۶۰]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (۵۸) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۵۹) وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُها وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۶۰)

[۵۹] و هناک الجنة التى فيها ما تشتهى الأنفس، و تلذ الأعين وَ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله و ما جاء به وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ بأن

عملوا بالأوامر، و اجتنبوا النواهى لَنُبَوِّئَنَّهُمْ أى لننزلنهم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً يتخذونها مبوّء، و محلّا لسكناهم، و غرف جمع غرفة، و هى العالية من البناء المشرفة على الأرض تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فإنها جارية على الأرض، فهم فوقها خالِدِينَ فِيها أى فى حال كونهم دائمين فى تلك الجنة و النعمة نِعْمَ ذلك أَجْرُ الْعامِلِينَ الذين عملوا بالطاعة، و اجتنبوا المعصية، أى أنه أجر حسن.

[۶۰] ثم وصف العاملين بأهم الصفات التى يحتاج إليها الإنسان الذى وقع فى فتنة و اختبار الَّذِينَ صَبَرُوا على دينهم، و إن لاقوا صنوف الأذى وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يفوضون أمورهم إليه، و يوكلونه فى مهامهم.

[۶۱] و إذ أمر المسلمين بالهجرة، و ذكر لهم أن خوفهم من الموت- المحتمل للمهاجر- لا ينبغى أن يعبأ به، بيّن أن ما يخافه المهاجر، من اختلال أمر معيشته- حيث إن الإنسان فى غربته عن وطنه، لا يتمكن من تحصيل المعاش- أيضا مما لا ينبغى أن يعتنى به، أليس الله هو الرازق للدواب التى لا تعرف تحصيل الرزق؟ فهو قادر على أن يرزق المهاجرين، حينما ينقطعون عن موارد أرزاقهم، التى كانت مهيأة فى أوطانهم وَ كَأَيِّنْ هى بمعنى «كم» الخبرية، أى و كم مِنْ دَابَّةٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۱

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۱ الى ۶۲]

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (۶۱) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۶۲)

تدب على وجه الأرض لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا أى لا تقدر على حمل و تحصيل رزقها لضعفها، و عدم شعورها على التحمل و الطلب اللَّهُ يَرْزُقُها وَ إِيَّاكُمْ أى يرزق تلك الدابة الضعيفة و يرزقكم وَ هُوَ السَّمِيعُ لأقوالكم الْعَلِيمُ بنياتكم، فلا تقولوا و لا تنووا شيئا ينافى إيمانكم.

[۶۲] ثم يرجع السياق إلى المحاورة مع الكفار المنكرين للتوحيد و الرسالة و المعاد، فيقول سبحانه وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أى سألت الكفار، يا رسول الله، أو أيها السائل مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بأن أنشأها و أخرجهما من العدم إلى الوجود وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ ذللهما حتى يسيران بهذا السير المنظّم لمنافع العباد لَيَقُولُنَّ فى جواب ذلك اللَّهُ هو الخالق المسخّر، إذ لا يتمكنون أن يقولوا صنع كل ذلك الصنم فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ أى بعد هذا الاعتراف، كيف يصرفون من عبادة الإله، إلى عبادة الأصنام؟ من أفك بمعنى صرف، و يسمى الكذب إفكا، لأنه صرف الكلام عن الحقيقة نحو خلاف الواقع.

[۶۳] اللَّهُ هو الخالق المسخر، و هو الرازق المقدر، فلما ذا يعبدون الأصنام؟ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ أى يوسعه لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أن يوسّع عليه وَ يَقْدِرُ لَهُ أى يضيق الرزق لمن يشاء من عباده، من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۲

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۳ الى ۶۴]

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۶۳) وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۶۴)

«قدر» بمعنى ضيق، و الظاهر أن لفظ «له» عائد إلى لفظ «من يشاء» لا إلى معناه حتى يستلزم التناقص، و يحتاج فى جوابه إلى التزام تعدد الوقت إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيعلم مصالح العباد، و طبق ذلك العلم الواسع يوسع فى الرزق لبعض، و يضيق فيه لبعض.

[۶۴] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أى سألت الكفار العابدين للأصنام مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً أى المطر فَأَحْيا بِهِ أى بذلك الماء الْأَرْضَ بأن أوجد فيها حركة تقتضى إنبات النبات مِنْ بَعْدِ مَوْتِها حيث لا حركة لها و لا إنماء- أو إن الإحياء للنبات، و نسب إلى الأرض بعلاقة الحال و المحل- لَيَقُولُنَّ فى الجواب اللَّهُ يحيى الأرض بعد موتها قُلِ يا رسول الله، بعد ما سمعت هذا الاعتراف منهم الْحَمْدُ لِلَّهِ فقد اعترفتم بأن الله هو الوحيد فى إدارة الكون، كما اعترفتم من قبل بأنه هو الوحيد فى الخلق و الرزق بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ توحيد الإله مع إقرارهم

بأنه الخالق الرازق المصرف.

[۶۵] إنهم بعد أن اعترفوا بالإله، يلفتهم السياق إلى المعاد وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ موجبة لأن يلهو الإنسان، و ينسى الحقائق و الغرض الأصلى من الخلقة وَ لَعِبٌ كلعب الأطفال يشغل الإنسان مدة ثم يزول و ينصرم وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ أى الحياة الحقيقية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۳

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۵ الى ۶۶]

فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ (۶۵) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۶۶)

التى يصح أن يقال لها حياة، و حياة و حيوان، بمعنى واحد، يقال حيى حياة و حيوانا لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ أى لو علموا الفرق بين الحياتين لرغبوا فى تلك، و زهدوا فى هذه.

[۶۶] إن هؤلاء الذين يشركون بالله، قد دلت فطرتهم على وحدة الإله، حتى أنهم ليتوسلون فى المشاكل إليه وحده، أما إذا انحلت المشكلة، رجعوا إلى كفرهم، جريا حسب المألوف عندهم، و التقليد فَإِذا رَكِبُوا أى هؤلاء الكفار فِي الْفُلْكِ أى السفينة، و اضطربت بهم الأمواج دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى توسلوا إليه فى حال كونهم يخلصون له الطريقة و الدعوة، فلم يدعوا الشركاء لأنهم يعلمون أن لا منجى إلا الله سبحانه فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ بأن لم يهلكوا و أتوا إلى البر سالمين بفضله سبحانه إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ أى عادوا إلى شركهم، كما كانوا سابقا، و كان الإتيان بلفظة «إذا» لإفادة المبالغة، فإنه كان من التوقع منهم أن يبقوا موحدين بعد تلك الكارثة، فإذا بهم يفاجئون الناس بالشرك.

[۶۷] لِيَكْفُرُوا لعل اللام لام الأمر، جىء للتهديد نحو «افعل ما شئت» أى فليكفر هؤلاء بِما آتَيْناهُمْ أى أعطيناهم من الحياة، و الصحة و الغنى و سائر الخيرات وَ لِيَتَمَتَّعُوا بمتاع الحياة من مأكل و مشرب، و ملبس و منكح و مركب فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة كفرهم، و هى النار و العذاب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۴

[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۷ الى ۶۹]

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (۶۷) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (۶۸) وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (۶۹)

[۶۸] و من عجيب أمر هؤلاء، أن الله قد أنعم عليهم، و هم يبدلون نعمة الله كفرا، فقد أعطاهم حرما آمنا، ثم هم يجعلون الحرم مركزا للأصنام، فمن يا ترى جعل الحرم آمنا غير الله؟ أَ وَ لَمْ يَرَوْا أى ألم يعلم هؤلاء الكفار أَنَّا جَعَلْنا لهم حَرَماً آمِناً يحترم فيه دماءهم و أموالهم من القتل و الغارة وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ يختطفهم أعداءهم، فالقبائل تغير بعضها على بعض، فيقتلوا و يأسروا، أليس هذا يقتضى أن يشكروا الله على هذه النعمة و يوحدوه؟ أَ فَبِالْباطِلِ و هى الأصنام يُؤْمِنُونَ فيجعلونها آلهة؟ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ التى أنعمها عليهم يَكْفُرُونَ فيجعلون الحرم الذى هو نعمة الله عليهم، محلا للأصنام و الأوثان، فإن كفران النعمة أن تصرف فى معصية الله.

[۶۹] وَ مَنْ أَظْلَمُ أى لا أظلم من هكذا إنسان- و الحصر إضافى- مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ككفار مكة الذين جعلوا لله شركاء افتراء و كذبا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِ أى كذّب بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و القرآن لَمَّا جاءَهُ يريد إرشاده و هدايته أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً أى محل ثوى و إقامة لِلْكافِرِينَ فليعملوا ما يشاءون، فإن مصيرهم إلى النار، و هل هناك كفر أعظم من الشرك و تكذيب الرسل؟

[۷۰] إن فى وسط هذا الزحام الخانق، و الجو الكافر، من يجاهد فى الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۵

بالإيمان، و الأعمال الصالحة، فإنه يهتدى إلى طريق الحق، الموصل له إلى سعادة الدنيا و الآخرة وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا أى من أجلنا، و ابتغاء مرضاتنا و طاعتنا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا جمع سبيل و هو الطريق الذى قررنا لأجل الرشاد و الصلاح و الخير و السعادة، و هذا عام، فكل من جاهد فى طريق فتح أمامه باب الحق و الصدق وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى نياتهم و أقوالهم و أعمالهم، فإنه تعالى معهم بالنصرة و الغلبة و السعادة فى الدارين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۶

۳۰ سورة الروم مكيّة/ آياتها (۶۱)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على كلمة «الروم» و إشارة إلى قصة لهم مع الفرس، و هى كسائر السور المكية، تطرق طرفا من العقيدة و التوحيد و الرسالة و المعاد، قال فى المجمع: أجمل فى آخر العنكبوت ذكر المجاهدين، ثم فصل فى هذه السورة، فقال.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى إن ابتدأ به شىء، كان الشىء مطبوعا بطابع الإيمان، فله سمة المؤمنين فى الظاهر، و عليه رعاية الله فى الباطن، فإن من هتف باسم شخص جعله ظهيرا لنفسه، أليس أبدى إنه من جمعه و حزبه؟ و استمداد من الرحمة المطلقة و الفيض العميم الذى وسع كل شىء، لتشمله الرحمة الخاصة، و اللطف المخصوص.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۷

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۱ الى ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (۳) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴)

[۲] الم رمز بين الله و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أو المراد، إن هذا الكتاب من جنس «ألف» «لام» «ميم» أو غير ذلك من الأقوال البالغة نيفا و عشرين، و هو خبر مبتدأ محذوف، أى «هذا: الم» حذف خبره، أى «الم: هذا الكتاب».

[۳] غُلِبَتِ الرُّومُ فقد كان بين الروم، و هم المسيحيون، و كانوا فى طرف غرب الجزيرة، تقريبا، و بين الفرس، و هم المجوس، و كانوا فى شرق الجزيرة، تقريبا حروب دامية على طول الخط، فتارة يغلب هؤلاء على هؤلاء، و أخرى بالعكس، و اتفقت إحدى حروبهم فى بدء الإسلام حين الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان بمكة، فغلبت الفرس على الروم، حتى أخذت الفرس مركز المسيحيين «بيت المقدس» و فرح الكفار بذلك، لأن الفرس كانت مثلهم فى عدم الاعتقاد بالإله، كما حزن المسلمون، لأن الروم كانت ذات دين و كتاب و اعتقاد، و كانت بينهم و بين المسلمين جهات مشتركة، و لذا سلّى الله سبحانه المسلمين، بأن مغلوبية الروم لا تدوم، و إنما هم يغلبون بعد سنوات قلائل.

[۴] فِي أَدْنَى الْأَرْضِ أى أقرب أرضهم من أرض الجزيرة فى بيت المقدس وَ هُمْ أى الروم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ أى غلبة الفرس عليهم، فى هذه الحادثة سَيَغْلِبُونَ و ينتصرون عليهم بإرجاع بلادهم منهم.

[۵] و إنما يغلب الروم الفرس فِي بِضْعِ سِنِينَ بضع القطعة من العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة، يقال بضع و عشرون، أى أن فوق عشرين عدد، هو ما بين الثلاثة إلى العشرة، و هذا من أخبار القرآن الغيبية، و ما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۸

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۵ الى ۶]

بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۵) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۶)

أكثرها، فقد كان كذلك، إذ وقعت حرب أخرى بين الطرفين، فغلبت روم الفرس، و استردت ما أخذوا منها من البلاد لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ أى من قبل الغلب، و من بعد الغلب، فلا يقع شىء إلا بإذنه، و فى هذا تسلية للمؤمنين، بأنه إن غلبت فارس، فليس ذلك موجبا لحزنهم، إذ الأمور بيد الله الذى هو وليهم و ناصرهم، كما تقول لابنك: إن رأيت غلبة بعض أعدائك، فلا يهمك، إنى أريد ذلك، و الحاصل أن غلبة الفرس، ليست انتصار للكفر على الإيمان، و إنما شىء مؤقت بقضاء الله و قدره، و الله لا يترك الإيمان حتى يغلبه الكفر وَ يَوْمَئِذٍ أى يوم غلبة الروم على الفرس يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ المعتقدون بالرسول.

[۶] بِنَصْرِ اللَّهِ للإيمان على الكفر- و إن كان نصر الله إنما هو للإيمان المسيحى- فإن كل مرتبة من مراتب الإيمان خير مما يقابلها من الكفر يَنْصُرُ الله مَنْ يَشاءُ فيمن توفرت فيه شروط النصرة، كما أمر، و كما أجرى أسباب الكون وَ هُوَ الْعَزِيزُ الغالب سلطانه، فلا يغلبه أحد الرَّحِيمُ بعباده المؤمنين، فلا يتركهم نهب الكفار يفعلون بهم ما يشاءون.

[۷] وَعْدَ اللَّهِ أى وعد الله ذلك وعدا، فهو مصدر تأكيدى لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ الذى وعد بغلبة الروم على الفرس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۲۹

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۷ الى ۸]

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ (۷) أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ (۸)

وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ الذين لا يؤمنون بالله، و لا يصدقون كلامه لا يَعْلَمُونَ صحة وعد الله، و إنه لا خلف فيه، فإن الذى يخلف وعده إما لعجز أو لجهل أو لخبث، و الله سبحانه منزه عن ذلك كله.

[۸] إنهم لا يقدرون الأشياء حق قدرها، فيزعمون أن لا قوة خارقة غيبية تسير الكون، بل يظنون أن كل الأمر كائن فيما يشاهد من القوى الظاهرة يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا من قواها و أسبابها و مسبباتها، و سائر الخصوصيات الظاهرة وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ و بهذه الغفلة تختل مقاييسهم للأمور، فلا يصدقون بوعد الله و لا يرقبون جزاءه، و لا يقدرون قوته الغيبية، الخاضعة لها الأشياء، و كان إقامة هذه الجملة مقام «و هم عن الله غافلون» لأجل إفادة، أن منكر المعاد، منكر الله سبحانه، فهو من إقامة المسبب مقام السبب، فإن سبب الغفلة عن المعاد، هو الغفلة عن الله تعالى، و الإتيان بلفظ «هم» مكررا، للتأكيد فى غفلة هؤلاء.

[۹] أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا أى هؤلاء الغافلون عن الآخرة، الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فِي أَنْفُسِهِمْ أى فى حالة خلوتهم بأنفسهم حيث لا جدال و لا إنكار- لو ظهر الحق- فإن الإنسان بينه، و بين نفسه يعترف، بما لا يعترف به عند الملأ خوفا، أو استكبارا ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما من الإنسان و الحيوان و النبات و الهواء و غيرها إِلَّا بِالْحَقِ فلو لم يكن هناك إله، كما يزعمون، فمن يا ترى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۰

[سورة الروم (۳۰): آية ۹]

أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۹)

خلق كل هذه الأمور؟ و معنى «بالحق» إن الخلق لغاية و غرض، مما يدل على الإله العليم الحكيم القدير المريد وَ أَجَلٍ مُسَمًّى أى و لمدة محدودة، قد سميت تلك المدة عنده، فليست الأشياء بقاؤها اعتباطا، بل تبقى بمقدار قدر الله لها من المدة، فإن الإنسان إذا علم إن جملة من الأشياء، لغاية و مقصود علم بذلك إن سائر الأشياء كذلك، ألا ترى إنك إذا نظرت إلى «الساعة» فعلمت إن بعض آلاتها لماذا، تعتقد إن كل الآلات لها إنما حكمت و صنعت عن قصد، و إن كنت لا تعلم الحكمة فيها، و إما عرفان الأجل المسمى، فلما يرى الإنسان أن الأشياء تحدد بحدود معنية، حتى أن كل محاولة لنفيها قبل المدة عبث، كما أن كل محاولة لإبقائها بعد المدة

لغو وَ مع ذلك إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ أى لقاء جزائه و حسابه لَكافِرُونَ غير معترفين، مع أن إحكام الصنع، يدل على أنه، لا بد أن يكون هناك حساب و جزاء، و إلا كان الخلق لغوا، و تمكين الظالم من الظلم خلاف الحكمة.

[۱۰] أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا أى هؤلاء المكذبون فِي الْأَرْضِ فإن السير يوجب اطلاع الإنسان على مساكن الذين ظلموا، فأهلكوا، كمدائن عاد و ثمود، و قوم لوط، و قوم نوح فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أى يعلموا ذلك بالاستخبار عمن في أطراف تلك البلاد، فإن كل أمة تحفظ أطراف تلك البلاد، و إن كل أمة تحفظ أخبار أسلافها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۱

[سورة الروم (۳۰): آية ۱۰]

ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ كانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ (۱۰)

كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً فقد وصلت حضارتهم إلى حدود مدهشة، كما يحدث التاريخ بذلك وَ أَثارُوا الْأَرْضَ من الإثارة بمعنى التقليب، لأجل الزرع و الإنبات وَ عَمَرُوها بالبيوت و ما أشبه أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها هؤلاء، فقد كانت وسائلهم، أكثر، و لذا كانت عمارتهم أجمل و أكثر وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ أى بالأدلة البينة الواضحة، فجحدوا الرسل، و كذبوا بما قالوا، فأهلكهم الله سبحانه فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ حين أهلكهم وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بالكفر و العصيان، فأخذهم وبال أعمالهم، و هؤلاء الكفار المعاصرون للرسول، إن كذبوا أهلكوا، فإنهم أقل قوة، و أقل عمارة و زراعة من أولئك.

[۱۱] ثُمَ بعد تلك الحضارة و العمار كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا بالكفر و العصيان السُّواى اسم كان، أى كانت الخلة، و العاقبة السوء- أى السيئة- عاقبة الذين أساءوا، فإنهم بالكفر، فعوقبوا بما أساءهم من الهلاك و الدمار: على أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فلم يقبلوها وَ كانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ و منها يضحكون، و يحتمل أن يكون «أن كذبوا» اسم «كان» و معنى أساءوا السّوءى، عملوا السّوءى من باب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۲

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۱۱ الى ۱۳]

اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۱۱) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (۱۲) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ وَ كانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ (۱۳)

المصدر التأكيدى، نحو ضرب الضرب، فيكون المعنى: كان التكذيب بآيات الله عاقبة الذين عملوا بالمعاصى، فإن الإنسان يتدرج من المعاصى إلى الكفر، و على هذا المعنى، ف «ثم» للعطف لفظا، لا معنى.

[۱۲] و كيف يكذب الكافر بآيات الله، و بالمعاد، و هو يرى أن الخلق كيف يبتدأ مما يدل على إله عليم قدير، قادر على الإعادة، كما قدر على الإنشاء اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ أى يخلقهم ابتداء ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد الموت، ليحيى من جديد للحساب و الجزاء ثُمَّ إِلَيْهِ أى إلى جزائه و حسابه تُرْجَعُونَ أيها البشر.

[۱۳] وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أى القيامة يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ من بلس بمعنى يئس من الخير، فإنهم ييأسون من الرحمة، و ينقطعون من الجواب.

[۱۴] وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ أى لا يشفع لهم الأصنام، التى جعلوها شركاء اللّه سبحانه، و أضيف الشركاء إليهم، لأنهم اخترعوها وَ كانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ إذ يظهر الحق هناك، و قد كانوا عبدوها فى الدنيا قائلين (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى «۱»)، و هناك يتبين إنها لا تنقذ أنفسها، فإنها تصبح حصب جهنم، فكيف تتمكن من شفاعتهم.

---

(۱) الزمر: ۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۳

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۱۴ الى ۱۷]

وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (۱۴) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (۱۵) وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (۱۶) فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (۱۷)

[۱۵] وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ و تأتى القيامة يَوْمَئِذٍ أى فى ذلك اليوم يَتَفَرَّقُونَ أى يتميز المؤمنون عن الكفار، فالمؤمنون واقفون فى طرف اليمين، بالبشر و السرور، و الكفار فى طرف الشمال بالحزن و التقطيب.

[۱۶] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بما يجب الإيمان به من التوحيد و الرسالة و المعاد، و سائر ما جاء به النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ الملازم لترك السيئات فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ و هى الجنة يُحْبَرُونَ الحبرة المسرة، أى يسرون سرورا يظهر أثره على وجوههم، من النعيم الذى هم فيه.

[۱۷] وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بما يجب الإيمان به وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أى بدلائلنا التى نصبناها للدلالة علينا، و على الرسالة وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ بأن ينكروا البعث و المعاد فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ أى يحضرون إلى العذاب، كالمجرم الذى يحضر إلى السجن و التعذيب، و لا يأتى هو برجله.

[۱۸] ثم ينتقل السياق من العالم الآخر إلى هذا العالم ليشهد الإنسان، دلائل الكون، التى كان الكفار بها يكذبون حتى صاروا إلى ذلك المصير الهائل فَسُبْحانَ اللَّهِ مصدر منصوب بفعل مقدر من سبّح، أى أنزه الله تنزيها، و الفاء للتعقيب على تلك الخاتمة، أى و إذا كان لله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۴

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۱۸ الى ۱۹]

وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (۱۸) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ (۱۹)

تلك الخاتمة أسبحه تسبيحا حِينَ تُمْسُونَ أى تدخلون المساء، و هو الليل وَ حِينَ تُصْبِحُونَ أى تدخلون الصباح، فهو منزه دائم الأوقات، لا كالملوك الذين لا يستحقون الحمد و الثناء، فى بعض أحوالهم لعدم رعايتهم الأمور فى تلك الأوقات.

[۱۹] وَ لَهُ الْحَمْدُ الثناء الجميل، لما عمله من الجميل فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فهو المستحق للحمد فى جميع الكون وَ عَشِيًّا أى له الحمد فى وقت العصر وَ حِينَ تُظْهِرُونَ أى تدخلون فى الظهيرة، و هى وقت الظهر، فإنه المحمود المنزّه فى جميع الأكوان، و كافة الأوقات، و هذا من بلاغة القرآن العجيب، حيث ذكر هذا الموضوع، فى هذه الجملات الحية النديّة، التى تفتح الذهن، و تسير بالنفس إلى الآثار الكونية، و الأوقات الزمنية.

[۲۰] يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ كالنبات من النوات الميتة، و الطير من البيضة الميتة، و الإنسان من الأرض الميتة، بواسطة النبات وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِ كالفضلات الميتة من الإنسان و الحيوان الحى، و البيضة الميتة من الطير الحىّ و هكذا وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بنمو النبت بَعْدَ مَوْتِها حيث تكون غبراء قاحلة لا نمو فيها و لا نبات وَ كَذلِكَ أى تحيى الأرض تُخْرَجُونَ أنتم أيها البشر من قبوركم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۵

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۲۰ الى ۲۱]

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (۲۰) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۱)

بعد الموت للحساب و الجزاء.

[۲۱] وَ مِنْ آياتِهِ أى أدلته الدالة على وجوده، و سائر صفاته أَنْ خَلَقَكُمْ أيها البشر مِنْ تُرابٍ فالتراب ينقلب نباتا، و حيوانا، يأكلهما

الإنسان، فيصيران منيا، ثم جنينا إنسانا ثُمَ بعد أن كنتم ترابا إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ فى الأرض تسيرون و تتّجرون، و تعملون، و إذا للمفاجات، فكيف صار التراب اليابس الراكد، بشرا سميعا بصيرا، ينتشر و يتصرف فى مختلف الشؤون؟

[۲۲] وَ مِنْ آياتِهِ أى أدلة الله سبحانه الدالة على وجوده، و سائر أوصافه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ أيها البشر مِنْ أَنْفُسِكُمْ أى من هذا الجنس أَزْواجاً للرجال نساء، و للنساء رجالا، فإن كون الزوجين من جنس واحد أكثر هنأة و لطفا لِتَسْكُنُوا أى لتطمئنوا، و لتألفوا إِلَيْها أى إلى تلك الأزواج- و هذه قرينة- على أن المراد بالأزواج: الزوجات.

وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ أيها البشر، أى بين الرجال و النساء مَوَدَّةً يود بها بعضكم بعضا، و يحب أحدكم الآخر وَ رَحْمَةً فيرحم بها أحدكم الآخر، مما يهنئ العيش و يسعد الحياة إِنَّ فِي ذلِكَ الخلق للأزواج، و جعل المودة و الرقة لَآياتٍ أى أدلة على وجود الله تعالى، و سائر صفاته لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فى هذه الأمور، و إنما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۶

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۲۲ الى ۲۳]

وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ (۲۲) وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۲۳)

خصهم، لأنهم هم الذين يدركون هذه الآيات، و إلا فهى آيات لكل أحد، و قد يزعم البعض، إن الصفات النفسية، من قبيل المودة و الرحمة، و الشجاعة و الجبن و السخاء، و ما إليها، ليست أمورا مخلوقة، لكنها نظر سطحى، و إلا فمن أين هذه الظواهر؟ إنها ألوان للنفس، لا تدرك إلا بآثارها، و إلا فكيف هذا يكون مقداما سخيا، و كيف ذاك الذى على شكله يكون جبانا بخيلا؟ و قد ذكر فى أول كتاب «البحار» جنود العقل و الجهل، و إنها مخلوقات له سبحانه.

[۲۳] وَ مِنْ آياتِهِ الدالة على وجوده، و سائر صفاته خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فمن خلق المدارات و الكواكب؟ و من خلق الأرض، و ما فيها؟ إن الخالق هو الله العليم القدير الحكيم وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ جمع لسان، و المراد به اللغة فإنه تعالى، لو لم يفعل ذلك، من كان يقدر على منح هذا الاختلاف من عربى، و فارسى، و تركى، و هندى، و غيرها؟ بالإضافة إلى الاختلاف، فى النغمة و الصوت و الخشونة و النعومة و غيرها وَ اختلاف أَلْوانِكُمْ من أبيض و أحمر و أسود، و بنّى و حنطى، و غيرها، فمن يا ترى جعل كل ذلك؟ بالإضافة إلى مزايا كل إنسان فى لونه و شكله، حتى يعرف كل أحد من غيره إِنَّ فِي ذلِكَ الاختلاف لَآياتٍ لأن كل لون، و كل نعمة آية لِلْعالِمِينَ أى العلماء، فإنهم هم الذين يتدبرون فى هذه الآيات، و ينشغلون منها، إلى من أوجدها و صنعها.

[۲۴] وَ مِنْ آياتِهِ الدالة على توحيده، و سائر أوصافه تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۷

[سورة الروم (۳۰): آية ۲۴]

وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۲۴)

مَنامُكُمْ مصدر ميمى، بمعنى نومكم بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ فما هو النوم؟ و من خلفه؟ إنه من خلق الله سبحانه، سواء كان عدما بإخراج بعض الأرواح عن الإنسان موقتا، أم وجودا بإضافة شيء على بدنه يوجب له هذه الحالة وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ فقد جعل فيكم صفات أوجبت، أن تطلبوا الرزق فمن يا ترى جعل هذه الصفات فى الإنسان؟

إِنَّ فِي ذلِكَ المنام و الابتغاء لَآياتٍ أى أدلة دالة على الله سبحانه، و سائر صفاته لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ و المراد أنهم يسمعون الآيات، فيتدبرونها، و يتفكرون فيها، لا- أن يعرضوا عنها، كما قال سبحانه (وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ) «۱».

[۲۵] وَ مِنْ آياتِهِ الدالة على وجوده، و سائر صفاته، أن يُرِيكُمُ الْبَرْقَ فى خلال السحاب، و هو كما قالوا: يحدث من اصطكاك

السحب بعضها ببعض، فيتولد فيها الكهرباء، و لا ينافى هذا كونه، صوت ملك، كما لا يخفى خَوْفاً من الصاعقة، و إنزال المطر المضر وَ طَمَعاً فى إنزال المطر المفيد، و نصب هذين، بتقدير اللام، أى لتخافوا خوفا، و لتطمعوا طمعا وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ أى جهة العلو ماءً هو المطر فَيُحْيِي بِهِ أى بذلك الماء الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها

---

(۱) یوسف: ۱۰۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۸

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (۲۵) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (۲۶)

بالجدب، و عدم النبات إِنَّ فِي ذلِكَ المذكور سابقا لَآياتٍ لأن كل واحد من الأمور المذكورة، آية دالة على الله و على صفاته لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أى يعملون عقولهم، فينتقلون من الأثر إلى المؤثر.

[۲۶] وَ مِنْ آياتِهِ الدالة على وجوده تعالى، و سائر أوصافه أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ فإن بقاء السماء بهذه الكيفية المنظمة، و بقاء الأرض بهذا الترتيب العجيب الدائم، لا يكون إلا بقدرة الله سبحانه، و أمره التكوينى، و إلا فمن يدير الكون، بهذا النحو المنظم المدهش؟

ثُمَ إن الله سبحانه الذى رأيتم قدرته و آياته إذا متم ثم دَعاكُمْ دَعْوَةً و طلبكم طلبا مِنَ الْأَرْضِ التى دفنتم فيها إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ أحياء كما كنتم سابقا، و ذكر هذا للتركيز على المعاد، بعد بيان آياته الدالة على عمله و قدرته، و نفوذ إرادته، فمن يقدر على تلك، يقدر على هذا.

[۲۷] وَ لَهُ أى لله سبحانه بالملكية المطلقة مَنْ فِي السَّماواتِ وَ من فى الْأَرْضِ من العقلاء، و غيرهم، و غلب العقلاء، و لذا، جىء ب «من» كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ أى خاضعون مطيعون، فهل يتمكن أعظم الملوك، أن يخالف أوامر الله التكوينية، بأن لا يموت، أو لا يشيب أو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۳۹

[سورة الروم (۳۰): آية ۲۷]

وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۷)

يبقى إلى أمد يحبه؟ كلا، نعم قد أعطى الله سبحانه، زمام الإرادة بيد الإنسان ليختبره، أما الأزمة التكوينية، حتى دورة الدم، فى بدن الإنسان، و حركة الأجهزة الباطنية، و القوى الظاهرة، فهى كلها تحت قدرته و إرادته.

[۲۸] وَ هُوَ الله سبحانه الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ بإنشائه بعد العدم ثُمَّ يُعِيدُهُ إلى الحياة- بعد الموت- للجزاء و الحساب وَ هُوَ أى «أن يعيد» أَهْوَنُ و أسهل فى قياس البشر عَلَيْهِ أى على الله سبحانه، فإن الإنسان فى مقاييسه، يرى إن إعادة الشىء، أسهل من ابتدائه، و مع ذلك فكيف يظن، إن الإعادة عسيرة عليه تعالى، و إنما قلنا «فى قياس البشر» لأن الله سبحانه كل شىء لديه سواء ف (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) «۱» لا يقال: كلا! إن الإعادة ليست أهون، فإن من يصنع شيئا، قد يكون لا يقدر على إعادته إذا هدم، قلنا: إن عدم القدرة منه، لعدم علمه، أو لتعبه، أو أشباه ذلك، أما من توفرت فيه الشروط، فالإعادة عليه أيسر من جهة أن فى ذهنه مثالا لذلك المصنوع، مما يسهل صنعه ثانيا وَ لَهُ سبحانه الْمَثَلُ الْأَعْلى المثل هو الشبيه للشىء الذى يؤتى به لمعرفة ذلك الشىء، و الله سبحانه لا يمثل له، فلا مثل له، من جميع الجهات، كما قال: (فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ) «۲»، و إنما قد يمثل له بأمثلة تقريبية، لاستيناس

---

(۱) یس: ۸۳.

(۲) النحل: ۷۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۰

[سورة الروم (۳۰): آية ۲۸]

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۲۸)

الذهن، كما قال تعالى (مَثَلُ نُورِهِ) «۱» و إذا أريد المثل، فله أعلى الأمثلة و أحسنها، كأن يمثل لنوره بالمصباح النيّر، أو يمثل بملكه بملك أعظم الملوك، و هكذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ففى كل مكان أريد أن يضرب له المثل، لا بد و أن يكون له المثل الأعلى، و ليس كالملك، فى قطر خاص، الذى له أعلى الأمثلة فى قطره، أما فى خارج قطره، فليس له أعلى الأمثلة، ففى قطره يقال إن مثله، كمثل أعظم الناس ملكا، أما فى خارج قطره يقال، إنه كمثل الملك الآخر، أو المالك الكذائى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الغالب على كل شيء لا يغلبه أحد الْحَكِيمُ فكل ما يفعل، إنما هو بالحكمة و الصواب.

[۲۹] ثم ضرب سبحانه مثلا لعدم الشريك له، و ذلك بالاستفهام، عن هؤلاء المشركين، أنهم هل يقارنون بين السيد و العبد، و إذا قالوا: لا قبل لهم، فلم تقارنون- فى الألوهية- بين الله، و بين الأصنام؟ مع أن البون بينهما أبعد من البون بين السادة و العبيد ضَرَبَ لَكُمْ أيها المشركون، و الذى ضرب المثل هو الله سبحانه مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ بيّن لكم شبها فى حال كونه من أنفسكم، فليس مثلا، من الملائكة، أو الجن، و النبات، و الحيوان، و الجماد هَلْ لَكُمْ أيها المشركون مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ أى عبيدكم، و إمائكم، و إنما نسبت الملكية إلى اليد، لأنها العاملة المحصلة للمال الذى به يشترى العبد

---

(۱) النور: ۳۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۱

[سورة الروم (۳۰): آية ۲۹]

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۲۹)

مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ بأن يشترك العبيد معكم فى أموالكم التى هى لكم، و رزقكم الله إياها فتكونون أنتم و العبيد فِيهِ أى فيما رزقناكم سَواءٌ بأن تكون الأموال لكم و لهم على حد سواء تَخافُونَهُمْ أى تخافون عبيدكم، إذا أردتم التصرف فى أموالكم، لأنهم شركاؤكم، و الشريك يخاف من شريكه، إذا أراد أن يستقل فى التصرف بالمال المشترك كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ أى كما تخافون سائر شركاؤكم الأحرار، هل عبيدكم شركاء لكم؟ و إذا أجبتم بالنفى، و إن العبيد لا يشتركون معنا فى أموالنا، حتى نخافهم خوف الحر شريكه الحر، قيل لكم، فكيف جعلتم الأصنام التى هى مملوكة لله، و مخلوقة له شركاء لله فى الألوهية؟ كَذلِكَ أى كما بينا هذا المثل، لأن يردعكم عن عبادة الأصنام نُفَصِّلُ الْآياتِ نذكرها مفصلة حتى تظهر، لا مجملة حتى تكون غامضة، لا تعرف لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أى يعملون عقولهم، ليدركوا، و إنما خص هؤلاء بالذكر، لأنهم المنتفعون بالمثل و الآية، أما من لا يعتنى فهو لا يدرك، و لا يعلم.

[۳۰] إن إشراك هؤلاء، ليس لأنهم لا يعلمون بَلِ لأنهم يتبعون الهوى و إن علموا ببطلان أعمالهم، فقد اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا بالشرك بالله، و أتى بهذا الوصف مكان الضمير، لبيان أنهم بشركهم، قد ظلموا أنفسهم أَهْواءَهُمْ التقليدية بِغَيْرِ عِلْمٍ فليس عملهم مستندا إلى العلم، و إنما هو مستند إلى الهوى، و لذا ابتعدوا عن الهدى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۲

[سورة الروم (۳۰): آية ۳۰]

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۳۰)

فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ أی ترکه يعمل ما يشاء، بعد أن رأى الهدى، فأعرض عنه، و قد ذكرنا سابقا إن نسبة الإضلال إليه سبحانه، باعتبار، أنه تركه حتى يضل، و لم يلطف به اللطف الخفى وَ ما لَهُمْ أى لهؤلاء المشركين الضالين مِنْ ناصِرِينَ ينصرونهم من عذاب الله و نكاله فى يوم القيامة، و هذا فى مقابل زعمهم إن الأصنام تنصرهم و تشفع لهم.

[۳۱] و إذ انحرفت نفوس عن هذا الدين فَأَقِمْ أنت يا رسول الله، أو أيها الإنسان العاقل وَجْهَكَ و نسبة الإقامة إلى الوجه، لأنه العضو الذى يبين اتجاه الإنسان، و ميله الكامن فى نفسه لِلدِّينِ فتوجه نحو دين الإسلام، لا إلى سائر المبادئ و الأديان حَنِيفاً فى حال كونك مستقيما، غير مائلا إلى هنا أو هناك، أو فى حال كون الدين مستقيما، لا يزيغ نحو الباطل و الانحراف، و اتبع فِطْرَتَ اللَّهِ أى الكيفية التى خلقها الله سبحانه، فإنه خلق الإنسان بحيث لا يصلحه، إلّا الدين الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها أى خلق الناس على تلك الفطرة، فالدين، كالمنهاج للبشر الذين خلقوا على نحو لا تستقيم أمورهم، إلا إذا ساروا على هذا المنهاج، و هكذا كما لو صنع شخص «جهازا» ثم كتب «كتابا» فيه كيفية عمل الجهاز، فإنه يقول: اتبع هذا الكتاب، فإن الجهاز ركبّ هكذا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ أى لا يتغير الخلق عن تلك الفطرة، حتى يلائمهم منهاج آخر، غير منهاج الإسلام و الدين ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۳

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۳۱ الى ۳۲]

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۳۱) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (۳۲)

إن الدين الذى يلائم الفطرة، هو الدين صاحب القوام، الذى به قوام البشر و سعادتهم، أما سائر الأديان، فإنها لا تلائم الفطرة، مثلا إن الإنسان ركب بحيث، إذا اغتسل من الجنابة، سلم بدنه من الأمراض، أما إذا لم يغتسل، ابتلى بمختلف العاهات، فالدين الذى يأمر به، هو الدين الذى به قوام الإنسان، و سواه لا يتمكن من التحفظ على صحة الإنسان، و هكذا سائر التشريعات وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ صحة ذلك، و يظنون الدين، إنما هو منهج من بين مئات المناهج، فأيها اتبعها الإنسان، كان كافيا فى إقامة الحياة.

[۳۲] و حيث إن قوله «أقم» عام لكل المكلفين، إما من باب الأسوة بالرسول المخاطب ب «أقم» و إما من باب كون الخطاب عاما- ابتداء- جاء الحال لفاعل «أقم» بلفظ الجمع، فقال سبحانه مُنِيبِينَ أناب، بمعنى رجع، أى فى حال كونكم أيها البشر راجعين إِلَيْهِ أى إلى الله، عن الطرق التى كنتم تسيرون فيها، مما تخالف الدين وَ اتَّقُوهُ أى خافوا عقابه وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ بالاستمرار فى إتيانها بآدابها و شرائطها، فإنها توجب التقوى و الاستقامة وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الذى يجعلون لله سبحانه شريكا.

[۳۳] مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ فلم يتبعوا دينا واحدا، أنزله الله سبحانه، بل اتبع كل فئة دينا، و هكذا تكون التفرقة، إذا عملت الأهواء فى الناس وَ كانُوا شِيَعاً جمع شيعة، و هى الفئة التابعة لمسلك خاص، أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۴

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۳۳ الى ۳۴]

وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (۳۳) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳۴)

كان كل طائفة منهم، شيعة لمسلك و مبدأ كُلُّ حِزْبٍ و شيعة بِما لَدَيْهِمْ من الدين و المسلك فَرِحُونَ إذ يعتبرون دينهم، أحسن الأديان، و طريقتهم خير الطرق.

[۳۴] و من متناقضات المشركين ما بينه سبحانه بقوله وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ أى لامسهم و نزل بهم ضرر مالى أو جسمى، أو ما أشبه دَعَوْا رَبَّهُمْ لكشف ذلك الضر، و لا يدعون الشركاء، لأنهم يعلمون إن الكاشف للضر، هو الله وحده دون شركائهم مُنِيبِينَ أى راجعين إِلَيْهِ وحده، بدون الرجوع إلى الشركاء معه ثُمَّ إِذا لبّى دعاءهم، و كشف ضرّهم و أَذاقَهُمْ مِنْهُ أى من قبله تعالى رَحْمَةً و فضلا كأن

يغنيهم من فقرهم، أو يأمنهم من خوفهم، أو ما أشبه ذلك إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ أى جماعة من أولئك الذين مسهم الضرّ، فأنابوا إلى ربهم، فأذاقهم منه رحمة بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ فيجعلون له شريكا، و الإتيان ب «إذا» لبيان المفاجآت، و إن هذا الإشراك لم يكن مترقبا، بعد تلك الأمور.

[۳۵] فقد أشركوا بقصد الكفران لنعم الله لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ أى أعطيناهم من النعم، أو أن اللام للعاقبة، أى كانت عاقبة إذاقة هؤلاء الرحمة، كفرانهم، أو كفرهم فَتَمَتَّعُوا أيها المشركون، و هذا أمر للتهديد، أى تلذذوا، و خذوا متع الحياة مدة يسيرة فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۵

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۳۵ الى ۳۷]

أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (۳۵) وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ (۳۶) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳۷)

عاقبة كفركم، و هذا تهديد لهم، بأنهم سيجازون بالعذاب، و النكال.

[۳۶] ثم يأتى السياق للتفهيم منهم استفهام عارف، ليعرفهم خطأهم، فهل كفر هؤلاء بلا حجة و برهان أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً أى حجة، و دليلا يدل على تعدد الآلهة؟ فَهُوَ أى فذلك البرهان يَتَكَلَّمُ المراد يظهر و يبين ذلك البرهان بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ كلا: لم ينزل سلطان عليهم، و إنما كفروا و أشركوا، بلا حجة و برهان.

[۳۷] إن المؤمن لا ييأس عند الشدة، و لا يبطر عند النعمة، أما الكافر، و من ضعف إيمانه، فإنه- لخفة نفسه و عدم اتزان روحه- إن أعطى بطر، و إن منع يئس وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً أى أتيناهم نعمة و فضلا فَرِحُوا بِها أى بتلك الرحمة بطروا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ أى بلاء و مصيبة، و سمى ذلك سيئة لأنها تسيء إلى الإنسان بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ أى بسبب بعض أعمالهم التى عملوها، و إنما نسب التقديم إلى اليد، لأنها الغالبة فى مزاولة الأعمال إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ و ييأسون عن روح الله المفرّج لهذه السيئة.

[۳۸] أَ وَ لَمْ يَرَوْا هؤلاء الذين يبطرون بالنعمة، و يقنطون بالسيئة أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ أى يوسعه لِمَنْ يَشاءُ مما اقتضت المصلحة توسعته وَ يَقْدِرُ أى يضيق الرزق لمن يشاء من «قدر» بمعنى «ضيّق» فليست

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۶

[سورة الروم (۳۰): آية ۳۸]

فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۳۸)

التوسعة دليلا على إكرام الله، حتى تسبب البطر، و لا التضييق دليلا على إذلال الله، حتى يسبب اليأس، كما أنهم إن وسّع عليهم لزم أن يشكروا، و إن ضيق عليهم، وجب أن يصبروا، و يدعوا، لا أن يقنطوا، ف (إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ) «۱» إِنَّ فِي ذلِكَ البسط و التضييق لَآياتٍ دلالات على أن ذلك من الله لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بالله إذ:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبهو جاهل جاهل تلقاه مرزوقا.

[۳۹] و إذ تقدم الكلام، فى أن توسعة الرزق منه سبحانه، كما أن تضييقه منه تعالى، فلينفق الإنسان حسب المستطاع، فإن الإنفاق لا يضر، كما أن الإمساك لا ينفع، كما قال:

إذا قبل الدنيا عليك فجد بهاعلى الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود مفنيها إذا هى أقبلتو لا البخل مبقيها إذا هى ولت

فَآتِ أى أعط يا رسول الله ذَا الْقُرْبى أى صاحب القرابة حَقَّهُ أى حقه الذى قرره الله له، من الصلة و الإنفاق و غيرها، و هذه الآية، و إن كانت عامة تشمل إعطاء كل أحد قرابته، ما جعل الله له من حق، إما بأن يكون «آت» خطابا لكل مسلم، أو خطابا للرسول

(۱) يوسف: ۸۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۷

[سورة الروم (۳۰): آية ۳۹]

وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (۳۹)

و عمومه من باب الأسوة إلا أنه وردت روايات خاصة صحيحة في أنها نزلت بالنسبة إلى إعطاء فاطمة عليها السّلام «فدكا» «۱» و لا منافاة، فإن ذلك من باب المصداق وَ آتِ الْمِسْكِينَ و هو الفقير وَ ابْنَ السَّبِيلِ و هو الذي سافر، ثم لا نفقة له لمصرفه، أو لعوده، و ذلك بأن يعطيهما الإنسان حقهما الواجب من الزكاة و الخمس، أو الأعم حتى يشمل كل مساعدة لهما، و لو من غير الزكاة و الخمس ذلِكَ الإعطاء لهؤلاء حقوقهم خَيْرٌ من عدم الإعطاء لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ أي يعطون قربة إلى الله، لا رياء و سمعة، فإن المنع يوفر على الإنسان المال، و الإعطاء يوفر على الإنسان السعادة في الدارين، و السعادة خير من ذلك المال القليل وَ أُولئِكَ الذين يعطون هذه الحقوق هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بثواب الله تعالى، في الدنيا و الآخرة، فإنهم يقوّمون بذلك الاجتماع، و تقوية الاجتماع عائدة إلى تقوية نفس الشخص أيضا، كما أن ذلك موجب لجزيل الأجر في الآخرة.

[۴۰] و قد كان بعض أصحاب الأموال يعطي الهدية أو نحوها لغيره، ليعوض عنها بالأزيد، فبين سبحانه، أن هذه الكيفية لا تسبب الزيادة و النمو، و إنما تسبب الزيادة و النمو، الزكاة و الصلاة وَ ما آتَيْتُمْ أي أعطيتم مِنْ رِباً «الربا» هو الزيادة من «ربى» بمعنى زاد، و منه «الرابية» بمعنى الأرض العالية، و سمي ما يعطي الإنسان «ربا» لأنه زيادة في الإعطاء، و ليس حقا واجبا لِيَرْبُوَا ذلك الربا فِي أَمْوالِ النَّاسِ

(۱) راجع الكافي: ج ۱ ص ۵۴۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۸

أي ينمو ذلك الذي أعطيتموه في أموال المهدى إليهم، و المعنى يجعل عليه، و يردّ إليكم، فكأنه زاد في أموالهم، حيث إنه إنما ضوعف، حين اختلط بمالهم، و هذا النحو من الإعطاء ليس حراما، و لكنه لا أجر له فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ و لا يعطي الله أجرا على هذه الهدية المراد بها أن تزاد و ترد، هكذا وردت الروايات في تفسير الآية، و هناك احتمال آخر، و هو أن يكون هذا منعا لإعطاء المقترض الربا، و المعنى إن الربا الذي تعطونه بزعم إنه يزاد، في أموال المقترضين، إنما هو مجرد زعم، و إلا فالله سبحانه لا يجعله سببا للزيادة، من قبيل (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا) «۱» و إنما توجه النهي نحو المقترض، لأنه إن أبى لم يجد المقرض وسيلة لاقتراف هذا الحرام، من قبيل

قوله عليه السّلام لا تكن عبد غيرك، و قد جعلك الله حرا

«۲»، و على هذا، فلام «ليربوا» لام العاقبة وَ ما آتَيْتُمْ أي أعطيتم مِنْ زَكاةٍ واجبة أو مندوبة، و إن كان الأنسب- بكون السورة مكية- إرادة المندوبة تُرِيدُونَ بإعطائها وَجْهَ اللَّهِ لا الرياء و السمعة، و إنما قال «وجه الله» لأن إرضاء شخص يوجب أن يوجّه وجهه إلى المرضي، فالمعنى من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، للتقريب إلى الذهن فَأُولئِكَ المزكون هُمُ الْمُضْعِفُونَ أي الذين يضعفون أموالهم، كما قال سبحانه (وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ) «۳» و قد دلّ العلم، على أن إعطاء الصدقات،

(۱) البقرة: ۲۷۷.

(۲) تحف العقول: ص ۷۶.

(۳) البقرة: ۲۷۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۴۹

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۴۰ الى ۴۱]

اللَّهُ الَّذِی خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَیْءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۴۰) ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِی النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۴۱)

توجب زيادة المال، بالإضافة إلى دلالة العقل على ذلك.

[۴۱] و بعد ذكر بعض الأمور المرتبطة بالإنفاق، و ما إليه- بالمناسبة- يرتد السياق إلى ذكر ما صيغ لأجله الكلام، و هو نفی الشرك اللَّهُ هو الَّذِی خَلَقَكُمْ أوجدكم من العدم ثُمَّ رَزَقَكُمْ أعطاكم أنواع الرزق ثُمَّ يُمِيتُكُمْ لدى انقضاء أجلكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ لأجل الحساب و الجزاء هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ أيها المشركون أی الذين جعلتموهم شركاء لله مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ الأمور، و «كم» للخطاب مِنْ شَیْءٍ؟ و طبعا يكون جوابهم بالنفی سُبْحانَهُ أی أن الله منزه عن الشريك وَ تَعالى أی أنه أرفع من أن يمكن أن يكون له شريك عَمَّا يُشْرِكُونَ عن الأصنام التی يشركونها مع الله.

[۴۲] إن شرك هؤلاء لم يسبب انحرافا فی عقيدتهم فحسب، بل انحرافا فی جميع مرافق الحياة إذ إنّ الشرك لا يتخذ المنهج من الله سبحانه، و إنما يسير على نهج منحرف، و ذلك يوجب الفساد ظَهَرَ الْفَسادُ من القتل، و هتك الأعراض، و نهب الأموال، و سائر المشاكل فِی الْبَرِّ و المراد به الأعمّ من البلد و الصحراء وَ الْبَحْرِ فإن السفن السائرة فی البحر، يظهر عليها أثر الفساد، بالحروب فيما بينها و الخوف الناشئ من الاضطراب فی البلاد إلى غير ذلك بِما كَسَبَتْ أَيْدِی النَّاسِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۲۹۹

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۴۲ الى ۴۳]

قُلْ سِيرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (۴۲) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِیَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (۴۳)

فليس ذلك ظلما منه سبحانه، بل تابعا لما عملته الناس بأنفسهم، و النسبة إلى اليد من باب علاقة الكل بالجزء، لأنها العنصر الفعال فی الحياة و الاكتساب، و إنما ترك الله سبحانه الناس حتى يظهر فيهم الفساد لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا أی جزاء بعض أعمالهم، من باب علاقة السبب و المسبب، فإن الذی عملوا سبب للعقوبة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أی لكی يرجعوا عن غيهم و ضلالهم و يتخذوا، منهج الله سبحانه، الملازم للتوحيد، و عدم الشرك.

[۴۳] قُلْ يا رسول الله، مهددا لهؤلاء المشركين، بأنهم إن بقوا على شركهم و انحرافهم، أصابهم مثل ما أصاب المشركين من قبل سِيرُوا فِی الْأَرْضِ لتصلوا إلى بلاد الأمم الهالكة، التی ترون آثارها فی مسيركم إلى الشام، و إلى اليمن فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ العصاة الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ أی كانوا من قبلكم كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فجوزوا على شركهم بالنكال و الدمار، فإن ذلك يسبب لهؤلاء الإقلاع عن الشرك و الانحراف.

[۴۴] و إذ تبين لك ما يسببه الشرك و الانحراف من المآسی، و الويلات فَأَقِمْ يا رسول الله، أو خطاب عام، إما لفظا، أو للأسوة، بأن يكون من باب «إياك أعنی و اسمعی يا جارة» وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ فلا تنحرف عنه، و قد سبق معنى الآية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۱

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۴۴ الى ۴۵]

مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (۴۴) لِيَجْزِیَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ (۴۵)

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ المرد مصدر ميمى، أى لا رد له، و المراد بذلك اليوم و هو يوم نزول العذاب، أو الموت، أو القيامة، فإن الأمر بالاستقامة، إنما هو لأجل أن لا يقع الإنسان فى مشكلة لا دفع لها مِنَ اللَّهِ إى إن ذلك اليوم، من قبل الله، أو إنه لا رد لما يكون فيه، مما يأتى من قبل الله تعالى يَوْمَئِذٍ فى ذلك يَصَّدَّعُونَ أى يتفرقون، فالمؤمنون فى الجنة و الكفار فى النار، من «اصدّع» أصله «تصدع» من باب «التفعل» أدغمت التاء فى الصاد، فجىء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، و معنى الصدع، هو الكسر و التفريق، كما قال (لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً) «۱».

[۴۵] و هل يضر كفر أحد إلّا نفسه؟ فمن كفر ليعلم إنه يضر بذلك نفسه مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ أى أن ضرر كفره، ليعود عليه، و لا يعاقب أحد بسبب كفره وَ مَنْ عَمِلَ عملا- صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ من مهد، بمعنى وطئ منزله، ليكون مريحا، أى أنهم يجعلون أنفسهم حسنا.

[۴۶] و إنما قرر سبحانه الجزاء الحسن للمؤمن، و الجزاء السيئ للكافر لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا بالأصول وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ فإنما قرر للإنجاز، كما تقول: قررت دينارا لزيد لأعطيه مِنْ فَضْلِهِ فليس الجزاء استحقاقا، بل فضلا و إحسانا، و إلا فما أعطاه الله

---

(۱) الحشر: ۲۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۲

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۴۶ الى ۴۷]

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۴۶) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (۴۷)

للإنسان فى دار الدنيا هو أكثر من استحقاقه بسبب أعماله، و ل إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ فقد قرر «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» و المراد بعدم الحب الكراهة، لأنه لا واسطة بينهما، بالنسبة إليه سبحانه، و يحتمل أن يكون، لام «ليجزى» للعاقبة، أى أن عاقبة الكفر عدم الحب و عاقبة الايمان الجزاء الحسن.

[۴۷] ثم يعطف السياق إلى الأدلة، الدالة على وجوده سبحانه، بعد ما أخذ شوطا حول المعاد، و هكذا عادة القرآن، أن يفنن فى الكلام، لئلا يورث الضجر و الكسل من المطلب الرتيب الواحد، وَ مِنْ آياتِهِ الدالة على وجوده و سائر صفاته أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ فإن الرياح فى موسم المطر، تبشر بالسحاب و المطر، لأنها تجمع السحب من هنا، و هناك، حتى إذا اغتمت السماء أمطرت وَ لِيُذِيقَكُمْ الله مِنْ رَحْمَتِهِ فإنه يرسل الرياح للبشارة و التفضل وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ أى السفينة فى البحار بسبب الرياح بِأَمْرِهِ تعالى، فإن جريان الفلك، يحتاج إلى أمر الله تعالى، بالإضافة إلى الرياح وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارة فى السفن و بالزراعة، و باستعمال المياه فى الحوائج وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى لكى تشكروا فضله عليكم.

[۴۸] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ بالهداية و الإرشاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۳

[سورة الروم (۳۰): آية ۴۸]

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (۴۸)

فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ إى الأدلة الواضحات الباهرات، و إذ لم يؤمن بهم المجرمون المعاندون فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا بالبقاء على الكفر و العصيان، و المعنى عاقبتهم بتكذيبهم و كفرهم بالعذاب و النكال، و فيه تهديد لمعاصرى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنهم إن بقوا على إجرامهم كان مصيرهم مصير أولئك وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ بدفع أعدائهم، و إعلاء كلمتهم.

[۴۹] و بمناسبة ما تقدم من إرسال الرياح، و إنزال المطر، يأتی السياق ليفصّل الأمر فی صورة أخرى اللَّهُ هو الَّذِی يُرْسِلُ الرِّياحَ و إرسالها، إما بخلقها، و إما بتحريكها من مكان إلى مكان، و قد ذكر علماء الفلك تفصيلا، فی كيفية خلق الرياح فَتُثِيرُ أی تهيج الرياح سَحاباً المراد بالسحاب الجنس، فإن الرياح تأتی بالسحب، من هنا و هناك فَيَبْسُطُهُ أی يبسط الله السحاب فِی السَّماءِ أی جهة العلو كَيْفَ يَشاءُ عرضا و طولا- و ارتفاعا، و فی أی موضع شاء، وَ يَجْعَلُهُ يجعل الله السحاب كِسَفاً قطعا متراكبة بعضها على بعض، حتى يغلظ، و يثخن فَتَرَى الْوَدْقَ أی المطر، و الخطاب إما للرسول، و إما لكل من يرى يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أی خلال السحاب و ثناياه فَإِذا أَصابَ الله بِهِ أی بالودق مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ بأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۴

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۴۹ الى ۵۱]

وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (۴۹) فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۵۰) وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (۵۱)

نزل المطر فی أرضهم إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ يفرحون و يبشر بعضهم بعضا، حيث يوجب الرخص بكثرة النبات و تسمين الأنعام.

[۵۰] وَ إِنْ كانُوا أولئك الذين أصاب المطر أرضهم مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ المطر عَلَيْهِمْ و على بلادهم مِنْ قَبْلِهِ للتأكيد، أو المراد به، من قبل إثارة الرياح للسحاب لَمُبْلِسِينَ أی قانطين آيسين متحيرين، لا يدرون ماذا يصنعون بزرعهم و ضرعهم.

[۵۱] فَانْظُرْ يا رسول الله، أو أيها الناظر إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ و المراد بها النبات المتنوع، و الأنهار الجارية، و الأشجار النظرة، التی غسلها المطر، فإنها آثار المطر الذی هو رحمة الله كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها أی بعد أن كانت مواتا يابسة، لا حركة فيها، و لا نبات، و لا ماء إِنَّ ذلِكَ الله الذی أحيی الأرض بعد موتها لهو محيی الْمَوْتى يحييهم، بعد أن ماتوا، للحساب و الجزاء وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فكما قدر على إحياء الأرض، يقدر على إحياء الأموات، و هذا ردّ على منكرى البعث، كيف ينكرون ذلك، و قد رأوا إحياء الأرض.

[۵۲] لكن هل هذا الإنسان الذی يستبشر بالرحمة، هو مؤمن بالله من أعماق نفسه، و راض بقضائه حتى أنه يصبر على بلائه كما يشكر على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۵

[سورة الروم (۳۰): آية ۵۲]

فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (۵۲)

نعمائه؟ كلا! إنهم قد عبدوه على حرف، فإن أصابهم خيرا اطمئنوا به و إن أصابتهم فتنة، انقلبوا على أعقابهم وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا عوض الريح المثيرة للسحاب رِيحاً هوجاء فَرَأَوْهُ أی رأوا النبت مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ أی بعد إرسال الريح الهوجاء الموجبة لاصفرار النبات، و هلاكه يَكْفُرُونَ بقضاء الله و قدره، قائلين: لماذا فعل الله بزرعنا هذا؟

[۵۳] و ليس كون هؤلاء الناس، هكذا لا يصبرون عند البلاء، لعدم كمال البلاغ، و إنما لعدم لياقة أنفسهم فَإِنَّكَ يا رسول الله لا تُسْمِعُ الْمَوْتى فكما أن الميت، لا يسمع سماعا مفيدا يرتب الأثر عليه كذلك، إن هؤلاء الذين هم بمنزلة الأموات، فی عدم حصول الخير منهم، لا يسمعون العظة سماعا مفيدا، حتى إذا رأوا بلاء صبروا و لم يكفروا وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَ جمع أصم، و هو الفاقد لحاسة السمع الدُّعاءَ أی إذا ما دعوته ليقبل إليك إِذا وَلَّوْا أولئك الصم، بأن كانوا مُدْبِرِينَ فإن الأصم، و إن كان لا يسمع، و إن كان وجهه فی طرف الداعی، إلا أنه يفهم الإشارة، فيرتب الأثر، أما إذا أدبر، فلا يسمع، و لا يرتب الأثر، و هو للمبالغة، فی عدم إمكان إفهامه، و هذا تشبيه إثر تشبيه لحال الكفار الذين لا يؤثر فيهم البلاغ و الإرشاد، و كأنه للترقی نزولا عند رغبة المخاطب، إيهاما بأن هناك مخاطبا، يستبعد أن يكونوا كالأموات فإنهم أحياء؟ فيأتی السياق ليقول: سلمنا إنهم ليسوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۶

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۵۳ الى ۵۴]

وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (۵۳) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (۵۴)

بأحداث، إلا أنهم كالأصم الذى ولى دبره، حيث لا ينتفع بالعظة و الإرشاد.

[۵۴] وَ ما أَنْتَ يا رسول الله بِهادِ الْعُمْيِ أى بقادر على أن تهدى إلى الطريق الذين هم عميان البصيرة عَنْ ضَلالَتِهِمْ متعلق ب «هادى» أى لا- تقدر على هدايتهم عن ضلالتهم، لأن مثلهم مثل الأعمى الذى كلما أراد الإنسان أن يريه الطريق، لا يهتدى و لا يعرف إِنْ تُسْمِعُ أى ما تسمع إسماعا مفيدا أحد من الناس إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا أى بأدلتنا الدالة على وجودنا، و سائر صفاتنا، فإن من سلك طريق الهداية، سمع أقوالك سماعا نافعا فَهُمْ مُسْلِمُونَ لك منقادون لأوامرك.

[۵۵] و كيف يكفر هؤلاء- بالله، و قد علموا أنه هو الذى خلقهم، و يقلبهم من حال إلى حال اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ من نطف ضعيفة، أو أطفالا- ضعافا، و هذا من باب المجاز، إذ جعل ذو الضعف، و كأنه قطعة من الضعف، مثل زيد عدل، و (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ) «۱» ثُمَّ جَعَلَ لكم مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ كان فيكم قُوَّةً الحياة، و قوة الشباب ثُمَّ جَعَلَ لكم مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً حتى يرتد الإنسان إلى

---

(۱) هود: ۴۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۷

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۵۵ الى ۵۶]

وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ (۵۵) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۵۶)

حالته الأولية، و المراد الشيبة، حالة الشيخوخة يَخْلُقُ ما يَشاءُ من قوى و ضعيف، و قوة و ضعف، فهما خلقان من خلقه وَ هُوَ الْعَلِيمُ عليم بمصالح عباده، و لذا يصرفهم من حال إلى حال الْقَدِيرُ على ما يريد.

[۵۶] إن هذا الإتقان فى الخلق و التقليب فى الخلقة، من عليم قدير، لا بد و أن تكون له نهاية متقنة، و غرض مقصود، هى القيامة، فليستعد الإنسان لها، أما من أجرم، فيذهب عمره هباء، و كأنه لم يلبث فى الدنيا، إلّا يسيرا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أى القيامة يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ يحلف الذين أجرموا فى الدنيا بأنهم ما لَبِثُوا و لم يبقوا فى الدنيا غَيْرَ ساعَةٍ واحدة، حيث يستضئلون أيام الدنيا، كما قال (لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) «۱» كَذلِكَ أى كما صرفوا هناك عن الصدق، فى مدة بقائهم كذلك كانُوا فى الدنيا يُؤْفَكُونَ يصرفون عن الصدق، بالنسبة إلى الألوهية، و الرسالة و المعاد.

[۵۷] و كان هذا الكلام من الكفار، إنما هو بحضور المؤمنين، فيقول لهم المؤمنون، و أية فائدة فى هذا الكلام: هل طويل كان عمر الدنيا أم قصير، و إنما المقصود، كان العمل لأجل هذا اليوم، و قد فاتكم وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ أى أعطوا علما بالمعارف، و إيمانا

---

(۱) المؤمنون: ۱۱۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۸

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۵۷ الى ۵۸]

فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (۵۷) وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (۵۸)

بالألوهيـة و الرسالـة و المعاد- فهم كما كانوا فى الدنيا علماء مؤمنين، لا يفارقهم هذان هناك- لَقَدْ لَبِثْتُمْ و بقيتم فِي كِتابِ اللَّهِ أى فى علم الله و قضائه، و ما كتبه لكم إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ و هذا كما يقول الإنسان لمن ينازع فى مدة بقائه فى سفر سافره: إنك فى ما سجلت، أنا بقيت عشرة أيام، فإن بقاءكم إلى يوم البعث، هو المهم، أما أنه طويل أو قصير، فليس بمهم، فقد أبقاكم الله فى الدنيا للعمل الصالح، و لم تعملوا فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ الذى كنتم تنكرونه وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ذلك فى الدنيا، و لذا وقعتم فى العذاب هنا.

[۵۸] فَيَوْمَئِذٍ أى فى القيامة لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنفسهم بالكفر و العصيان مَعْذِرَتُهُمْ أى اعتذارهم، بما يظهرون من أنواع العذر، بأنهم ما علموا، أو أضلهم الرؤساء، أو أرجعونا نعمل صالحا، أو ما أشبه وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ أى لا يطلب منهم الإعتاب و الرجوع إلى الحق، كما كان يطلب منهم فى الدنيا.

[۵۹] وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ينفع فى إيقاظ الناس عن جهلهم و غيهم، كتمثيلهم بالأموات، و الصم، و تمثيل آلهتهم ببيت العنكبوت، إلى غير ذلك وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ يا رسول الله بِآيَةٍ لإرشادهم، مشتملة على مثل أو غير مثل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۵۹

[سورة الروم (۳۰): الآيات ۵۹ الى ۶۰]

كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۵۹) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ (۶۰)

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا للذين آمنوا إِنْ أَنْتُمْ أى ما أنتم إِلَّا مُبْطِلُونَ أى أصحاب أباطيل، يقال أبطل، إذا جاء بالباطل.

[۶۰] كَذلِكَ أى كما طبع الله على قلوب هؤلاء الكفار، بعد أن أعرضوا عن الحق، و قد سبق، أن معنى الطبع، هو أن يترك الله الإنسان حتى ينحرف و يقسو قلبه، بعد أن أرشده إلى الطريق فلم يقبل، و إنما نسب الطبع إليه، كما ينسب الإفساد إلى الوالد، فيقال أفسد فلان ابنه، إذا تركه «بعد أن أرشده، فلم يقبل» حتى فسد يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ التوحيد و الرسالة و المعاد، بأن تركوا التعلم حتى جهلوها.

[۶۱] فَاصْبِرْ يا رسول اللّه، على أذى هؤلاء الكفار، و كفرهم و عنادهم، فسيأتيك المدد إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فسينصرك و يخذلهم وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ أى لا يستفزنك، يقال استخفه، إذا طلب خفته، بأن يستعتبه لنفسه الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ بالله و اليوم الآخر، بأن تترك مهمتك، أو تداهنهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۰

۳۱ سورة لقمان مكية/ آياتها (۳۵)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على ذكر «لقمان» الحكيم، و بعض وصاياه، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة بأصولها المختلفة، من توحيد، و رسالة، و معاد، و لوازمها، و بعض الأمور الأخلاقية، و لما اختتمت سورة الروم، بذكر القرآن، ابتدأت هذه السورة بذلك.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الله، و لا منافاة بين تقدير الابتداء و الاستعانة معا، بإشراب أحد الفعلين معنى الفعل الآخر، كما إن الاستعانة باسم الإله، تنافى التعظيم، كما قال بعض متوهما لزوم أن يكون اسم الإله آلة من قبيل كتبت بالقلم، فقد قال سبحانه (وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ) «۱» و هو الرحمن الرحيم، الذى يتفضل بالرحمة المكثرة، لمن استعان به، و طلب رحمته.

---

(۱) يوسف: ۱۹.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۱

[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۱ الی ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الم (۱) تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْحَکِیمِ (۲) هُدیً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِینَ (۳) الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ (۴)

[۲] الم من جنس «ألف» و «لام» و «میم» هذا القرآن المعجز الذی لا یتمکن الجن و الإنس علی الإتیان بمثله، و لو کان بعضهم لبعض ظهیرا، أو إنها رموز بین الله و رسوله، و فائدته لنا، إن الرسول یسر به إلی من یعلمه أهلا لذلک.

[۳] تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْحَکِیمِ خبر لقوله «الم» و کون الکتاب حکیما، بمعنی أنه قرر منهجا محکما، لا یدخله زیغ و فساد، فإن الحکمة، وضع الأشیاء موضعها اللائق بها.

[۴] فی حال کون هذا الکتاب هُدیً أی هدایة و إرشادا وَ رَحْمَةً موجبة للرحم و التفضل، فإن الله سبحانه، لم ینزل هذا القرآن، إلا لأن یرحم العباد لِلْمُحْسِنِینَ الذین یحسنون فی عقیدتهم و عملهم، و تخصیصهم بالذکر، لأنهم هم المنتفعون به، و إن کان فی القرآن صلاحیة الهدایة و الرحمة للجمیع.

[۵] ثم وصف سبحانه المؤمنین بقوله الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ بإتیانها دائما حسب آدابها و شرائطها وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ أی یعطون الأموال الموجبة لطهارة الأموال و تزکیتها، و الظاهر أن المراد بها، الصدقة المستحبة، إذ لم تجب الزکاة المفروضة فی مکة وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ أی یعتقدون، و الإتیان ب «هم» مکررا للتأکید، و لإفادة، إن المصلی المزکی، هو المعتقد بالآخرة، أما غیره ممن یدعی ذلک، و لا یقوم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۲

[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۵ الی ۶]

أُولئِکَ عَلی هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۵) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ (۶)

بهذین الأمرین، فإنما کلامه لقلقة لسان، لا خارج من أعماق الجنان.

[۶] أُولئِکَ المتصفون بتلک الأوصاف عَلی هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ کأنّ الهدی جادة، و الضلال جادة، فمن عمل بما ذکر، کان سائرا علی تلک الجادة المسماة بالهدی، و أن الهدی من ناحیة إلههم و خالقهم وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بخیر الدنیا و الآخرة.

[۷] ثم ذکر سبحانه من یقابل طائفة المؤمنین، و هم طائفة الکفار و المنافقین وَ مِنَ النَّاسِ أی بعضهم مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ فإنه ینفق عمره فی سبیل الأحادیث الملهیة الباطلة، و هذا عام لیشمل کل الأحادیث الملهیة و من جملة ذلک «الغناء» و لذا ورد تفسیر الآیة به لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ أی یضل الناس عن طریق الهدایة فإنه یحدثهم لیجمعهم حوله، فلا یجتمعوا حول الهدی، و قد ورد، أنها نزلت فی النضر بن حارث، کان یتّجر فیخرج إلی فارس، فیشتری أخبار الأعاجم، و یحدث بها قریشا، و یقول لهم: إن محمدا یحدثکم بحدیث عاد و ثمود، و أنا أحدثکم بحدیث رستم و اسفندیار، و أخبار الأکاسرة، فیستمعون حدیثه، و یترکون استماع القرآن «۱» بِغَیْرِ عِلْمٍ فإن العاصی جاهل، و إن کان عالما حسب الظاهر، إذ لو علم بحقیقة العلم ما یجره إلی نفسه من النار و النکال لم یقترب إلی المعصیة أبدا، کما قال:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۶۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۳

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۷ الى ۸]

وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۷) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (۸)

(مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ) «۱» وَ يَتَّخِذَها أى يتخذ سبيل الله- فإن السبيل مؤنث مجازى- هُزُواً آلة استهزاء و سخرية، فإن الإنسان، إذا أراد الاستهزاء، جعل شيئا محور استهزائه أُولئِكَ الذين صفتهم ما تقدم لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ أى يهينهم ذلك العذاب، و يذلهم فى مقابل ما كانوا يستكبرون و يتعاظمون فى الدنيا.

[۸] وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا أى تقرأ عليه آيات القرآن الحكيم وَلّى و أعرض مُسْتَكْبِراً أى فى حالة كبر و استعلاء يرى نفسه أكبر من أن يخضع لآيات القرآن كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها و إلا فالإنسان العاقل إذا سمع الهدى و الرشاد اتبعه و اقترب منه و خضع له كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً «الوقر» الحمل الثقيل، أى كان فى مسامعه حمل ثقيل يمنعه عن الاستماع، حتى يهتدى فَبَشِّرْهُ يا رسول الله، و تسميته التخويف بشارة، استهزاء، كما كان يستهزأ بآيات القرآن بِعَذابٍ أَلِيمٍ مؤلم موجع فى القيامة.

[۹] و فى مقابلهم المؤمنون إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بما يجب الإيمان به من المعارف و الاعتقادات وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ بأن أتوا

---

(۱) الأنعام: ۵۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۲۶۴

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۹ الى ۱۰]

خالِدِينَ فِيها وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۹) خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (۱۰)

بالواجبات، و تركوا المحرمات، فإنه لا يقال، فلان يعمل صالحا، إلا إذا كان آتيا بالواجب تاركا للمحرم لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ أى بساتين يتنعمون فيها فى الآخرة، فى مقابل العذاب الأليم الذى للكفار.

[۱۰] فى حال كونهم خالِدِينَ فِيها أى دائمين لا زوال لهم عنها وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا أى وعد الله ذلك وعدا حقا يتحقق فى الخارج، لا خلف فيه وَ هُوَ الْعَزِيزُ الغالب على أمره، فما أراده، من تعذيب الكفار، و تنعيم المؤمنين عمله الْحَكِيمُ يفعل الأشياء بالحكمة و المصلحة.

[۱۱] إن الكفار الذين لا يعترفون بالإله لينظروا إلى آثاره، و المشركون الذين يجعلون له شريكا، فليأتوا بدليل من الخلق، يدل على شريكهم خَلَقَ السَّماواتِ و هى مدارات الكواكب، أو أجسام هنالك، لم يصل إليها العلم، و سير البشر المحدود فى الفضاء بِغَيْرِ عَمَدٍ جمع عمود، أى لا عماد للسماوات تَرَوْنَها أى ترون أن لا عماد للسماوات، و إنما تدور الكواكب، و تسير بقدرته سبحانه، أو المراد، إن السماوات ثابتة بدون أعمدة مرئية، و إنما عمادها الجاذبية، التى خلقها الله فيها، مما لا يراها الإنسان وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أى جبالا راسية ثابتة تمنع الأرض عن التحرك و الاضطراب و التفكك، فهى كأوتاد الأخشاب، و إلا جذبتها جاذبية النيران، كما تجذب ماء البحار- فيحدث المد و الجزر- أو تفككت فى سيرها السريع، و انتثرت فى الفضاء، و إنما ألقى فى الأرض رواسى: كراهة أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ من «ماد» بمعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۲۶۵

[سورة لقمان (۳۱): آية ۱۱]

هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۱۱)

اضطرب، أى لئلا تضطرب الأرض معكم أيها البشر وَ بَثَّ أى نشر، و فرق فِيها أى فى الأرض مِنْ كُلِّ دابَّةٍ من جميع أنواع الدواب المختلفة الأشكال، و الألوان و الحجوم و المزايا وَ أَنْزَلْنا على قاعدة الالتفات من الغيبة إلى التكلم الذى هو من أقسام البلاغة مِنَ

السَّماءِ من جهة العلو ماءً هو المطر فَأَنْبَتْنا فِيها فى الأرض بسبب ذلك الماء مِنْ كُلِّ زَوْجٍ أى من كل صنف من أصناف النبات كَرِيمٍ أى مكرّم محترم، لما فيه من الفوائد و الخواص.

[۱۲] هذا الذى ذكر من صنوف الخلق خَلْقُ اللَّهِ فإنه سبحانه، هو الموجد لهذا كله فَأَرُونِي أيها المشركون القائلون بأن لله شريكا ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ أى الآلهة الذين هم غير الله، و الإتيان ب «الذين» للمجاراة مع عبّاد تلك الأصنام، فى المكالمة و المخاطبة ليتناسق التعبير أخذا و عطاء، و ليس لأحد من المشركين، أن ينسب بعض تلك المخلوقات إلى آلهتهم، كما نسب الثنوية المضار إلى إله الشر، إذ توحيد النظام، و التنسيق دال على توحيد الخالق، فإن النظام الواحد لا يصدر، إلا من المنظم الواحد، ثم ماذا يقيمون من الأدلة، على أن الشيء الفلانى من الله، و الشيء الفلانى من الشركاء؟ إلا الادعاء، و إن شئت قلت: إن هناك مخلوقات، تدل على خالق واحد، فمن يقول بالأكثر، فعليه الدليل بَلِ الظَّالِمُونَ الذين ظلموا أنفسهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۶

[سورة لقمان (۳۱): آية ۱۲]

وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۱۲)

بالكفر و الشرك و العصيان، لا دليل لهم على تعدد الآلهة، و إنما هم فِي ضَلالٍ مُبِينٍ أى انحراف واضح.

[۱۳] و إذ كان الكلام حول التوحيد و الشرك، ينتقل السياق إلى قصة «لقمان» الحكيم الذى كان يأمر بالتوحيد، و ينهى عن الشرك وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ و هو معرفة مواضع الأشياء، و علم الارتباط بين الأسباب و المسببات، بحيث يعلم كيف ينهج الإنسان، حتى يسعد فى الحياة،

عن الصادق عليه السّلام إنه سئل عن لقمان و حكمته التى ذكرها الله عز و جل فقال: أما و الله، ما أوتى لقمان الحكمة بحسب و لا مال و لا أهل، و لا بسط فى جسم، و لا جمال، و لكنه، كان رجلا قويا فى أمر الله متورعا فى الله ساكتا سكّيتا عميق النظر طويل الفكر حديد النظر مستغنى بالعبر، لم ينم نهارا قط، و لم يتك فى مجلس قط، و لم يتفل فى مجلس قط، و لم يعبث بشيء قط، و لم يره أحد من الناس على بول و لا غائط، و لا اغتسال لشدة تستره، و عمق نظره، و تحفظه فى أمره، و لم يضحك من شيء قط، مخافة الإثم فى دينه، و لم يغضب قط، و لم يمازح إنسانا قط، و لم يفرح بشيء، بما أتاه من الدينا، إن أتاه من أمرها، و لا حزن منها على شيء قط، و قد نكح من النساء، و ولد له الأولاد الكثير، و قدم أكثرهم إفراطا، فما بكى على موت أحد منهم، و لم يمر برجلين يختصمان، أو يقتتلان إلا أصلح بينهما، و لم يمض عنهما حتى تحابا، و لم يسمع قولا قط عن أحد استحسنه إلا سأله عن تفسيره، و عن من أخذه فكان يكثر مجالسة الفقهاء و الحكماء، و كان يغشى للقضاة و الملوك، و السلاطين، فيرثى القضاة مما ابتلوا به، و يرحم الملوك و السلاطين، لعزتهم بالله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۷

و طمأنينتهم فى ذلك، فيعتبر و يتعلم ما يغلب به نفسه، و يجاهد به هواه، و يحترز به من الشيطان، و كان يداوى قلبه بالتفكر، و يداوى نفسه بالعبر، و كان لا يصغى إلا فيما ينفعه، و لا ينظر إلا فيما يعنيه، فبذلك أوتى الحكمة، و منح العصمة- أى الاعتصام من الزلل- و إن الله تبارك و تعالى، أمر طوائف من الملائكة، حين انتصف النهار، و هدأت العيون بالقائلة، فنادوا لقمان حيث يسمع، و لا يراهم، فقالوا: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض، تحكم بين الناس؟

فقال لقمان: إن أمرنى ربى بذلك، فالسمع و الطاعة، لأنه إن فعل بى ذلك، أعاننى عليه، و علّمنى و عصمنى، و إن هو خيّرنى قبلت العافية، فقالت الملائكة: يا لقمان لم قلت ذلك، قال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين، و أكثر فتنا و بلاء ما يخذل، و لا يعان، و يغشاه الظلم من كل مكان، و صاحبه منه بين أمرين، إن أصاب فيه الحق، فبالحرى أن يسلم، و إن أخطأ أخطأه طريق الجنة، و من يكن فى الدنيا ذليلا ضعيفا كان أهون عليه فى المعاد، من أن يكون فيها حكما سريا شريفا، و من اختار الدنيا على تلك الآخرة

یخسرهما کلتیهما، تزول هذه، و لا یدرک تلک، قال: فعجبت الملائکة من حکمته، و استحسن الرحمن منطقه، فلما أمسی، و أخذ مضجعه من اللیل، أنزل الله علیه الحکمة، فغشاه بها من قرنه، إلی قدمه، و هو نائم، و غطاه بالحکمة غطاء فاستیقظ، و هو أحکم الناس فی زمانه، و خرج علی الناس، ینطق بالحکمة و یبثها فیهم

«۱»، و قلنا له أَنِ اشْکُرْ لِلَّهِ فیما أعطاک، و الشکر هو صرف النعمة، فیما أمر الله سبحانه وَ مَنْ یَشْکُرْ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۳ ص ۴۰۹- ۴۱۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۸

[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۱۳ الی ۱۴]

وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَ هُوَ یَعِظُهُ یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ (۱۳) وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ إِلَیَّ الْمَصِیرُ (۱۴)

فإن فائدة شکره تعود علی نفسه، فإن الشکر یوجب الزیادة فی النعم و الثواب فی الآخرة وَ مَنْ کَفَرَ بأن لم یشکر، و صرف النعم فی معصیة الله، کأن یصرف نفسه و ماله فی الکفر و الشرک و الفسوق و العصیان فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عن شکر الشاکرین، و التقدیر، و من کفر فلیعلم إنه لا یضر الله، لأنه سبحانه غنی حَمِیدٌ محمود علی أفعاله، فإن ترک هذا الإنسان للحمد و الشکر، لا یخرج الله عن کونه محمودا فی السماوات و الأرض.

[۱۴] ثم ذکر سبحانه جملة من حکمة لقمان، و ما کان یبثه بین الناس، من المواعظ و النصائح وَ أذکر یا رسول الله إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ و الحال إنه کان هُوَ یَعِظُهُ أی یؤدبه بالأخلاق الحسنة و یعلمه الخیر و الرشد یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ أی لا تجعل له شریکا ف إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ و هل هناک ظلم أعظم، من أن یربط الإنسان أعمال الإله، بمخلوق له، ما یسبب فساد دینه و دنیاه، و فساد دنیا و دین من اتبعه؟

[۱۵] و بهذه المناسبة، یأتی السیاق لیبین جملة من کلام الله سبحانه حول الإنسان، من جهة أبویه، فإن احترام الوالدین فی طول إطاعة الله، فکما یجب امتثال أوامر الله، لأنه الخالق، کذلک یلزم الإحسان إلیهما، لما تعباه فی تکوین الأولاد و تربیتهما وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ أی أمرناه، بإطاعة الوالدین و شکرهما، و الإحسان إلیهما، ثم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۶۹

[سورة لقمان (۳۱): آیة ۱۵]

وَ إِنْ جاهَداکَ عَلی أَنْ تُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْیا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِیلَ مَنْ أَنابَ إِلَیَّ ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۵)

ألمع السیاق إلی بعض أسباب لزوم الاحترام للأم، فقد حَمَلَتْهُ أی حملت الإنسان أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ أی فی حال کون الإنسان الجنین، یوجب لها ضعفا فوق ضعف، فلم تزل تضعف کل یوم أکثر من الضعف فی الیوم السابق، حتی تلد، فقد أطلق «وهن» علی «الموهن» کأنه قطعة، من قبیل «زید عدل» وَ فِصالُهُ أی أن مدة فصال الإنسان عن الرضاع، بعد الولادة فِی عامَیْنِ فإن الرضاع الکامل، إنما هو عامان، و یفصل عن اللبن عند تمامها، کما قال سبحانه، (وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ) «۱» أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ هذا تفسیر قوله «و وصینا» مع الزیادة، و هو لفظة «لی» أی کانت وصیّنا للإنسان، أن یشکر لله و لوالدیه، و کان الإتیان ب «لی» لإفادة کون شکر الوالدین، فی عرض شکره سبحانه إِلَیَّ الْمَصِیرُ فمن تکاسل فی الشکر، عوقب بالنکال، کما أن من عمل بالأمر جوزی بالجنة.

[۱۶] وَ إِنْ جاهَداکَ أی جاهد معک الأبوان، بأن أتعبا أنفسهما مع الولد عَلی أَنْ تُشْرِکَ أیها الإنسان بِی بأن تجعل لی شریکا، فیما

كان هما مشركين، و أرادا جرّ الأولاد إلى دينهما و طريقتهما ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أى تجعل الصنم الذى ليس علم لك بكون ذلك الصنم شريكا

---

(۱) البقرة: ۲۳۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۰

[سورة لقمان (۳۱): آية ۱۶]

يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (۱۶)

لى، و هذا لأجل أن ما لا يكون، لا يتعلق به علم، و إن تعلق به القطع، فهو جهل مركب فَلا تُطِعْهُما فى الإشراك بى وَ لكن صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً أى أحسن إليهما، و أرفق بهما، فى سائر الأمور ما دامت فى الدنيا، فإن شركهما لا يسبب قطع الصلة عنهما، و معروفا منصوب لكونه صفة، لمصدر محذوف، أى مصاحبة معروفة، مقابل المصاحبة المنكرة وَ أما فى الأمور الدينية، ف اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَ أى رجع إلىّ بالإطاعة و الامتثال، و إنما سمى الامتثال إنابة، باعتبار أنّ الكفار قد أعرضوا عن الله، فإذا جاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجع جماعة منهم، و من أولادهم إلى الله بعد الإعراض منهم، أو من آبائهم ثُمَّ إِلَيَ أى إلى جزائى و حسابى مَرْجِعُكُمْ جميعا الأبوين المشركين، و الأولاد المؤمنين، و المرجع مصدر ميمى، بمعنى الرجوع فَأُنَبِّئُكُمْ أى أخبركم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فى دار الدنيا، لأجازيكم عليه، و الإخبار إنما هو للتذكير، حيث لا يحسب الإنسان الجزاء ظلما أو عبثا.

[۱۷] ثم رجع السياق إلى كلام لقمان مع أبيه، و قد كان من دأب القرآن الحكيم، أن يأتى بالجمل المعترضة، فى أواسط الكلام، مما لها ربط به، لتنشيط الذهن بالتفنن فى الكلام يا بُنَيَّ إِنَّها أى فعلة الإنسان المفهوم من قوله «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أى كان ثقل النمل فى عالم المعنويات، مقدار ثقل حبة خردل من عالم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۱

[سورة لقمان (۳۱): آية ۱۷]

يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۱۷)

الماديات فَتَكُنْ تلك الخردلة، أو تلك الفعلة فِي صَخْرَةٍ حيث إن الحبة المخفية فى صخرة صماء صعب الاطلاع عليها و استخراجها من الصخرة أَوْ فِي السَّماواتِ فإن الحبة إذا أضيفت فى السماوات الوسيعة، لا يقدر على العثور عليها أحد لسعة السماوات أَوْ فِي الْأَرْضِ و هل توجد حبة ضاعت فى الأرض، فهل يعلم أنها فى أى مكان منها؟ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ أى بتلك الفعلة، و هذا لإيقاظ الإنسان، أن لا يترك خيرا صغيرا بعيدا عن الأنظار بزعم أنه لا يطلع عليه أحد، فلما ذا يعمله؟ أو يفعل شرا صغيرا بعيدا عن الأنظار، بزعم أنه لا يراه أحد، فيجتنب عنه؟ إن العمل مهما كان صغيرا، فى أرض كان أو سماء، أو فى كهف جبل، أو فى أعماق البحار، فإن الله مطلع عليه، و يأتى بحسابه يوم القيامة، أو يأتى بنفسه- إن قيل بتجسيم الأعمال- إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ فيعلم الأشياء اللطيفة الدقيقة خَبِيرٌ عالم بالأشياء، و اللطيف أخص من الخبير، و جىء به هنا للمناسبة مع كون العمل صغيرا مضاعا فى السماوات أو الأرض، أو مخفيا فى جوف صخرة صماء.

[۱۸] يا بُنَيَ هو تصغير «ابن» و قد أضيف إلى ياء المتكلم، و جىء بالتصغير لطفا و شفقة، لا تحقيرا و إهانة أَقِمِ الصَّلاةَ بآدابها و أركانها وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ و هو كل شىء حسن عقلا، أو شرعا، و سمى معروفا، لأنهم يعرفونه، و لا ينكرونه وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ و هو كل قبيح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۲

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۱۸ الى ۱۹]

وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (۱۸) وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (۱۹)

يستقل به عقل أو شرع، و سمى منكرا لأن الناس ينكرونه وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ من الأذى فى سبيل الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، أو كل ما أصابك من مكاره الدنيا، فلا تجزع و لا تخرج عن نطاق الأدب و الشريعة فى المكاره إِنَّ ذلِكَ الصبر على ما أصابك، أو كل ما سبق مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ العزم، هو عقد القلب على شىء، أصله بمعنى القطع، كأن من نوى شيئا، فقد قطع هذا الطرف من الأمر ليسير عليه، و من يتصف، بأنه يتمكن أن يقطع الأمور، و يبنى على الطرف منها، فقد اتصف بصفة كبرى، حيث لم يعط للشك مجالا لتهديم استقامته، و صبره و صموده فيما يريد.

[۱۹] وَ لا تُصَعِّرْ من «صعر» بمعنى أمال خَدَّكَ أى صفحة وجهك لِلنَّاسِ بأن تتكبر عليهم، فتعرض عنهم بوجهك حين يطلبون منك حاجة، أو يواجهونك بكلام وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً أى مشيا مرحا، و هو مشى الكبر و الخيلاء إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ من اختال بمعنى تكبر فَخُورٍ يفخر على الناس، و معنى لا يحب يكره، لما سبق من التلازم بين عدم حب الله لشىء، و كراهته له، و لعل التعبير ب «لا يحب» لإفادة أن مجرد عدم محبة الله، كاف فى ترك الإنسان لشىء، فكيف إذا كرهه؟.

[۲۰] وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ القصد فى كل شىء هو حد الوسط فيه بدون إفراط أو تفريط، أى ليكن مشيا متوسطا، لا بسرعة تذهب بالبهاء،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۳

[سورة لقمان (۳۱): آية ۲۰]

أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (۲۰)

و لا بطء من الخيلاء، أو المراد من المشى الأعم من الحركة، يقال فلان حسن المشى، فيما كانت سيرته حسنة، فيكون المراد بالآية، القصد فى كل شىء من إنفاق، و مأكل، و سيرة، و عشرة، و غيرها وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ أى اخفض بعض صوتك، بأن لا تظهر كل الصوت عند التكلم، بل تنقّص بعضه، فإن الأدب فى التكلم، أن يتكلم الإنسان كلاما هادئا، بدون جهر شديد، و صياح، ثم استدل لقمان لقبح الصوت الرفيع، بقوله إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ حين ينهق، فإن صوته يزعج السامع، و ليس ذلك إلا لأجل رفعه، و الجهر الشديد به، فإذا أزعج الإنسان صوت الحمار، فليتأدب عند إخراج صوت نفسه، كما روى إنه قيل لأحد الحكماء: ممن تعلمت الأدب؟ قال:

ممن لا أدب له، حيث رأيت قبح عمله، فتركته.

[۲۱] ثم انتقل السياق للحوار مع المنكرين لله، و الجاعلين له شريكا، الذين من أجلهم سيق قصة لقمان أَ لَمْ تَرَوْا أيها المنكرون له، أو المعترفون به الجاعلون معه شريكا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ من الشمس و القمر و النجوم، فإنها تسير لمصالحكم، و منافعكم، و كذلك الهواء و الحساب و غيرها وَ ما فِي الْأَرْضِ من الحيوان، و النبات، و المياه، و المعادن، و غيرها فقد جعلها تحت اختياركم، و لمنافعكم وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ أى أوسع عليكم نِعَمَهُ جمع نعمة كالغنى، و الصحة، و الأمن، و غيرها ظاهِرَةً وَ باطِنَةً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۴

[سورة لقمان (۳۱): آية ۲۱]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (۲۱)

فالظاهرة كالخلق و الحياة، و ما ينتفع منها الإنسان، فى حياته و عيشه، و الباطنة، ما وهب الله للإنسان من الإدراك، و العقل، الذى به يسيّر حياته حسب المصلحة و الخير، فمن يا ترى جعل كل ذلك؟ و من النعم الباطنة، الرسل، و الأئمة و الإسلام، و من الناس من

ينسب كل هذه النعم إلى الصدفة أو الطبيعة، فلنسأل: هل لهاتين من عقل و تدبير؟ فإن قال: نعم، قلنا: ما تسميه الصدفة و الطبيعة مما له إدراك و تدبير، و تقدير، و علم، و حكمة- إلى غيرها مما يستلزمها هذه المخلوقات- هو ما نسميه نحن «الله» إذن فالنزاع فى اللفظ، و إن قال: لا، قلنا من ذلك يلزم، ما لا عقل له عقل، فكيف لا يقدر جميع الأقوياء من الأطباء أن يصنعوا عينا لأعمى، أو عقلا لمجنون، و الطبيعة الجاهلة العاجزة، تصنع ملايين العيون و العقول؟ وَ بعد هذه الأدلة القاطعة مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ أى فى أصل وجوده سبحانه، أو وحدته، بأن يعطل الكون عن الإله، أو يجعل له شريكا بِغَيْرِ عِلْمٍ فلا علم له قطعى بما يقول، و إنما هو ظن و تقليد وَ لا هُدىً أدلة قطعية عقلية وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ أى كتاب واضح، ظاهر يوجب تنوير الفكر بالبراهين، و الحجج، و الحاصل إنه لا دليل عقلى لهم، و لا دليل نقلى، و لا لهم علم، بما يقولون، و إنما ظنون و أهواء و تقاليد.

[۲۲] وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فهذا كتاب منير عوض العلم، و الدليل العقلى، الذين يفقدونهما فى باب المبدأ و المعاد قالُوا فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۵

[سورة لقمان (۳۱): آية ۲۲]

وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (۲۲)

جواب ذلك بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا فإنا نقلدهم، فيما كانوا يقولون من أمر المبدأ و الإله، و المعاد، و سائر هذه الشؤون الأصولية أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ بسبب هذا التقليد إِلى عَذابِ السَّعِيرِ الهمزة للاستفهام، و الواو للعطف، و الاستفهام إنكارى، أى إنهم يقلدون آباءهم، حتى إذا كان التقليد من دعوة الشيطان الموجبة، لأن يدخل الإنسان النار فى خاتمة المطاف، و السعير اسم من أسامى جهنم، سميت به لاستعارها و اشتعالها.

[۲۳] هذا حال الكفار المجادلون المقلدون لآبائهم، أما وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ بأن يخضع له، و نسبة التسليم إلى الوجه، باعتبار أن الإنسان الخاضع نفسه، يظهر آثار الخضوع على وجهه وَ هُوَ مُحْسِنٌ فى عمله، بأن كانت عقيدته، و عمله صحيحتين فَقَدِ اسْتَمْسَكَ أى تمسك و أخذ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى فقد شبهت الحياة، بمحل مهول لا ينجو منه، إلا من تمسك بشىء، كالعروة، فمن الناس من يتمسك بعروة واهية تنقطع، و تنفصل، و منهم من تمسك بعروة وثقى- مؤنث أوثق- التى لا تنفصم، حتى ينجو الإنسان عن الأهوال وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ فهو فى الحياة مستمسك بأقوى العرى، و مصيره إلى الله، الذى عمل لأجله، و حسب أمره فى الحياة، و لا بد أن تكون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۶

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۲۳ الى ۲۵]

وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۲۳) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ (۲۴) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۲۵)

عاقبته حسنة، فأواخر الأمور و هى جزاؤها مربوطة بالله، فمن أحسن، جزاه بالخير، و من أساء أخزاه بالشر، فكان كل أمر له ابتداء هو ما يعمله الإنسان، و انتهاء هو جزاءه الذى يحصّله من جزاء عمله.

[۲۴] و إذ تبين الحق، فلا يحزن الإنسان لمن عاند، حتى وصل إلى العذاب وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ يا رسول الله كُفْرُهُ فإن الإنسان لا يحزن للمعاند إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ أى إلى جزائنا رجوعهم، و هناك فَنُنَبِّئُهُمْ أى نخبرهم بِما عَمِلُوا من الكفر و العصيان، و معنى الإخبار، بيان ما عملوا، حتى يعرفوا، أنهم استحقوا العذاب، الذى يراد بهم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أى بما يجول فيها من الكفر و العصيان، فلا يفوته شىء، و يكون إخباره إخبار عالم، و جزائه جزاء عادل، لا ينقص من عذابهم شيئا، و لا يزيد فيه شيئا.

[۲۵] و إنما نمهلهم فى الدنيا للاختبار و الامتحان نُمَتِّعُهُمْ أى نعطيهم من متع الحياة الدنيا قَلِيلًا فإن أيام الدنيا قليلة، و إن طالت عشرات السنوات، بالنسبة إلى الآخرة الباقية، التى لا فناء لها ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ أى ندخلهم فى الآخرة بكره منهم و اضطرار، و اضطر فعل متعد، و لذا يأخذ المفعول بلا واسطة، أصله «اضتر» من باب الافتعال، قلبت التاء «طاء» على القاعدة إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ أى شديد، يغلظ عليهم و

يصعب.

[۲۶] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أى سألت هؤلاء المشركين الذين يشركون بالله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۷

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۲۶ الى ۲۷]

لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (۲۶) وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۷)

الأصنام مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ هل الله خلقها، أم الأصنام، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ خلقها، إذ لا يتجرأ أحدهم، أن ينسب هذا الخلق العظيم، إلى أصنام من الطين و الحجارة، أو سائر المعادن و الأشجار قُلِ يا رسول الله، إذا قالوا ذلك، و تمت عليهم الحجة، فى أصنام هى باطلة الْحَمْدُ لِلَّهِ إذ اعترفوا بوحدة الخالق، و أقروا بما يلزم بطلان آلهتهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ إن اعترافهم بوحدة الخالق، موجب لوحدة الإله، إذ لو لم يكن لأصنامهم شراكة فى الخلق، فما ذا أوجب أن تكون آلهة؟

[۲۷] و إذن فباعتراف الطرفين لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فهو المتفرد بالخلق و الملک، إذ الخالق هو المالک إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عما سواه من الشركاء، إذ له كل شىء إلى من ليس له شىء؟ الْحَمِيدُ المستحق للحمد، وحده بدون شريک، إذ من يعطى كل شىء، هو المستحق للحمد دون من لا يعطى.

[۲۸] و لا يظن ظان، أن ما فى السماوات و الأرض، أمور معدودة تحيط بها الكتابة و التسجيل، ليستدل بذلک على محدودية خلق الله، إن ما خلقه الله سبحانه، لا يحيط به كتاب، و إن كانت الأشجار أقلاما، و البحار و أصفافها مدادا، و هذا هو الإله الحق، أما الأصنام، فمن المضحک أن يتفوه الإنسان، بأنها فى عداد الإله؟ وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۸

[سورة لقمان (۳۱): آية ۲۸]

ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۲۸)

على كثرتها المدهشة أَقْلامٌ للكتابة، و البحار كلها مداد و حبر- لا هذه البحار فحسب- بل وَ الْبَحْرُ و المراد به الجنس يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ أى سواه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ أخرى، و الإتيان بلفظ السبعة، لا للخصوصية، بل هذا العدد، كان كناية عن الكثرة، نحو «السبعين» كما قال (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) «۱» ثم أخذ الكتّاب، يكتبون بتلک الأقلام، و ذلک المداد الهائلين- كثرة- نعم الله سبحانه و مخلوقاته ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ أى لم تخلص بحيث تحيط بها الكتابة، و الكلمة تطلق على المخلوق، باعتبار، أنه يخرج، بالإرادة الأزلية من العدم إلى الوجود، كما يخرج اللفظ من الفم إلى الخارج، فإن الله سبحانه، حيث كان لا يتناهى، كانت مخلوقاته الطويلة أيضا، لا تتناهى، فلا يحيط ما يتناهى بما لا يتناهى، و هذا لا يدل على أن الكلمات المخلوقة فعلا، لا تتناهى، حتى يقال: قد دلت الأدلة على استحالة ما لا يتناهى فى عالم الماديات؟ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب على أمره، يفعل ما يشاء حَكِيمٌ فكل ما يخلق، إنما هو حسب الحكمة و المصلحة.

[۲۹] و لا يظن ظان أن هذه الخلقة المدهشة، توجب تعبا على الخالق، فإن الله يخلق ملايين العوالم بالإرادة، و لا فرق لديه بين خلق شىء واحد و ملايين العوالم ما خَلْقُكُمْ أيها البشر

---

(۱) التوبة: ۸۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۷۹

[سورة لقمان (۳۱): آية ۲۹]

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ

خَبِيرٌ (۲۹)

وَ لا- بَعْثُكُمْ بعـد المـوت إِلَّا كخلق و بعث نفس واحِـدَةٍ فالأمـران: خلق الواحـد، أو الجميع، و بعثه، عنـده سـبحانه سيّان إِنَّ اللَّهَ سَـمِيعٌ لأقوالكم بَصِيرٌ بنياتكم، فقد كانت قريش تقول: إن الله خلقنا أطوارا نطفة فعلقة فمضغة، فلحما، فكيف يعيدنا جميعا، في ساعة واحدة؟ و كانت هذه الآية تدمغهم.

[۳۰] أَ لَمْ تَرَ يا رسول الله، أو كل من منه الرؤية، قدرة الله العظيمة، فكيف يقول أناس: إنه لا يقدر على البعث، أو ينكرون وجوده؟ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْـلَ فِي النَّهـارِ بأن ينقص من النهار، ليزيـد على الليل، أو يـدخل ليلة كل يوم نهارها، حتى إن غابت الشـمس، توجه جند الليل من ناحيـة المشـرق، ليغزوا النهار المنتشـر في السـماء، و الإيلاج هو الإدخال وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ على أحد المعنيين السابقين وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ ذللهما حتى أنهما يسـيران طوع أمره و إرادته كُلٌّ يَجْرِي في فلكه بصورة مسـتمرة دائمـة لينتهي إِلى أَجَلٍ و مدة مُسَـمًّى قـد سـمي ذلـك عنـده سـبحانه، فليس سـيرهما اعتباطا، بلا تحديـد و تقـدير وَ أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ و قـد أدرج هـذا الأمر المعنوي إلى ذينك الأمرين الحسيين لإفادة من يخلق و يتصرف بما تقدم، لا بد و أن يعلم أعمال الخلائق، و لذا صح عطفه على قوله «أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۰

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۳۰ الى ۳۱]

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (۳۰) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (۳۱)

الله يولج» و على هذا، فالمراد بالرؤية المعنى الجامع بين البصر و البصيرة.

[۳۱] ذلِكَ الذي تقدم من التصرف في الليل و النهار، و الشمس و القمر، و العلم بأعمال العباد، إنما كان من شأن الله بسبب أن اللَّهَ هُوَ الإله الْحَقُّ و الإله الحق يتأتى منه كل ذلك وَ لازم كون الله حقا أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ من الأصنام الْباطِلُ فليست تلك بآلهة وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الرفيع الْكَبِيرُ العظيم، و إن التصـرفات الكونيـة، و العلم الشامـل، إنمـا هي من شـأن الإلـه العلي الكبير، فهـل يتمكن أحـد، أن ينسب إلى الأصنام هذه الصفات، أو تلك الأمور التكوينية؟

[۳۲] ثم ينتقل السـياق إلى إلفات هؤلاء نحو خارقة كونية أخرى، لا محيص لهم عن الاعتراف، بأنها لله، لا لأصـنامهم أَ لَمْ تَرَ يا رسول الله، أو لكل من يتأتى منه الرؤية أَنَّ الْفُلْكَ أي السفينة تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ فقد أنعم على البشر بإجراء السفينة في البحار لنقلهم من هنا إلى هناك، و تسـهيل تجارتهم بسـببها، و لِيُرِيَكُمْ الله في هـذا المسير مِنْ آياتِهِ أي بعض آياته الدالـة على عظم قدره، و جلالة شأنه، فإن في البحار عجائب صنع الله سبحانه، مما يراها من ركب البحر، و قوله «ليريكم» بيان لإحدى علل إجراء السفينة في البحر،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۱

[سورة لقمان (۳۱): آية ۳۲]

وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (۳۲)

فإن إجراءها للسـفر و التجارة، و رؤيـة الآيات إِنَّ فِي ذلِكَ الإجراء في البحر لَآياتٍ دالة على الله و صـفاته لِكُلِّ صَـبَّارٍ يصبر عند البلاء شَكُورٍ يشـكر عند الرخاء، و كان الإتيان بهاتين الصـفتين هنا، لما يطرأ على الإنسان، من هاتين الحالتين، عند ركوب البحر من الأهوال المحتاجـة إلى الصبر، و الإنجـاء المحتـاج إلى الشـكر، فإن الصابر الشاكر- و هو المعترف بالله- هو الـذي يـدرك الآيات، أما الجاهل المضطرب النفس، فلا يدرك الآيات، و لا يعيرها أهمية.

[۳۳] وَ إِذا ركب الناس السـفينة و غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ فإن الموج أحيانا يركب على السفينة، كالظلة التي تلقى عليها، فيدخل فيها قسم من مـاء الموج، و إنما جاء بالجمع في قوله «كالظلل» و هو جمع ظلـة، لأن للموج طبقات، تعلو طبقـة على طبقـة دَعَوُا اللَّهَ أي الركاب،

فى حال خوفهم من الموج أن يغرق السفينة بمن فيها، فى حال كونهم مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى قد أخلصوا له الطريقة، بأن صار توجههم إليه وحده، و انصرف المشركون من الراكبين عن آلهتهم فَلَمَّا ذهب الموج، و أمنوا الخطر، و نَجَّاهُمْ الله إِلَى الْبَرِّ بأن خرجوا من السفينة بسلام فَمِنْهُمْ أى بعض أولئك الراكبين مُقْتَصِدٌ، أخذ طريق القصد و العدل، فيبقى على إيمانه بالله وَ منهم راجع إلى كفره و شركه، و ما يَجْحَدُ بِآياتِنا الدالة على وجودنا، و سائر صفاتنا، و من تلك الآيات الإنجاء، من أهوال البحر إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۲

[سورة لقمان (۳۱): آية ۳۳]

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (۳۳)

من ختر، بمعنى غدر بالعهد كَفُورٍ لله سبحانه، فى المجمع: قيل إن هذا كان سبب إسلام عكرمة بن أبى جهل، و هو إخلاصهم الدعاء فى البحر، فقد روى السدّى عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله، الناس، إلا أربعة نفر، قال: اقتلوهم، و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبى جهل، و عبد الله بن أخطل، و قيس بن صبابة، و عبد الله بن سعد بن أبى سرح، فأما عكرمة، فركب البحر، فأصابته ريح عاصفة، فقال أهل السفينة أخلصوا، فإن آلهتكم، لا تغنى عنكم شيئا هاهنا، فقال عكرمة: لئن لم ينجنى فى البحر، إلا الإخلاص، ما ينجينى فى البر غيره؟ اللهم إن لك على عهدا، إن أنت عافيتنى مما أنا فيه، أن آتى محمدا حتى أضع يدى فى يده، فلأجدنه عفوا كريما، فجاء فأسلم «۱» ... و قد قبل النبى إسلامه، و من طريف الأمر إن الإنسان كلما وقع فى مشكلة، لا بد و أن يعرف ما ينجيه، و ما لا ينجيه، ثم إذا ارتفعت المشكلة، رجع إلى تقاليده البالية، و ما يفرضه العرف و الاجتماع عليه.

[۳۴] و إذا أتم الاحتجاج مع الناس حول الألوهية و المعاد، جاء السياق لتخويفهم عاقبة أمرهم، بقوله يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ أى خافوا عقابه وَ اخْشَوْا يَوْماً هو يوم القيامة لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ أى لا يغنى أحد أحدا، حتى أن الأب الرؤوف بأولاده لا يتمكن من

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۹۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۳

[سورة لقمان (۳۱): آية ۳۴]

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (۳۴)

خلاصهم وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً و الابن لا يغنى عن أباه، حتى الشيء القليل إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالبعث و الجزاء حَقٌّ آت لا ريب فيه فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا بأن تصرفكم زهرتها عن الإيمان حتى تذوقوا العذاب يوم القيامة وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ أى لا يجرأنكم على عصيان الله، الشيطان الْغَرُورُ الذى يغر كثيرا.

[۳۵] إِنَّ اللَّهَ هو العالم القادر، هو عالم بما تعملون، و قادر على البعث و الجزاء، ألا ترون إلى آثار علمه و قدرته عندكم، فإنه سبحانه عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ بمعنى، فى أى وقت تقوم القيامة وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ أى المطر الدال على كمال قدرته وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ أى أرحام النساء، من ذكر و أنثى، صحيح أو سقيم، جميل أو قبيح، و هكذا، و لو لم يعلم ذلك لم يتمكن من صنعه بهذه الدقة المدهشة، أما أنتم أيها البشر، فأسرعوا فى التوبة و الرجوع، إلى هذا الإله العالم القادر، و العمل الصالح وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً من خير أو شر، فلا تسوّفوا التوبة و العمل لغد، فلعلّ ما أردتم فيه، لم تتمكنوا من إنجازه وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ فلعله مات فى نفس مكانه، لم يقدر على الجرى، ليصلح شأنه، إن سوّف التوبة، و العمل

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۴

الصالح، فيبادر الإنسان فى زمانه، و مكانه إلى الرجوع إليه سبحانه، قبل أن يتحسر و يندم، و لات ساعة مندم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بأعمالكم و ضمائركم خَبِيرٌ و لعل الفرق بين الوصفين، إن الثانى أدق من الأول، فى إفادة المراد، لدى اجتماعهما، فالخبير، من يعلم كنه الأشياء، و جميع مزاياها.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۵

۳۲ سورة السجدة مكيّة/ آياتها (۳۱)

سميت السورة بهذا الاسم، لاشتمالها على مادة السجدة، فى قوله «خروا سجدا» و هى كسائر السور المكية، تعالج قضايا العقيدة بشعبها المختلفة، قال فى المجمع: ختم الله سبحانه السورة التى قبلها بدلائل الربوبية، و افتتح هذه السورة أيضا بها.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ باسم الإله الذى يرحم العباد، نبتدئ السورة، لكى نجعله عنوانا لنا، و شعارا لأمورنا، و نسترحم لطفه، و عنايته، بتذكر اسمه الرحمن الرحيم.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۶

[سورة السجده (۳۲): الآيات ۱ الى ۳]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (۱) تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (۳)

[۲] الم «ألف» و «لام» و «ميم» جنس لحروف هذه السور، التى عجز البشر من الإتيان بمثلها، أو إنها رموز بين الله و الرسول، أو لأن المشركين، كانوا يصيحون حين يبدأ الرسول بالقرآن، ليمنعوا الناس عن سماع صوته و إيقاعه فى الغلط، فكانت تنزل المقطعات لتوجب الدهشة فيهم فينصتوا استغرابا و هناك يلقّنوا القرآن، أو غيرها من الأقوال.

[۳] تَنْزِيلُ الْكِتابِ خبر، ل «الم» و اللام فى «الكتاب» للعهد، أى أن «الم» أو هذه الآيات، تنزيل الكتاب الذى وعدتم به من قبل، على لسان الأنبياء، أو لسان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قد وضع المصدر، و هو «تنزيل» موضع المفعول، فهذه الآيات، هو الكتاب المنزل، أو «الم» هو الكتاب المنزل، كما وضع المصدر موضع الفاعل فى «زيد عدل» أى عادل لا رَيْبَ فِيهِ أى ليس الكتاب محل ارتياب، و إن ارتاب فيه المبطلون، كما تقول: لا ريب فى أن وقت طلوع الشمس أو الصبح، يعنى ليس محل ارتياب، و إن كان هناك «سوفسطائيون» ينكرون ذلك، أو يشكون فيه مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ و إلا فلو لم يكن من رب العالمين، فلما ذا لا يتمكن البشر من الإتيان كمثله.

[۴] أَمْ يَقُولُونَ أى بل يقول هؤلاء الكفار افْتَراهُ أى نسب الرسول القرآن إلى الله كذبا، و ليس الأمر كما يقولون بَلْ هُوَ الْحَقُّ المطابق للواقع مِنْ رَبِّكَ أى من طرفه سبحانه، و ليس مفترى على الله تعالى، كما زعموا، و قد أنزله سبحانه لِتُنْذِرَ يا رسول الله

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۷

[سورة السجده (۳۲): آية ۴]

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ (۴)

قَوْماً بأنهم إن بقوا على الكفر، و عملوا بالمعاصى، كان مصيرهم إلى النار ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ فإن كفار مكة، لم يأتهم رسول ينذرهم قبل بعثة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ أى لكى يهتدوا إلى طريق الله سبحانه.

[۵] ثم بين سبحانه «رب العالمين» بقوله أنه هو اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما من أنواع الحيوان، و الإنسان و النبات، و الهواء، و الملائكة، و غيرها فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ و قد جرت عادته سبحانه على التدريج فی الخلق، كما نشاهد فی خلق الإنسان، و النبات، و الحيوان، و على هذا الناموس العام، كان خلق الكون تدريجيا فی ستة أيام و السر فی هذا العدد الخاص، هو السر، فی أی عدد كان، و هو السر فی تسعة أشهر للحمل، و المدة الفلانية فی النبات، و الحيوان، و هكذا، فهو أحد مصاديق التدريج، و الظاهر، أن المراد مقدار ستة أيام، و إلا فقبل الشمس، لم يكن نهار و ليل ثُمَّ اسْتَوى سبحانه عَلَى الْعَرْشِ أی استولى عليه، و هذا معنى كنائی، كما يقال: استوى الملك على سرير الملك، يراد أنه، أخذ زمام السلطة بيده، و إن لم يكن هناك سرير، و الإتيان بثم مع أنه سبحانه، كان قائما على كل شیء، لأنه لم يكن قبل خلق الكون شیء، حتى يقال: استولى عليه، فتحقق الاستيلاء، إنما هو بتحقق المستولى عليه ما لَكُمْ أی ليس لكم أيها البشر مِنْ دُونِهِ أی سواه سبحانه مِنْ وَلِيٍّ يلی

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۸

[سورة السجده (۳۲): آية ۵]

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِی يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (۵)

أموركم، و يقدر و يدبر شؤونكم، فإن الأصنام مخلوقة، لا تملك لنفسها شيئا، فكيف تملك لكم؟ وَ لا شَفِيعٍ فی إنجائكم من الهلكات الدنيوية، و الأخروية، فإن الخلق، و الولاية، و الشفاعة، كلها له وحده، فإن أراد إنقاذ أحد أشار هو بشفاعة نبی أو عظيم ليشفع له، كما قال (وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى «۱» أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ أيها البشر، ما أودع فيكم من الفطرة الدالة على أن للكون إلها قويا يسيّره، و ليس ذلك لهذه الأصنام، أو ما أشبهها؟

[۶] و هو سبحانه يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أی جنس الأمر المرتبط بهذا العالم، فيأتی مِنَ السَّماءِ و إنما جعل سبحانه تدبير أمر الأرض فی السماء، حسب حكمته البالغة، كما قال (وَ فِی السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ) «۲» و إلا لم يكن له حاجة إلى ذلك، و ليس ذلك، لأنه تعالى أقرب إلى السماء منه إلى الأرض، بل الجميع لدى عظمته سواء، و لا مكان له و لا جسمية، حتى يكون أقرب إلى بعض من بعض إِلَى الْأَرْضِ أی تدبيرا ينتهی إلى الأرض ثُمَّ يَعْرُجُ أی يصعد الأمر إِلَيْهِ تعالى، و الظاهر، أن التعبير، ب «يعرج» باعتبار ارتفاع مقام الله سبحانه، كما إذا سألت أحدا من أعضاء الحكومة أمرا، يقول: «أراجع فوقی» يريد فوقه فی الرتبة، لا فی المكان، و معنى صعود الأمر إليه، أن النتائج و الآثار التی ظهرت من الأمر، يكون بنظره سبحانه، أو أن العروج،

---

(۱) الأنبياء: ۲۹.

(۲) الذاريات: ۲۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۸۹

[سورة السجده (۳۲): الآيات ۶ الى ۷]

ذلِكَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۶) الَّذِی أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ (۷)

و النزول، باعتبار، أن تقديرات الأرض تكون فی السماء، ثم تصعد الآثار إلى السماء فِی يَوْمٍ أی أن النزول و العروج منسوبان إلى يوم، فإن «فی» بمعنى النسبة كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فهما فی زمان يسير، لكن المسافة الحقيقة، هی تقطع فی ألف سنة، خمسمائة سنة نزولا، و خمسمائة سنة صعودا، أو أن المراد، أن نتائج الأعمال، إنما ترفع إلى مقام جلال الله سبحانه، فی يوم القيامة، الذی يعادل ألف سنة.

[۷] ذلِكَ الذی خلق السماوات و الأرض بتلك الأوصاف عالِمُ الْغَيْبِ أی يعلم ما غاب عن الحواس وَ الشَّهادَةِ الأشياء، التی يشاهدها الإنسان بإحدى حواسه الْعَزِيزُ الغالب فی سلطانه الرَّحِيمُ الذی يرحم الخلق، و يتفضل عليهم بأنواع النعم.

[۸] الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ بأن أتی بأحسن المزایا و الخصوصیات، التی یمکن أن یکون الخلق علیها، علی نحو یقتضی الحکمهٔ و الصلاح، فحتی الإنسان الأعمی أحسن الله فی خلقه غایهٔ الإحسان، فإن العمی، و إن کان نقصا فی ذاته، إلا أنه جعله عبرهٔ و عظهٔ، و ما أعدّ له من الثواب، إن صبر و عمل صالحا، یردفه فی جملهٔ ما حسّن خلقه وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ فإن آدم خلق من الطین، الذی هو تراب مخلوط بالماء.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۰

[سورهٔ السجده (۳۲): الآیات ۸ الی ۱۰]

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (۸) ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ (۹) وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِی الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ کافِرُونَ (۱۰)

[۹] ثُمَّ جَعَلَ الله سبحانه نَسْلَهُ أی ولده و ذریته مِنْ سُلالَهٍ أی صفوهٔ، قد سلّت من غیرها، و یسمی ماء الرجل سلالهٔ، لانسلاله من صلبه مِنْ ماءٍ مَهِینٍ أی حقیر، من هان، بمعنی حقر، و المراد به «المنی» فإنه حقیر مهان لرائحته و قذارته.

[۱۰] ثُمَّ سَوَّاهُ أی جعله بشرا سویا، بإعطائه الآلات و الحواس و الأعضاء وَ نَفَخَ فِیهِ أی فی ذلک الماء الذی سواه مِنْ رُوحِهِ أی الروح الذی خلقه، و الإضافهٔ تشریفیهٔ، کإضافهٔ البیت إلی الله سبحانه فی قولنا «بیت الله» للکعبهٔ و المسجد، و حیث أن الروح جوهر لطیف عبر بالنفخ، کما ینفخ الهواء فی الزق وَ جَعَلَ الله لَکُمُ أیها البشر السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ جمع فؤاد، و هو القلب، و تخصیص هذه الأعضاء بالذکر، لما یشاهد لها من الفوائد الجمهٔ، کما أن الإتیان بالسمع مفردا مرادا به الجنس، بخلاف الأبصار و الأفئدهٔ، جمعا للتفنن فی الکلام، الذی هو من أبواب البلاغهٔ قَلِیلًا ما «ما» زائدهٔ لتأکید «قلیلا» تَشْکُرُونَ نعم الله سبحانه.

[۱۱] و بعد ذکر المبدأ، أتی السیاق، لذکر المعاد وَ قالُوا أی من أنکروا البعث أَ إِذا ضَلَلْنا فِی الْأَرْضِ بأن صرنا ترابا، و تفرقت أجزاؤنا، بحیث لا یقدر علی تمیزها من غیرها، من أراد التمییز أَ إِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ؟

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۱

[سورهٔ السجده (۳۲): الآیات ۱۱ الی ۱۲]

قُلْ یَتَوَفَّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ ثُمَّ إِلی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ (۱۱) وَ لَوْ تَری إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناکِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ (۱۲)

بأن نرجع إلی الحیاهٔ؟ إن هذا لا یمکن أبدا، فإن تمییز أجزائنا عن غیرها، لا یمکن، فکیف بجمعها و صنعها إنسانا من جدید بَلْ هُمْ أی هؤلاء الکفار بِلِقاءِ رَبِّهِمْ أی لقاء جزائه و حسابه کافِرُونَ و إلا فلم یدل دلیل علی امتناع ذلک، و المعنی أن قولهم هذا ناشئ من کفرهم، لا عن دلیل دلّهم علی استحالهٔ الإعادهٔ.

[۱۲] قُلْ یا رسول الله لهم یَتَوَفَّاکُمْ أی یمیتکم مَلَکُ الْمَوْتِ أی الملک الموکل بإماتهٔ الناس، و هو عزرائیل علیه السّلام الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ وکله الله سبحانه، لوفاتکم، فالوفاهٔ هکذا، و لیست اعتباطا، کما یزعم الجاهلون، فإنهم حیث لا یرون أحدا یظنون أن الأسباب الظاهرهٔ، هی العلهٔ التامهٔ للوفاهٔ ثُمَّ إِلی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ إلی حسابه و جزائه رجوعکم.

[۱۳] و هناک یأتی المجرمون نادمین علی ما فرطوا فی دار الدنیا من الکفر و العصیان وَ لَوْ تَری یا رسول الله، أو کل من یتأتی منه الرؤیهٔ، و جواب «لو» محذوف، و التقدیر «لرأیت أمرا فظیعا» إِذِ الْمُجْرِمُونَ الذین أذنبوا ناکِسُوا رُؤُسِهِمْ قد طأطؤوها حیاء، و ندما، و ذلا عِنْدَ رَبِّهِمْ أی فی موقف الحساب، و هو من باب تشبیه المعقول بالمحسوس، و عند ذلک یقولون: یا رَبَّنا أَبْصَرْنا ما کنا نعمی عنه، فی دار الدنیا وَ سَمِعْنا ما کنا نصم عنه فی الحیاهٔ فَارْجِعْنا إلی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۲

[سورهٔ السجده (۳۲): الآیات ۱۳ الی ۱۴]

وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (۱۳) فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا إِنَّا نَسِيناكُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۴)

الدنيا نَعْمَلْ صالِحاً كما تأمر إِنَّا مُوقِنُونَ قد تيقنا صدق كلامك و وعدك، و لكن هل يرجعون؟ كلا! و هل يصدقون فى أنهم لو رجعوا عملوا صالحا؟ كلا! إنها كلمة هو قائلها.

[۱۴] وَ لَوْ شِئْنا أن نجبر الناس على الهداية لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها أى أعطيناهم الهداية بالجبر، بأن نلجأهم إلى الإيمان، و العمل الصالح، و لكن ذلك يبطل التكليف، كما يبطل الثواب و العقاب، و يكون الناس حينئذ، كالحجارة، التى لا مدح لها و لا ذم، فإنما تفعل، ما تفعل بالطبع و القسوة لا بالاختيار و الرغبة وَ لكِنْ لأن شاء ذلك، و قد حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي أى ثبت و لزم ما قلته سابقا، من إعطاء الاختيار للناس، حتى يذهب بعض إلى الجنة، ممن أطاع و آمن، و لَأَمْلَأَنَ من ملأ بمعنى الإكثار من المظروف حتى يمتلئ الظرف، و لا يكون له بعد مجال لأخذ الزائد جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ أى الجن وَ النَّاسِ الكفار و العصاة أَجْمَعِينَ و إنما ذكر هذا الشق، من شقى الناس و الجان، لأنه محل الكلام، فإن الحديث بالنسبة إلى المجرمين.

[۱۵] و إذ يدخل النار الكفار، من الصنفين يخاطبون من قبل الله سبحانه فَذُوقُوا العذاب، و المذوق هو الإدراك بحاسة اللسان، أو حاسة اللمس، أو مطلق الحواس بِما نَسِيتُمْ أى بسبب نسيانكم لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۳

[سورة السجده (۳۲): آية ۱۵]

إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (۱۵)

و التعبير بالنسيان، باعتبار جعل الإنذار مهملا غير معتنى به، كالناسى للشىء، و المراد باليوم القيامة إِنَّا نَسِيناكُمْ أى أهملناكم، و لم نعتن بكم، لننقذكم من العذاب، و إنما استعمل النسيان فى الإهمال، لعلاقة المشابهة وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ أى العذاب الذى هو خالد، لا زوال له بسبب ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من أنواع الكفر و العصيان.

[۱۶] لقد رأينا الكفار، و ما صاروا إليه من العذاب الدائم، فلنعطف النظر إلى المؤمنين و مصيرهم الكريم، فمن هو المؤمن، و ما مصيره؟ إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا يصدق بها، و يتفكّر فيها، ليستدل بها على الصانع و صفاته الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها بأن ذكرهم الرسول، أو بعض المؤمنين بتلك الآيات، بأن أروهم الآيات الكونية، أو الآيات القرآنية، ثارت فيهم غريزة الإيمان ف خَرُّوا سُجَّداً جمع ساجد، أى ألقوا بأنفسهم على الأرض، فى هيئة الساجد بوضع جباههم على التراب تعظيما لله سبحانه، و شكرا لنعمه وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أى نزهوه عن النقائص، بنحو الحمد و الثناء الجميل، فإن التنزيه، قد يؤدى بالنحو السلبى، كأن يقال: «فلان ليس بجبان»، و قد يؤدى بالنحو الإيجابى، كأن يقال: «فلان شجاع» فإنه تنزيه و حمد، و الأول، لا يلازم الثانى، بخلاف الثانى، فإنه حمد و تسبيح وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ عن التواضع لله، عملا بالسجود، و لسانا بالحمد و الثناء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۴

[سورة السجده (۳۲): الآيات ۱۶ الى ۱۸]

تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۱۶) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۷) أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ (۱۸)

[۱۷] و من صفاتهم أنهم تَتَجافى من التجافى، و هو الابتعاد، أى تبتعد و ترتفع جُنُوبُهُمْ جمع جنب عَنِ الْمَضاجِعِ جمع مضجع، و هو محل النوم، أى أنهم يقومون بالليل لأداء الصلاة يَدْعُونَ رَبَّهُمْ و يناجونه خَوْفاً أى لأجل الخوف من عذابه وَ طَمَعاً فى ثوابه وَ هم مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فى سبيل الله، و «مما رزقنا» عام يشمل العلم، و المال، و الجاه، و غيرها. و هاتان الآيتان، مشتملتان على السجدة الواجبة، فإذا تلاهما الإنسان، أو سمعها، وجب أن يسجد.

[۱۸] إن المؤمنين هم أولئك الـذين ذكرت أوصافهم، فلننظر إلى مصيرهم فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مؤمنـة بالله، عاملـة للصالحات ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ أى مـا خبـأ الله لهم من النعيم، الـذى يسبب قرة أعينهم، المـوجب لاسـتقرار العين، رضـا و طمأنينـة، فى مقابـل الإنسـان الخائف الذى تتحرك عينه هنا و هناك، ليجد ملجأ و ملاذا، و

قد ورد أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال إن الله يقول أعددت لعبادى الصالحين، ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، و إنما أخفى للمؤمنين هذا النعيم العظيم

جَزاءً بِما كـانُوا يَعْمَلُونَ من الإيمـان بالأصول، و الصالحات فإن الإيمان أيضا عمل، أو على تغليب العمل على العقيـدة، لأنه أكثر منها عددا.

[۱۹] ثم بين سبحانه، إن التفاوت فى الجزاء، إنما هو للتفاوت بين الأعمال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۵

[سورة السجده (۳۲): الآيات ۱۹ الى ۲۰]

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۹) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۲۰)

أَ فَمَنْ كـانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً؟ و هـذا استفهام للتقرير، أى ليس المؤمن كالفاسق، و المراد به أعم من الفسق فى العقيـدة، أو فى العمل لا يَسْتَوُونَ أى لا يعادل أحدهما مع الآخر، و لذا اختلف جزاءهما.

[۲۰] أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بـالله و برسوله، و بما جاء به وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ التى هى الإتيان بالفرائض، و اجتناب الرذائل فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى «و مـأوى» اسم مكـان من آوى، بمعنى اتخـذ المنزل، و المسـكن، و المراد الجنـات، التى هى مسـكن للمؤمنين نُزُلًا هو ما يعد للضيف، أو ينزلهم الله فيها نزلا بِما كانُوا يَعْمَلُونَ أى بسبب أعمالهم، التى عملوها فى دار الدنيا.

[۲۱] وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا أى خرجوا عن طاعـة الله، إما بالكفر أو العصـيان فَمَأْواهُمُ أى مصـيرهم، الـذى يأوون إليه النَّارُ فى جهنم كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أى كلما هموا بالخروج من شـدة العـذاب و ألم النار أُعِيدُوا أى ردتهم الملائكـة الموكلة بهم فِيها فلا مخلص لهم من العـذاب وَ قِيلَ لَهُمْ إهانـة و ازدراء بهم ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ فقـد كـانوا يكـذبون بالنـار تكـذيبا عقيـديا كالكفار،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۶

[سورة السجده (۳۲): الآيات ۲۱ الى ۲۳]

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۲۱) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (۲۲) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ (۲۳)

أو عمليا كالفساق.

[۲۲] وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ أى الفساق مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى

و هو ضـنك العيش فى الـدنيا، و عـذاب القبر، و من مصاديق العـذاب الأدنى، ما يلاقيه المجرمون زمن ظهور الإمام الثانى عشـر، كما ورد فى الحديث

«۱» دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ أى قبل أن نـذيقهم من العـذاب الأكبر فى الآخرة، و هى جهنم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى لكى يرجعوا عن كفرهم و عصيانهم، فإن الإنسان، إذا رأى الأذى، و العذاب جاش فى نفسه حب الخير، و العمل الصالح.

[۲۳] وَ مَنْ أَظْلَمُ أى أىّ شخص أكثر ظلما مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ أى ذكره الأنبياء و الأوصياء و المرشدون ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها و لم يقبلها؟ و المعنى لا أحد أظلم من هذا الشـخص- و ذلك إضافى، كما مر غير مرة- و لا يظن مثل هذا الشـخص، إنه لا يرى وبال إعراضه، ف

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ الذین أجرموا بالکفر و العصیان مُنْتَقِمُونَ بإحلال العقاب بهم.

[۲۴] ثم یأتی السیاق لیسلّی الرسول فیما یتحمله من الأذی، و یسلی المؤمنین بأن لهم العاقبة المحمودة، فإن حال الرسول حال موسی-

(۱) راجع مجمع البیان: ج ۸ ص ۱۱۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۷

[سورة السجده (۳۲): آیة ۲۴]

وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ کانُوا بِآیاتِنا یُوقِنُونَ (۲۴)

فإنهما یتلاقیان فی الأصول و الفروع، إلا فی اختلافات، لا ترجع إلی جوهر الدین- و حال المؤمنین بالرسول، حال بنی إسرائیل، فکما نصرنا موسی علیه السّلام و بنی إسرائیل علی أعدائهم، ننصر الرسول و المؤمنین به علی أعدائهم وَ لَقَدْ آتَیْنا أی أعطینا مُوسَی الْکِتابَ أی التوراة، و هذا کنایة عن إرساله إلی القوم لهدایتهم فَلا تَکُنْ یا رسول الله فِی مِرْیَةٍ أی فی شک مِنْ لِقائِهِ أی من الالتقاء بموسی فی العقیدة و الشریعة. و هذا کما یقال یتلاقی فلان و فلان فی العقیدة، و هذه الجملة کنایة عن أول طریق الرسول طریق موسی، فمصیره کمصیره، فی النصرة و الغلبة علی الأعداء وَ جَعَلْناهُ أی الکتاب هُدیً أی هدایة و إرشادا لِبَنِی إِسْرائِیلَ فإنهم اهتدوا بالتوراة عن الضلالة و الانحراف.

[۲۵] وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أی من بنی إسرائیل أَئِمَّةً جمع إمام، و هو المقدم فی الدین یَهْدُونَ بِأَمْرِنا و إذننا لهم فی الهدایة، فإنه لا یحق لأحد أن ینصب نفسه علما للهدایة، إلّا بإذن لَمَّا صَبَرُوا أی أن جعلهم أئمة، بسبب صبرهم علی المکاره و أذی الجهال، و صمودهم فی تطبیق أوامرنا وَ کانُوا بِآیاتِنا یُوقِنُونَ لا یشکون فیها، اللازم لو أن یعملوا علی طبقها، فإن صاحب الیقین یعمل صالحا، و یترک السیئ، و هذا تعریض بالمؤمنین بالرسول، بأنهم إن صبروا و جعلناهم أئمة، کما تقول لأحد ولدک: لقد أمرت ابنی فلانا بکذا، و أنت فی نفس طریقه،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۸

[سورة السجده (۳۲): الآیات ۲۵ الی ۲۶]

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۲۵) أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ یَمْشُونَ فِی مَساکِنِهِمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ أَ فَلا یَسْمَعُونَ (۲۶)

و أعطیته المال و جعلت جماعة یتبعونه، ترید التعریض بهذا الولد المخاطب، بأن عاقبته کعاقبة ذلک الابن الأول.

[۲۶] و حیث ینتهی الکلام إلی هنا یختلج فی ذهن السامع، أن یسأل، فما بال هؤلاء الیهود الذین نراهم لیسوا کذلک؟ و یأتی الجواب، إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ أی بین بنی إسرائیل الصالحین منهم، و الطالحین یَوْمَ الْقِیامَةِ فصلا یؤدی إلی إعطاء کلّ ما یستحق من النعیم أو الجحیم فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ فإن بعضهم غیّروا شریعة موسی، و لعبت أهواؤهم بها، و بعضهم بقوا علی الشریعة، بلا تغییر أو تحویر.

[۲۷] ثم یرجع السیاق إلی قصة الکفار أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ استفهام إنکاری، أی کیف لم یبصرهم کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ و الأجیال، التی کانت تکذب بآیات الله، و تعصی أحکام الله یَمْشُونَ أی هؤلاء الکفار فِی مَساکِنِهِمْ أی فی مساکن أولئک، فإنهم فی رحلتهم الشتائیة، إلی الیمن، و الصیفیة إلی الشام، کانوا یمرون بمساکن عاد و ثمود، و قوم لوط، و غیرهم إِنَّ فِی ذلِکَ الإهلاک لأولئک الکفار لَآیاتٍ دلالات دالة علی وجود الله، و علمه و قدرته، و انتقامه من الظالمین أَ فَلا یَسْمَعُونَ أی ألا یسمع هؤلاء الکفار تلک الآیات سماعا یؤدی إلی رجوعهم، عن غیّهم إلی الحق.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۲۹۹

[سورة السجده (۳۲): الآيات ۲۷ الى ۲۹]

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا يُبْصِرُونَ (۲۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۲۸) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (۲۹)

[۲۸] و كيف يكفر هؤلاء الكفار بالله، مع أنهم يرون آياته، و آثاره؟ و حيث هددهم فى الآية السابقة بالعذاب، ذكر لهم نعم الله عليهم، لعلهم يشكرونه، فالعذاب و الرحمة، كلاهما ماثلان أمام أعينهم، ليؤمنوا رهبة أو رغبة أَ وَ لَمْ يَرَوْا استفهام إنكارى، أى كيف لا يرون هذه النعمة، ليؤدوا شكرها؟ أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ بواسطة المطر أو الأنهار إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ و هى الأرض اليابسة، التى ليس فيها نبات، من قولهم سيف جراز، أى قطاع لا يبقى شيئا إلا قطعة، فالأرض قد جرز نباتها، أى قطع و أزيل، فلا نبات لها فَنُخْرِجُ بِهِ أى بالماء زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أى من ذلك الزرع أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ مما يعود بالخير إليهم أَ فَلا يُبْصِرُونَ نعم الله عليهم؟ ليشكرون.

[۲۹] وَ يَقُولُونَ أى يقول الكفار مَتى هذَا الْفَتْحُ الذى تقول يا محمد، أنت تفتح البلاد إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أيها المسلمون فى ادعائكم، إنكم ستفتحون البلاد؟ ففى أى وقت يكون؟ و لماذا لم يتحقق إلى الآن؟.

[۳۰] قُلْ يا رسول الله لهم يَوْمَ الْفَتْحِ الذى نفتح فيه لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ بعد الفتح، و وقوعهم أسرى فى أيدى المسلمين، فإن ذلك لا يفك أسرهم، أو المراد بالفتح، يوم مدتهم، حيث يقولون للملائكة، أمهلونا، حتى نؤمن، فلا يمهلونهم، كما قال سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۳۴۹

[سورة السجده (۳۲): آية ۳۰]

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (۳۰)

(وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ «۱» وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ أى يمهلون.

[۳۱] فَأَعْرِضْ يا رسول الله عَنْهُمْ اتركهم و شأنهم بعد ما لم يؤثر النصح، و التهديد، و الترغيب فيهم وَ انْتَظِرْ موعد الفتح إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ و هذا تسلية للرسول و وعيد لهم، و المراد ينتظر الفريقان، حتى يرون الجميع لمن العاقبة الحسنة؟ و لمن العاقبة السيئة؟ و قد كان كما أخبر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقد انتصر المسلمون، و فتح الله لهم.

---

(۱) النساء: ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۱

۳۳ سورة الأحزاب مدنيّة/ آياتها (۷۴)

سميت السورة بهذا الاسم، لاشتمالها على لفظة «الأحزاب» و طرفا من قصتهم، و هى كسائر السور المدنية، تشتمل على الأحكام و النظام، و الحرب، و غيرها، و إذا ختمت تلك السورة، بانتظار الرسول يوم الفتح، جاءت السورة مفتتحة لسير النبى فى طريقه المرسوم له، بلا أن يحرفه الكفار و المنافقين، حتى يصل العاقبة المحمودة؟

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى إن ابتدأ به شىء باركه و أتمه، كما ورد كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه ببسم الله، فهو أبتر- المفهوم منه، إنه إن بدأ بالبسملة كان غير أبتر- و هو الرحمن الرحيم، المتصف بالرحمة المتزائدة، فإن تكثير الوصف يوجب تكثير الصفة، كيف لا، و لو لم تدرك الرحمة الإنسان (ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ) «۱»

---

(۱) فاطر: ۴۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۲

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۱]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (۱)

[۲] يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ بإطاعة أوامره، و اجتناب نواهيه، و الرسول، إنما كان مؤدبا بتعليم الله، الذى منه هذا الأمر، فلا يقال إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان متقيا، فكان الأمر لغوا؟ و بالإضافة إلى أن معنى ذلك أدم على تقواك نحو اهدنا الصراط المستقيم وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ و المنافق هو الذى يظهر الإيمان، و يبطن الكفر إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً بالحكم و المصالح حَكِيماً فلا يأمر إلا بالصالح، و لا ينهى إلا عن الضار، فإن بين العلم و الحكمة عموما وجه، كما هو واضح، فمن الممكن أن يكون العالم غير حكيم، أو الحكيم غير عالم،

قال فى مجمع البيان

إنها نزلت فى أبى سفيان بن حرب، و عكرمة بن أبى جهل، و أبى الأعور السلمى، قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبىّ بعد غزوة أحد بأمان من رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليكلموه، فقاموا، و قام معهم عبد الله ابن أبىّ، و عبد الله بن سعد بن أبى سرح، و طعمة بن أبيرق، فدخلوا على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقالوا يا محمد، أرفض ذكر آلهتنا، اللات، و العزى، و منات، و قل أن لها شفاعة لمن عبدها، و ندعك و ربك، فشق ذلك على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال عمر بن الخطاب: ائذن لنا يا رسول الله فى قتلهم، فقال: إنى أعطيتهم الأمان، و أصر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأخرجوا من المدينة، و نزلت الآية، «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ» من أهل مكة، أبا سفيان، و أبا الأعور، و عكرمة، و المنافقين، ابن أبىّ، و ابن سعد، و طعمة

«۱»، و قيل: نزلت فى أناس من ثقيف، قدموا على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فطلبوا

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۴۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۳

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۲ الى ۴]

وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۲) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (۳) ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللاَّئِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (۴)

منه أن يمتعهم باللات، و العزى سنة، قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك.

[۳] وَ اتَّبِعْ يا رسول الله ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ من الأحكام و الشرائع إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ أى أنت و أمتك، و يأتى خطاب الرجل العظيم بالجمع، باعتبار أتباعه معه خَبِيراً فيعلم من اتبع أمره ليجازيه عليه.

[۴] وَ تَوَكَّلْ يا رسول الله عَلَى اللَّهِ أى فوض أمرك إليه، حتى لا يتمكن الأعداء من الوصول إليك، و لا تخاف أحدا، و لا ترجو أحدا وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا فإنه قائم بأمرك و حفظك، و حيث إن معنى «كفى» «اكتف» جاء متعديا إلى الفاعل بالباء.

[۵] و بمناسبة لزوم اتباع الوحى، و عدم اتباع الكفار، يأتى السياق ليقرر، أنه لا يمكن للإنسان اتجاهان، فليس له قلبان حتى يتجه بكل قلب إلى وجهة مضادة للوجهة الأخرى، و لهذه العلة التى تقرر عدم إمكان اتجاهين يقرر السياق، أن لا يمكن الجمع بين كون امرأة زوجة و أما، أو كون رجل أجنبيا و ولدا، و بهذا يبطل أقوال و عادات جاهلية، قال فى المجمع: و قوله: «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ» نزلت فى أبى معمر جميل بن معمر بن حبيب النهرى، و كان لبيبا حافظا لما يسمع، و كان يقول: إن فى جوفى لقلبين، أعقل بكل

واحـد منهما أفضل من عقل محمـد، و كانت قريش تسـميه ذا القلبين، فلما كان يوم بدر، و هزم المشـركون، و فيهم أبو معمر، و تلقاه أبو سفيان بن حرث، و هو آخذ بيده إحدى نعليه، و الأخرى فى رجله، فقال له يا أبا معمر: ما حال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۴

النـاس؟ قـال: انهزموا، قـال: فمـا بالـك إحـدى نعليك فى يـدك و الأخرى فى رجلك، فقال أبو معمر: ما شـعرت إلا أنها فى رجلى، فعرفوا يومئـذ أنه لم يكن له إلا قلب واحـد، لما نسـى نعله فى يـده «۱» مـا جَعَـلَ اللَّهُ لِرَجُـلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ فإن كل إنسان له قلب واحـد، و ذكر الرجل من باب المثال، و إلا فالمرأة و الطفل كـذلك فلا يمكن أن يكون للإنسان اتجاهان، اتجاه نحو الإيمان، و اتجاه نحو الكفر، فيطيع الكفـار و يطيع الله فى آن واحـد وَ مـا جَعَـلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِى جمع التى، و المراد بالأزواج الزوجات، فإن زوج يطلق على الرجـل، و المرأة تُظاهِرُونَ مِنْهُنَ أى تقولون لهن «أنت علىّ كظهر أمى» فقـد كـانت العرب تطلق نساءهـا بهـذا اللفـظ، فلمـا جاء الإسلام أبطل الطلاق به، و إنما جعله موجبا للكفارة كما سيأتى تفصيله، و كأنهم كانوا يقصدون أن الزوجة صارت كالأم، فكما تحرم الأم تحرم الزوجة، التى قيل لها هذا اللفظ أُمَّهاتِكُمْ فالزوجة لا تكون أما، و إن قيل لها ألف لفظ وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ جمع دعى، و هو مـا كان مرسوما عنـد العرب، أن يتخـذ الرجل الرجل ابنا له فكان له ما للأب و الابن فى جميع المزايا الاجتماعيـة أَبْناءَكُمْ فإن التبنى لا يجعـل الأجنبى ابنـا، و إن تعـارف الاجتمـاع على ذلـك، و قـد أبطلت هـذه الآيـة الكريمـة عـادتين، كانتا عنـد العرب لم يرتض بهما الإسلام، فى أنظمته

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۱۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۵

و تشريعاته،

قال فى المجمع نزلت فى زيد بن شـراحيل الكلبى من بنى عبد ود، تبناه النبى قبل الوحى، و كان قد وقع عليه السبى، فاشتراه رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بسوق عكاظ، فلما نبىء رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعاه إلى الإسـلام، فأسلم و قدم أبو حارثة مكة، و أتى أبا طالب، و قال سل ابن أخيك، فإما أن يبيعه، و إما أن يعتقه، فلما قال ذلك أبو طالب، لرسول الله. قال: هو حر، فليذهب حيث شاء، فأبى زيـد أن يفارق رسول الله، فقال حارثـة: يا معشـر قريش اشـهدوا إنه ليس ابنى، فقال رسول الله: اشـهدوا إنه ابنى فكان يـدعى زيـدا بن محمد، فلما تزوج النبى زينب بنت جحش، و كانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود و المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، و هو ينهى الناس عنها؟ فقال رسول الله: ما جعل الله من تدعونه ولدا، و هو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم.

«۱» ذلِكُمْ «كم» خطـاب، و «ذلـك» إمـا إشارة إلى كل واحـد من الأمرين «الظهار» و «التبنى» أو إلى الأمر الثانى فقط قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ فهو لفظ تقولونه، لا يوجب حقيقـة و واقعا وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَ فى أنه لا تصـبح الزوجة أمّا، و الأجنبى ولدا بمجرد هذا اللفظ، و لم يكن تبنى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لزيد بمعناه الجاهلى، حتى يقال:

كيف يمكن أن يعمل الرسول شيئا غير ممضى من قبل الله سبحانه؟ بل للتشريف، كما

قال الإمام المرتضى «محمد ابنى من صلب أبى بكر»

«۲» و هذا كان فى مقابل طرد أبيه، و سلبه شرفه الانتسابى، فشرفه الرسول بالنسبة إلى نفسه من قبيل

«سلمان منا أهل البيت»

«۳» وَ هُوَ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۷۲.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۲ ص ۱۶۲.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۳۱۳.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۶

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۵ الى ۶]

ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۵) النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (۶)

سبحانه يَهْدِي السَّبِيلَ أى يرشد إلى الطريق الحق، و يدل عليه.

[۶] ادْعُوهُمْ أى ادعوا الأولاد لِآبائِهِمْ فقولوا «زيد بن حارثة» لا «زيد ابن محمد» هُوَ أَقْسَطُ أى أقرب إلى العدل، و أفعل منسلخ عن معنى التفضيل، و إنما يأتى بهذه الصورة، لما يزعم البعض من أن طرفه الثانى، عدل أيضا عِنْدَ اللَّهِ و إن كان عندكم لا قسط فيه، أو العكس هو الأقسط فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أى تعرفوا آباءَهُمْ بأعيانهم و أسمائهم، حتى تنسبوهم إليهم، فقولوا يا أخ فإنهم إخوانكم فِي الدِّينِ إذ الآخرة هى العلقة الحاصلة بين طرفين، بقرابة، أو لسان، أو وطن، أو دين، أو ما أشبه وَ مَوالِيكُمْ أى عبيدكم، إذا كانوا فى الرق، فقولوا يا مولاى، و هذا مولى فلان وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ و حرج، إذا قلتم «فلان ابنى» للدعى فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ سهوا و خطأ، بعد النهى عن ذلك وَ لكِنْ الجناح إنما يكون فى ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ بأن قصدتم هذا القول قصدا، بعد أن نهى الله سبحانه عنه وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً لمن عصى، ثم ندم و تاب رَحِيماً بكم يتفضل عليكم بالرحم مضافا إلى الغفران.

[۷] ثم يأتى السياق ليقرر الولاية العامة للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يحيط أزواجه بهالة من الأمومة الروحية و من ثم يقرر ولاية بعض الأقرباء لبعض، بمناسبة

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۷

ما تقدم من ذكر بعض الروابط الاجتماعية، التى كانت قبل الإسلام بالنسبة إلى بنوّة الدعى، و أمومة المظاهر منها، فالدعى ليس ابنا، و إنما الأمة أبناء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المظاهر منها ليست أمّا، و إنّما زوجات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمهات النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فكما يحق للإنسان أن يتصرف فى شؤون نفسه المباحة، كأن يبقى، و يذهب، و يعمل، و غيرها، كذلك للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هذا الحق، بل أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أولى فإذا أمر الرسول بشيء، و أراد الإنسان شيئا آخر لزم تنفيذ أمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من هذه الآية الكريمة، استنبط الفقهاء القاعدة الفقهية «الناس مسلطون على أنفسهم» وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ فما للأم من الاحترام و الإكرام ثابت لزوجات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من تلك حرمة نكاحهن بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من المعلوم أن هذه الشرافة تتبع طاعة الله سبحانه فإذا خرجت بعضهن إلى معصيته تعالى لم يبق لها ذلك الشرف، و لذا

ورد إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلى عليه السّلام يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق ما دمن على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك، فأطلقها فى الأزواج، و أسقطها من تشريف الأمهات، و من شرف أمومة المؤمنين ..

ثم إن من المعلوم، إن ذلك شرف خاص، فلا يتعدى إلى أقربائهن، حتى يكون هناك جد المؤمنين و عم المؤمنين، و خال المؤمنين، و خالة المؤمنين، و هكذا وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ أى أن فيما كتبه الله سبحانه على المؤمنين، أن أصحاب الرحم، و هم الأقرباء بعضهم أولى ببعض، فى الإرث و الولاية، و سائر الأمور، فلا توارث، و لا ولاية، إلا للأرحام،

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۸

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۷]

وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (۷)

إلا بقدر ما بيّنه الشارع، كولاية السادة، و الإمام، و ضامن الجريرة مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فلا ولاية غير النصرة الإسلامية، بين المؤمنين، بأن يرث بعضهم بعضا، سواء كانوا مهاجرين أم لا، قال بعض المفسرين: إن المهاجرين لما ذهبوا إلى المدينة، كان بعضهم، إذا مات قسمت تركته بين سائر المؤمنين و هذه الآية جاءت لتمنع عن ذلك، أقول: لم يعلم أن ذلك كان من باب الإرث، بل يحتمل أنه كان من باب ولاية الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم العامة، و إلا فلم يدل دليل، على أن الوارث المسلم، لم يكن يرث ليرث المهاجر المسلم، حتى تكون هذه الآية ناسخة قوله «من المؤمنين» و الله العالم، إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا أيها المؤمنين إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً و هذا استثناء منقطع، و المعنى، إن الولاية للأقرباء، إلا أن يفعل بعض المؤمنين بأصدقائه المؤمنين معروفا، بأن يوصى لهم بشيء من ماله، أو يوصى إلى أحدهم بأيتامه، فإنه تنفذ هذه الوصية في الحدود المقررة في الشريعة كانَ ذلِكَ الحكم بأن أولى الأرحام، أولى إلا أن يفعل الإنسان إلى أوليائه معروفا فِي الْكِتابِ المحفوظ عند الله سبحانه مَسْطُوراً قد كتب و قرر.

[۸] و بمناسبة ما كتب في الكتاب من حكم الولاية بين أولى الأرحام، يأتي ما سطر فيه من أخذ الميثاق عن النبيين، و عن المؤمنين، فإن هذا الحكم- و هو أولوية أولى الأرحام- من مصاديق ذلك الميثاق العام، فمن أعطى ذلك الميثاق العام، لزم عليه الوفاء بهذا الميثاق وَ اذكر يا رسول الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۰۹

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۸]

لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً (۸)

إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ و المراد به العهد الأكيد بالقيام بالدعوة و التبليغ، و بعد ذكر هذا العموم يأتي ذكر بعض الأنبياء المعروفين وَ مِنْكَ يا رسول الله وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ و هؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الأنبياء الذين بعثوا إلى شرق الأرض و غربها، و قد خصصوا بالذكر، ليعلم أنهم مع جلالة قدرهم و عظم شأنهم، قد أخذ منهم الميثاق في العمل بما يأمر الله سبحانه، و أخذ الميثاق، إنما كان قبل تحميلهم حمل الرسالة في عالم الذر وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً شديدا بالوفاء و القيام، و ذلك لأهمية هذا المنصب الخطير، الذي لا يساويه منصب مهما عظم.

[۹] و قد فعل الله ذلك، ليكون الناس مقطوعي العذر، قد تمت عليهم الحجة، حتى يكون الصادق من الناس، معرضا للثواب، و الكافر معرضا للعقاب، و هذا كما تقول: قد أخذت من المعاون العهد الأكيد بالقيام على مهمة المدرسة، لأنجح الطلاب العاملين، و أطرد الخاملين منهم، تريد أن هذا العهد، إنما كان ليقوم المعاون بالمهمة، فتم الحجة على الطلاب لِيَسْئَلَ الله الصَّادِقِينَ في الإيمان و المنهج، فإن المؤمن صادق، و المطيع صادق إذ من يجعل مع الله شريكا، أو يكفر به، فقد كذب في عقيدته، و قوله، كما أن من يعصي، قد كذب في عمله- فإن الكذب هو الخروج عن الحقيقة، في قول أو عمل- عَنْ صِدْقِهِمْ أي عن عقيدتهم، و قولهم و عملهم، فيجازيهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۰

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۹ الى ۱۰]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً (۹) إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (۱۰)

بالجنات، فإن السؤال، إنما هو للجزاء وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ بعد أن يسأل عنهم عَذاباً أَلِيماً أي مؤلما موجعا، و قد تفنن السياق، بذكر السؤال عن المؤمن و العقاب للكافر، و حذف في الأول النتيجة، و في الثاني السؤال.

[۱۰] ثم يذكّر الله سبحانه المؤمنين ببعض نعمه عليهم، مما يقوى فيهم روح الإيمان و يستمروا على الصدق يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إما

خاص بمن كان فى الواقعة، و إما عام شامل لكل المؤمنين باعتبار، أن ذلك النصر عاد على الجميع بالخير اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فى قصة غزوة الأحزاب إِذْ جاءَتْكُمْ أيها المؤمنون جُنُودٌ من الكفار لتدميرهم فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً هبت عليهم حتى أكفأت قدورهم، و نزعت فساطيطهم، و رمت بالرمل و الحصباء فى وجوههم وَ أرسلنا جُنُوداً من الملائكة لإلقاء الرعب فى قلوبهم لَمْ تَرَوْها بأعينكم وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً فإنه سبحانه أبصر أتعابكم و أعمالكم فى حفر الخندق، و تنظيم الجيش و العمل لأجل إنجاح المؤمنين، و غير ذلك.

[۱۱] و اذكروا إِذْ جاؤُكُمْ أى جاءكم جنود الكافرين مِنْ فَوْقِكُمْ أى فوق الوادى قبل المشرق، و هم قريظة و نضير و غطفان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۱

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۱۱]

هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً (۱۱)

وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ من قبل المغرب من ناحية مكة، أبو سفيان فى قريش، و من تبعه وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ من المؤمنين خوفا، و زيغ البصر ميله عن كل اتجاه نحو اتجاه العدو، فلا يكون كالبصر العادى يتحرك هنا و هناك وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ جمع حنجرة، و هى منتهى الحلق، و ذلك لأن الإنسان الخائف تنفتح رئته فتضغط على قلبه، فيصعد قلبه نحو الحنجرة وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا أى الظنون السيئة، أو المراد الظنون المختلفة، فظن المؤمنون النصر، و المنافقون الهزيمة.

[۱۲] هُنالِكَ فى تلك الوقعة ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ امتحنوا و اختبروا ليظهر الصادق منهم من الكاذب، و الصابر و الجازع وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً أى حركوا بسبب الخوف تحريكا عنيفا، فى معتقدهم و أقوالهم، و أعمالهم، فكما أن الزلزلة تحرك الأجسام، فالحوادث تحرك الأشخاص، و مختصر القصة «۱»

فى غزوة الأحزاب و تسمى الخندق يئس المشركون و اليهود و القبائل من إمكان القضاء على الإسلام بانفرادهم فتفكروا فى تجميع قواهم لضرب الإسلام فتجمعت عشرة آلاف مقاتل من قريش، و بنى سليم و أسد، و فزارة، و أشجع، و غطفان، عدا يهود بنى قريظة، و لما علم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالأمر استشار أصحابه فى الأمر؟ فإن هذه القوة الهائلة، لا يمكن الصمود أمامها،

---

(۱) قادة الإسلام للمؤلف. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۲

و أخيرا قرر الرسول عدم الخروج من المدينة- بإشارة سلمان الفارسى- بأن يحفر خندق حولها، و يجعل للخندق جهة خاصة للقتال، لئلا يحيط العسكر بالمسلمين، فيبيدوهم عن آخرهم، و قد كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، عهد بحسن الجوار، مع بنى قريضة، و هم يهود قرب المدينة، لكن «الأحزاب» تمكنت من استمالة بنى قريظة، لنقض العهد، و بذلك دخل فى قلوب المسلمين رعب عظيم، و بعد أن فرغ المسلمين من حفر الخندق، أتتهم الجيوش كالسيل، كما وصفها الله سبحانه «إذ جاءوكم .. إلى آخره» و بعد ما تم حفر الخندق، خرج الرسول فى ثلاثة آلاف من المسلمين، ليواجهون الأحزاب و بينهما الخندق، و طال الأمر بين الطرفين بضعا و عشرين ليلة، لم يكن بينهما إلا الرمى، فإن الأحزاب لم يقدروا على العبور، و المسلمين لم يشاءوا ذلك و بعدها، جاء عمرو بن عبد ود، و عكرمة بن أبى جهل، و جماعة آخرون، من أقوى شجعان الأحزاب، فعبروا الخندق من مضيق كان فيه، ثم أخذوا يجولون، و يصولون، يطلبون المبارزة من المسلمين، لكن المسلمين قد أخذتهم الرهبة فلم يجرأ أحد منهم على الإقدام، فأنشأ عمرو بن عبد ود، و لقد بححت من النداء* بجمعكم هل من مبارز إلى آخر الأبيات، و هنا قام الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، يستأذن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمبارزته، و لكن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يأذن له ليمتحن بعض المسلمين، و أخيرا أذن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للإمام، فخرج الإمام من معسكر المسلمين، يريد مبارزة عمرو و أنشد يقول فى جوابه:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۳

لا تعجلن فقـد أتاک مجیب صوتک غیر عاجز* ذو نیـة و بصیرة، و الصـدق منجی کل فائز إنی لأرجو أن أقیم علیک نائحة الجنائز* من ضربة نجلاء یبقی صوتها بعد الهزاهز و لما تقابل الإمام، و عمرو، قال له الإمام: إنک کنت تقول فی الجاهلیة، لا یدعونی أحد إلی ثلاث، إلاـ قبلت واحـدة منهـا؟ قال عمرو: أجل، قال الإمام، فإنی أدعوک إلی الشـهادتین، قال عمرو: یا ابن أخی أخر هـذه عنی، قال الإمام: و الثانی، أن ترجع من حیث أتیت «أی تترک الحرب و ترجع إلی أهلک» قال عمرو: و لا تحـدث قریش بهـذا أبدا، قال الإمام: و الثالثـة أن تنزل من علی فرسـک، فتقاتلنی، فقبل عمرو ذلک، لکن امتلأ عمرو رعبا من الإمام و تبادلا السـیف، فأصاب سـیف عمرو رأس الإمام فشـجه، فغضب الإمام، و ضـرب عمرو ضـربة أسـقط رجلیه، فخر علی الأرض، و علت الغبرة، و مدّ الطرفان أعناقهما، لیروا الغالب من المغلوب و لما انجلت الغبرة، رأوا الإمام جالسا علی صـدر عمرو، و کبر الإمام تکبیرة عالیـة، و بهذا المنظر و التکبیر، قویت قلوب المسـلمین، و تزلزلت قلوب الکـافرین، ثم قطع الإمام رأس عمرو، و أقبل به إلی النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم، و قتل بعض آخر ممن اقتحم الخنـدق، و فرّ الباقون، و تشـتت کلمـة الأحزاب، و ألقی الرعب فی قلوبهم، و لم یطیقوا إدامة الحصار، و تخلت عنهم الأعراب، و بنو قریظـة، و لـذا تفرقوا من أطراف المدینـة إلی مکة، و سائر محالهم، و قد کان قتلی المسـلمین سـتة، و قتلی الکفار دون العشرة، و مرّ الأمر بسلام، و زادت قوة المسلمین المعنویة، إلی حد هائل ممّا یئس

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۴

[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۱۲ الی ۱۳]

وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (۱۲) وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ یا أَهْلَ یَثْرِبَ لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا وَ یَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ النَّبِیَّ یَقُولُونَ إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِیَ بِعَوْرَةٍ إِنْ یُرِیدُونَ إِلاَّ فِراراً (۱۳)

الکفار، من النیل منهم بعد ذلک.

[۱۳] وَ إِذْ یَقُـولُ الْمُنـافِقُونَ الـذین أظهروا الإسـلام، و أبطنـوا الکفر وَ الَّذِینَ فِی قُلُـوبِهِمْ مَرَضٌ و المراد بهم ضـعاف الإیمـان، و إن لم یصـلوا إلی حد النفاق، و المراد بالقلوب «النفوس» فإن الأخلاق المنحرفة، ضـعف و مرض فی القلب، کما أن أنواع العاهات ضـعف و مرض فی البـدن ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ من النصـرة علی الأعـداء إِلَّا غُرُوراً من «غار» و إنما سـمی غرورا مبالغـة، کأن الوعـد قطعة من الغرور، من قبیل «زید عدل»، قال ابن عباس: إن المنافقین قالوا: یعدنا محمد أن یفتح مدائن کسـری و قیصر، و نحن لا نأمن أن نذهب إلی الخلاء هذا و الله الغرور «۱».

[۱۴] و إذ قـد اشـتد الخوف بالمسـلمین، قال عبـد الله بن أبیّ المنافق لأصـحابه: لیس لکم هنا محل، فقوموا نرجع إلی المدینـة، و جاء بعضـهم إلی الرسول یسـتأذنوه معتـذرین، بأن بیوتهم فی المدینـة، لیست بحریزة، فیخافون علیها اللصوص وَ إِذْ قالَتْ طائِفَـةٌ أی جماعة مِنْهُمْ أی من المنافقین، و الذین فی قلوبهم مرض یا أَهْلَ یَثْرِبَ فقد کانت المدینة تسمی «یثربا» قبل هجرة الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، ثم سمیت بمدینة الرسول، ثم «المدینة» لا مُقامَ لَکُمْ أی لا محل لإقامتکم هنا

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۹۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۵

[سورة الأحزاب (۳۳): آیة ۱۴]

وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَیْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ یَسِیراً (۱۴)

خارج المدینة بتوقع الظفر علی الکفار فَارْجِعُوا إلی المدینة، حتی لا یصـیبکم ما یصـیب محمدا و المسلمین من الکفار، فقد زعموا أن الکفار یغلبون المسـلمین لا محالة وَ یَسْـتَأْذِنُ أی یطلب الإذن، فی الرجوع إلی المدینة فَرِیقٌ مِنْهُمُ أی من أولئک المنافقین النَّبِیَ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم، و هم بنو حارثة، و بنو سـلمة یَقُولُونَ للرسول فی عذرهم للانصـراف إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَةٌ أی لیست حصینة، من عور

إذا نقص، و منه الأعور، و يقول الله سبحانه في تكذيب عذرهم وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ أي كذبوا في عذرهم، إن بيوتهم لم تكن عورة يخشى عليها من اللصوص و الأعداء، فقد كانت حريزة حصينة إِنْ يُرِيدُونَ أي ما يريد هؤلاء المستأذنون إِلَّا فِراراً من الحرب و هربا من القتال و أتعابه.

[۱۵] ثم يمثل الله سبحانه نفسية هؤلاء المنافقين، بأنهم كانوا بحيث إذا دخل الأعداء المدينة ثم طلبوا من هؤلاء الشرك، و أن يكونوا معهم في صف واحد مقابل المسلمين، لأسرعوا في إجابتهم، فكيف لم تكن بيوتهم عورة، حينذاك، و بيوتهم عورة، حين كانوا مع المسلمين؟

وَ لَوْ دُخِلَتْ المدينة، أو البيوت عَلَيْهِمْ أي على هؤلاء المنافقين مِنْ أَقْطارِها أي من جوانبها، بأن ظفر الكفار، و دخلوا بيوت هؤلاء من جوانبها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ أي سأل الكفار الغازون هؤلاء المنافقين، أن يشركوا و يكونوا معهم في صف قبال الرسول و أصحابه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۶

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً (۱۵) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (۱۶)

لَآتَوْها أي لأعطوا هؤلاء المنافقون الكفار ما أرادوا من الفتنة، و انضموا تحت لوائهم وَ ما تَلَبَّثُوا بِها أي ما مكثوا و تريثوا في قبول الفتنة، كأنهم باقون فيها، لم يرفضوا و لم يقبلوا كالإنسان الماكث بالمدينة، في مقابل من خرج من الفتنة بالجزم، إما بالقبول أو الرفض إِلَّا يَسِيراً فإنهم لم يكونوا يترددون في قبول الفتنة، إلا في زمان قليل، ثم يفتتنون بقبول الشرك و الدخول في صف الأحزاب المشركة.

[۱۶] و كيف يولي هؤلاء الدبر، و يرون الفرار من الجهاد وَ الحال أنهم لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ أي من قبل الخندق لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ فإنهم لما بايعوا النبي حلفوا أن ينصروه و أن يقفوا في صفه، و أن لا يسلموه لعدوه وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا أي يسأل عنه يوم القيامة، ماذا فعلوا بعهده، هل وفوا أم نقضوا؟

[۱۷] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المنافقين الذين يريدون الفرار خوف القتل لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ في تأخير آجالكم إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ بأن خفتم الموت خوفا أَوِ الْقَتْلِ بأن يغلب الأعداء فيقتلوكم، فإن آجالكم إن حضرتم أخذتكم و لو في غير ساحة القتال، و إن لم تحضر لم يأخذكم الأجل، و لو في ساحة القتال وَ إِذاً أي إذا فررتم من الموت أو القتل لا تُمَتَّعُونَ في الدنيا إِلَّا قَلِيلًا فإن مدة الحياة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۷

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۱۷ الى ۱۸]

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۱۷) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (۱۸)

قليلة تنقضي و تنصرم بسرعة.

[۱۸] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الذين يريدون الفرار إن فراركم غير مفيد، فإن أراد الله بكم سوءا جاءكم، و لو في بيوتكم، و إن أراد بكم رحمة جاءتكم الرحمة، و لو في ساحة القتال، فما فائدة الفرار؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ أي يحفظكم من أمره و بأسه إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً موتا أو قتلا أو عذابا؟ أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً من ذا الذي يتمكن أن يحول بينكم و بين الرحمة، التي يريدها الله بكم؟ فكل شيء من طرفه سبحانه، و لا يتمكن أحد من تغيير أمره وَ لا يَجِدُونَ أي هؤلاء الذين يريدون الفرار لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي سواه وَلِيًّا يلي أمورهم و يتولى شؤونهم وَ لا نَصِيراً ينصرهم، و يغلبهم على أعدائهم.

[۱۹] ثم هدد الله سبحانه الذين يثبطون غيرهم عن الجهاد بقوله قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ و قد، إما للتحقيق، قالوا فإنها تدخل- أحيانا- على

المضارع، بمعنى التحقيق، لا التقليل الذى هو الأصل فيه، و إما للتقليل للإشارة إلى أن احتمال علم الله بتعويقهم كاف، فى أن ينتهوا، كما تقول لمن تريد تهديده: يمكن أن أعلم عملك، تريد أن الإمكان كاف فى انقلاعه عن عمله السيئ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ و المعوق هو المثبط غيره عن الجهاد بتخويفه من الأعداء وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ أحزابهم من المنافقين هَلُمَّ إِلَيْنا أى أقبلوا إلينا نتنحى عن القتال ناحية، و لا نوقع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۸

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۱۹]

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (۱۹)

أنفسنا فى التهلكة وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ أى يحضرون القتال إِلَّا قَلِيلًا فيما إذا أجبروا و خافوا على سمعتهم، أو حضروه، رياء، بخلاف المؤمنين، فإنهم أسرع شيء إلى القتال، و كيف لا يحضرون، و هم يعلمون إن قتلوا أو قتلوا كان جزاءهم الجنة؟

[۲۰] و إن هؤلاء المنافقين الذين يعوقون الناس، و لا يحضرون الحرب، يكونون أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ أيها المؤمنون الصادقون، و أشحة جمع شحيح، بمعنى البخيل، أى أنهم بالنسبة إليكم بخلاء، لا يبذلون مالا و لا نفسا فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ بأن تجمعت الأعداء، و وجب الجهاد رَأَيْتَهُمْ أيها الرسول، أو أيها الرائى يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ أى تتقلب من هنا و هناك كما هى عادة الخائف، يدور بعينه ليجد ملجأ و ملاذا، و إنما يكفى النظر إلى الرسول، أو إلى المؤمنين، ليرى ماذا يأمر، و يقولون: هل ما ينفعهم حتى يستريحوا؟ أم ما يزيد خوفهم؟

حتى يفكروا فى النجاة و الخلاص، فيكثرون النظر، لئلا يفوتهم شيء كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ و هو الذى قرب موته و غشيته أسبابه، فإنه يكثر النظر هنا و هناك يتطلب علاجا و مناصا فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ و جاء الأمن و الغنيمة سَلَقُوكُمْ أيها المؤمنون، و سلق، بمعنى صاح و رفع صوته بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أى أنهم تكلموا معكم حول جهادهم المزعوم، و حول حصتهم من الغنائم، و حديد ضد الكليل أى ألسنة ذربة بليغة، فى جهر و صياح و جرأة، كأنهم كانوا كل شيء، و هكذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۱۹

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۲۰]

يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (۲۰)

دائما الجبناء يعملون قليلا و يقولون كثيرا أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أى الغنيمة، فهم بخلاء غاية البخل، أن يذهب و يفوتهم شيء من الغنيمة، التى ما اشتركوا فيها أُولئِكَ الذين تلك صفاتهم، و هم المنافقون فى كل زمان لَمْ يُؤْمِنُوا إيمانا من الأعماق، و إنما تظاهروا بالإيمان نفاقا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ أى أبطل ما عملوا من الأعمال الظاهرية، لأنها لم تصدر من الإيمان وَ كانَ ذلِكَ الإحباط لأعمالهم عَلَى اللَّهِ يَسِيراً فإنه لا يجازيهم، لا يتمكن أحد منهم من معارضته، كما كانوا يتمكنون من معارضة المؤمنين فى الدنيا.

[۲۱] إن هؤلاء المنافقين يَحْسَبُونَ أى يظنون الْأَحْزابَ التى جاءت لقتال المسلمين لَمْ يَذْهَبُوا و لم يرجعوا، و قد ظنوا ذلك لجبنهم، فإن الإنسان الجبان يخيل إليه أن الخوف بعد باق لم ينكشف وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ مرة ثانية، بأن يرجعوا إلى القتال يَوَدُّوا أى هؤلاء المنافقون لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ أى يكونون فى البادية مع الأعراب، و معنى «بادون» ظاهرون، فكأن الإنسان الذى فى المدينة مستور أما فى الصحراء، فهو ظاهر باد يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ أى أخباركم هل غلب المؤمنون أم الكفار؟ و هكذا يكون الأناس الجبناء يحبون أن يكونوا بمعزل عن الحوادث، و إنما يجترون بالأخبار، لقتل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۰

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (۲۱) وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَ تَسْلِيماً (۲۲)

الوقت، و إملاء فراغ حياتهم، بعكس الشجعان و العاملين الذين لا يحبون إلا المعارك و المقام وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ حين رجوع الأحزاب، و يكونون هم- حسب رغبتهم- فى البادية ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا أى قتالا قليلا لمجرد الرياء و السمعة، لا عن إيمان و عقيدة.

[۲۲] و اللازم على المؤمن أن يقتدى بالرسول، كيف يجاهد و يصبر فى المعارك لَقَدْ كانَ لَكُمْ أيها المسلمون فِي رَسُولِ اللَّهِ أى فى سيرة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صبره و عنائه فى الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مقتدى صالحا، بحيث يراه الناس فيعملون كما يعمل، و الأسوة من الاتساء «كما أن القدوة من الاقتداء» بمعنى الاقتداء، و المتابعة لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ أى يرجو ثواب الله و نعيمه، و يرجو أن يكون فى اليوم الآخر من الفائزين، و «لمن» بدل من «لكم» و الرسول أسوة حسنة لمطلق الناس، و إنما من كان يرجو الله يتأسى، فكان أسوة له، إذ الانتفاع بهذا المقتدى عائدا إليه وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً فإن من ذكره سبحانه ترسخ فى كيانه، الخوف من الله سبحانه، فيطيع أوامره، و يقتدى برسوله، فيما عمل و سار.

[۲۳] وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ الذين تحزبوا لقتال الرسول، و إبادة الإسلام قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ

فقد روى إن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۱

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۲۳]

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (۲۳)

قال سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم، و العاقبة لكم عليهم

«۱»، و

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنما سائرون إليكم بعد تسع أو عشر

، و لذا لما رآهم المؤمنون، قالوا: هذا ما وعدنا الله و رسوله وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فيما أخبرنا من المبدأ و العاقبة، و الإتيان باسم الله، لأن الرسول كان ينقل ما يقول عن الله سبحانه وَ ما زادَهُمْ لقاء عدوهم إِلَّا إِيماناً فإن الإنسان كلما كثر عنده شواهد الإيمان قويت ملكته، و اشتدت حالته النفسية فى العلاقة و الانقياد وَ تَسْلِيماً لأوامر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۲۴] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ صدقوا فى كلامهم و عهدهم مع الله، إن يصبروا و يثبتوا أمام الأعداء فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ النحب النذر، و يقال للموت، نحب، لأنه كنذر ثابت لازم فى ذمة الإنسان و على رقبته، و المراد منهم من قد قتل و استشهد فى سبيل إنجاز عهده وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الاستشهاد وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا أى ما غيروا العهد الذى عاهدوا الله عليه، بأن يفروا من الميدان، كالمنافقين الذين ورد فيهم (وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) «۲» و

قد ورد أن من قضى نحبه، حمزة و جعفر بن أبى طالب، و من ينتظر على عليه السّلام

«۳»، و هذا من باب أظهر المصاديق، و إلا فالآية عامة، كما لا يخفى.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۴۴.

(۲) الأحزاب: ۱۶.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۲۷۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۲

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۲۴ الى ۲۵]

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۲۴) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً (۲۵)

[۲۵] و إنما ابتلى الله المؤمنين بهذا الابتلاء الذى زلزلوا فيه زلزالا شديدا، لإظهار كوامن المسلمين لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ من المؤمنين، فى عهدهم بسبب صدقهم فى الثبات و الصبر وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ بنقض عهدهم و فرارهم و خذلانهم إِنْ شاءَ إن بقوا على النفاق، فإن مشيئته سبحانه معلقة على ذلك أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إن تابوا، و هذا ليس مما دخله «اللام» المقدر فى «ليعذب» و إنما بيان لأمر خارجى إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً لمن استغفر و أناب رَحِيماً فيتفضل على التائب فوق الغفران بالفضل و الإحسان.

[۲۶] وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا أى أرجع الأحزاب، لما ألقى فى قلوبهم من الرعب بِغَيْظِهِمْ أى بدون أن ينالوا من المسلمين، و يستشفوا غيظ قلوبهم الكامن على المسلمين و الإسلام، و الباء بمعنى «مع» لَمْ يَنالُوا خَيْراً أى مالا، بأن يقتلوا المسلمين، و ينهبوا أموالهم، و المال يسمى خيرا، لأنه سبب للخير و الإحسان و الضيافة، و غيرهما، كما قال سبحانه (إِنْ تَرَكَ خَيْراً) «۱» و قال (وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) «۲» وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ فلم يقع قتال يؤذى المسلمين و إنما كفاهم الله

---

(۱) البقرة: ۱۸۱.

(۲) العاديات: ۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۳

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۲۶]

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً (۲۶)

سبحانه بواسطة الإمام أمير المؤمنين الذى قتل «عمروهم»، و بدد جمعهم بما ألقى فى قلوبهم من الرعب وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا قادرا على ما يشاء من نصر المؤمنين، و هزيمة الكفار عَزِيزاً غالبا فى سلطانه لا يغلبه أحد.

[۲۷] و قد كانت بين المسلمين و بين بنى قريظة معاهدة حسن الجوار، و لما جاء الأحزاب ذهب بعضهم إلى بنى قريظة، يستميلهم فى حرب الرسول، حتى نقضوا العهد، و جاءوا مع الأحزاب للقتال، مما أوسع المجال للرسول، أن يعاقبهم بعد الفراغ من غزوة الأحزاب، حيث ابتدءوا بالاعتداء على المؤمنين، فى أحرج الساعات، و قصتهم، كما فى «قادة الإسلام» «۱» إن هؤلاء اليهود غدروا بالمسلمين فى أشد أحوالهم، فى حال حرب الأحزاب، و لو فرض أن غدرهم كان ينجح، لكان معناه إبادة المسلمين جميعا، و لذا

نزل جبرائيل عليه السّلام على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائلا: وضعت السلاح، و لم يضعه أهل السماء؟ انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فو الله لأدقهم دق البيضة على الصخرة، فأمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن لا يصلى الناس العصر، إلا عند بنى قريظة، و أعطى اللواء الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و معه المهاجرون، و انهالت قطعات الجيش الإسلامى صوب قريظة، حتى اكتملت ثلاثة آلاف، و لم يظلم ليل ذلك اليوم، إلا و المسلمون قد طوقوا الحصون، و انهارت أعصاب اليهود رعبا و خوفا، فها هم المسلمون الذين انتصروا يوم أمس على الأحزاب بكثرة عددها و عددها، و لذا استشاروا فيما

---

(۱) للمؤلف. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۴

بينهم حول الأمر؟ قال قائل منهم: أسلموا، لكنهم أبوا، و لم يرضخوا للإسلام، فقالوا انزلوا للحرب، لكنهم خافوا بأس المسلمين مع توفر السلاح و العتاد و المال و الطعام و الماء لديهم، و أخيرا أرسلوا إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يستأذنونه الخروج، إلى «أذرعات» الشام؟ لكن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبى، و بعد فكر و استشارة، و تداول رأى، أرسلوا إلى الرسول صلّى اللّه

عليه و آله و سلّم يطلبون منه أن يفوض أمرهم إلى «سعد» فما شاء فعل فيهم، و قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قام «سعد» بالتحكيم، بعد ما أخذ العهود على الجانبين، ثم أمر أن ينزل قريظة عن حصونهم، و أن يضعوا السلاح

«۱» ...، و لما نزلوا، حكم بقتل رجالهم الذين تآمروا على سلالة الإسلام و المسلمين، جزاء وفاقا، و قسمت الغنائم بين المسلمين وَ أَنْزَلَ الله الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ أي اليهود الذين صاروا عونا و ظهرا للأحزاب مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ بيان الذين- و هم اليهود قبيلة بني قريظة- مِنْ صَياصِيهِمْ أي من حصونهم، فقد أمر سعد أن ينزلوا من الحصون، و الصياصي جمع «صيصية» و هو الحصن الممتنع وَ قَذَفَ أي ألقى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ أي الخوف من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى لم يتمكنوا من المحاربة فَرِيقاً منهم تَقْتُلُونَ أنتم أيها المسلمون، و هم الرجال وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً و هم الأطفال و النساء.

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۵۹- ۱۶۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۵

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۲۷ الى ۲۸]

وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (۲۷) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (۲۸)

[۲۸] وَ أَوْرَثَكُمْ أي أعطاكم الله إرثا أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ أي حصونهم وَ أَمْوالَهُمْ وَ أورثكم أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها أي لم تأخذونها بالقتال، فإن الوطء هو الذهاب في الأرض، و لعلها كانت أرضا لبني قريظة خارج حصونهم، أو المراد أرض خيبر، أو مكة، أو غيرها، مما صارت بعد ذلك للمسلمين و لم يطأها بعد في هذا الحادث وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً و بقدرته أظفركم على هؤلاء اليهود بهذه السهولة و اليسر.

[۲۹] و بمناسبة قصة الفتح و الغنيمة يأتي السياق ليشير إلى قصة وقعت بعد فتح خيبر،

قالوا لما رجع رسول الله من غزوة خيبر، أصاب كنز آل أبي الحقيق، فقلن أزواجه: أعطينا ما أصبت، فقال لهن رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قسمة بين المسلمين على ما أمر الله عز و جل، فغضبن من ذلك، و قالت بعضهن: لعلك ترى، إنك إن طلقتنا، أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؟ فلم يقع هذا الكلام من الرسول موقعا حسنا، فاعتزلهن رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في مشربة أم إبراهيم تسعة و عشرين يوما، ثم أنزل الله هذه الآية- و هي آية التخيير

«۱»-.

فقامت أم سلمة أول من قامت، فقالت: قد اخترت الله و رسوله، فقمن كلهن، و قلن كما قالت أم سلمة يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۸۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۶

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۲۹ الى ۳۰]

وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (۲۹) يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (۳۰)

أي نساءك إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها أي سعة العيش، و كثر المال، و سائر زينة الدنيا فَتَعالَيْنَ أي هلمن إلي، ل أُمَتِّعْكُنَ و هي ما يعطى للمرأة عند طلاقها جبرا لكسر خاطرها بالطلاق وَ أُسَرِّحْكُنَ أي أطلقكن، فإن الطلاق تسريح للمرأة عن قيد الزواج سَراحاً جَمِيلًا و السراح الجميل، هو الطلاق من غير خصومة، و لا أكل حق لها.

[۳۰] وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ثواب اللَّهَ وَ تردن عشرة رَسُولَهُ بدون إرادتكن زينة الحياة الدنيا، زائدة على القدر اللائق بالرسول وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ و إرادتها عبارة عن العمل الصالح لأجلها فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ و إنما جاء بهذا، لأن مجرد الإرادة، لا تكفى للثواب، و إنما تحتاج إلى العمل أَجْراً عَظِيماً يعطيه لكنّ فى الآخرة.

[۳۱] يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ أى معصية ظاهرة يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ فى الآخرة ضِعْفَيْنِ ضعف للعصيان، و ضعف لأنها أسوة للنساء، و لمكانها من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۷

بالضعف المثل وَ كانَ ذلِكَ التعذيب ضعفين عَلَى اللَّهِ يَسِيراً فإن الأمر بيده، و يفعل كيفما يشاء مما تقتضيه الحكمة و الصلاح، و تقديم «الفاحشة» على «القنوت» لأن الكلام كان حول معصيتهن، بمخاشنة الكلام مع الرسول، كما أن الإتيان بلفظ «الفاحشة» التى هى المعصية المجاوزة للحد، و تأكيدها ب «المبينة» بمناسبة الموضوع، فإن عصيان النساء للرسول، كان من أعظم المعاصى، و إلا فكل معصية، أتين بها ظاهرة تكون كذلك، أما المعصية الخفية، فهل عذابها مضاعف أم لا، احتمالان.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۲۹

تقريب القران الى الأذهان الجزء الثاني و العشرون من آية (۳۲) سورة الأحزاب إلى آية (۲۸) سورة يس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۰

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۱

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۳۱ الى ۳۲]

وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً (۳۱) يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (۳۲)

[۳۲] وَ مَنْ يَقْنُتْ و القنوت هو الطاعة و الخضوع مِنْكُنَّ يا نساء النبى لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ بأن تطع أوامرهما وَ تَعْمَلْ صالِحاً أى تأتى بهذا النوع من العمل، و هو الصالح دون الطالح، و كأن القنوت مقدمة على العمل، إذ هو الخضوع نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ مرة فى الدنيا بالإعظام و الإكرام، و مرة بالآخرة بجنات النعيم، أو المراد نعطيها أجرين و ثوابين فى الآخرة بمقابلة «يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ» وَ أَعْتَدْنا أى هيئنا فى الآخرة لَها رِزْقاً كَرِيماً نرزقها بإكرام و إعظام، و قيل الكريم ما سلم من كل آفة و نقص.

[۳۳] يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ أنتنّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ أى كسائر النساء، فإنكن أعظم شأنا، و أعلى منزلة لمكانكن من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إِنِ اتَّقَيْتُنَّ أى إن كنتن متقيات خائفات من الله سبحانه فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ أى إذا أردتنّ الكلام فى محضر حضره الأجنبى، فلا ترققن الكلام و لا تلن فى الحديث، و الخضوع عبارة عن الكيفية، و إن كان مفهوم الآية شامل لمادة الكلام أيضا، بأن لا يكون مثيرا مهيجا فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ و هو من انحرفت نفسه عن الجادة، حتى إذا سمع الكلام الرقيق، هاجت نفسه طمعا، و إن لم يكن يريد شيئا وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً جميلا حسنا، لا غزلا و تشبيبا، بريئا من كل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۲

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۳]

وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۳۳)

التواء و انحراف.

و لا يخفى أن نساء النبى، حيث أنهن كن أسوة للنساء- أسوة طبيعية- كانت الآيات موجهة إليهن، و إلا فما اشتملت عليه هذه الآيات،

عامة لكل النساء، و إن كان فى حقهن أكثر إلا ما خرج بالدليل ككون نسائه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمهات المؤمنين، أما قوله «لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ» فإنما هو للترغيب و التحريض، و بيان أن منزلتهن تقتضى التحفظ بهذه الوصايا أكثر، كما يقول العالم لولده: إنك لست كسائر الناس، فلا تقامر، و لا تشرب الخمر، و هكذا.

[۳۴] وَ قَرْنَ أى أقررن و استقررن فِي بُيُوتِكُنَ أى منازلكن، فلا تخرجن للحرب و ما أشبه وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى أى لا تخرجن من البيوت باديات الزينة، كما كانت نساء الجاهلية تفعل، فإنّ برج، بمعنى ظهر، و منه تسمى البارجة، و برج السور، و بروج الكواكب، لبروجها أى ظهورها، و من مصاديق التبرج، إلقاء المرأة عباءتها بين الرجال، كما كانت تفعله نساء الجاهلية وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ بالمداومة عليها بآدابها و شرائطها وَ آتِينَ الزَّكاةَ أى أعطين الزكاة المفروضة، أو مطلق الصلة وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فيما يأمران به إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ هذا من قبيل الالتفات المذكور فى علم البلاغة، الذى هو من محاسن الكلام، فإن المراد بأهل البيت «الرسول و على و فاطمة و الحسن و الحسين» عليهم السّلام، بإجماع المفسرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۳

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۴]

وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً (۳۴)

المنصفين من العامة و الخاصة، كما وردت بذلك روايات متواترة «۱»، و قد مر بنا غير مرة، إن من فنون البلاغة فى القرآن الكريم، أن يوسّط كلاما جديدا، بين الجمل المتناسقة، اتقاء عن ملالة السامع من كلام رتيب، و المراد بأهل البيت عليهم السّلام، بيت الرسول، و الذى يشهد أن المراد بالآية، ليست النساء، تغيير الأسلوب، فإن الخطاب كان بلفظ الجمع المؤنث «لستن» «اتقيتن» «لا تبرجن» و هكذا، و كذلك ما بعد الآية «و اذكرن» «فى بيوتكن» حتى إذا وصل إلى هذا قال «عنكم» «يطهركم» و لا يخفى أن الأئمة عليهم السّلام داخلون فى أهل البيت بالنصوص المتواترة وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و معنى الإرادة، الإرادة التكوينية، و هى الموجبة للعصمة، و هى المراد بالطهارة، و إلا فالإرادة التشريعية عامة للجميع، كما أن الطهارة عن القذارة الظاهرية عامة لا تختص حتى المسلمين، و لذا استدل علماؤنا بهذه الآية على عصمة الرسول و الصديقة و الأئمة الاثنى عشر (صلوات الله عليهم أجمعين)، و معنى العصمة أن يكون فى الإنسان- بلطف الله سبحانه- وازع يمنعه عن العصيان مطلقا بدون أن ينافى ذلك اختياره، كالأم الحنون التى فيها وازع يمنعها عن قتل ولدها، و هذا الوازع من قبله سبحانه، و لا ينافى اختيارها و محل تفصيل الكلام فى علم الكلام.

[۳۵] وَ اذْكُرْنَ يا نساء النبى ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَ أى ما يقرأ، و القارئ هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و الإتيان بلفظ فى «بيوتكن» لعله للحث و التحريض، فإن ما يتلى فى بيت الإنسان من القرآن يزيده شرفا و عزا،

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱ ص ۴۲۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۴

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۵]

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (۳۵)

فمن الجدير أن يستمسك بعزه و فخره مِنْ آياتِ اللَّهِ أى القرآن وَ الْحِكْمَةِ لعل المراد بها كلمات الرسول و حكمه، و المراد بالذكر، إما التحفظ و القراءة، و إما التذكر إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً ذا فضل و من لطفه و فضله، خصكن بهذه الكرامة خَبِيراً يعلم ما تصنعن من الأمور، فيجازيكن على أعمالكن.

[۳۶] ثم ذكر الله سبحانه استواء الرجال و النساء فى أحكام الإيمان- إلا ما خرج بالدليل.

روى فى المجمع عن مقاتل بن حيان، أنه قال: لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب دخلت على نساء رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقالت: هل نزل فينا شىء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقالت: يا رسول الله إن النساء لفى خيبة و خسار، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و مم ذلك؟ فقالت: لأنهن لا يذكرن بخير، كما يذكر الرجال، فانزل الله هذه الآية

«۱» إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ و المسلم هو الذى سلّم لأوامر الله و الرسول، سواء دخل الإيمان قلبه أم لا، كما قال سبحانه: (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ) «۲» وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ و المؤمن هو الذى دخل التصديق قلبه، و التزم بأحكام الإسلام وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۵۸.

(۲) الحجرات: ۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۵

و القنوت، هو الخضوع لله سبحانه، فإن الخضوع رتبة فوق الإيمان أو المراد بالقانت المداوم على الطاعة، أو الداعى وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ و الصادق هو الذى يصدق فى عقيدة و قول و عمل، فالشرك كذب و قول لا إله للكون كذب، و العمل الريائى كذب وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ و الصبر إما على الطاعة، و إما عن المعصية، و إما فى المصيبة، بأن يحفظ الإنسان نفسه، فلا يترك الطاعة، أو يعمل بالمعصية أو يلقى نفسه فى الجزع وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ الخشوع هو الخضوع أو الخوف وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ التصدق هو إخراج الصدقات و الزكوات وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ بالإمساك عن المفطرات، قربة إلى الله تعالى، بشرائطه و آدابه، و لعل عدم ذكر الصلاة و الزكاة، لأنهما داخلات فى الإسلام وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ عن الزنا و اللواط و السحق و الاستمناء، و ما أشبه، وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً بدوام تذكر الله سبحانه حتى لا يصدر من الإنسان ما يخالف رضاه وَ الذَّاكِراتِ لله كثيرا، و قد حذف المتعلق لدلالة الكلام عليه، و كذا فى «و الحافظات» أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ أى للمتصفين بهذه الصفات مَغْفِرَةً مصدر ميمى بمعنى الغفران، أى غفرانا لذنوبهم وَ أَجْراً عَظِيماً و ثوابا جزيلا فى الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۶

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۶]

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (۳۶)

[۳۷] و إذ تقدمت قصة زوجات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين أردن منه أموال خيبر، و امتنع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن إعطائهن، جاء السياق ليذكر الناس عامة، بأنه ليس لأحد أن يحكم بخلاف حكم الرسول وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً بأن أمرا بشىء، أو نهيا عن شىء أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ أى الاختيار مِنْ أَمْرِهِمْ أى من جهة أمر أنفسهم، بعد أوامر الله و الرسول وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ بمخالفة أوامرهما، فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً أى انحرف عن طريق الهدى انحرافا واضحا،

قال فى المجمع «نزلت فى زينب بنت جحش الأسدية، و كانت أمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فخطبها رسول الله على مولاه، زيد بن حارثة، و رأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد، أبت و أنكرت، و قالت: أنا ابنة عمتك، فلم أكن لأفعل، و كذلك قال أخوها، عبد الله بن جحش، فنزل، و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة ..

الآية، يعنى عبد الله بن جحش و أخته زينب، فلما نزلت الآية، قالت:

رضيت يا رسول الله، و جعلت أمرها بيد رسول الله، و كذلك أخوها، فأنكحها رسول الله زيدا، فدخل بها، و ساق إليها رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عشرة دنانير و ستين درهما مهرا، و خمارا ملحفة، و درعا، و إزارا، و خمسين مدّا من الطعام، و ثلاثين صاعا من تمر»

«۱»، أقول و قد هدم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۷

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۷]

وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَیْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِی أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (۳۷)

بذلك، ما كان مرسوما فى الجاهلية من تكافؤ الدماء القبلى.

[۳۸] لقد تزوج زيد زينب، ثم أراد الله سبحانه، أن يزيل العقبة التى كانت بعد أمام المسلمين فى أمر التزوج بنساء أدعيائهم، فقد كانوا يرون أن ذلك من قبيل نكاح الأب زوجة ابنه، و لذا لما طلق زيد زينبا- و لعله كان لما نقل أنها كانت حادة المزاج، فلم يتلاءم الزوجان- نكحها رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تتميما للتشريع الذى سبق فى أول السورة «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» و من غريب الأمر، أن جماعة من الناس اختلقوا حول هذه القصة روايات تنافى أصول الإسلام و العقيدة، حتى أن على بن إبراهيم القمى، على جلالته لم يسلم من الوقوع ضحية ذلك الاختلاف، كما لم يسلم من الوقوع ضحية قول المعاندين فى أن آية (إِنَّكَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ) «۱» نزلت فى أبى طالب عم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فسبحان من لم يخلق الإنسان معصوما إلا الأنبياء و الأئمة، و من إليهم وَ اذكر يا رسول الله إِذْ تَقُولُ لزيد بن حارثة الذى دعوته ابنا لك قبل نزول آية «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» لِلَّذِی أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بالإسلام و الإيمان، و مصاحبة الرسول وَ أَنْعَمْتَ أنت عَلَيْهِ بالكفاية و التربية و التحرير و التعليم، و تزويجه بزينب الشريفة الهاشمية أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ و لا تطلقها، فقد وقعت بينهما المشاجرة، فأراد زيد طلاقها- و قد تقدم أنها كانت ذات حدة فى أخلاقها، كما ذكروا- و الإتيان بلفظ عليك، لما فى الإمساك من الثقل، حتى كأنه

(۱) القصص: ۵۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۸

حمل على الإنسان وَ اتَّقِ اللَّهَ يا زيد فى مفارقتها و مضارتها، و معاشرتها، فلا تعاشرها إلا حسنا جميلا وَ قد كان الله سبحانه أخبر الرسول أنه سيطلق زينبا، و أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتزوجها لرفع قاعدة «البنوة» الجاهلية، و لما كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعلم ما يحدثه هذا العمل من الضجة، فى ذلك المجتمع الجديد العهد بالإسلام، خشى إظهاره، و لذا قال سبحانه له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تُخْفِی فِی نَفْسِكَ يا رسول الله، إرادتك زواجها بأمر الله بعد طلاقها مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ أى الشىء الذى يظهره الله بعد ذلك وَ تَخْشَى النَّاسَ و قد قال بعض: كيف يخشى النبى الناس؟ فلنقل:

هل كان النبى يخشى من العقرب أن تلدغه، أو السبع أن يفترسه؟ فإن قالوا نعم، قلنا: ما الفرق حتى أجزتم تلك الخشية، و لم تجوزوا هذه الخشية، من كلام الناس و طعنهم؟ و إن قالوا: لا، قلنا: فأىّ دليل على أن الخشية من المضر أو المؤذى ينافى مقام العصمة، فإن ما ثبت، أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معصوم، لا إنه مسلوب عنه صفات البشرية من خشية و اضطراب، و جوع و عطش، كما

فی قصة موسی علیه السّلام (إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا) «۱» (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً) «۲»، و فی قصة یعقوب (وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ) «۳»، و أما قوله وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فهو من باب الجناس الملیح، نحو قوله (وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ) «۴» و قول الرضا علیه السّلام «إن كنت باكيا لشیء، فابک للحسين علیه

---

(۱) طه: ۴۶.

(۲) القصص: ۲۲.

(۳) یوسف: ۱۴.

(۴) الروم ۵۶. تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۳۳۹

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۸]

ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً (۳۸)

السلام»

«۱» فإن الإنسان إذا هاج به وصف نفسی، قيل له، وجّه هذا الوصف إلى جهة أصلح، فمن هاجت به العاطفة نحو جاره، قلنا له: اعطف علی ولدک، أو نقول: إن ولدک أحق بالعطف، و لا نريد بذلک، أن العاطفة نحو الجار غير حسنة، و إنما نريد توجيهه نحو ما هو الأصلح بحاله فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها أی من زوجته زينب وَطَراً أی حاجة، بأن تم حاجته فيها، و طلقها، حيث لم يتلاءما زَوَّجْناكَها أی أمرنـا بتزويـج زينب لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ أی لتكون أنت أول من ينقض هـذه العادة الجاهلية عملا حتی لا يتحرج المؤمنون بعـدک من الزواج بزوجـة المتبنی لهم إِذا قَضَوْا أولئک الأدعياء مِنْهُنَّ أی من زوجاتهم وَطَراً أی حاجة، بأن طلقوهن، فإن الطلاق لا يكون إلا بعـد عـدم الرغبة، و الحاجة فی الزوجة وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا أی أن الشـیء الذی يريده الله، لا بد و أن يفعل و يؤتی فی الخارج، فتزوجها رسول الله و ضمها إلی نسائه.

[۳۹] و إذ أثـار هـذا الأـمر ضـجة كبری بين النـاس، جاء السياق ليردها، فقال سـبحانه ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ أی عسـر و ضـيق و غضاضة فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ أی فی الحكم الذی أثبته الله للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،

---

(۱) وسائل الشیعة: ج ۱۴ ص ۵۰۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۰

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۹]

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً (۳۹)

و الإتيان بلفظ «له» لأنه كان لنفع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و لا مثل سائر الواجبات، التی هی «علیه» فيها مشقة و كلفة سُنَّةَ اللَّهِ منصوب علی المصدر، أی سنّ الله ذلک سـنة، أی إن هذا التحليل، كان كسائر سنن الله فی الأنبياء علیهم السّلام، و الأمم الماضين فِي الَّذِينَ خَلَوْا أی مضوا مِنْ قَبْلُ قبل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقد كان سبحانه، يرفع الحرج عنهم، و يحل لهم ما فيه الصلاح وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً أی بقدر و قضاء مَقْدُوراً قد قدّر و حكم به ان ينفذ، فليس اعتباطا و ارتجالا،

روی عن الإمام الباقر علیه السّـلام أن زينب مكثت عند زيد ما شاء الله، ثم أنهما تشاجرا فی شیء إلی رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فاستأذن زيد رسول الله صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی طلاقها، و قال أن فيها كبرا، و أنها لتؤذينی بلسانها، فقال رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: «اتق الله، و أمسـک علیـک زوجـک، و أحسن إليهـا، ثم أن زيـدا طلقهـا، و انقضت عـدتها، فـأنزل الله سـبحانه نكاحها علی رسوله»

«۱».

[۴۰] و من هم الذين خلوا من قبل؟ هم الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ أى يؤدّونها إلى الناس كاملة، و باعتبار أن كل حكم رسالة، سميت الشريعة رسالات وَ يَخْشَوْنَهُ سبحانه، فيما أمر و نهى وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ أى لا يتركون حكما من أحكام الله خشية أحد، فإنهم لا يخشون إلا الله وحده، نعم من الممكن، أن يخشون الناس فى أمر

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۲۱۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۱

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۴۰ الى ۴۱]

ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (۴۰) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (۴۱)

آخر، كما قال (وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً) «۱» وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً أى حافظا لأعمال خلقه، و محاسبا و مجازيا عليها.

[۴۱] و لما تزوج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زينب، جعلت الألسنة المنافقة تلوك، بأن الرسول تزوج زوجة ابنه، فقال سبحانه ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ فهو ليس أبا لزيد حتى يكون التزويج بزوجته تزويجا بزوجة الابن، و فى الآية أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ليس أبا لرجالهم- و زيد من رجالهم- و ليس فيها أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس أبا لأحد، فإن القاسم و الطيب و الطاهر، و إبراهيم، كانوا أبناءه الصلبيين، و الإمامين الحسن و الحسين عليهما السّلام، كانوا أبناءه بواسطة سيدة نساء العالمين وَ لكِنْ كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رَسُولَ اللَّهِ فينفّذ ما أمره الله سبحانه وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ أى آخرهم، قد ختمت به النبوة، و لذا يلزم عليه أن يبطل كل ما يخالف الصلاح العام، و ليس كالأنبياء الذين تقدموا، إن لم يمكن لهم إبطال أمر، جاء بعدهم نبى أخر ليبطله، و لذا كانت شرائعهم تتناسخ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً لا- يخفى عليه المصالح و المفاسد، فلذا يأمر بالصالح، و لا يخفى عليه قول المنافقين فى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۴۲] و يأتى السياق بعد ذلك يربط القلوب بالله سبحانه، حتى لا يتحرجوا من حكم يفرضه مهما كان خلاف المألوف لديهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ

(۱) الأنفال: ۵۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۲

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۴۲ الى ۴۴]

وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (۴۲) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (۴۳) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (۴۴)

هو تذكرة عند الأعمال، حتى لا يزيغ الإنسان فى قول، أو عمل، أو نيّة، ذِكْراً كَثِيراً فى مختلف أحوالكم و شؤونكم.

[۴۳] وَ سَبِّحُوهُ و التسبيح هو التنزيه له سبحانه لفظا أو قلبا أو عملا بُكْرَةً صباحا وَ أَصِيلًا عصرا، و لعل ذلك كناية عن دوام التسبيح و استمراره.

[۴۴] إن الله سبحانه يلطف بكم و يهديكم السبيل، فمن اللازم أن تقابلوه بالمثل، تذكروه و تسبحوه هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ و الصلاة فى اللغة العطف و الميل، كما قال الشاعر «صلّى على جسم الحسين سيوفهم» و من المعلوم، أن صلاته سبحانه، الرحمة بالناس، و المغفرة لهم وَ مَلائِكَتُهُ أى تصلى ملائكته عليكم- و لا يكون ذلك إلا بإذنه- فالفضل يعود إليه تعالى أيضا، و صلاة الملائكة عطفهم

نحو البشر بطلب المغفرة و الرحمة لهم و حفظهم عن الأخطار، بقدر ما يأذن الله لهم لِيُخْرِجَكَمْ الله، أيها المؤمنون مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ فإن دروب الحياة مظلمة لا يراها الإنسان حتى يسير فيها بسلام، و إنما يقع فى المشاكل و الاضطرابات كالإنسان الذى يسير فى الظلمة يقع فى الحفيرة، و يصطدم بالجدران، و صلاته سبحانه، و صلاة ملائكته، توجب إنارة الطريق، لأنه يرحم و برحمته يحفظ الإنسان من الزلّة وَ كانَ الله بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً يرحمهم و يلطف بهم.

[۴۵] هذا للمؤمنين فى الدنيا أما تَحِيَّتُهُمْ إذ يحييهم الله سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۳

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۴۵ الى ۴۷]

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۴۵) وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (۴۶) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (۴۷)

يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ أى يلقون جزاءه و ثوابه، فهو سَلامٌ لفظى إذ يسلم الملائكة عليهم، و يبعث الله من يقول للمؤمن، إن ربك يقرؤك السلام، و معنوى فإن لهم السلامة من جميع الآفات و الأخطاء، إلى الأبد وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً أى ثوابا جزيلا يكرمهم.

[۴۶] ثم يخاطب القرآن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليلطف به فى مقابل ذلك العمل الشاق الذى قام به من زواج زينب يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ على الناس شاهِداً تشهد عليهم، ماذا صنعوا، و ماذا يصنعون؟ فإن الإنسان المعتدل يمكن أن يكون شاهدا، لا الإنسان المنحرف وَ مُبَشِّراً بالجنة و الثواب، لمن آمن و أطاع وَ نَذِيراً بالنار و العقاب لمن كفر أو عصى.

[۴۷] وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ فأنت تدعو إلى الإذعان بالله، و إطاعته بِإِذْنِهِ فإن كل عمل يرتبط به سبحانه يحتاج إلى إذنه، حتى الدعوة إليه وَ سِراجاً أى مصباحا مُنِيراً يهتدى بك فى الحياة، كما يهتدى بالمصباح فى ظلمة الليل.

[۴۸] وَ بَشِّرِ يا رسول الله الْمُؤْمِنِينَ الذين آمنوا و أطاعوا بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً فإنه يتفضل عليهم بفضل عظيم، هو إعطائهم خير الدنيا و سعادة الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۴

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۴۸ الى ۴۹]

وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (۴۸) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (۴۹)

[۴۹] وَ لا تُطِعِ يا رسول الله الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ بأن تسمع بعض كلامهم- الذى يزعمون أنه فى صالحك، أو صالح المؤمنين- وَ دَعْ أَذاهُمْ أى اترك أن تؤذيهم فيما يفعلون ضدك، فإن كيدهم ضعيف يضمحل، أو المراد لا تعتن بأذيتهم لك، فإن أذاهم لا يضرك، فلا ينبغى أن تعير له أهمية، و لا يخفى أن هذا غير القتال، فإن ذلك بالنسبة إلى الأمور العادية، كالبذىء من القول، لا بالنسبة إلى المناهج و الخطوط و الأنظمة وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ اجعله وكيلك فى الأمور يجلب إليك الخير، و يدافع عنك الضر و الشر وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا أى كافيا و متكفلا و حافظا، و حيث أن الأصل «اكتف» جاء الباء فى فاعل «كفى».

[۵۰] و بمناسبة قصة نكاح زينب و طلاق زيد لها، يأتى السياق ليبين بعض أحكام الطلاق يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ أى زوجتموهن ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَ أى من قبل الدخول بهن، فإن المس كناية عن ذلك، لا إنه بمعنى الإحساس فَما لَكُمْ أيها المؤمنون عَلَيْهِنَ أى على تلك المطلقات مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها أى تستوفونها بالعدد، فإذا طلقت المرأة قبل الدخول جاز لها أن تتزوج من ساعتها، لعدم وجود حكمة العدة فيها، فإن الحكمة- كما ذكروا-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۵

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۰]

يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنـا لَکَ أَزْواجَکَ اللاَّتِی آتَیْتَ أُجُورَهُنَّ وَ ما مَلَکَتْ یَمِینُکَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَیْکَ وَ بَناتِ عَمِّکَ وَ بَناتِ عَمَّاتِکَ وَ بَناتِ خالِکَ وَ بَناتِ خالاتِکَ اللاَّتِی هاجَرْنَ مَعَکَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَـها لِلنَّبِیِّ إِنْ أَرادَ النَّبِیُّ أَنْ یَسْتَنْکِحَها خالِصَـةً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَیْهِمْ فِی أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُمْ لِکَیْلا یَکُونَ عَلَیْکَ حَرَجٌ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً (۵۰)

استبراء رحمها- و إن كان هـذا حكمة، لا علة تامة- فَمَتِّعُوهُنَ بما لهن عليكم من الحقوق الواجبة و المستحبة، و منها إعطائها المتعة، فيما إذا لم يفرض لها فريضة، و

قد ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام، أنه قال فى هذه الآية «فَمَتِّعُوهُنَّ» أى جملوهنّ بما قدرتم عليه من معروف، فإنهن يرجعن بكآبة و وحشة، و همّ عظيم و شماتة من أعدائهن، فإن الله كريم يستحى «أى يفعل فعل المستحى» و يحب أهل الحياء، إن أكرمكم، أشدكم إكراما لحلائله»

«۱» وَ سَرِّحُوهُنَ أى أطلقوهن و أخرجوهن من حبالتكم بعد الطلاق سَراحاً جَمِيلًا بلا إيذاء، و ذكر معايب و إهانة و منع حق- مما يعتاده الجهّال- و قد ذكروا، إن رجلا أراد طلاق زوجته، فقيل له: لماذا، قال: هى زوجتى و إن الرجل لا يذكر معايب زوجته، ثم طلقها، فقيل له: الآن، قل ما كان فيها من العيب، فقد خرجت عن زوجيتك، فقال: هى أجنبية، و إن الرجل لا يذكر معايب النساء الأجنبيات.

[۵۱] يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي جمع التى آتَيْتَ أى أعطيت أُجُورَهُنَ أى مهورهن، فإن المهر أجر على البضع، و لقد كان الرسول أعطى نساءه الموجودات عنده وقت نزول الآية، مهورهن، فليس القيد احترازيا، بل توضيحيا، و الآية، فى مقام بيان النساء المحللات للرسول، فالمعنى أنه يحل لك طوائف من النساء، هؤلاء النسوة، الموجودات عندك و الوصيفات، و بنات العم و العمة،

(۱) من لا يحضره الفقيه: ج ۳ ص ۵۰۶.

و بنات الخال و الخالة، و المرأة التى تهب نفسها للنبى، ثم بيّن سبحانه أن للرسول الخيار فى حفظ بعض زوجاته، و طلاقها، كما بيّن سبحانه، أن لا يحل له أن يأخذ فوق هذا العدد الموجود عنده من سائر النساء، أو تبدل بعضا ببعض، بأن تطلق من زوجاته، ليأخذ مكانها امرأة أخرى، و قد خصه الله سبحانه بجواز التسع، حين كف عنده، و نزلت آية (مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) «۱» فتفضل الله سبحانه بإحلاله للرسول، إبقاء جميع النسوة وَ أحللنا لك ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ أى الأمة، و إنما سميت ملك اليمين، لأن اليد اليمنى هى أكثر الأعضاء اكتسابا، فيكون الثمن عليها و الملك لها- مجازا- مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ أى أعطاك الله من الغنيمة و الأنفال، و سمى فيئا لأنه يرجع إلى صاحبه الأصلى، و هو الرسول، و كأن المال فى يد الكفار مغصوب، فإذا رجع بأمر الله إلى المؤمنين كان فيئا و رجوعا إلى أصحابه الأصليين، و قد كانت زوجة النبى، مما ملكت يمينه مارية القبطية أم إبراهيم وَ بَناتِ عَمِّكَ و المراد مطلق الأعمام وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ و الاختلاف بين العم و العمة بالإفراد و الجمع للتفنن فى الكلام، الذى هو من أبواب البلاغة وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ فى اختلاف اللفظين ما تقدم اللَّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ قال فى المجمع: «إن المراد بنات العمة، نساء قريش، و ببنات الخالة نساء بنى زهرة» «۲»، و لعل التخصيص بهؤلاء النسوة،

(۱) النساء: ۴.

(۲) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۷۰.

لعدم وجود غيرهن عند الهجرة، حتى تحل، كما إن تخصيصهن يهاجرن معك، لإفادة تحريم غير المهاجرات- و لم يعلم أن الحكم

نسخ بعد ذلك- وَ أحللنا لك امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِي بأن قالت، وهبت نفسى لك يا رسول اللّه، فإنه يجوز له نكاحها، و الحلية بلفظ الهبة، تخلص إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ يا رسول الله مِنْ دُونِ سائر الْمُؤْمِنِينَ فلا يحل لهم النساء، بلفظ الهبة قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أمر أَزْواجِهِمْ فإن المفروض للمؤمنين أن لا يتزوجوا فوق الأربع، و لا أن ينكحوا بلفظ الهبة، تمشيا مع نظام الصالح العام، أما الرسول فقد استثنى له بعض الأحكام لظروف خاصة، أحاطت به، كما أنه وجب عليه أمور لتلك الظروف أيضا وَ قد علمنا ما فرضنا فى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ حيث أبحنا لك الصفوة من الغنائم، إذا كانت جارية، و لم تبحها للمؤمنين، و معنى قد علمنا، أن هذا الحكم ليس اعتباطا، و إنما صادر عن علم و حكمة بالمصالح و المفاسد العامة و الخاصة، ثم بيّن ذلك بقوله لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ و ضيق فى أمر الأزواج، فإن الرسول أكثر شغلا من أن يحرج عليه بعض الأمور الخاصة، كما أنه يقع فى ضيق، إن أمر بطلاق، أو فك بعض نسائه التسع وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً لمن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۸

خالف الأوامر، ثم تاب، كما وقع العصيان من بعض الأزواج، فى قصة غنائم خيبر رَحِيماً يتفضل بالرحم و النعمة على رسوله و المؤمنين،

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام، أنه قال جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو فى منزل حفصة، و المرأة متلبسة متمشطة فدخلت على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقالت: يا رسول الله، إن المرأة لا تخطب الزوج، و أنا امرأة لا زوج لى منذ دهر، و لا ولد، فهل لك من حاجة؟ فإن تك فقد وهبت نفسى لك، إن قبلتنى، فقال لها رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: خيرا، و دعا لها، ثم قال: يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيرا، فقد نصرنى رجالكم، و رغبت فىّ نساؤكم، فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك و أجرأك و أنهمك للرجال؟

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كفى عنها يا حفصة، فإنها خير منك، رغبت فى رسول الله، فلمتيها و عبتيها، ثم قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للمرأة: انصرفى رحمك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فىّ، و تعرضك لمحبتى و سرورى، و سيأتيك أمرى إن شاء الله، فأنزل الله عز و جل، (وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً)

«۱» «۲»، و

عن الصادق عليه السّلام، قال «تزوج رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بخمسة عشر امرأة، و دخل بثلاثة عشر منهن، و قبض عن تسع، فأما اللتان لم يدخل بهما، ف «عمرة» و «السناة» و أما الثلاثة عشر اللواتى دخل فيهن، فأولهن «خديجة» بنت خويلد، ثم «سودة» بنت زمعة، ثم «أم سلمة» و اسمها هند بنت أبى أمية، ثم «أم عبد الله» ثم «عائشة» بنت أبى بكر، ثم «حفصة» بنت عمر، ثم «زينب» بنت خزيمة بن

(۱) الأحزاب: ۵۱.

(۲) الكافى: ج ۵ ص ۵۶۸. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۴۹

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۱]

تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذلِكَ أَدْنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً (۵۱)

الحارث أم المساكين، ثم «زينب» بنت جحش، ثم «أم حبيب» أرملة بنت أبى سفيان، ثم «ميمونة» بنت الحارث، ثم «زينب» بنت عميس، ثم «جويرية» بنت الحارث، ثم «صفية» بنت حىّ بن أخطب، و التى وهبت نفسها للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و «خويلة» بنت حكيم السلمى، و كان له سرّيتان يقسم لهما مع أزواجه «مارية القبطية» و «ريحانة الخندقية»، و التسع اللواتى قبض عنهن، عائشة، و

حفصة، و أم سلمة، و زينب بنت جحش، و ميمونة بنت الحارث، و أم حبيب بنت أبى سفيان، و صفية، و جويرية، و سودة، و أفضلهن خديجة بنت خويلد، ثم أم سلمة، ثم ميمونة»

«۱».

[۵۲] تُرْجِی مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَ الإرجاء، هو التأخير، و المراد تبعد عن نفسک من تشاء من أزواجک وَ تُؤْوِی إِلَيْکَ مَنْ تَشاءُ أی تجعل لها الإيواء، بأن تقربها إلى نفسک، قالوا: «و قد نزلت هذه الآية، إثر إعراض النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنهن لما طالبن بغنائم خيبر، و أغلظن له فی القول، فقد خيره الله سبحانه، بين الابتعاد عن بعضهن و الاقتراب منهن» «۲» وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْکَ أی إن أردت أن تؤوی إليک امرأة ممن عزلتهن- حسب اختيارک- و تضمها إليک فلا جناح عليک فی ذلک ذلِکَ التفويض إلى مشيئتک فی الإرجاء و الإيواء أَدْنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَ أی يفرحن، فإن من فرح، قرت عينه،

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۲۰ ص ۲۴۴.

(۲) راجع مستدرک الوسائل: ج ۱۵ ص ۳۱۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۳۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج‌۴ ۳۹۹

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۲]

لا يَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ ما مَلَکَتْ يَمِينُکَ وَ کانَ اللَّهُ عَلى کُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً (۵۲)

و لم تضطرب هنا و هناک، ليجد ملجأ و مستقرا وَ لا يَحْزَنَ تأكيد لتقر أعينهن وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَ أی بالحكم الذی ساويت فيه جميعهن، لأنک إن رجحت بعضا على بعض، کان ذلک مثار سخط المرجوحة، أما إذا سويت بينهن كلهن، فی ذلک، و علمن أنک تنظر إليهن بنظرة واحدة رضين جميعهن وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِی قُلُوبِکُمْ خطاب عام، لكنه يراد به هنا الرسول و أزواجه، إذا وقع بينهما غضاضة، يوسوس الشيطان فی قلوبهن وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً بما فی قلوبكم، لأنه يعلم كل شیء حَلِيماً يحلم عنكم فيما تنوون و تعملون مما لا يرضاه.

[۵۳] لا يَحِلُّ لَکَ يا رسول الله النِّساءُ مِنْ بَعْدُ هذه الأصناف المذكورة فی الآيات المتقدمة وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ أی بهذه النساء مِنْ أَزْواجٍ بأن تطلق بعضهن، و تأخذ مكانها امرأة أخرى- كما هو ظاهر السياق، و قاله المفسرون- و وردت فی بعض الروايات أن المراد أن يأخذ مما حرمته الآية فی قوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ) «۱» «۲» و على هذا فالمراد تبديل نوع المحلل بنوع المحرم، لا تبديل الشخص بشخص آخر، و هناک قول آخر ذكره جوامع الجامع، قال: قيل أن

---

(۱) النساء: ۲۴.

(۲) مستدرک الوسائل: ج ۱۴ ص ۳۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۳۵۱

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۳]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِی النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِی مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِی مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِيماً (۵۳)

التبـدل المحرم، هو مـا كـان يفعـل فى الجاهليـة، يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك، و أبادلك بامرأتى، فينزل كل واحـد منهما عن امرأته لصاحبه، و

يحكى «أن عيينة بن حصين، دخل على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عنده عائشة من غير استئذان، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا عيينة أين الاستئذان؟

قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط منذ أدركت، ثم قال:

من هـذه الجميلـة إلى جنبك، فقال صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: هـذه عائشة بنت أبى بكر «و لعله قال الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك خوفا، من أن يظن به الظنون» قال عيينة: أ فلا أنزل لك من أحسن الخلق، فقال صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قد حرم ذلك، فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ فقال أحمق مطاع، و إنه على ما ترين لسيد قومه»

«۱»! وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْـنُهُنَ بأن توصف المرأة للرسول، فتقع فى قلبه لما وصف له من حسـنها، و هـذا ليس غريبا، فقد جرت العادة أن الآبـاء، أو من إليهم، يصـفون بنـاتهم أمـام العظماء للمشاورة فى أمر نكاحهن، أو نحو ذلك إِلَّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ بأن كانت أمـة، فإنها تحل لك، و لعل إتيان هـذه الجملة، مع أنها كانت مذكورة سابقا، لئلا يتوهم، أن «لا يحل لك النساء» قد نسخ ذلك الحكم السابق وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً مراقبا محافظا، فمن خالف له أمرا عاقبه و جازاه بما عمل.

[۵۴] و بمناسـبة ذكر الرسول، و بعض أحكامه العائلية، يأتى السـياق ليبين بعض الأحكام الخاصة به، و إن كان ذلك أدبا عاما بالنسـبة إلى سائر

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۲۳۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۲

الناس يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ و لعل هذا كان بمناسـبة دخول عيينة دار الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بـدون الاستئـذان، و على أى، فـدخول دار الرسول بحاجة إلى أن يأذن الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لكم إِلى طَعامٍ أى دخولاـ لطعام أضافكم الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم له غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ يقال أنى الطعام يأنى إذا بلغ النضـج فى الطبـخ، أى غير منتظرين نضـجه و طبخه، و المعنى لا تـدخلوا بيت الرسول بغير إذن و قبل نضج الطعام انتظارا لنضـجه، فيطول لبثكم و مقامكم عنده وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فى وقت الـدعوة، لاـ قبـل الوقت، كـأن يـذهبوا من الصـباح انتظـارا لطعـام الظهر فَإِذا طَعِمْتُمْ أى أكلتم الطعام فَانْتَشِرُوا أى اخرجوا و تفرقوا، فلا تبقوا بعد الطعام فى البيت اعتباطا وَ لا مُسْتَأْنِسِـينَ لِحَدِيثٍ عطف على «غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» أى فى حال كونكم لا تبقون بعـد الطعام تحـدثون ليؤنس بعضـكم بعضا بحـديثه إِنَّ ذلِكُمْ إشارة إلى ما نهى عنه فى هـذه الآيـة، من الدخول بغير استئـذان، أو الإسـراع فى الـذهاب قبل نضـج الطعام، و الجلوس بعـد ذلك متحـدثين، و «كم» للخطاب كانَ يُؤْذِي النَّبِيَ لأن له أعمالا تنافى جلوسـكم فيتأذى بجلوسكم، كما يتأذى بدخولكم داره بدون الإذن فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ فى أن يجابهكم بالإخراج، أو الزجر و النهى وَ اللَّهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۳

لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِ أى أنه سبحانه لا يترك إظهار الحق حياء،

نقل فى المجمع فى سـبب نزول الآيـة: «أن رسول الله صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنى بزينب بنت جحش و أولم عليها، قال أنس: أو لم عليها بتمر و سويق، و ذبح شاتا، و بعث إلى أمى أم سليم بحيس فى تور من حجارة، فأمرنى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أن أدعوا أصحابه إلى الطعام، فدعوتهم فجعل القوم يجيئون و يأكلون و يخرجون، ثم يأتى القوم، فيأكلون و يخرجون، قلت: يا نبى الله قد

دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه، فقال ارفعوا طعامكم، فرفعوا طعامهم، و خرج القوم و بقى ثلاث نفر يتحدثون فى البيت، فأطالوا المكث، فقام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قمت معه لكى يخرجوا، فمشى حتى بلغ حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع و رجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فنزلت الآية»

«۱». أقول: و إن كانت الآية خاصة، إلا أنها عامة المفاد، إذ ما اشتملت عليه أدب رفيع، بالنسبة إلى عدم الدخول بلا استئذان، و عدم الدخول قبل الوقت، و عدم المكث بعد الطعام، و لذا قال بعض العلماء: هذا أدب أدّب الله به الثقلاء وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ أى سألتم نساء النبى مَتاعاً أى شيئا تحتاجون إليه فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ بأن يكون فاصلا بين الرجل، و بين المرأة المسؤولة، و هذه الآية تفيد وجوب الحجاب، لعدم الخصوصية لنساء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و عدم الخصوصية فى سؤال المتاع ذلِكُمْ أى السؤال من وراء الحجاب أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَ إذ الرؤية مثار الخواطر الشيطانية

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۷۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۴

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۴]

إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (۵۴)

و الوساوس النفسية، و المراد الطهارة من الريبة و الشك و الوسوسة وَ ما كانَ لَكُمْ ايها المسلمون أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ أى لا يحق لكم أذاه بمخالفته أوامره، أو قصد سوء بالنسبة إلى نسائه بعد وفاته، و هذا توطئة و تمهيد لقوله تعالى وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ أى زوجات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مِنْ بَعْدِهِ أى بعد وفاته أَبَداً إلى آخر العمر، فلسن كسائر النساء، إذا انقضت العدة جاز نكاحهن إِنَّ ذلِكُمْ أى الإيذاء و نكاح الأزواج بعد وفاته كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً فى الإثم و العصيان،

فقد ورد أنه لما نزل قوله تعالى (وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) «۱» غضب طلحة، فقال يحرم محمد علينا نساءه، و يتزوج هو بنسائنا، لئن أمات الله محمدا لنركضن- أى نتحركن- بين خلاخيل نسائه، كما ركض بين خلاخيل نسائنا، فأنزل الله عز و جل «وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ».

[۵۵] إِنْ تُبْدُوا أى تظهروا أيها المسلمون شَيْئاً من هذه المنهيات على لسانكم، بأن تقولوا نتزوج نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أَوْ تُخْفُوهُ بأن تقصدوه فى صدوركم بدون إظهار فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً يعلم ظواهركم و بواطنكم، و سيجازيكم على ما اقترفتم من الآثام، و قد

---

(۱) الأحزاب: ۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۵

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۵]

لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (۵۵)

روى أن حكم تحريم زوجات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، جرى بعده فيمن لم يمسها الرسول، و لم يدخل بها.

[۵۶] و لما نزل قوله تعالى، «إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» قال الآباء و الأبناء و الأقارب، و نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب- يا رسول الله؟- فأنزل الله سبحانه لا جُناحَ عَلَيْهِنَ أى لا حرج على نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فِي عدم التستر من آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَ و يشملان الأجداد و الأحفاد وَ لا إِخْوانِهِنَ و لعله أعم من الأعمام و الأخوال، لأنهم إخوان الآباء و الأمهات وَ

لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَ فلا بأس لهن أن يراهن هؤلاء الرجال، فيما تعارف رؤيته وَ لا نِسائِهِنَ أى النساء المؤمنات، في قبال اليهودية و النصرانية، و المجوسية، و المشركة، فقد قالوا أنه لا يجوز التكشف لديهن، لأنهن يصفن لأزواجهن وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَ أي الوصائف المملوكات لهن، و إن كن غير مسلمات، فإنهن تحت السيطرة، و لا مجال لهن لينقلن للكفار محاسن نساء النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ اتَّقِينَ يا نساء النبي اللَّهَ بترك معاصيه، و الإتيان بطاعته إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً أي شاهد لا يغيب عنه شيء، فمن أطاع أو عصى علم بما فعل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۶

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۵۶ الى ۵۷]

إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (۵۶) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً (۵۷)

[۵۷] و لما كان الكلام حول تعظيم النبي و توقيره، و بعض أحكامه يأتي السياق ليبين تعظيم الله سبحانه له و الذي هو فوق كل تعظيم إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِ و الصلاة بمعنى العطف و اللطف، و من المعلوم أن صلاة الله على الرسول، رحمته و لطفه به، كما أن صلاة الملائكة عطفها و طلب رحمتها من الله له يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ باللفظ و العمل وَ سَلِّمُوا عليه تَسْلِيماً بلفظ السلام، و التسليم لأوامره،

سئل الكاظم عليه السّلام، ما معنى صلاة الله، و صلاة ملائكته، و صلاة المؤمن؟ قال: «صلاة الله رحمة من الله، و صلاة الملائكة تزكية منهم له، و صلاة المؤمنين دعاء منهم له»

«۱»، و

سئل الصادق عليه السّلام كيف نصلى على محمد و آله؟ قال: «تقولون صلوات الله و صلوات ملائكته و أنبيائه و رسله و جميع خلقه على محمد و آل محمد و السلام عليه و رحمة الله و بركاته»

«۲»، أقول: و الظاهر كفاية الصيغ المعهودة اللهم صل على محمد و آل محمد و سلم عليهم أو صلّى الله عليه و آله و سلّم، أو الصلاة و السلام عليك يا رسول الله، و على آلك الطاهرين، و أمثالها.

[۵۸] الناس مأمورون بالصلاة و السلام على الرسول، فما هو حال من يؤذي الرسول؟ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ بترك أوامره، و السعي في إطفاء نوره، و هدم أحكامه، و إيذاء أوليائه، فإن الله سبحانه منزه عن أن

---

(۱) تأويل الآيات: ص ۴۵۱.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۷ ص ۱۹۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۷

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۸]

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (۵۸)

يؤذي و لكن هذا من باب التشبيه وَ رَسُولَهُ و أذية الرسول، إما في جهة التشريع، كما لو سعى شخص في إبطال أحكام الرسول، و إما في جهته الشخصية كما يؤذي بعض الناس بعضا لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ بأن يبّعدهم عن الخير، و عذّبهم؛ أما في الدنيا فإنه (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) «۱» و أما في الآخرة، فإنه سبحانه يظهر لعنهم و البراءة منهم وَ أَعَدَّ لَهُمْ في الآخرة عَذاباً مُهِيناً يهينه و يذله عوض ما كان يؤذي، و

قد ورد في علي و فاطمة عليهما السّلام «إن من آذاهما فقد آذى الرسول، و من آذى الرسول، فقد آذى الله»

«۲».

[۵۹] وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ باعتبار كل واحد، كما قالوا فى البلاغة: إذا قيل باع القوم أمتعتهم بالقوم أريد به أن كل واحد باع متاعه بواحد منهم، و الأذية أعم من اللسانية و العملية بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا أى من غير أن يعمل المؤمنون و المؤمنات عملا يستحقون به الأذى، كما لو عملوا ما يستحق الجلد، أو الاغتياب، أو الإرداع فَقَدِ احْتَمَلُوا أى الذين يؤذون بُهْتاناً البهتان هو الكذب على الغير، و لعل تسمية الإيذاء بهتانا باعتبار، أن الإيذاء يظهر منه

---

(۱) طه: ۱۲۵.

(۲) راجع بحار الأنوار: ج ۱۷ ص ۲۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۸

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۵۹]

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۵۹)

الاستحقاق لمن يؤذى، و الحال أنه غير مستحق وَ إِثْماً مُبِيناً أى عصيانا ظاهرا، و من هذا يظهر أنه كان فى المدينة من يفعل ذلك بالنسبة إلى المؤمنين، و هذا غالبا فى كل أمة نامية، فإن هناك أفراد يتولون أذاهم منهم و من غيرهم.

[۶۰] و بمناسبة تقدم الحديث عن النساء و التنصيص على حجاب زوجات الرسول فى قوله «وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» يأتى السياق لنص عام على وجوب التحجب على كل امرأة يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ أى نسائك وَ بَناتِكَ فقد كانت للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاطمة عليها السّلام و لعل بعض بناته الأخر، كانت فى الحياة وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَ جمع جلباب، و هو ما كانت المرأة تجعل على رأسها، فقد أمرن، بأن يقرّبن الجلبات نحو أنفسهن، و هو الوجه و الرقبة و الصدر، فإن الجلباب، يدنى من هذه المواضع ذلِكَ الإدناء للجلباب ليكون لهن زىّ خاص أَدْنى أى أقرب إلى أَنْ يُعْرَفْنَ بأنهن عفائف نجيبات فَلا يُؤْذَيْنَ فإن عادة الفساق، دائما، حتى فى زماننا هذا أن يتعرضوا إلى المرأة المتبذلة بظهور وجهها و شعرها، أما إذا كانت متسترة عرفت بالستر و النجابة، و لم يتعرض لها الفساق وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً يغفر ما يصدر منهن، بدون تعهد و قصد، فإن المرأة مهما كانت محجبة، لا بد و أن يظهر بعض مفاتنها فى نادر الأوقات رَحِيماً يتفضل بالرحمة- فوق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۵۹

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۶۰]

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلاً (۶۰)

الغفران- على المطيعات، و إنما قال «من جلابيبهن» لأن المرأة ترخى بعض جلبابها، أقول: قد ذكر بعض المفسرين كلاما حول كون الآية، إنما هى بالنسبة إلى الحرائر، لا الإماء، لكن إطلاقها، و حكمة الإسلام فى الحجاب، بأن لا تمازح المرأة مهما كانت، ينفيان هذا التفصيل الذى لم يعلم وجهه، ثم أن الظاهر من الآيات و الروايات، لزوم الحجاب بستر الوجه، و قد كانت سيرة المسلمات، منذ زمانه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على هذا، و لذا استثنى وجه المرأة حالة الإحرام، إلى غير ذلك من الشواهد، حتى جاء الغربيون و انهزم أمامهم بعض المسلمين الأغراء، فقالوا: بأن الحجاب موجب لخنق المرأة، و عدم ازدهار الحياة، كل ذلك لإشباع الشهوات الدنيوية، و هناك وجدوا عملاء ينفذون الأوامر بالحديد و النار، حتى وقعت المرأة المسلمة ضحية هذه الأهواء، و لم تنج من هذه الكوارث، إلا زمرة قليلة من الصالحات، و الله غالب على أمره.

[۶۱] ثم هدد سبحانه الذين يؤذون الرسول و المؤمنين، و الذين كانوا يتعرضون للمؤمنات بأنهم إن لم يتركوا أعمالهم، أمر الرسول

بتأديبهم لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ أى لئن لم يمتنع المنافقون عن الإيـذاء و التعرض وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ و هو ضـعف إيمان، يسـبب أن يخالف بعض الأوامر، و إن لم يكن منافقا، فمثلا قد يكون الشخص يشرب الخمر، لأنه منافق، لا يعتقد بالرسول إطلاقا، و قد يكون معتقدا بالرسول، لكنه يجد الشرب، فيشرب لا النفاق، بل لعدم مبالاة وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ يقال أرجف إذا دبّر المكائد، و نشر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۴، ص: ۳۶۰

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۶۱ الى ۶۲]

مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا (۶۱) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (۶۲)

الأكـاذيب، لأـنه يوجب بعمله تزلزل النـاس و رجفهم، و المرجف يمكن أن يكون غير الأـولين، باعتبـار أنه يحب نشـر الأخبار، و تتبع الآثار، كما يشاهد الإنسان فى كل مجتمع هذه الألوان الثلاثة من الناس لَنُغْرِيَنَّكَ يا رسول الله بِهِمْ و الإغراء تسـليط الشخص على غيره ليؤذيه و يهينه و يعاقبه، يقال أغرت الحكومة الشرطة على فلان و بفلان، إذا أمرتهم بمعاقبته و مطاردته، و المراد نسلطك يا رسول الله عليهم، و نأذن لك فى عقابهم ثُمَ إذا أغريناك بهم، لم يطيقوا العقاب، و صاروا مضـطرين للهروب من المدينة لا يُجاوِرُونَكَ فِيها أى لا يبقون بجوارك فى المدينة إِلَّا قَلِيلًا أى زمانا قليلا.

[۶۲] ثم بيّن بعض أنواع الإـغراء بقوله مَلْعُونِينَ أى فى حـال كونهم يلعنون و يطردون أَيْنَمـا ثُقِفُوا أى فى كـل مكان وجـدوا أُخِـذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا فلاـ يبقى أحـد منهم سالما من الطرد و القتل، و الإتيان بباب التفصـيل- الـدال على التكثير- باعتبار قتلهم جميعا، و إبادتهم كل فرد فرد.

[۶۳] سُنَّةَ اللَّهِ منصوب على المصـدر أى سن الله ذلك سـنة، و المراد أن أخذ المنافقين المرجفين و أمثالهم من سـنن الله و طرائقه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ أى مضوا سابقا فقد كان سـبحانه يأمر الأنبياء بمطاردة المنافقين و المرجفين وَ لَنْ تَجِدَ يا رسول الله لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا فإنه سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۴، ص: ۳۶۱

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۶۳ الى ۶۵]

يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً (۶۳) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (۶۴) خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۶۵)

يسنّ الطريقة الصالحة للناس، و يستمر عليها فلا يغيرها، و لا يبدلها.

[۶۴] و إذ بيّن سـبحانه، ما أعـد للكافرين و المنافقين، الذين يؤذون الله و رسوله و المؤمنين فى الدنيا من اللعنة و الطرد و القتل، عطف السياق، نحو ما أعدّ لهم فى الآخرة، مع ذكر ما يرتبط بذلك من وقت القيامة، فإنها لما كانت بعيدة عن الأذهان، كانوا يكثرون السؤال عنها، فقال سبحانه يَسْئَلُكَ يا رسول الله النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ أى القيامة؟

قُـلْ يـا رسول الله لهم إِنَّمـا عِلْمُهـا أى العلم بوقت وقوعها عِنْـدَ اللَّهِ سـبحانه، فهو وحـده يعلم وقتها وَ ما يُـدْرِيكَ أىّ شـىء يـدريك و يعلمك يا رسول الله عن وقت قيامها، و هـذا كناية عن أنك لا تدرى لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً فإن الشـىء المجهول وقته يحتمل قربه و بعده، و هذا تسلية للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما هو تهديد للكفار.

[۶۵] إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ أى بعـدهم عن الخير، فإن اللعن بمعنى الطرد، و التبعيـد عن الخير وَ أَعَدَّ لَهُمْ فى الآخرة سَعِيراً نارا تسعر و تلتهب.

[۶۶] فى حـال كونهم خالِـدِينَ فِيهـا أى فى النار، فلا يزولون عنها، و لا تزول عنهم أَبَـداً دائم الزمان لا يَجِـدُونَ وَلِيًّا يلى أمورهم حتى يخلّصهم من النار وَ لا نَصِيراً ينصرهم على الله سبحانه و على عذابه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۴، ص: ۳۶۲

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۶۶ الى ۶۸]

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولا (۶۶) وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (۶۷) رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (۶۸)

[۶۷] ذلك الإعداد و الخلود إنما هو، فى يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ التقليب، تصريف الشيء فى الجهات، فإن أهل النار ينقلون وجوههم فى الجهات الست، تخلصا من الحرّ و تطلبا للنجاة، كالذى يقع فى مشكلة كيف يقلب وجهه هنا و هناك ليجد ملاذا و معاذا يَقُولُونَ بتأسف و تمنى يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ فيما أمرنا وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا فى الدنيا حتى لا نبتلى بهذا العذاب المقيم.

[۶۸] وَ قالُوا أى الأتباع الذين اتبعوا رؤساءهم الكافرين، يا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا فى الكفر و العصيان سادَتَنا جمع سيد، و هو كبير القوم وَ كُبَراءَنا جمع كبير، و كأن السيّد أجلّ قدرا من الكبير، أو المراد بالكبير، الأكبر سنا، و بالسيد الأعلى رتبة فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا أى حرّفوا بنا عن الطريق.

[۶۹] رَبَّنا آتِهِمْ أى اجعل لهم ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ أى نصيبين نصيبا لضلالهم، و نصيبا لإضلالهم إيانا، و هم يريدون بذلك الانتقام منهم، حيث أوقعوهم فى هذه المشكلة العظيمة وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً أى اطردهم من رحمتك طردا كبيرا حتى يبتعدوا عن رضاك بعدا زائدا، و هذا بالنسبة إلى العذاب الروحى، و الأول بالنسبة إلى العذاب الجسمى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۳

[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۶۹ الى ۷۱]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (۶۹) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (۷۰) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (۷۱)

[۷۰] و حيث تقدم أذى بعض المسلمين للرسول كما قال سبحانه «إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ» صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عطف السياق عليهم ناهيا و مؤدّبا فى مثال و قصة عن الأمم السابقة، ليكون أدخل فى الذهن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا فى إيذائكم للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى النبى عليه السّلام فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا أى أظهر الله براءته عليه السّلام، مما قال فيه بنو إسرائيل على وجه الإيذاء له وَ كانَ موسى عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً أى ذا جاه و عظمة، فلم يكن يتركه نهب أذى بنى إسرائيل،

فقد ورد عن على عليه السّلام «أن موسى و هارون صعدا الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل أنت قتلته، فأمر الله الملائكة فحملته، حتى مروا به على بنى إسرائيل، و تكلمت الملائكة بموته، حتى عرفوا أنه قد مات، و برأه الله من ذلك»

«۱».

[۷۱] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ خافوا عقابه، و امتثلوا أوامره و نواهيه وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً أى تكلموا بالصواب، لا بالإيذاء، و الإفساد.

[۷۲] فإنكم إن فعلتم ذلك يُصْلِحْ لَكُمْ الله أَعْمالَكُمْ باللطف عليكم حتى تستقيموا، فإن الإنسان إذا واظب مدة على الطاعة، و ضبط النفس، استقامت أعماله عن الانحراف و الزيغ و الفساد وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۳ ص ۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۴

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۷۲]

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً (۷۲)

السابقة، فإن الحسنات يذهبن السيئات وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فيما يأمران به و ينهيان عنه فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً أى أفلح أعظم أقسام الفلاح، فإنه يفوز بخير الدنيا و سعادة الآخرة.

[۷۳] إن الإيمان أمانة فى عنق الإنسان، يجب عليه أن يردّ هذه الأمانة سالمة، بلا أن يشوبها، بخيانة الكفر و العصيان، و لقد كانت هذه الأمانة ثقيلة، بحيث أن أضخم المخلوقات لا تتحمل أن تقبلها، أما الإنسان الضعيف، فقد قبلها، لكنه يخون بها لظلمه و جهله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ أمانة الإيمان عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ ليقبلوها، بأن توضع عندها أمانة الإيمان فيتحفظون عليها فَأَبَيْنَ هذه الأشياء و امتنعن أَنْ يَحْمِلْنَها أى يحملن الأمانة و يقبلنها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها أى خفن إن قبلوا الأمانة أن يخونوا فيها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ قبلها لما عرضت عليه لكنه هل يؤدى الأمانة كما قبل؟ كلا إِنَّهُ أى أن الإنسان كانَ ظَلُوماً كثير الظلم جَهُولًا كثير الجهل، فتارة يخون فيها لجهله، و أخرى يخون فيها لعصيانه، و هذه الآية كناية عن صعوبة التحفظ على الإيمان، فقد اعتاد البلغاء أن يشبهوا الأشياء المعنوية بالأمور الحسية، للتقريب من الذهن،

قالت فاطمة عليها السّلام

صبت علىّ مصائب لو أنها* صبت على الأيام صرن لياليا

«۱»

(۱) بحار الأنوار: ج ۷۹ ص ۱۰۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۵

[سورة الأحزاب (۳۳): آية ۷۳]

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۷۳)

و قال الشاعر:

و لو أن ما بى من شديد رزيةعلى جبل قد ساخ فى الأرض ذاهبا

و قال:

لو كان فى الجبل الأصم سرورهرقصت له أحجاره البرش

و يحتمل بعيدا أن يكون الكلام على الحقيقة- لا المجاز- بأن عرضت الأمانة على هذه الأشياء، هل يقبلنها؟ فأبين، قال فى الصافى: المراد بالأمانة التكليف، و بعرضها عليهن النظر إلى استعدادهن و بإبائهن الإباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة و الاستعداد، و بحمل الإنسان قابليته و استعداده لها و كونه ظلوما جهولا، لما غلب عليه من القوة الغضبية و الشهوية، و هو وصف للجنس باعتبار الأغلب «۱»، أقول: و على هذا المعنى، فما ورد فى الأحاديث من كونها ولاية على عليه السّلام، أو نحوها، فالمراد بيان بعض المصاديق.

[۷۴] و إنما عرض سبحانه على الإنسان ليقبلها- فإن حمل الإنسان لها- لم يكن إلا بعد العرض و القبول، و ليجرى الامتحان، و يصح الثواب و العقاب، كما يقول مدير المدرسة: إنما جعلت الامتحان لأرفع الناجحين و أطرد الراسبين لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ و إنما قدمهم على المشركين، لأن الكلام فيهم، حيث كانوا يؤذون

(۱) تفسير الصافى: ج ۴ ص ۲۰۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۶

الرسول و يرجفون وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ الذين ضيعوا الأمانة بالكفر و العصيان وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ فإنهم حين كانوا كفارا- قبل الإسلام- كان الله معرضا عنهم، فإذا قبلوا الإيمان، و قاموا بشرائطه تاب الله- أى رجع سبحانه بلطفه- عليهم وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً للذنوب رَحِيماً يتفضل على المؤمنين بسابغ نعمه، علاوة على غفرانه ذنوبهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۷

۳۴ سورة سبأ مكيّة/ آياتها (۵۵)

سميت السورة بهـذا الاسم لاشـتمالها على لفظ «سبأ» و قصـة القوم الـذين كانوا ساكنين فيها، و هى بلدة فى يمن، و هى كسائر السور المكيـة- غالبـا- مشـتملة على أصول العقيـدة، و بعض القصـص التى تقوى هـذا الجـانب، و لما ختم الله سـبحانه سورة الأحزاب بعاقبة الكافر و المؤمن، بدأ هذه السورة، بأن له تعالى، ما فى الكون ابتداء و إعادة.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ نستعين بـاسم الله سـبحانه المتجمع لجميع الكمالات، فإن الله علم للـذات الواجب وجوده المتجمع لجميع الكمالات، و هذا هو سـر تخصـيص اسم الله بالتقديم، و الاستعانة باسمه، لا به، تعظيما و تأدبا، كأن الله سبحانه أجل من أن يستعان به، بل اللازم أن يستعان باسمه، و ذكر صفة الرحمة لأنها أكثر الصفات احتياجا، كما قال سبحانه «و لذلك- أى للرحم- خلقهم».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۸

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۱ الى ۲]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (۱) يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (۲)

[۲] الْحَمْـدُ لِلَّهِ أى أن جنس الحمـد له سـبحانه، إذ جميع المحامـد راجعة إليه الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ «له» بالخلق، و الملك و التربية، و غيرها، و المراد الظرف و المظروف، و إنما يذكر أحدهما تغليبا و اختصارا وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ كما له الحمد فى الأولى، و المعنى أنه يستحق الحمد هنا و هناك، لما يولى عباده من الجميل فى الدارين، و لذا يقول أهل الجنة «الحمد لله الذى هدانا لهـذا» و «الحمـد لله الذى صدقنا وعده» «۱» وَ هُوَ الْحَكِيمُ فى جميع أفعاله، و الحكمـة هى وضع الأشـياء مواضـعها اللائقـة بها تكوينا و تشريعا، فمن يصنع عبثا أو يأمر عبثا لم يكن حكيما الْخَبِيرُ العالم المطلع على الأشياء، فكل ما يعمل إنما هو عن علم و حكمة.

[۳] يَعْلَمُ سبحانه ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ الولوج الدخول، أى يعلم ما يدخل فى الأرض، من مطر، أو كنز أو ميت، أو حبة، أو ماء، أو مائع، أو غيرها وَ ما يَخْرُجُ مِنْها من زرع، أو عين، أو نبات، أو جواهر، أو حيوان، أو غيرها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ من مطر أو رزق، أو ملك أو شيطـان، أو جسم كالنيـازك أو طير، أو غيرهـا وَ مـا يَعْرُجُ أى يصـعد فِيهـا أى فى السـماء من ملـك، أو شـيطان، أو طير، أو عمـل، أو نحوها، فإن المراد بالسماء جهة العلو وَ هُوَ الرَّحِيمُ

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۱۹۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۶۹

[سورة سبإ (۳۴): آية ۳]

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۳)

بعباده، و سائر خلقه الْغَفُورُ يغفر ذنوبهم و يستر عيوبهم.

[۴] فالكون إذن كله بيـده، و رهن إشارته، و بقـدرته سـبحانه، جعل المعاد، كما بقـدرته خلق الخلق وَ مع ذلك يرى الناس من ابتـداء الخلقـة قـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا و أنكروا البعث لاـ تَأْتِينَا السَّاعَـةُ من باب السالبـة بانتفاء الموضوع، يعنى لا قيامـة أصـلا حتى تأتينا قُلْ لهم يا رسول الله بَلى تـأتيكم وَ رَبِّي أى و حق الله الـذى أوجـدنى و خلقنى لَتَأْتِيَنَّكُمْ القيامـة بكل تأكيـد، و ليس الحاكم هناك كالحكام هنا أناسـا لاـ يعلمون مـا صـدر من المحكومين، بـل الحـاكم هنـاك عـالِمِ الْغَيْبِ يعلم كـل ما غاب عن الحواس، فكيف بالأشـياء الظاهرة

البارزة؟

لاـ يَعْزُبُ عَنْهُ الغروب، كـالغروب لفظا و معنى، أى لاـ يفوته مِثْقالُ ذَرَّةٍ أى ما كان فى الثقل بقـدر الـذرة، و هى الهباءة، التى ترى إذا دخلت الشـمس فى مكان مظلم من كوّة صغيرة فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ فإنه عالم بكل ذلك وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ من مثقال ذرة وَ لاـ أَكْبَرُ منه إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ أى كتـاب واضـح لـديه سبحانه، و هـذا كنايـة عن علمه بـذلك كله مع تفنن فى تعبير العلم ب- لا يغرب- مرة، و ب- فى كتاب- أخرى، و المراد بالكتاب إما اللوح، أو علمه سبحانه تشبيها، أو ما يكتبه الملائكة الحفظة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۰

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴ الى ۶]

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۴) وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (۵) وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (۶)

[۵] و إنمـا تـأتى الساعـة، و تقوم القيامـة لِيَجْزِيَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بمـا يسـتحقونه من الإيمـان بـالله، و العمل الصالح حسب أمره أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم، و «مغفرة» مصدر ميمى بمعنى الغفران وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ و المراد بالرزق كل نعمة ينعم الإنسان بها من جنة، و مأكل و غيرها، و المراد بالكريم كونه خاليا عن الفساد، و الأذية، أو أنه مع كرامة و تعظيم.

[۶] و ليجزى الـذين كفروا و عملوا السيئات بما يستحقونه من العـذاب وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا أى عملوا بجهدهم فى إبطال آياتنا و حججنا مُعاجِزِينَ فى حال كونهم مريـدين أن يعجزونا، فلا نتمكن من إظهار الـدين و نشـره فى الآفاق، و إنما جىء من باب المفاعلة، لأن كلّا من الطرفين، يريد تعجيز الآخر عن تنفيذ مبدئه و مرامه أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ و هو العذاب السيئ أَلِيمٌ مؤلم موجع.

[۷] إن الكفـار يرون أن القرآن باطـل و أن الرسـول ليس بحق، و لـذا يسـعون لإحبـاط عمله و تعجيزه عن القيـام بمهمته وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ أى أعطـوا العلم بـالله، و بالحقـائق، و المراد العلمـاء الـذين يـدركون الأشـياء الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مفعـول «يرى» و المراد به «القرآن» مِنْ رَبِّكَ متعلق بالذى، و من تتمة المفعول الأول هُوَ الْحَقَ مفعول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۱

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۷ الى ۸]

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (۷) أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ (۸)

ثان، ليرى أى أنهم يرون و يعلمون، أن القرآن حق من جانب الله سبحانه، و ليس مختلفا، كما يقول الكفار وَ يرون أنه يَهْدِي و يرشد إِلى صِراطِ الله الْعَزِيزِ الغالب سلطانه الْحَمِيدِ الذى هو محمود فى جميع أفعاله، فهو من قبل مالك السماوات و الأرض، و إنه للصلاح و الرشاد، إذ منزله الله الحميد الذى يستحق الحمد بكل ما يفعل- لحسنه و كونه صلاحا-.

[۸] لقـد ألمع إلى التوحيـد و الرسالـة و القرآن، ثم جـاء دور المعـاد وَ قـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بـالله و أنكروا المعاد، قال بعضـهم لبعض هَلْ نَدُلُّكُمْ و نرشدكم و نريكم عَلى رَجُلٍ يعنون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يُنَبِّئُكُمْ و يخبركم أنه إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ أى متم و صرتم أجزاء ممزقة مقطعة بعضها عن بعض، بجميع أنواع التمزيق إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أى يقول لكم إنكم تخلقون بهذه الصورة من جديد، حتى تكونوا كما كنتم؟ و قد كان هذا استفهاما استهزائيا، يريدون بذلك استبعاد الأمر.

[۹] ثم أخذوا يرددون بين أنفسـهم، و ينسـبون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى هذه الأمور أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أى هل أنه فى كلامه هـذا مفترى على الله، فـالله سـبحانه لم يبعثه، و لم يقـل له ذلـك، و إنما هو ينسب إلى الله ذلك كـذبا؟ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ أى جنون، و يسمى زوال العقل جنونا لأن المرض يستر العقل؟ و مرادهم أنه لا يخلو أن يكون إما عاقل كاذب، أو مجنون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۲

[سورة سبإ (۳۴): آية ۹]

أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (۹)

لا يشعر ما يقول، ثم رد الله سبحانه عليهم بأنه صادق عاقل، فليس الأمر كما قالوا بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ المتعجبون من قول الرسول فِي الْعَذابِ هناك وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ هنا، فقد أثبت لهم أمرين، كما أنهم أثبتوا للرسول أحد أمرين، و المراد أن ضلالهم و انحرافهم عن الطريق بعيدا جدا، لا كالعاصى الذى هو ضال، و لكنه قريب إلى الطريق.

[۱۰] إنهم كيف يستبعدون المعاد، و هم يرون الخلق العظيم أمامهم من قدرة الله، و هم يعلمون أنه سبحانه إن يشأ أن يعذبهم لتمكن من ذلك؟ فمن له قدرة على ذلك، كيف لا يكون له اقتدار على إعادة الأجساد؟ أَ فَلَمْ يَرَوْا هؤلاء الكفار، و الاستفهام إنكارى إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أى ما فى قدامهم وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ المحيطة بهم، و الإتيان بهذين الجانبين كناية عن الإحاطة، فإن الإنسان مهما نظر أمامه، أو خلفه رأى السماء الرفيعة، و الأرض المنبسطة إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ بأن تفور الأرض، و هم عليها فى الأعماق أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً أى قطعا، جمع كسفة بمعنى القطعة، أى نسقط عليهم قطعات مِنَ السَّماءِ لتهلكهم، فإن الأنجم أراضى كبيرة وسيعة ربما بلغت بعضها أكثر من مليون مرة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۳

[سورة سبإ (۳۴): آية ۱۰]

وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (۱۰)

كبرا من الأرض، فإذا شاء سبحانه أسقط على البشر قطعا منها حتى تهلكهم إِنَّ فِي ذلِكَ الذى يرون من السماء و الأرض، و ما يعلمون من قدرتنا على إهلاكهم بالخسف أو الإسقاط لَآيَةً دليلا واضحا على قدرة الله سبحانه على بعث الإنسان بعد موته لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ قد أناب- أى رجع- إلى الله سبحانه عن كفره و عصيانه، فإنه هو الذى يستفيد بهذه الآية، أما الكافر العاصى، فلا يستفيد منها، بل يزداد عنادا و عتوا.

[۱۱] و كيف ينكر هؤلاء قدرتنا، و قد كان لبعض عبيدنا قدرة هائلة، فداود كان يتصرف فى الجبال و الحديد، و سليمان كان يتصرف فى الهواء و يسخر الجن؟ و لعل الأمر كان معروفا لدى كفار مكة، بواسطة إخبار أهل الكتاب لهم، فكان من الممكن الاستدلال لعظيم القدرة، بما يصدر من هؤلاء الأنبياء العظام وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا داوُدَ النبى عليه السّلام مِنَّا من طرفنا، لا بكسب كسبه أو علم يعلمه فَضْلًا زيادة على سائر الناس من الإنعام و الإكرام، فقد قلنا للجبال يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ «آب» بمعنى رجع، أى ارجّعى صوت التسبيح مع داود، فكان إذا سبّح عليه السّلام، سبّحت الجبال معه وَ الطَّيْرَ أى يا طير أرجع مع داود فى التسبيح، فقد كان داود عليه السّلام، إذا مرّ بالبرارى يقرأ الزبور، و تسبح الجبال و الطير معه، و الوحوش، و إنما قال «أوّبى» لأنها كانت كالطفل الذى يرجع الصوت بعد سماعه وَ أَلَنَّا من ألانه لَهُ الْحَدِيدَ أى كان الحديد لينا فى يده كالشمع، فكان يعمل منه الدروع.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۴

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۱۱ الى ۱۲]

أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۱۱) وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (۱۲)

[۱۲] و قد قلنا لداود عليه السّلام أَنِ اعْمَلْ بالحديد دروعا سابِغاتٍ جمع سابغة، بمعنى التامة الوسيعة، و منه سبوغ النعمة بمعنى وسعتها وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ أى عدّل فى نسج الدروع، فإن السرد هو نسج الدرع مأخوذ من سرد فى الكلام إذا تابع بعض جمله بعضا، و المراد بالتقدير جعل حلق الدرع متناسبة بقدر و شبه، فلا تكون بعضها وسيعة، و بعضها ضيقة،

روى عن الصادق عليه السّلام «أن الله أوحى إلى داود، نعم العبد أنت، إلا أنك تأكل من بيت المال، فبكى داود أربعين صباحا، فألان الله له الحديد، و كان يعمل كل يوم درعا، فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة و ستين درعا، فباعها بثلاثمائة و ستين ألفا، فاستغنى عن بيت المال»

«۱» وَ اعْمَلُوا خطاب لداود و آله صالِحاً أى عملا صالحا، و المراد به الجنس إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أرى أعمالكم فأجازيكم عليها.

[۱۳] وَ سخرنا لِسُلَيْمانَ بن داود عليه السّلام الرِّيحَ فكان يجلس على بساط، فتحمله الريح، فإن الشيء إنما يسقط، لأن الهواء و الريح تنخرق من تحته، أما كبت الهواء بعضه فى بعض كالهواء المكبوس فى الزق، لم تنخرق حتى يسقط ما يعلوها غُدُوُّها أى حركة الريح فى الغدوة، و هو الصباح شَهْرٌ فإذا تحركت بسليمان صباحا، سارت به مقدار ما يسير الإنسان فى مدة شهر هلالى وَ رَواحُها شَهْرٌ أى

---

(۱) تهذيب الأحكام: ج ۶ ص ۳۲۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۵

[سورة سبإ (۳۴): آية ۱۳]

يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (۱۳)

و كانت تسير بسليمان عصرا، مقدار شهر من الزمان، فكانت فى كل يوم تسير مقدار شهرين وَ أَسَلْنا من الإسالة بمعنى الإذابة، حتى يكون للشيء سيلان كالمائعات لَهُ أى لسليمان عليه السّلام عَيْنَ الْقِطْرِ أى أذبنا له عين النحاس، و المراد بالعين معدنه حتى يتمكن من استعماله فى الظروف و الأوانى، و ما أشبه من الأشياء النحاسية وَ سخرنا لسليمان عليه السّلام مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ كالعبد المطيع بِإِذْنِ رَبِّهِ فقد أمر الله سبحانه الجن، أن تكون مسخرة بأمر سليمان تعمل فى حوائجه وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ من زاغ إذا انحرف و عصى، أى من كان يعصى من الجن عَنْ أَمْرِنا الذى أمرناهم به من إطاعة سليمان، فلم يكن يطيعه فيما يأمر نُذِقْهُ أى نذق ذلك الجن العاصى مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ أى عذاب الدنيا، بأن كان سليمان يؤدبه، و سمى سعيرا تشبيها، أو من عذاب النار فى الآخرة، و سمى سعيرا، لاستعار النار و اشتعالها.

[۱۴] يَعْمَلُونَ أى الجن لَهُ أى لسليمان عليه السّلام ما يَشاءُ صنعه و عمله مِنْ مَحارِيبَ جمع محراب، و لعل المراد بها المساجد، و إنما سمى محرابا، لأنه محل المحاربة مع الشيطان و النفس وَ تَماثِيلَ جمع تمثال، و هو الشيء المصنوع، من معدن، أو طين، أو حجر، أو خشب، شبه شيء آخر، كتماثيل القصور و الأشجار و الأنهار و غيرها،

قال الصادق عليه السّلام «و الله ما هى تماثيل الرجال و النساء، و لكنها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۶

الشجر و شبهه»

«۱» وَ جِفانٍ جمع جفنة، و هى جفنة الطعام كَالْجَوابِ أصله «الجوابى» جمع «جابية» كالروابى جمع رابية، و المراد بها الحياض الكبار، و سمى الحوض جابية لأنها تجمع فيها الماء، و منه يسمى الذى يجمع الضرائب و الأموال «جابى» و إنما كانوا يصنعون له مثل هذه الظروف الكبار، حتى تصلح لطعام جيش سليمان عليه السّلام، و قد قال بعض: أنه كان يجتمع حول كل جفنة ألف رجل يأكلون منها وَ قُدُورٍ جمع قدر، و هو ما يطبخ فيه الطعام راسِياتٍ جمع راسية بمعنى الثابتة فى الأرض، فإن القدر الكبير، الذى يراد دوام الطبخ فيه، يبنى فى الأرض، حتى لا يزول، و لا يتحرك، و قلنا لسليمان، و سائر أهل بيته اعْمَلُوا آلَ داوُدَ أى يا آل داود شُكْراً فإن الشكر قد يكون بالقلب، و هو أن يعترف الإنسان فى قلبه، بأن الإحسان من الله سبحانه، و قد يكون باللسان؛ كأن يقول «الشكر لله» و قد يكون بالعمل بأن يصلى و يصوم، و يأتى، بسائر الواجبات، و يترك سائر المحرمات، فإن الشكر هو المظهر للجميل الاختيارى، الذى يأتى به أحد تجاه الإنسان وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ «الشكور» صفة مشبهة، بمعنى من تكرر منه الشكر، أى أن العباد الشاكرين لله، فيما أنعم

عليهم قليلون، و كأن الإتيان بهذه الجملة لتأكيد أن يشكروا، فإن الإنسان إذا علم قلة من على شاكلته فى أمر قوى عزمه للعمل أكثر ممن يعلم كثرة أعوانه و أمثاله.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۷۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۷

[سورة سبإ (۳۴): آية ۱۴]

فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (۱۴)

[۱۵] و قد استمر سليمان فى ذلك الجلال و الملك، حتى جاءه الموت فَلَمَّا قَضَيْنا أى حكمنا عَلَيْهِ أى على سليمان عليه السّلام الْمَوْتَ كان قد اتكى على عصاه فى قبة، و هو ينظر إلى الجن كيف يصنعون له، إذ حانت منه التفاتة، فإذا هو برجل معه فى القبة، ففزع منه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذى لا أقبل الرشا، و لا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبض روحه، و هو متكئ على عصاه، فمكثت الجن، تدأب فى العمل، و لما كانوا رأوا من سليمان العجائب، ظنوا أنه واقف، و لكنه لا يتحرك لحكمة و علة، حتى بعث الله عز و جل الأرضة، ف ما دَلَّهُمْ أى أرشدهم و أعلمهم عَلى مَوْتِهِ أى موت سليمان عليه السّلام إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ أى الأرضة، فأخذت تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ و تنخر فيها، فوقع سليمان على الأرض، و قد كان آصف وصيه يدبّر أمر الملك فى مدة موته و اتكائه فَلَمَّا خَرَّ أى فلما سقط سليمان، بعد ما وهت عصاه، بفعل الأرضة فتكسرت، لثقل جسم سليمان عليها تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أى علمت الأجنة، و إنما أوتى بالفعل مؤنثا، باعتبار أن المراد ب «الجن» الجنس، فهى بمعنى الجماعة أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ أى ما غاب عن الحواس- فقد كانت الجن تزعم، أنها تعلم الغيب، لما كانت تعلم بعض ما لا يعلمه الإنس من الأشياء البعيدة الخفية- ما لَبِثُوا و بقوا تلك المدة التى مات فيها سليمان متكئا على عصاه فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ أى فى شدة العمل و تعبه الذى يهينهم و يذلّهم فإن العمل كان عذابا عليهم، و شدة لهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۸

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ (۱۵) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (۱۶)

[۱۶] و إذ تمت قصة داود و سليمان عليما السّلام أتى السياق، لبيان قصة قوم سبأ، و ما وصلت إليه حالتهم لأجل كفرانهم للنعمة، فى مقابل ما سبق من قصة داود و سليمان، و آلهما، و ما وصلت إليه حالتهم لأجل شكرهم للنعمة لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ أى لتلك القبيلة المسماة باسم سبأ، التى كانت تسكن فى جنوبى اليمن، كان لهم فى محل سكناهم آية دالة على لطف الله و فضله، فقد ارتقى القوم، فى مراقى الحضارة، حتى تمكنوا أن يصنعوا من بعض الجبال، خزانا كبيرا من الماء، بإقامة سدّ، يسمى «سد مأرب» أمام الماء، فكان يسقى أراضيهم، حتى أن المار إليهم، يرى فى الطريق بساتين متصلة، و قد فسر سبحانه «آية» بقوله جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ أى يمين الماء و شماله، و قيل لهم كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ الأمر للإباحة، أى أبحنا لكم هذا الرزق الطيب العميم وَ اشْكُرُوا لَهُ أى لله سبحانه، فبلدتكم بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ كثيرة الفواكه و الأرزاق طيبة الماء و الهواء وَ رَبٌّ غَفُورٌ أى أن إلهكم إله يغفر الذنوب، و يستر العيوب.

[۱۷] فَأَعْرَضُوا عن الدين، و انحرفوا فى طرق الضلال فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ واحدهما عرمة مأخوذة من عرامة الماء، و هى ذهابه كل مذهب، أى السيل العظيم الشديد، و قد قال بعض المفسرين: «إن الماء كان يأتى أرض سبأ، من أودية اليمن، و كان هناك جبلان، يجتمع ماء المطر و السيول بينهما، فسدوا ما بين الجبلين، فإذا احتاجوا إلى الماء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۷۹

[سورة سبإ (۳۴): آية ۱۷]

ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ (۱۷)

نقبوا السدّ، بقدر الحاجة، فكانوا يسقون زروعهم و بساتينهم، فلما كذبوا رسلهم، و تركوا أمر الله، بعث الله جرذا نقب ذلك الردم، و فاض الماء عليهم، فأغرقهم» «۱» وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ أى عوضا عن الخصب الذى كان لهم المكنى عنه بالجنتين عن اليمين و الشمال جَنَّتَيْنِ من شكل آخر، و هذا من باب الازدواج فى الكلام نحو، (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ) «۲» ذَواتَيْ تثنية ذات أُكُلٍ خَمْطٍ «أكل» اسم للثمرة مهما كانت، و «خمط» كل شجر له شوك، و المراد مرّ بشع، و ذلك شجرة أم غيلان، التى تنبت فى الصحارى القاحلة وَ أَثْلٍ الطرفاء وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ هو النبق قَلِيلٍ فقد كان الخمط و الأثل، أكثر منه، و هذا دليل على عدم الماء و الزرع و الحضارة، حتى بقيت الصحارى يباسا، لا تنبت، إلا نباتات الصحراء، التى لا ينتفع بها إلا قليلا.

[۱۸] ذلِكَ السيل العرم و التبديل جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا أى بسبب كفرهم وَ هَلْ نُجازِي بمثل هذا الجزاء السيئ إِلَّا الْكَفُورَ استفهام معناه النفى، أى لا نجازى بمثل هذا الجزاء إلا لمن كفر النعمة، و لم يشكر.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۲۱۰.

(۲) البقرة: ۱۹۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۰

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۱۸ الى ۱۹]

وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (۱۸) فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (۱۹)

[۱۹] وَ قد كان من قصة قوم سبأ، قبل أن يكفروا النعم، أن جَعَلْنا بَيْنَهُمْ أى بين بلادهم فى اليمن وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا أى الشام التى باركنا فِيها مبعث الأنبياء عليهم السّلام، و طيب الهواء و كثرة الزراعة و الفواكه قُرىً ظاهِرَةً أى متظاهرة متواصلة فى عرض الطريق، فقد كان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام، و كانوا يبيتون بقرية، و يقيلون بأخرى، حتى يرجعوا فى أمن و دعة و سلام، و كانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادى سبأ إلى الشام، و كانت القرية ترى من القرية التى قبلها لظهور بعضها على بعض و قرب أحدها من الأخرى وَ قَدَّرْنا فِيهَا أى فى تلك القرى السَّيْرَ أى جعلناه مقدرا ممكنا للأمن و السلامة، و سهولة الطريق، أو المعنى كان بين كل قرية و قرية بقدر مسير نصف يوم، و قلنا لهم سِيرُوا فِيها أى فى هذه الطريق أو فى تلك القرى لَيالِيَ وَ أَيَّاماً فلا خوف، و لا صعوبة سواء سرتم ليلا أو نهارا آمِنِينَ من كل خطر و نصب، و جوع و عطش.

[۲۰] و لكنهم لم يشكروا هذه النعم العظيمة، و لم يسمعوا كلام الله و أوامره، بل بغوا و بطروا فَقالُوا يا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا فقد مللنا من الأسفار القصيرة بين القرى المتقاربة التى لا- يرى فيها الصحراء، و لا- نتمكن من ركوب الرواحل، و تجهيز القوافل، فإنا نريد الصحارى القاحلة «لنلتذ لذة السفر»، و هذا كما بطرت اليهود النعمة فقالوا:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۱

[سورة سبإ (۳۴): آية ۲۰]

وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲۰)

(يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثَّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها) «۱» وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بارتكاب الكفر و المعاصى، فأخذناهم بكفرهم فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم و شأنهم و يضربون بهم المثل، فيقولون «تفرقوا أيادى سبأ» إذا أرادوا أن يبينوا تشتت جماعة أكبر تشتت وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ أى فرقناهم كل تفريق، و ذلك تشبيه بالثوب الذى يمزق فى مختلف جوانبه،

فقد تفرق أهل سبأ فى مختلف البلاد، و ذهبت نعمهم جميعا إِنَّ فِي ذلِکَ الذى تقدم من قصة قوم نعمتهم و كفرهم و نقمتهم لَآياتٍ دالة على الأسباب و العلل، لترقى الأمم و انحطاطها لِکُلِّ صَبَّارٍ كثير الصبر شَكُورٍ كثير الشكر، فإن من يصبر عند البلاء و يشكر عند الرخاء، يعرف سبب النعمة و النقمة، و يعرف كيف يعالج النعم للبقاء، و كيف يواجه بالصبر البلاء، أما غيره، فإنه يرى الآيات حتى يعرف المسببات من الأسباب.

[۲۱] وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ أى على قوم سبأ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ أى جعلهم موردا لظنه، الذى قال (فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) «۲» فصدّق الظن عليهم، حيث أغواهم و أبعدهم عن الطريق فَاتَّبَعُوهُ أى اتبع قوم سبأ إبليس فيما أمرهم من الكفر و العصيان إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «من» للتبين أى جماعة منهم فقط لم يتبعوه، و إلّا فالباقون اتبعوا الشيطان.

---

(۱) البقرة: ۶۲.

(۲) ص: ۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۲

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

وَ ما کانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَکٍّ وَ رَبُّکَ عَلى کُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (۲۱) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِکُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْکٍ وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (۲۲)

[۲۲] وَ الحال أن الشيطان ما کانَ لَهُ عَلَيْهِمْ أى على قوم سبأ مِنْ سُلْطانٍ أى سلطة، و ولاية يتمكن من جبرهم، و إنما كان يلقى إليهم، و يوسوس فى صدورهم، و بهذا فقط باعوا دينهم و دنياهم، و حيث أن هنا يختلج سؤال أنه كيف مكّن الله إبليس عليهم؟ قال سبحانه إِلَّا لِنَعْلَمَ أى لم يكن تمكينه منهم، إلا لأجل أن يقع معلومنا فى الخارج، فقد سبق، أن العلم إنما يتحقق بكماله، إذا كان هناك معلوم خارجى، فقولنا: علم الله، بمعنى أن معلومه صار خارجيا، و إن كان يعلم الأشياء من الأزل مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ عبّر عن المؤمن بذلك، للتلازم بين الإيمان بالله و الرسول، و بين الإيمان باليوم الآخر مِمَّنْ هُوَ مِنْها أى من الآخرة فِي شَکٍّ فلا يؤمن بالآخرة، و الحاصل أن يتمكن الشيطان منهم، كان لأجل الاختبار و الامتحان، ليستحق المؤمن الثواب، و الكافر العقاب وَ رَبُّکَ يا رسول الله عَلى کُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ يحفظ ما عملوا ليجازيهم بأعمالهم.

[۲۳] و إذ تمت قصة سبأ، يأتى السياق إلى المقصد الذى سيقت له تلك القصص من الإيمان بالله، و جاءت القصص لبيان عاقبة المؤمن و الكافر قُلِ يا رسول الله لهؤلاء الكفار ادْعُوا الأصنام الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أنهم آلهة مِنْ دُونِ اللَّهِ فانظروا، هل يستجيبون لكم، و هل يكشفون ضركم؟ كلا: إنهم لا يَمْلِکُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ أى مقدار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۳

[سورة سبإ (۳۴): آية ۲۳]

وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّکُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْکَبِيرُ (۲۳)

ثقل هباءة فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ فمن لا يملك شيئا كيف يتمكن أن يضر أو ينفع؟ و الإتيان بضمير الجمع العاقل، مماشاة مع القوم، و توحيدا للسياق فى الرد و النقض، إذ كان الكفار يعتبرون الأصنام عاقلة عاملة وَ ما لَهُمْ أى للأصنام فِيهِما أى فى السماوات و الأرض مِنْ شِرْکٍ أى من اشتراك، بأن خلق الله بعضهما، و خلقت الأصنام بعضهما وَ ما لَهُ أى لله سبحانه مِنْهُمْ أى من الأصنام مِنْ ظَهِيرٍ عاونه و عاضده على أمر، فهى ليست مالكة لشىء، و لا شريكة فى خلق، و لا معاونة فى أمر، و من هذا شأنه، كيف يتمكن من دفع ضرّ، أو جلب نفع للمشركين الذين يعبدونه؟

[۲۴] و أما ما يزعم هؤلاء، بأن الأصنام تشفع يوم القيام لهم، قائلين (هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ) «۱» فإنه كذب، و وهم وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ

عِنْدَهُ تعالى إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ فمن أذن الله له فى الشفاعة، شفع و قبلت شفاعته، و من لم يأذن له لم يتمكن من الشفاعة أصلا كما قال سبحانه (وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى «۲» فالأصنام، لا تشفع، و الكفار ليسوا قابلين لأن يشفعهم أحد، فكلّا وهم المشركين، فى الشافع و المشفوع

---

(۱) يونس: ۱۹.

(۲) الأنبياء: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۴

[سورة سبإ (۳۴): آية ۲۴]

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۲۴)

له هباء باطل، و قد ظن هؤلاء الكفار، أن الشفاعة، و موقف القيامة، أمر هيّن، حتى أن الأصنام لتشفع، كلا! إنهم يحشرون فى موقف رهيب، و يأخذ الفزع منهم كل مأخذ، حتى إذ أسماعهم لا تسمع- كما يكون الإنسان عند الخوف الرهيب- إذ تعطل حواسه- و كلهم منتظرون لإصدار الأوامر حتى يعرفوا ماذا مصيرهم؟ و يبقون فى تلك الحالة حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ أى كشف الله الفزع عن قلوبهم و رجعوا إلى حالتهم الأولية، من الوعى و الإدراك «و يقال فزع عنه» أى كشف عنه الفزع، و هناك يسأل بعضهم بعضا إذ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ حول مصير الناس، كما يتساءل بعض المجرمين من بعضهم الآخر عن قرار المحكمة فى حقهم- إذا لم يفهمه-؟ قالُوا أما الملائكة، أو المسؤولون من أمثالهم الْحَقَ فإنه سبحانه لا ينطق إلا بالحق، و هذا- على الاحتمال الثانى- مثل ما إذا سأل بعض من بعض عن قرار المحكمة، فإنه يجيب بقوله «على طبق القانون» وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أى الرفيع العظيم، لا ينازع فيما قال، و هذا جواب يائس يستسلم للقضاء، فإن موقف القيامة، هكذا، فكيف تشفع الأصنام، فى مثل ذلك الموقف المهول المدهش.

[۲۵] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين احتجاجا عليهم لإبطال شركهم مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ بإنزال المطر وَ الْأَرْضِ بإنبات النبات؟ فهل الرازق هو الله، أم آلهتكم؟. و طبيعى أن يسكت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۵

[سورة سبإ (۳۴): آية ۲۵]

قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَ لا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۲۵)

المشركون عن الجواب إذ لو قالوا هو الله، كان حجة عليهم، و لا يملكون أن يقولوا هو الصنم، لوضوح كذب هذه المقالة و إذا فليرد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، الجواب قُلْ لهم إذا سكتوا اللَّهُ هو الذى يرزقكم، لا الأصنام وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ أيها المشركون لَعَلى هُدىً فى طريقتنا أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ أى ضلال واضح، و هذا على وجه الإنصاف، و إلا فالرسول كان يعلم أنه على هدى، و إنهم على ضلالة، كما

قال الإمام عليه السّلام فى الأبيات المنسوبة إليه

قال المنجم و الطبيب كلاهما* لن يحشر الأموات، قلت إليكما إن كان قولكما، فلست بخاسر* أو كان قولى، فالخسار عليكما

«۱» [۲۶] قُلْ يا رسول الله، لهؤلاء الكفار لا تُسْئَلُونَ أيها الكفار، أنتم عَمَّا أَجْرَمْنا أى اقترفنا من الذنوب- بنظركم- أو المراد مجموع المؤمنين، فلا ينافى عصمة الرسول وَ لا نُسْئَلُ نحن يوم القيامة عَمَّا تَعْمَلُونَ أنتم أيها الكفار، و هذا كقوله (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ) «۲» فإن لم تقبلوا مقالى، فذنبكم عليكم، لا يرتبط بنا، و جيء بقوله «لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا» توطئة و تمهيدا.

---

(۱) ديوان الإمام على عليه السّلام: ص ۳۹۶.

(۲) الكافرون: ۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۶

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۲۶ الى ۲۸]

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (۲۶) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۷) وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۲۸)

[۲۷] قُلْ يا رسول الله لهم يَجْمَعُ بَيْنَنا نحن و أنتم رَبُّنا يوم القيامة لنحاسب، فيعلم من المحق، و من المبطل؟ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِ أى يحكم بيننا حكما حقا، و كأن الأمر مسدود بين الخصمين، و الحاكم يفتح بينهما، حين يعطى لكل حصته، لئلا يبقى الأمر بينهما مختلطا متصلا وَ هُوَ سبحانه الْفَتَّاحُ كثير الفتح، و الحكم بين المتخاصمين الْعَلِيمُ العالم، بما صدر عن كل، و بما يستحق كل واحد، فيكون حكمه حقا عدلا.

[۲۸] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين أَرُونِيَ الأصنام الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ لهم بِهِ أى بالله شُرَكاءَ أى فى حال كونهم شركاء لله، فى زعمكم؟ و هذا استفهام توضيحى، كما تقول لمن يساوى جاهلا بعالم: أرنى من هو المساوى لهذا العالم، تريد أن تبين له أن من تزعم مساواته، لا- يتمكن الإنسان، حتى من التفوه بمساواته له، و إتيان اسمه عند ذكر اسم العالم كَلَّا ليس كما تزعمون فى كون الأصنام شركاء لله تعالى بَلْ الإله واحد لا شريك له، و هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الغالب سلطانه الْحَكِيمُ الذى يفعل كل شىء بحكمة و صواب، فهل للأصنام سلطان؟ أم هل لها من حكمة؟

[۲۹] وَ ما أَرْسَلْناكَ يا رسول الله إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ أى للناس عامة،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۷

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۲۹ الى ۳۱]

وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۲۹) قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ (۳۰) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (۳۱)

و كان تقديم «كافة» لإفادة أن الغرض المسوق له الكلام، هو عموم الرسالة، و إنما كان كافة بمعنى عامة، لأنها إذا عمّتهم، فقد كفتهم- و صفتهم- أن يخرج منها أحد منهم بَشِيراً تبشر المؤمنين المطيعين بالجنة و الثواب وَ نَذِيراً تنذر الكفار و العصاة، بالنار و النكال وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ رسالتك لإعراضهم عن الحق.

[۳۰] و إذ تقدم الكلام عن التوحيد و الرسالة، جاء دور المعاد وَ يَقُولُونَ أى الكفار المنكرون للبعث مَتى هذَا الْوَعْدُ أى فى أى زمان تقوم القيامة التى تعدوننا بها؟ إِنْ كُنْتُمْ أيها المؤمنون صادِقِينَ فى دعواكم وجود القيامة، و حشر الأجساد بعد الموت؟

[۳۱] قُلْ يا رسول الله فى جوابهم لَكُمْ أيها الكفار مِيعادُ يَوْمٍ أى ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم من العذاب و النكال، و المراد وقت وفاتهم، أو يوم القيامة عند بعثهم لا- تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً أى لا- تتأخرون عن ذلك اليوم مقدار ساعة- التى هى جزء الزمن- وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ أى لا تتقدمون عليه مقدار ساعة، و كان الإتيان من باب الاستفعال، لبيان، أن طلب التقديم و التأخير، لا ينفع فلكلّ أجل و كتاب.

[۳۲] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ الذى نزل على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۸

[سورة سبإ (۳۴): آية ۳۲]

قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (۳۲)

الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ أي بالكتب التى أنزلت قبل القرآن، كالتوراة و الإنجيل، فإن أهل الكتاب، كانوا يصدقون، بتلك الكتب، أما الكفار، فإنهم كانوا يفكرون بكل شيء وَ لَوْ تَرى يا رسول الله، أو كل من يأتى منه الرؤية إِذِ الظَّالِمُونَ فى يوم القيامة مَوْقُوفُونَ للحساب عِنْدَ رَبِّهِمْ جزاء لإنكارهم، و كفرهم يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ إما المراد ما سيأتى من المحاورة بينهم، و إما أنهم، كالمجرمين فى الدنيا، إذا أحضروا للمحاكمة، فإن هذا يرد القول إلى ذاك، و ذاك إلى هذا، كل يريد أن يتخلص من تبعة الجواب، و يؤمّن على نفسه فلا يجيب، حتى و إن علم بالأمر يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أى طلب ضعفهم الرؤساء، فاستغلوهم لضعف أفكارهم، و ضعف إمكانياتهم لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا من الأشراف و الكبار المستكبرين عن قبول الحق لَوْ لا أَنْتُمْ تضلونا عن السبيل لَكُنَّا نحن الأتباع مُؤْمِنِينَ بالله و اليوم الآخر، فى دار الدنيا، و إنما أنتم أضللتمونا عن طريق الهداية و الإيمان.

[۳۳] قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا فى جواب المستضعفين لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ أى هل نحن منعناكم عَنِ الْهُدى و الإيمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۸۹

[سورة سبإ (۳۴): آية ۳۳]

وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۳۳)

بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ يقولون ذلك، على نحو الاستفهام الإنكارى، أى إنّا لم نصدكم، و لم نمنعكم، إذ لم تكن سلطة لنا عليكم بَلْ كُنْتُمْ أنتم بأنفسكم مُجْرِمِينَ تبتّون الباطل، و ترغبون عن الهدى و الحق، فليس علينا تبعة ذنبكم، و إنما على أنفسكم.

[۳۴] وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أى الأتباع لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أى المتبوعين من الأشراف إنا لم نك بأنفسنا، و إنما أنتم صددتمونا عن الهدى بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ أى ما كنتم تمكرونه، ليلا و نهارا هو الذى منعنا عن قبول الحق، أى تدبيراتكم الخفية، و إلقاءاتكم علينا هى التى وقفت دون إيماننا إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً جمع ند، و هو المثل و الضد، أى كنتم تقولون لنا، اجعلوا لله شركاء وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ أى أخفوا ندمهم عن أعمالهم السابقة، فلم يظهروا أنهم نادمين خوف الفضيحة لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ فإن الإنسان فى حال الحزن الشديد، لا يتكلم، و إنما تظهر عليه ملامح الندم، ساعة مندم وَ بعد ذلك، يقدمون للعذاب، ف جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا بأن يغلّون فى النيران، كما قال سبحانه (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ) «۱» و هنا يأتى الاستفهام ليبين أن ذلك جزاء

---

(۱) الحاقة: ۳۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۰

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۳۴ الى ۳۶]

وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (۳۴) وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۳۵) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۳۶)

أعمالهم، و ليس ظلما عليهم هَلْ يُجْزَوْنَ هؤلاء الكفار إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ أى لا يجزون إلا جزاء أعمالهم.

[۳۵] و قد كان الانحراف عن الهداية، عادة عامة لجميع الأشراف، لدى مواجهة الرسل، فإن شرفهم المزعوم، كان يصدهم عن قبول الحق، و انخراطهم فى سلك المؤمنين وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ينذر الناس من عاقبة أعمالهم، و وبال كفرهم و عصيانهم إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها أى الأغنياء المتنعمون بالترف، و الرفاه إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ أيها الأنبياء كافِرُونَ لا نصدق به، و لا نقبله.

[۳۶] وَ قالُوا للأنبياء عليهم السّلام على وجه الكبر و التجبر نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً نحن أكرم منكم على الله، إذ لو لا كرامتنا لم يتفضل الله علينا، بهذا المال الكثير، و الأولاد العديدين وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ يوم القيامة فإن الله سبحانه لا يعذبنا، كما تقولون أنتم

الأنبياء، إن الله يعذب الكافر العاصى.

[۳۷] و هكذا كان يقول أشراف مكة فى مقابل الرسول قُلْ يا رسول الله فى جوابهم، إن كثرة الأموال و الأولاد، ليست دليلا على حب الله للشخص، و إنما التوسعة و التضييق حسب المصلحة و الحكمة، ف إِنَّ رَبِّی الذى خلقنى و أرسلنى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ من عبيده

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۱

[سورة سبإ (۳۴): آية ۳۷]

وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِی تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفی إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِی الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (۳۷)

وَ يَقْدِرُ أى يضيق حسب ما يراه حكمة و صلاحا فالتوسعة على المؤمن للثواب و الجزاء، و على الكافر للإملاء وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ذلك، فيظنون أن كثرة المال و الأولاد، لكرامة الشخص على الله تعالى.

[۳۸] وَ ما أَمْوالُكُمْ أيها البشر وَ لا أَوْلادُكُمْ التى منحتموها بالمكانة التى تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفی مصدر زلف بمعنى قرب، و هو منصوب على المصدرية أى تقربكم تقربا إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فإن الإيمان و العمل الصالح مقربا لله سبحانه، و الاستثناء منقطع، و الأصل لا تقرب إلا الإيمان، و العمل الصالح، لا الأموال و الأولاد- كما سبق، فى وجه الاستثناءات المنقطعة- فَأُولئِكَ الذين آمنوا و عملوا الصالحات لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ من إضافة الموصوف إلى الصفة، أى إن جزاءهم مضاعف، فهو أضعاف أعمالهم، كما قال سبحانه (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) «۱» بسبب ما عَمِلُوا من الإيمان و الصالحات وَ هُمْ فِی الْغُرُفاتِ جمع غرفة و هى البيت فوق البناء، أى فى غرف الجنة آمِنُونَ من الأهوال، و الأحزان، و المصائب.

---

(۱) الأنعام: ۱۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۲

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۳۸ الى ۳۹]

وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِی آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ فِی الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (۳۸) قُلْ إِنَّ رَبِّی يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (۳۹)

[۳۹] وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِی آياتِنا أى لإبطال آياتنا و أدلتنا مُعاجِزِينَ يريدون تعجيز الأنبياء عليهم السّلام بأعمالهم، حتى لا يتمكنوا من الإرشاد و التبليغ، و الإتيان من باب «المفاعلة» لأن كلا من الطرفين يريد تعجيز الآخر عن تنفيذ مبدئه و صد الآخر عن التنفيذ، فالنبى يريد عجز الكفار، و هم يريدون عجز النبى أُولئِكَ فِی الْعَذابِ مُحْضَرُونَ أى يحضرهم الله سبحانه فى العذاب، بالقوة و القهر، كما يحضر المجرم فى السجن.

[۴۰] و إذ كان الرزق بتقدير الله سبحانه، فالذى يبقى منه، هو المنفق فى سبيله، فليس سعة الرزق دليل حب الله سبحانه- كما زعم الكفار- و إنما الإنفاق منه، موجب لحب الله تعالى قُلْ يا رسول الله إِنَّ رَبِّی يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أى يعطيه الرزق الواسع المبسوط وَ يَقْدِرُ لَهُ أى يقدر لمن يشاء، فالضمير يعود، إلى لفظ «من» لا إلى معناه، فالمبسوط له غير المقتر عليه، قال فى المجمع: «و إنما كرره سبحانه لاختلاف الفائدة، فالأول توبيخ للكافرين، و هم المخاطبون به، و الثانى، وعظ للمؤمنين» «۱» وَ ما أَنْفَقْتُمْ أيها الناس مِنْ شَیْءٍ قليل أو كثير، من مختلف أنواع الرزق فَهُوَ سبحانه يُخْلِفُهُ أى يعطيكم خلفه و عوضه، فى الدنيا بزيادة الرزق، و فى الآخرة بالأجر و الثواب

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۲۲۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۳

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴۰ الى ۴۱]

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ (۴۰) قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (۴۱)

وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لأنه يعطى بلا منّ، و لا توقع جزاء، و لا لغاية أخرى، بخلاف سائر الرازقين من الناس، الذين يقصدون بإنفاقهم غاية و مقصدا، أما الشكر فإنه سبحانه يطلبه لنفع الخلق، لا لنفعه.

[۴۱] وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ أى نحشر الكفار الذين كانوا يعبدون الملائكة جَمِيعاً العابدين و المعبودين، و المراد بذلك اليوم، هو يوم القيامة ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ بقصد فضح العابدين لهم أ هؤُلاءِ الكفار إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ و القصد من هذا السؤال تبرؤ الملائكة منهم، حتى يبقوا بلا ناصر حتى من معبوديهم.

[۴۲] قالُوا أى قالت الملائكة سُبْحانَكَ أى ننزهك يا رب تنزيها عن الشريك، و سبحان منصوب على المصدر، أى نسبح سبحانا أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ أى من دون هؤلاء الكفار، و المعنى أنه لا ولاية بيننا و بينهم بَلْ كانُوا أى كان هؤلاء يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أى الشياطين، حيث أنهم أطاعوا الشياطين الذين يوحون إليهم بعبادة الملائكة، فإن الشياطين من الجن، كما قال سبحانه (إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ) «۱» أَكْثَرُهُمْ أى أكثر هؤلاء بِهِمْ أى بالجن مُؤْمِنُونَ مصدقون لما

(۱) الكهف: ۵۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۴

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴۲ الى ۴۳]

فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (۴۲) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ما هذا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (۴۳)

يوسوسون إليهم، و كأن الملائكة يريدون بذلك التكثير من تبكيت الكفار بأن مرجع عبادتهم للملائكة كان إلى عبادتهم للشياطين، و الإتيان بلفظ «الجن» لتسمية الشيطان فى الجاهلية، ب «الجن».

[۴۳] فَالْيَوْمَ يعنى يوم القيامة الذى يقع فيه ذلك المشهد و الحوار لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أى لا يملك المعبودين للعابدين نَفْعاً وَ لا ضَرًّا لا ثوابا و لا عقابا، و إنما الثواب و العقاب بيد الله وحده، و هكذا يخسر العابدون، حتى من نصر المعبودين وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أنفسهم، بعبادة غير الله ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها أى بتلك النار تُكَذِّبُونَ فى الحياة الدنيا، حين أنكرتم البعث و النشور.

[۴۴] ثم يرجع السياق إلى حال الكفار فى الدنيا، بعد أن بين لهم، أن حالهم هناك الخزى و العذاب، أن تمادوا فى ضلالهم وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ أى يقرأ الرسول و المؤمنون على الكفار آيات القرآن، فى حال كونها واضحات قالُوا أى قال الكفار بعضهم لبعض ما هذا الذى يدعى الرسالة، و يأتى بهذه الآيات إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ أى يمنعكم عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ من الأصنام، و الملائكة، و الجن، و غيرها، فقد رأوا أن فى عبادة الله هدما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۵

[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴۴ الى ۴۵]

وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (۴۴) وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ فَكَذَّبُوا

رُسُلِی فَکَیْفَ کانَ نَکِیرِ (۴۵)

لتقالیدهم وَ قالُوا بعضهم لبعض ما هذا القرآن إِلَّا إِفْکٌ کذب مُفْتَرىً نسبه الرسول إلى الله افتراء، فإنه لم ینزل من عنده، و إنما اختلقه الرسول صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و نسبه إلیه سبحانه وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلْحَقِ أی للقرآن لَمَّا جاءَهُمْ لهدایتهم إِنْ هذا أی ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ واضح، إذ یؤثّر فی الناس، فیجلب الأتباع، و لا یمکن للفصحاء الإتیان، بمثله، فالرسول کاذب مفترى، و القرآن سحر- فی منطق الکفار الأعوج-.

[۴۵] إن هؤلاء الکفار الذین یقولون، إن القرآن کذب و سحر أمیّون، لم یأتیهم قبل هذا کتاب و رسول حتى یمیزوا بین الوحی و غیره، و بین الرسول و المفترى، فقولهم حول القرآن و الرسول، قول الجاهل المأفون وَ ما آتَیْناهُمْ أی أعطیناهم، و أنزلنا إلیهم مِنْ کُتُبٍ یَدْرُسُونَها أی یقرءونها درسا حتى یعرفوا ما هو الوحی؟ و یمیزوا بین المنزل و المفترى وَ ما أَرْسَلْنا إِلَیْهِمْ أی إلى هؤلاء الکفار قَبْلَکَ یا رسول الله مِنْ نَذِیرٍ حتى یمیزوا بین الرسول و الساحر، فقولهم، فیک و فی کتابک قول جاهل أمی، فهم معاندون متبعون للهوى فی أقوالهم، لا إنها عن علم و درایة و خبرة.

[۴۶] وَ کَذَّبَ الأمم الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ أی من قبل کفار قومک، رسلهم،

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۶

[سورة سبإ (۳۴): آیة ۴۶]

قُلْ إِنَّما أَعِظُکُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَکَّرُوا ما بِصاحِبِکُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِیرٌ لَکُمْ بَیْنَ یَدَیْ عَذابٍ شَدِیدٍ (۴۶)

و ما أتاهم الله من الکتب وَ ما بَلَغُوا أی ما بلغ هؤلاء الکفار مِعْشارَ ما آتَیْناهُمْ أی معشار القوة و المال، و طول العمر التی أعطیناها إلى تلک الأمم، و معشار بمعنى عشر فَکَذَّبُوا أولئک الأمم رُسُلِی الذین أرسلوا إلیهم فَکَیْفَ کانَ نَکِیرِ؟ أی إنکاری و عقوبتی على المکذبین، فقد عاقبتهم، بأشد العقوبات مع تلک القوة و المال، فلیحذر هؤلاء الضعفاء- من قوم الرسول- عقوبتی إن تمادوا فی غیّهم و کفرهم؟.

[۴۷] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار إِنَّما أَعِظُکُمْ الوعظ هو النصیحة بِواحِدَةٍ أی أنصحکم بجملة واحدة، و هی أَنْ تَقُومُوا بهذا العمل، لا- من القیام مقابل القعود لِلَّهِ بأن کان عملکم له، خالصا عن التقلید و العصبیة و الأهواء مَثْنى وَ فُرادى اثنین اثنین، و واحدا واحدا، فمن کان له قدرة فی التفکر حول الرسول بنفسه بلا معین، فلیفکر فی نفسه، و من لا قدرة له فی التفکر منفردا، فلیتخذ صدیقا لیداول معه الحدیث حول الرسول، و القرآن و الإسلام ثُمَّ تَتَفَکَّرُوا ما بِصاحِبِکُمْ أی لیس بالرسول الذی هو صاحبکم مِنْ جِنَّةٍ أی شیئا و أثرا من الجنون فإنکم إذا فعلتم ذلک، و خرجتم عن ضوضاء الجماعات إلى الانفراد و التثنیة فی تفکیر هادئ «لله» لعلمتم ذلک إِنْ هُوَ أی لیس الرسول إِلَّا نَذِیرٌ لَکُمْ ینذرکم عن التمادی فی الکفر

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۷

[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۴۷ الى ۴۹]

قُلْ ما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَکُمْ إِنْ أَجْرِیَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (۴۷) قُلْ إِنَّ رَبِّی یَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُیُوبِ (۴۸) قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ ما یُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما یُعِیدُ (۴۹)

و العصیان بَیْنَ یَدَیْ عَذابٍ شَدِیدٍ فإنه یأتی من ورائه عذاب القیامة، إن بقیتم فی الکفر و الضلالة، فهو یرید إنقاذکم.

[۴۸] قُلْ لهؤلاء الکفار یا رسول الله ما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ أی کل أجر أسأله منکم على أدائی للرسالة فَهُوَ لَکُمْ و هذا تعبیر آخر عن عدم سؤاله للأجر، فإن تزعمون أنی أدعی الرسالة لتحصیل المال، فإنی لا أرید منکم المال، و قیل إن معناه، أن کلّ ما سألته من أجر- من المودة فی القربى- فإنما ذلک عائد إلیکم، فإن قربای یرشدونکم إلى الحق، فهذا لیس عائدا لی، بل عائد لکم، کمن یجمع المال من الناس، لیبنی لهم دورا و قصورا، فإن ما یأخذه یعود إلیهم إِنْ أَجْرِیَ أی ما أجری على البلاغ و الرشاد إِلَّا عَلَى اللَّهِ فهو یعطینی جزاء

عملی و أتعابی وَ هُوَ سبحانه عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ حاضر، فیعلم مقدار أجری، و یعطینی کاملا غیر منقوص.

[۴۹] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء إِنَّ رَبِّی یَقْذِفُ بِالْحَقِ أی یلقیه إلی أنبیائه، فهذا الإسلام و القرآن حق، قذفه الله إلیّ، و لیس سحرا أو إفکا، کما تزعمون عَلَّامُ الْغُیُوبِ أی الله سبحانه کثیر العلم بالغیب، فلا یلقی إلا ما یعلم أنه صالح للبشر، کما لا یلقی إلا إلی من یصلح للقیام به.

[۵۰] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار جاءَ الْحَقُ و هو الإسلام

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۸

[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۵۰ الی ۵۱]

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلی نَفْسِی وَ إِنِ اهْتَدَیْتُ فَبِما یُوحِی إِلَیَّ رَبِّی إِنَّهُ سَمِیعٌ قَرِیبٌ (۵۰) وَ لَوْ تَری إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَکانٍ قَرِیبٍ (۵۱)

وَ ما یُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما یُعِیدُ أی زهق الباطل، و ذهب بحیث لم یبق له أثر فلا مبدئ له، و لا معید، فلا یأتی أحد یجدد الباطل من الابتداء أو یعیده بعد الاندثار، کما لو کتب إنسان کتابا راقیا فی بطلان عبادة الأصنام، یقول لا یأتی أحد یستدل بصحة عبادة سائر المعبودات الباطلة من جدید، و لا أحد یستدل بصحة عبادة الأصنام، و المراد عدم وجود باطل یتمکن أن یقوم مقابل هذا الحق الذی هو الإسلام، سواء کانت أباطیل تخترع جدیدة، أو أباطیل سابقة، یراد إعادة جدتها و رونقها، و هذا کقوله تعالی (لا رَیْبَ فِیهِ) «۱»

[۵۱] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار الذین یقولون عنک، إن محمدا قد ضل عن طریقة قومه إِنْ ضَلَلْتُ عن الحق کما تدعون فَإِنَّما أَضِلُّ عَلی نَفْسِی أی یرجع و بال ضرری علیّ، فإن رأیتم أنی ضال، فلا تؤمنوا بی، و لماذا تتعرضون لی بالمنع و الإیذاء؟ وَ إِنِ اهْتَدَیْتُ إلی الحق فَبِما یُوحِی إِلَیَّ رَبِّی أی بفضل الله سبحانه، تکون هدایتی، حیث أوحی إلیّ، و أرشدنی إلی الطریق إِنَّهُ سبحانه سَمِیعٌ لأقوالنا قَرِیبٌ منا، فلا یخفی علیه المحق من المبطل.

[۵۲] وَ لَوْ تَری یا رسول الله، أو أیها الرائی إِذْ فَزِعُوا أی خاف هؤلاء الکفار من أهوال القیامة فَلا فَوْتَ أی فلا یفوت من عذاب

---

(۱) البقرة: ۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۳۹۹

[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۵۲ الی ۵۳]

وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّی لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ (۵۲) وَ قَدْ کَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ یَقْذِفُونَ بِالْغَیْبِ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ (۵۳)

الله منهم أحد، و لا ینجو من بأسه کافر وَ أُخِذُوا مِنْ مَکانٍ قَرِیبٍ و هو القبر، فمکانهم لیس بعیدا علی الله یحتاج فی أخذهم إلی صعوبة، و طول مدة، کما یکون کذلک بالنسبة إلی حکام العالم، حیث یبتعد منهم المجرمون، فیکون فی أخذهم لهم صعوبة و طول مدة، و جواب «لو» محذوف، أی لو رأیت ذلک لرأیت أمرا فظیعا مهولا.

[۵۳] وَ قالُوا أی قال الکفار حین ذاک آمَنَّا بِهِ أی آمنا بالله و الرسول و ما جاء به وَ أَنَّی لَهُمُ التَّناوُشُ أی من أین یکون لهم الانتفاع بإیمانهم هناک، و التناوش بمعنی التناول، أی لا یتمکنون من تناول الإیمان المفید لحالهم مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ فالدنیا قد ابتعدت عنهم، و الإیمان المفید کان فی الدنیا لا فی الآخرة، و من أین لهؤلاء أن یتناولوا الإیمان النافع الذی خلّفوه وراءهم فی الدنیا؟ و هذا علی ضرب من الاستعارة اللطیفة.

[۵۴] وَ قَدْ کَفَرُوا أی هؤلاء الکفار بِهِ أی بالإسلام و الدین مِنْ قَبْلُ فی الدنیا وَ یَقْذِفُونَ بِالْغَیْبِ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ أی أنهم یقولون لا جنة و لا نار، و ذلک غیب بعید، و إنما قولهم ظن، و المعنی أنهم یرجمون الظن بالمکان الغائب عن حواسهم، و هم بعیدون عنه- و المراد بذلک المکان الآخرة- فکما أن الحجارة إذا رجمت من البعید فی مکان غائب لا یراه الراجم، لا تصیب الهدف، کذلک ظن هؤلاء

بالنسبة إلى الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۰

[سورة سبإ (۳۴): آية ۵۴] تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۴۴۹

[سورة سبإ (۳۴): آية ۵۴]

وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (۵۴)

[۵۵] وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ أى فرق بين هؤلاء الكفار- يوم القيامة- وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ من النعيم و الكرامة، فلا يرون نعيما، و لا كرامة، بعد ذلك كَما فُعِلَ مثل ذلك بِأَشْياعِهِمْ أى بأمثالهم من الكفار السابقين، و الأشياع هم المقتدون، مقابل الأتباع مِنْ قَبْلُ أى من قبل هؤلاء إِنَّهُمْ إنما فعل ذلك بهم لأنهم كانُوا فى الدنيا فِي شَكٍّ من البعث و النشور مُرِيبٍ موجب للريب و الانعزال عن الحق، فإن الإنسان إذا شك، و لم يظهر أثرا، قيل له شك، فإذا أظهر أثر الشك، قيل له ريب و هذا إشارة إلى أنهم لم يكونوا يقطعون بعدم المعاد، و لكنهم كانوا شاكين، و إنما قادهم إلى الإنكار تقليدهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۱

۳۵ سورة فاطر مكية/ آياتها (۴۶)

و تسمى بسورة الملائكة أيضا لاشتمالها على كلا اللفظين، و هى كسائر السور المكية- غالبا- تعالج قضايا العقيدة، و أصول الدين، و إذ ختمت سورة «سبأ» بالمحاورة مع الكفار و المنكرين للألوهية و المعاد، ابتدأت هذه السورة بشؤون اللّه تعالى، الدالة على توحيده، و تصرفه فى الكون.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله، ليكون شعارا لفظيا للمسلم، فإن لكل أمة واعية شعارات لفظية، عند القراءة و كتابية عند الكتابة، و إشارية عند الإشارة، و اسم الله، أعظم من جميع الشعارات المتصورة، فإنه اسم من يرتبط به الخلق و الأمر، و الإتيان بوصفى الرحمن الرحيم، للإشارة إلى أن ما اتخذناه شعارا متصف بالرحمة المكررة، و هو من أجلب الصفات للإنسان، فإن كل خير له مرتبط بالرحمة و الفضل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۲

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱ الى ۲]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱) ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲)

[۲] الْحَمْدُ لِلَّهِ أى أن جنس الحمد، راجع إلى الله سبحانه، إذ جميع النعم منه، حتى ما يصل إلى الإنسان بواسطة أحد، فإنه منه سبحانه ابتداء، و إنما يأتى بالواسطة فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى خالقهما من «فطر» بمعنى خلق جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا جمع رسول، و هو الآتى بالكلام من قبل شخص إلى غيره، فإن الملائكة يأتون بالرسالات من الله سبحانه إلى الأنبياء، فى حال كونهم أُولِي أَجْنِحَةٍ أى أصحاب أجنحة، كأجنحة الطير، ليتمكنوا بها من الهبوط و العروج، و إن كان جناحهم من شكل غير مدرك- إلا إذا شاء الله ذلك- مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فمنهم من له جناحان، و منهم من له ثلاثة أجنحة و منهم من له أربعة أجنحة، و هذا صفة لأجنحة، معدولة عن اثنين اثنين، و ثلاثة ثلاثة، و أربعة أربعة يَزِيدُ الله سبحانه فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ أى أن الخلق بيد الله سبحانه، فلم يعجز تعالى عن خلق ما زاد عن السماوات و الأرض و الملائكة، بل إنه كلما شاء خلقا خلقه إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فلا يمتنع عليه شىء.

[۳] إن الله هو الخالق القادر، و إنه هو المعطى المانع ف ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها أى ما يفيضه عليهم من النعم و

الخير، لا أحد هناك يتمكن من المنع عنها، و الإمساك لها حتى لا تصل إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۳

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳ الى ۴]

يـا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۳) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۴)

النـاس وَ ما يُمْسِكْ الله من رحمـة فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ أى من بعـد الله سبحانه، فإنه إذا لم يرد إعطاء أحـد شيئا لم يكن هناك من يقـدر على إعطـائه وَ هُوَ الْعَزِيزُ الغـالب على أمره الْحَكِيمُ فى أفعـاله يفعلهـا حسب الحكمـة و الصـلاح، فكـل شـيء صنعه بحكمته و مصلحته، كما أن كل شيء أراده صار لأنه العزيز القادر.

[۴] و إذ تقـدم التـذكير ببعض نعم الله على البشـر، و بعض آثـار عظمته و جلاله، يتوجه السـياق إلى المشـركين ليوقظهم من غفلتهم يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ و كـأنّ الإنسـان يعلم فى بـاطنه نعم الله لكنه ينسـى، فاللازم أن يتـذكر هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ و الجواب كلا- لا- خالق إلا الله سبحانه، ثم هل من أحـد غير الله يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ بإنزال المطر وَ من الْأَرْضِ بإنبات النبات؟ و الجواب كلا- فلا- رازق إلا الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ و إذ ثبت أن لا خالق و لا رازق إلا الله، ثبت أنه لا إله إلا هو فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى كيف تصـرفون عن طريق الحق إلى الضلال؟ من أفك بمعنى انصرف، و منه يسمى الإفك إفكا، لأنه صرف للكلام عن الحقيقة إلى خلاف الواقع.

[۵] و إذ تقدم الكلام حول التوحيد، يأتى الكلام حول الرسالة وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ هؤلاء الكفار، يا رسول الله، فيقولون، لست أنت، بنبى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۴

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۵ الى ۶]

يـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الـدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (۵) إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَـدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ (۶)

فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ هذا تسـلية للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه ليس الوحيد الذى كذبه قومه، و إنما الرسل هكذا، فإن أقوامهم يكـذبونهم وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ أى أمر تكـذيب هؤلاء يعرض على الله سبحانه، فيجازيهم على تكـذيبهم، و أمرك يعرض عليه، فيجازيك على صبرك، و صمودك.

[۶] ثم يـأتى السـياق لبيـان المعاد- الـذى هو الأصل الثالث من الأصول- يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالبعث و الحساب و الجزاء حَقٌّ لا كذب فيه، فكلكم تحشـرون للجزاء فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فتغترون بملاذها و رئاسـتها، فتعصون الله لأجلها حتى يكون مصـيركم إلى النار وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ أى بالنسبة إلى الله سبحانه الْغَرُورُ الشيطان الكثير الخداع، فترون سكوته سبحانه، و عدم تعجيله العقاب، فتمادون فى الغى و الطغيان، فيأتيكم العذاب بغتة، و أنتم فى غفلة.

[۷] إِنَّ الشَّيْطانَ الـذى يدعوكم إلى الكفر و العصيان لَكُمْ أيها البشـر عَدُوٌّ يريد لكم الهلاك و العذاب فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا أى اعملوا معه، عمل العـدو مع عدوه، بأن لا تطيعوه و اجتنبوا عن مكره و خدعه إِنَّما يَدْعُوا الشـيطان حِزْبَهُ أى أنصاره و أعوانه من العصاة لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ أى النار المستعرة الملتهبة، فلا تتبعوه ليوردكم النار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۵

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۷ الى ۸]

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۷) أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ (۸)

ذات اللهب و الاشتعال.

[۸] الَّذِينَ كَفَرُوا بـالله، لاتبـاع الشـيطان، و امتثـال أمره لَهُمْ عَـذابٌ شَدِيـدٌ فی الآخرة وَ الَّذِينَ آمَنُوا بالله، و بما يجب الإيمان به وَ عَمِلُوا الأعمـال الصَّالِحـاتِ و ذلك يلازم ترك السـيئات- كما سـبق- لَهُمْ مَغْفِرَةٌ أی غفران لـذنوبهم، فإن «مغفرة» مصـدر ميمى وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ جزاء على إيمانهم و أعمالهم الصالحة.

[۹] أَ فَمَنْ الهمزة للاستفهام الانكارى، و الفاء عاطفة، أى هل الذى زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ أى زين الشيطان فی عينه عمله السيئ كالكفار و العصاة، الذين يبرّرون أعمالهم السيئة بألف مبرّر موهوم فَرَآهُ حَسَـناً أی رأى عمله السـیء حسـنا و هذا بطبيعة الحال فی سطح الذهن، أما فی أعماقه، فإنه يعلم بقبح عمله، و لذا لو خلى بنفسه و تفكر، أو ذكّره بعض الناس، و كان منصفا، اعترف بقبح عمله، و قد حذف عـدل الهمزة، أی أ فمن كان كـذلك، كمن ليس هكذا؟ و الجواب الطبيعى أنهما لا يتساويان، و إنما جیء بهذا العدل فقط لأن سوق الكلام كان حول الكفار، ثم يأتى السياق ليسلّى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن لا يأسف على هؤلاء الـذين انحرفوا عن علم و دراية فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ممن أرشده للطريق، و بلّغه فلم يقبل، فإنه سبحانه يتركه يضلّ و ينحرف، و لا يلطف به الألطاف الخفية، و هذا كما يقال أفسد الملك شعبه، إذا تركهم يفسدون، و لم يجبرهم على الاستقامة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۶

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۹ الى ۱۰]

وَ اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ (۹) مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ (۱۰)

وَ يَهْـدِی مَنْ يَشـاءُ ممن قبـل البلاـغ و الرشـاد، فإنه سـبحانه يلطف به الألطاف الخفيـة فَلا تَـذْهَبْ نَفْسُكَ يا رسول الله، و معنى ذهاب النفس هلاكهـا، أو شـدة حزنهـا و غمهـا، حتى تكون كالهالكـة عَلَيْهِمْ أى على هؤلاـء الكفار حَسَراتٍ منصوب على المصـدر، أى لا تذهب نفسك تتحسـر عليهم حسـرات، و الحسـرة شدة الحزن على ما فات، أو يفوت من الأمر المرغوب فيه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْـنَعُونَ من الكفر و العصيان، و مثل هذا الإنسان المعاند، لا يستحق أن يتحسر الرسول عليه.

[۱۰] ثم يرجع السـياق إلى أدلة الألوهية و التوحيد، فی قبال الكفار و المشـركين وَ اللَّهُ هو الَّذِی أَرْسَلَ الرِّياحَ بخلقها، أو تصـريفها من هنا إلى هناك فَتُثِيرُ أى تهيج الرياح سَحاباً المراد به الجنس، لا الفرد فَسُقْناهُ أی سقنا السحاب إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ مات زرعه، و جفّت أنهاره فَأَحْيَيْنا بِهِ أى بسـبب ذلك السـحاب الماطر الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِها بالجـدب، و عـدم النبت، بأن أنبتنا فيها الكلأ، بعد أن لم يمكن كَذلِكَ النُّشُورُ أی كما حييت هـذه الأرض الجدبـة الميتـة كـذلك نشور البشـر و حياتهم بعـد الموت، فإن الله القادر على إحياء الأرض، قادر على بعث الإنسان، و نشوره بعد أن مات.

[۱۱] إن الكفـار لاـ يؤمنون خوفـا من ذهـاب عزتهم الدنيويـة، حيث يطردهم المجتمع الكافر، لكن اللازم أن لا يمنع الإنسان هـذا عن الإيمان، فإن العزة لله سبحانه، و إذا أراد الإنسان بقائه على الكفر، أن تسمع له

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۷

الكلمـة، و يقبل له العمل عنـد أصـدقائه الكفار، فإن الكلام الإسـلامى، و العمل الصالـح، يقبلان عنـد الله سـبحانه، الذى هو أعظم من مجتمع هؤلاء الكفار مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ الدنيوية، بأن يكون عزيزا عند الناس، نافذا الكلمة لديهم فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً أى فليطلبها من عند الله تعـالى، إذ جميع أنـواع العزة لـه، حتـى أن العزة الموجـودة لـدى الكفـار، هی منحـة الله لهم، كمـا منحهم الرزق و الحيـاة، و سـائر الخيرات للامتحان و الاختبار إِلَيْهِ تعالى يَصْـعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ الكلم جمع كلمة، و الطيب صفة مشبهة، أی أن الكلمات الطيبة، من كلمة الإيمان و الإرشاد و النصـيحة و غيرها، كلها تصـعد إليه سـبحانه، نافذة لديه، فإذا آمن الإنسان، كان مسـموع الكلمة لديه تعالى، و هو خير من كونه مسـموع الكلمة عند الكفار وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الذى هو الخير المأمور به فی الشريعة كالصلاة و الزكاة، و صلة الرحم، و بر الوالـدين، و غيرها يَرْفَعُهُ سـبحانه إلى نفسه، فمن يريـد الكفر، ليكون عمله مقبولا عند الكفار، فإن من آمن، رفع عمله إلى الله سـبحانه

خالق الكون، و هل تقاس المقبولية، عند الله بالمقبولية عند الناس؟ و المراد بالصعود و الرفع الرتبى، باعتبار رفعة الله سبحانه، و سموه المعنوى، أو المراد الخارجى، فإن الأقوال و الأعمال ترفع إلى السماء، حيث محل الملائكة، و مأوى أرواح الصالحين وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ أى يدبرون دقّة الأعمال السيئة فى خفية، فإن المجرمين دائما يدبرون الاجرام و المعاصى فى الليالى، و فى بعد عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۸

[سورة فاطر (۳۵): آية ۱۱]

وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (۱۱)

عيون الناس لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ فى الآخرة وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ من «بار» إذا فسد، أى أن مكرهم يفسد، و لا ينفّذ، فنهاية العمل و القول الصالحين، الرفعة و العزة، و نهاية عمل السيئات و مكرها لتحقيق العزة هى البوار و الهلاك.

[۱۲] وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ أيها البشر مِنْ تُرابٍ فإن التراب ينقلب نباتا، و يأكله الإنسان، أو يأكل الحيوان الذى تكون من النبات، فيصير مبدأ النطفة ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ هى القطعة المائعة من المنى، و أصل النطفة الماء القليل ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً ذكرا و أنثى، أو المراد أصنافا و أشكالا وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى «من» زائدة لتأكيد النفى، أى لا تحمل أىّ أثر وَ لا تَضَعُ حملها إِلَّا بِعِلْمِهِ فالله خالق الإنسان، و العالم بأطواره، حين حمله، و وضعه وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ المعمّر- بصيغة المفعول من باب التفعيل- هو الإنسان، الطويل العمر، أى لا يمدّ فى عمر واحد، و عبّر عنه بالمعمّر، باعتبار الأول، من باب

«من قتل قتيلا فله سلبه»

وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ أى من عمر ذلك المعمّر، و المراد به كل أحد، و النقص، إنما هو باعتبار الأعمار العادية، فالعمر العادى إذا كان خمسين سنة، كان الموت قبل ذلك تنقيصا بالنظر العرفى إِلَّا فِي كِتابٍ عند الله سبحانه، فقد كتب كل ذلك، و قدر الأعمال، كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۰۹

[سورة فاطر (۳۵): آية ۱۲]

وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۲)

قدر سائر الأشياء، و لا يتصور الإنسان كيف يمكن أن يحيط كتاب بهذا القدر الكبير من الأعمار المختلفة للأفراد المتشتتة فى مشارق الأرض و مغاربها ف إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ هيّن، فهو محيط بجميع الأشياء، أو المراد ب «ذلك» كل ما تقدم من التقديرات، و العلم بها.

[۱۳] ثم ينتقل السياق إلى بعض آخر من الآثار الكونية، الدالة على وجود الإله، و صفاته العظيمة وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ بحر المياه المالحة، و بحر المياه العذبة، فإن الأنهر غالبا تتصل بعضها ببعض، حتى أنها لتكون تحت الأرض، و فوقها بحارا من المياه المتصلة، ثم أن المراد بالبحر الجنس، لا الشخص هذا أى أحدهما عَذْبٌ أى طيب فُراتٌ صاف سائِغٌ شَرابُهُ إذا شربه الإنسان، لا يلتوى فى الحلق، و لا يؤذى اللهات وَ هذا الآخر مِلْحٌ كأنه من كثرة ملوحته، قطعة ملح، نحو زيد عدل أُجاجٌ من ينشب فى الحلق، فمن خلق هذين البحرين يا ترى؟ وَ مِنْ كُلٍ من البحرين تَأْكُلُونَ أنتم أيها البشر لَحْماً طَرِيًّا جديدا، هو السمك، فمع اختلاف البحرين يأتيان بشىء متماثل لمنفعة الإنسان، و إنما سمى السمك، لحما طريا، لما اعتادوا- فى زمن الجاهليين- من أكل القديد، بتجفيف لحوم الأنعام وَ تَسْتَخْرِجُونَ أى تخرجون بالطلب و الغوص، من البحر حِلْيَةً أى زينة، هى اللؤلؤ تَلْبَسُونَها للتزين وَ تَرَى أيها الرائى الْفُلْكَ بالضم على وزن أسد، جمع فلك على وزن قفل-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۰

[سورة فاطر (۳۵): آية ۱۳]

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (۱۳)

فالمفرد و الجمع متساويان وزنا، مختلفان ميزانا- فِيهِ أى فى البحر مَواخِرَ جمع ماخرة، يقال مخرت السفينة الماء إذا شقته لتسير، فمن يا ترى أقدر السفينة على ذلك، و جعل الماء سهلا، يقبل السير فيه؟ إنه هو الله تعالى، و إنما جعل ذلك لِتَبْتَغُوا أى لتطلبوا أنتم أيها البشر مِنْ فَضْلِهِ سبحانه بالتجارة، و الانتقال من هنا إلى هناك للاكتساب وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمه عليكم فتستحقون بذلك الثواب.

[۱۴] يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ أى يدخل الليل فى النهار، إما بزيادة طول الليل و قصر طول النهار، حتى كأن الليل دخل فيه، و إما بإتيان الليل مكان النهار، فهو يدخل فى محل النهار، من طرف المشرق، و يطرده رويدا رويدا، حتى يأخذ مكانه وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ بأحد المعنيين السابقين وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ فهما يجريان حسب تدبيره منظما، بلا تفاوت أو اختلال كُلٌّ منهما يَجْرِي باستمرار لِأَجَلٍ مُسَمًّى أى لوقت معلوم، هو يوم القيامة، كما قال سبحانه (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) «۱» و قال (وَ خَسَفَ الْقَمَرُ) «۲» ذلِكُمُ اللَّهُ ذلك إشارة إليه سبحانه، و، «كم» خطاب، أى ذلك المتّصف بتلك الصفات، هو، أيها البشر رَبُّكُمْ الذى لا إله إلا

---

(۱) التكوير: ۲

. (۲) القيامة: ۹

.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۱

[سورة فاطر (۳۵): آية ۱۴]

إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (۱۴)

هو لَهُ الْمُلْكُ فالمملكة الكونية كلها له بلا شريك وَ الأصنام الَّذِينَ تَدْعُونَ أى تدعونهم أيها المشركون مِنْ دُونِهِ أى من دون الله تعالى ما يَمْلِكُونَ من الكون مِنْ قِطْمِيرٍ هو قشر النواة، أى اللفافة التى فوقها، و المعنى أن الأصنام لا تملك من الكون، بهذا القدر، فكيف تجعلونها شركاء الله؟

[۱۵] إِنْ تَدْعُوهُمْ أى تدعون تلك الأصنام، و الإتيان بضمير العاقل، لتوحيد السياق، بين كلام المشركين و ردّهم، فإنهم كانوا يعتبرون الأصنام عقلاء مدركين لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ فى كشف ضر، أو جلب نفع، فإن قالوا: يسمعون، قلنا: ما الدليل؟ وَ لَوْ سَمِعُوا دعاءكم على فرض محال مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ أى لا- يمكنهم أن يجلبوا نفعا، أو يدفعوا ضرا، إذ لا- يقدرون على ذلك وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ حين ترجون شفاعتهم لكم، حيث كانوا يقولون (هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ) «۱» يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ أى يتبرءون منكم، و من أنكم اشركتموهم مع الله فى العبادة، فيقولون لم عبدتمونا؟ و نحن لا نستحق العبادة؟

و ذلك بإنطاق الله تعالى، للأصنام، لأن يفضحوا عبدتهم وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ أى لا يخبرك أيها المستفهم الجاهل أحد مثل ما يخبرك

---

(۱) يونس: ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۲

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱۵ الى ۱۸]

يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (۱۵) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (۱۶) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

(١٧) وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)

الخبير المطلع، فالله مطلع على أحوال الأصنام، فهو خير من يخبركم عن أحوالها، فاقبلوا كلامه، و اتركوا عبادتها، لئلا تقعوا فى العذاب و النكال.

[١۶] يا أَيُّهَا النَّاسُ كيف تنحرفون عن إطاعة الله، أو تكفرون به؟

و الحال أَنْتُمُ الْفُقَراءُ المحتاجون إِلَى اللَّهِ سبحانه، فى جميع شؤونكم وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ عنكم، و الذى بإمكانه أن يسد جميع حوائجكم الْحَمِيدُ المستحق للحمد، بما له من الإنعام و الإفضال، فكيف تتركون الله، لتأخذوا الأصنام الفقيرة التى لا تستحق حمدا و لا شكرا، إذ لا شيء لها إطلاقا؟

[١٧] و هو القادر على أن يعاقبكم بأعمالكم- فهو الذى بيده العطية و العقوبة، فاعبدوه رغبة أو رهبة- إِنْ يَشَأْ الله يُذْهِبْكُمْ أى يفنيكم وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يخلقه من العدم، و يأتى به إلى الوجود، كما خلقكم بعد أن لم تكونوا.

[١٨] وَ ما ذلِكَ الإفناء لكم، و الإتيان بخلق جديد عَلَى اللَّهِ سبحانه بِعَزِيزٍ أى بممتنع، بل هو الغالب على أمره، إن شاء شيئا كوّنه و أوجده.

[١٩] إن الإنسان إلى جنب فقره إلى الله تعالى، و إنه تحت سلطة الله سبحانه، حامل لتبعة أعماله بنفسه، فلا صديق يحمل من الإنسان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۳

ذنبه، و لا قريب يفيد الإنسان قربه فى التخفيف من آثامه، فليعدل الإنسان سلوكه، نحو الله، الذى كان الإنسان بحاجة دائمة إليه، و إن عصى جازاه بنفسه وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى أى لا تحمل نفس حاملة إثم نفس أخرى، بل كل امرء بما كسب رهين، فلا يؤاخذ أحد بذنب غيره، و لا يلقى ذنب أحد على أحد وَ إِنْ تَدْعُ نفس مُثْقَلَةٌ بالآثام، غيرها إِلى حِمْلِها أى حمل آثامها، كأن يدعو العاصى صديقه، ليحمل بعض آثامه و خطاياه لا يُحْمَلْ أى لا يحمل ذلك الغير مِنْهُ أى من ذلك الحمل شَيْءٌ قليل وَ لَوْ كانَ ذلك الغير المدعو ذا قُرْبى أى صاحب قرابة مع هذا العاصى الحامل لأوزار نفسه، قال ابن عباس: يقول الأب و الأم، يا بنى احمل عنى، فيقول حسبى عملى، و لا تيأس يا رسول الله، من عدم تأثير بلاغك فى هؤلاء الكفار، فإن بلاغك يؤثر فى المؤمنين، و ذلك كاف لك إِنَّما تُنْذِرُ يا رسول الله الإنذار المؤثر الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ أى أنهم يخافون من الله سبحانه، و هو غائب عن حواسهم وَ أَقامُوا الصَّلاةَ بإتيانها كاملة بشروطها و آدابها وَ مَنْ تَزَكَّى أى تطهّر بعمل الطاعة، و الاجتناب عن المعصية فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ أى أن فائدة طهارته، تعود إلى نفسه وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ فمن آمن و تزكى، جزاه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۴

[سورة فاطر (٣۵): الآيات ١٩ الى ٢٢]

وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ (١٩) وَ لا الظُّلُماتُ وَ لا النُّورُ (٢٠) وَ لا الظِّلُّ وَ لا الْحَرُورُ (٢١) وَ ما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَ لا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)

بجنات النعيم، و من كفر و تولى، عاقبه بالنار و الجحيم، و معنى إلى الله: إلى ثواب الله و عقابه، تشبيها للصيرورة المعنوية، بالصيرورة الحسية.

[٢٠] وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ فالكافر كالأعمى لأنه تعامى عن الحق، و المؤمن كالبصير، لأنه أبصر، و رأى الحق و الحقيقة.

[٢١] وَ لَا يستوى الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ «لا» زائدة للتأكيد، و الشرك كالظلمة، إذ لا يرى الإنسان الذى فيه الحقائق و الإيمان، كالنور الذى يرى فيه الإنسان الأشياء، و الإتيان بظلمات جمعا، لأن الشرك مستلزم لأنواع المعاصى، و كل واحد منها ظلمة و حلوك.

[٢٢] وَ لَا يستوى الظِّلُّ الذى يستريح فيه الإنسان وَ لَا الْحَرُورُ و هى الريح الحارة السامة، التى تهب فى الشمس، و توجب الهلاك، أو

المرض و الأذية، و هما مثل الجنة و النار، أو الإيمان و الكفر.

[۲۳] وَ ما يَسْتَوِی الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ فالكافر كالميت، إذ لا يأتی منه الخير، كما لا يأتی من الميت خير، و المؤمن كالحی، إذ يتأتی منه جميع صنوف الخير لنفسه و لغيره، و لا- تغتم يا رسول الله، إذا رأيت إعراض الكفار، فإنهم، حيث أعرضوا عن الهدی، لم يلطف الله بهم ألطافه الخفية، و لذا تاهوا فی ظلمات الكفر و الضلالة إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ أی إسماعا نافعا، و إنما يشاء سبحانه إسماع من إذا رأی

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۵

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۲۳ الی ۲۴]

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (۲۳) إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ (۲۴)

الحق تبعه، أما من إذا رأی الحق ابتعد عنه و أعرض، فلا يسمعه الله- فوق أصل الإبلاغ- شيئا آخر من قبيل الألطاف الخفية الموجبة للسعادة وَ ما أَنْتَ يا رسول الله بِمُسْمِعٍ أی بقادر علی أن تسمع إسماعا نافعا مَنْ فِی الْقُبُورِ فإن هؤلاء الكفار كالأموات فی المقابر، الذين لا- يتمكن الرسول من إسماعهم، فكما حال الموت بين أولئك، و بين السماع النافع، كذلك حال موت القلوب، و انحراف النفوس بين هؤلاء، و بين أن يسمعوا إنذار الرسول و إرشاده.

[۲۴] إِنْ أَنْتَ أی ما أنت يا رسول الله إِلَّا نَذِيرٌ تنذر و قد أنذرت هؤلاء، أما هدايتهم، فليست عليك، فلا تحزن عليهم.

[۲۵] إِنَّا أَرْسَلْناكَ يا رسول الله بِالْحَقِ أی إرسالا بالحق، لا بالباطل، لأجل اللهو و اللعب، و الإفساد، و ما أشبه، من الإرسالات الباطلة، فإذا أرسل أحد آخر للإفساد، كان إرسالا باطلا، و إذا أرسل أحد آخر للإصلاح، كان إرسالا بالحق، فی حال كونك بَشِيراً تبشر المؤمنين المطيعين بالجنان وَ نَذِيراً تنذر الكفار و العاصين بالنيران، فشأنك البشارة و الإنذار، و لا يرتبط بك، من آمن، و من لم يؤمن وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ ما من أمة من الأمم السابقة إِلَّا خَلا- أی مضی فِيها فی تلك الأمة نَذِيرٌ ينذرهم إذا كفروا و عصوا، قوبلوا بالعقاب و النكال، فأنت مثل أولئك المنذرين، و كما أنه لم يضرهم عدم استجابة الأمم كذلك لا يضرك عدم استجابة الناس لك.

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۶

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۲۵ الی ۲۷]

وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (۲۵) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (۲۶) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۲۷)

[۲۶] وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ يا رسول الله، هؤلاء الكفار، بأن يقولوا، أنت كاذب، لست من قبل الله سبحانه فليس شيئا جديدا، إذ قد كَذَّبَ الأمم الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أنبياءهم، حين جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ جمع رسول، و يجوز الإتيان بالفعل، مذكرا و مؤنثا، إذا كان الفاعل، جمع غير مذكر سالم، قال ابن مالك:

و التاء مع جمع سوی السالممذكر كالتاء مع إحدی اللبن

بِالْبَيِّناتِ أی الحجج الواضحة الدالة علی كونهم مرسلين، كالمعجزات، و الخوارق وَ بِالزُّبُرِ كالكتب المتفرقة التی فيها الحكم و النصائح، كما جاء النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم، بالأحاديث القدسية، و قطعا من حكم موسی و عيسی عليهما السّلام وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ أی النيّر الذی فيه تعاليم السماء، كان الأنبياء يأتون إلی الأمم بكل ذلك، و مع ذلك كانت الأمم تكذبهم.

[۲۷] ثُمَّ أَخَذْتُ بالعذاب و النكال الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و أنبيائه، بعد إتمام الحجة فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ أی إنكاری، للمكذبين؟ و هذا استفهام استشفائی، فيه تسلية للرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم، و إنذار لكفار مكة.

[۲۸] ثم يرتد السياق ليذكّر الكفار، بجملة من الآيات الكونية أَ لَمْ تَرَ يا رسول الله، و الخطاب، و إن كان له لكن المراد به العموم، أو

ألم تر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۷

[سورة فاطر (۳۵): آية ۲۸]

وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (۲۸)

أيها الرائى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً هو المطر فَأَخْرَجْنا على طريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم الذى هو فن من فنون البلاغة بِهِ أى بذلك المطر ثَمَراتٍ جمع ثمرة، و هى فاكهة الشجر التى تجتنى منها مُخْتَلِفاً أَلْوانُها أى ألوان تلك الثمرات، فأحمر، و أخضر، و أبيض، و أصفر، و أزرق، و غيرها، من سائر الألوان، و ذو لونين، و ذو ألوان، و هكذا، و يحتمل أن يراد باللون الأعم من جميع ما يدرك بسائر الحواس، من الأشكال و الحجوم و الطعوم، و الروائح و غيرها، فإن اللون قد يطلق توسعا على الجميع وَ كما أن الثمار، مختلفة الألوان كذلك مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ مفردها جدة، كغرف، و غرفة، و المراد بها الطرق بِيضٌ وَ حُمْرٌ أى طرق فى الجبال- إما المراد طرق السير، و إما الامتدادات، فإن الإنسان يرى الجبل فيه قطعة ممتدة حمراء، و قطعة ممتدة بيضاء، و سميت طريقا تشبيها- و بيض جمع أبيض، كما أن حمر جمع أحمر مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها أى ألوان تلك الطرق الموجودة فى الجبال وَ غَرابِيبُ سُودٌ جمع غربيب، و هو الشديد السواد، الذى يشبه لون الغراب، و سود جمع أسود، أى و من تلك الطرق مثل لون الغراب أسود، فسود عطف بيان لغرابيب.

[۲۹] وَ كما أن الثمار، و الجبال مختلف ألوانها، كذلك مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِ جمع دابة، و هى الحيوانات التى تدب فى الأرض وَ الْأَنْعامِ جمع نعم، و هى الإبل و البقر، و الغنم، خلق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۸

[سورة فاطر (۳۵): آية ۲۹]

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (۲۹)

مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ أى كالذى تقدم من الثمار و الجبال، فهذا إنسان حبشى أسود، و هذا صينى أصفر، و هذا آسيوى أبيض و أحمر، و هذه هرة بيضاء، و هذه هرة سوداء، و هذه نعجة حمراء، و تلك صفراء، و هكذا، فمن يا ترى خلق هذه الألوان؟ و من يا ترى خلط هذه الألوان، بأجسام هذه المخلوقات؟ و قد تقرر فى العلم الحديث، أن أقسام الألوان «ثلاثمائة ألف» إنه هو الله الخالق المبدع المنشئ العظيم إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مفعول يخشى مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ فاعل يخشى، أى يخشى من الله، العلماء من أقسام عباده، فإن الإنسان، إنما يخاف من الأسد- مثلا- إذا عرفه، أما الجاهل بوجوده، أو ببأسه، فإنه لا يخاف منه، و كذلك الجاهل، بأصل وجود الله أو ببأسه و بطشه لا يخشاه، و إنما العالم به و بعذابه، لمن عصاه يخشاه تعالى، و يخافه إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب فى سلطانه، فاللازم أن يخشاه العصاة غَفُورٌ لمن آب و أناب، فلا ييأس من عفوه، و غفرانه، العاصون.

[۳۰] إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ أى يقرءون حق قراءته للعمل و الاتباع، و المراد بكتاب الله هو القرآن وَ أَقامُوا الصَّلاةَ بآدابها، و شرائطها، و الاهتمام بالصلاة، فى كل مكان، لأجل أنها خير وسيلة لتركيز الإيمان فى القلب، بسبب استمرارها، و إيحائها بعظمة الله و ارتفاعه، فى النفوس، و لذا كان المصلون أقل الناس شرا و إثما، و أكثرهم رحمة، و خيرا و نزاهة وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ عام يشمل جميع أنواع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۱۹

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۰ الى ۳۱]

لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (۳۰) وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (۳۱)

الرزق، من مال و جاه، و غيرهما سِرًّا وَ عَلانِيَةً أى فى جميع أحوالهم، فلا يفرق عندهم، السر و العلانية، فى البذل و الإنفاق يَرْجُونَ

بهـذه الأعمال تِجارَةً لَنْ تَبُورَ أى لن تفسـد، و لن تهلك، و المراد بالتجارة، نتيجة التجارة، و هى الثواب العائد إليهم من جزاء أعمالهم الصالحة، فلا يريدون بأعمالهم الرياء و السمعة، و إنما وجه الله سبحانه و ثوابه.

[۳۱] و إنما يفعلون هـذه الأعمال، و يرجون الثواب، لأن يوفيهم الله أُجُورَهُمْ كما تقول عملت لزيد، و رجوته، ليعطينى أجرى، و معنى وفاء الأجور، إعطائها كاملة، غير منقوصة وَ يَزِيدَهُمْ على ما يستحقون مِنْ فَضْلِهِ و إحسانه، كما قال تعالى، (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) «۱» ... و خبر «إنّ» محذوف، أى إن الذين يعملون تلك الأعمال، للأجر و الثواب، يعطيهم الله ما يترقبونه، و إنما حذف لدلالة قوله إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ عليه، فمن عمل ذلك، غفر الله ذنبه، و شكر عمله، و شكر الله للعمل: إعطاء جزائه و ثوابه لمن عمل.

[۳۲] و بمناسبة الحـديث، عن الذين يتلون الكتاب، يأتى السـياق، لبيان حال الكتاب وَ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ يا رسول الله مِنَ الْكِتابِ أى القرآن هُوَ الْحَقُّ الصحيح لا يشوبه فساد، و باطل، كأن تكون قصصه

---

(۱) الأنعام: ۱۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۰

[سورة فاطر (۳۵): آية ۳۲]

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (۳۲)

كاذبـة، أو أحكامه موجبـة للفساد، فى حال كونه مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ أى يصدق الكتب السابقة عليه من التوراة و الإنجيل، و غيرهما، من سـائر كتب الأنبيـاء إِنَّ اللَّهَ بِعِبـادِهِ لَخَبِيرٌ مطلع على أحوالهم، يعلم مـا يصـلحهم، و مـا يفسـدهم، كما يعلم من يؤمن، ممن لا يؤمن بَصِيرٌ ناظر إلى أعمالهم.

[۳۳] ثُمَ بعـد إنزال الكتـاب عليـك، يا رسول الله أَوْرَثْنَا الْكِتابَ أى القرآن الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا أى أعطيناه للمسـلمين بالإرث، و المراد بالإرث، انتقـاله إليهم، كمـا ينتقل المال من المورث إلى الوارث، فقـد انتقل القرآن من النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم إلى المسـلمين، و قـد اصـطفى الله المسـلمين، لحمل هـذه الرسالة، كما قال (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) «۱» ثم بين سـبحانه، إن هؤلاء العباد، على ثلاثـة أقسام فَمِنْهُمْ أى بعضـهم، و هم الأغلب ظالِمٌ لِنَفْسِهِ يرتكب بعض المعاصـى، و هـذا لا ينافى الاصـطفاء، فإن المراد، اصـطفاء المجموع، من حيث المجموع، فى مقابل الكفار و المشركين، و أهل الكتاب وَ مِنْهُمْ أى بعضهم، و هم الأقل مُقْتَصِدٌ متوسط، بين الطاعـة و المعصـية فليس من الظـالمين، و لا ـ من الصـلحاء الأخيـار وَ مِنْهُمْ و هم الأقـل سـابِقٌ بِالْخَيْراتِ أى ليسـبق الناس فى عمل الأعمال

---

(۱) آل عمران: ۱۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۱

[سورة فاطر (۳۵): آية ۳۳]

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (۳۳)

الخيرية بِإِذْنِ اللَّهِ و مشيئته، و هذا من أظهر مصاديقه الأئمة الطاهرين، ثم الأصلح فالأصلح من الأمة، و لذا قال الباقر عليه السّلام

«أما السابق بالخيرات، فعلى بن أبى طالب، و الحسن و الحسـين عليهم السّـلام و الشهيد منا، و أما المقتصد فصائم بالنهار و قائم بالليل، و أما الظالم لنفسه، ففيه ما فى الناس، و هو مغفور له»

«۱» ذلِكَ التوريث، للكتاب لهذه الأمة هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ إذ قد رآهم الله سبحانه، أهلا لحمل هذه الأمانة الرفيعة، و إبلاغها للناس.
[۳۴] و لهؤلاء جَنَّاتُ عَدْنٍ عدن بالمكان، بمعنى أقام فيه، أى البساتين التى يخلو فيها من يدخل يَدْخُلُونَها أى يدخلون تلك الجنات «عبادنا» حتى الظالم منهم، بعد أن يكون من ورثة الكتاب بالإيمان الكامل، و إنما عصى جهلا كسائر العصاة، الذين صحت عقيدتهم، و إنما خلطوا عملا صالحا، و آخر سيئا، أما من اختل إيمانه، فليس بمسلم مؤمن، حتى يشمل فى عموم «عبادنا» يُحَلَّوْنَ فِيها أى يلبسهم الله الحلو مِنْ أَساوِرَ جمع أسورة، و مفردها سوار، و هو ما يجعل فى اليد بين المرفق، و الزند مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً أى و يحلون فيها لؤلؤا، و قد كان مرسوم الملوك و الكبراء لبس الأساور وَ لِباسُهُمْ فِيها أى فى تلك الجنات حَرِيرٌ و هو الإبريسم المحض.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۳ ص ۲۱۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۲

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۴ الى ۳۶]

وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (۳۴) الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (۳۵) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (۳۶)

[۳۵] و بالإضافة إلى هذه النعم الجسمية، يتنعّم أهل الجنة بالنعم الروحية وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ الأحزان، التى تنتاب الإنسان فى الدنيا، فلا حزن هناك و لا غم، بل سرور و حبور إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ لذنوبنا و معاصينا شَكُورٌ لطاعاتنا و عبادتنا، و من شكره، أنه تفضل علينا بهذه النعم الجسام، فإن الشخص إنما يعطى العامل الجزاء، إذا شكر عمله، و قبله بقبول حسن.
[۳۶] الله الَّذِي أَحَلَّنا أى أنزلنا دارَ الْمُقامَةِ أى دار الخلود، التى نقيم فيها إلى الأبد مِنْ فَضْلِهِ و كرمه، و إلا فليست أعمالنا بقدر تستحق به هذا الجزاء العظيم لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ أى لا يصيبنا فى دار المقامة عناء و مشقة و تعب وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ و هو المشقة فى طلب المعاش، أو نحو ذلك.
[۳۷] و فى مقابل هؤلاء، الكفار الذين لم يقبلوا هذا الكتاب، فلننظر ماذا لهم هناك؟ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و رسوله، و اليوم الآخر، و ما يلزم الإيمان به لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ جزاء على كفرهم لا- يُقْضى عَلَيْهِمْ بالموت أى لا- يحكم الله عليهم بالموت فَيَمُوتُوا و يستريحوا من العذاب وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها أى لا يقلل عذاب جهنم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۳

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۷ الى ۳۸]

وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (۳۷) إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۳۸)

كَذلِكَ الذى ذكرنا من تعذيب هؤلاء الكفار بالنار نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ كثير الكفر المستمر عليه.
[۳۸] وَ هُمْ أى الكفار يَصْطَرِخُونَ أى يتصايحون من شدة العذاب، أصله «صرخ» بمعنى صاح، و هذا من باب الافتعال، قلبت تائه طاء على القاعدة فِيها أى فى جهنم، يقولون رَبَّنا أَخْرِجْنا من جهنم نَعْمَلْ عملا- صالِحاً، بعد إخراجنا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ من الكفر و المعاصى، لكن يأتيهم التوبيخ و التقريع أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ أى نعطيكم العمر الكثير فى الدنيا، بقدر ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ أى فى ذلك العمر مَنْ تَذَكَّرَ فلو كنتم تريدون التذكر و التوبة، كان لكم من العمر ما يكفى ذلك وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ و مع ذلك لم تؤمنوا، و لم تطيعوا، و قد أخبر سبحانه فى آية أخرى بقوله (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) «۱» فَذُوقُوا العذاب فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ينصرهم، و يدفع عنهم العذاب.
[۳۹] إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فالله سبحانه، كما أنه

(۱) الأنعام: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۴

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَساراً (۳۹) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً (۴۰)

خالقهما، عالم بما غاب عن الحواس، في السماوات و الأرض إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أي بالأشياء، التي تدور في صدور الناس، و لعل الإتيان بهذه الجملة هنا، باعتبار أنه يعلم ما في صدور الكفار، من أنهم، لا ينوون الإقلاع، صدقا، إن رجعوا إلى الدنيا، كما هو شأن المعاند دائما، و لذا قال سبحانه «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ».

[۴۰] هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ أي خلفاء للسابقين فِي الْأَرْضِ تخلفونهم، في مكانهم، لتعتبروا بهم، و أنهم حين عصوا أهلكوا فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ أي أن عاقبة كفره السيئة على نفسه، فإنه يتضرر بجزاء كفره وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً و هو أشد الغضب، فكلما بقوا في الكفر إزداد غضب الله عليهم وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً خسارة لخير الدنيا، و سعادة الآخرة، فلهم عذاب نفسي، هو مقت الله لهم، و عذاب جسمي هو الخسارة.

[۴۱] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أي أخبروني عن هؤلاء الشركاء أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ فهل خلقوا بعض الأشياء الموجودة في الأرض؟

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أم هل اشتركوا في خلق بعض الأمور

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۵

[سورة فاطر (۳۵): آية ۴۱]

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (۴۱)

الكائنة في السماء؟ حتى تقولون أنهم شركاء لله سبحانه، في العبادة، لأنهم اشتركوا معه، في خلق بعض الأشياء، في الكون أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً أي أنزلنا على هؤلاء المشركين كتابا يصدق عقيدتهم، بأن ينصر ذلك الكتاب على وجود شركاء لله سبحانه فَهُمْ أي هؤلاء الكفار عَلى بَيِّنَةٍ أي على حجة ظاهرة مِنْهُ أي من الشرك، فلهم حجة ظاهرة عليه، أو من ذلك الكتاب؟ لكن لم يكن مستند شركهم، لا هذا، و لا ذاك، و لا ذلك بَلْ إِنْ يَعِدُ أي ما يعد الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً فيقول بعضهم لبعض أن طريقتنا أحسن و أن النصر لنا بالآخرة، و الغرور هو الذي يطمع فيه، و لكن لا حقيقة له.

[۴۲] إن السماوات و الأرض، كلها مخلوقة لله سبحانه، و كما خلقهما يحفظهما عن الزوال، و التفكك، و ليس لصنم شرك في خلقهما أو إبقائهما إِنَّ اللَّهَ تعالى يُمْسِكُ أي يحفظ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بمن فيهما أَنْ تَزُولا أي كراهية أن تزولا عن مواضعهما، فلو انقطعت عناية الله عنهما، و عن هذا النظام، لاضطربت أوضاع الكون، فزالت المدارات و الأنجم من مواضعها، و هلك كثير من السكان، و اضطربت الأرض، كما أنه لو انقطعت العناية، عن أصل وجودهما عدمتا في اللحظة و الآن وَ لَئِنْ زالَتا أي قدّر زوالهما إِنْ أَمْسَكَهُما أي ما أمسكهما، و ما قدر على حفظهما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۶

[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۴۲ الى ۴۳]

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً (۴۲) اسْتِكْباراً فِي

الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (۴۳)

مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ أى من بعد الله سبحانه، فليس هناك أحد يتمكن أن يحفظ شيئا منهما إِنَّهُ كانَ حَلِيماً و من حلمه، لا يعجل بالعقوبة على الـذين يجعلون لله شركاء غَفُوراً يغفر الـذنب لمن أنـاب، و فى هـذا فتـح التوبـة على المشـركين، كى لا ييأسوا من روح الله، فإنه تعالى يقبلهم إن رجعوا عن شركهم.

[۴۳] إن الكفار بالإضافـة إلى رذيلـة الكفر، ارتكبوا رذيلـة خلف الحلف و العهـد وَ ذلك لأنهم أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ أى بأيمان غليظة، حسب غاية قدرتهم و طاقتهم، و «جهد» مصدر، أى جهدوا فى القسم جهدا، أو أقسموا هنا النوع من القسم لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ أى رسول ينذرهم لَيَكُونُنَّ أَهْدى أى أقبل للهداية مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ الماضية، فقد كانوا يسمعون أنباء الأنبياء مع قومهم- من أهل الكتاب- فيقولون، إن جاءنا رسول، نقبل قوله فورا، بلا معارضـة، أو مناقشة، و يحلفون على ذلك بالأيمان المغلظة فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما زادَهُمْ مجيئه إِلَّا نُفُوراً أى تباعـدا عن الحق، فقـد كان قلبهم، يلين للحق سابقا، أما إذا رأوه فقـد ابتعدوا عنه، ابتعادا كبيرا.

[۴۴] و إنمـا نفروا نفورا اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ أى لأنهم اسـتكبروا و تجبروا عن أن يكونوا تبعا للرسول، فقـد طلبوا الكبرياء فى الأرض لأنفسهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۷

وَ مَكْرَ السَّيِّئِ أى قصـدوا أن يمكروا المكر السـيئ بـالمؤمنين و المكر حيث كـان بمعنى التـدبير الخفى ضـد العـدو، صـح إضافته إلى السيئ، لأن من المكر، ما هو حسن، إذا كان ضـد عدو الدين، كما قال «و مكر الله» وَ لكنهم غفلوا من أنه لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ صـفة مكر، و فى مـا تقـدم، كـان مضافا إلى السـيئ، و المعنى لا يحيط جزاء المكر السـيئ إِلَّا بِأَهْلِهِ أى بأهل المكر، كما قالوا: «من حفر بئرا لأخيه، وقع فيه» فقد قرر سبحانه، أن يرجع المكر السيئ إلى من مكر، كما قال: (وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ) «۱» فَهَلْ يَنْظُرُونَ أى هـل ينتظر هؤلاء الكفـار المسـتكبرين المـاكرون إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ بأن تجرى فيهم، عادة الله فى الأمم السابقـة، التى كانت تكـذب أنبياءهـا عليهم السّـلام، و العـادة هى أن يعمهم الله بعقاب يهلكهم أى هل ينتظر هؤلاء عقاب الله؟ و إلا فلما ذا لا يؤمنون، بعد أن رأوا الحق ظاهرا، فإن كانوا ينتظرون ذلك فَلَنْ تَجِدَ يا رسول الله لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا و المعنى، فسيأتيهم العذاب، إذ لا تبدّل سنة الله، التى سنّها للمكـذبين، من أنه لما تمت عليهم الحجة، و لم يرتدعوا عمهم بالعقاب، و النكال وَ لَنْ تَجِدَ يا رسول الله لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا فالتبديل مثل أن يكون جزاء المكذب المرض، فيبدّله الله سبحانه، بأن

---

(۱) الأنفال: ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۸

[سورة فاطر (۳۵): آية ۴۴]

أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (۴۴)

يجعل جزاء المكذب الصـحة، و التحويل مثل أن يكون جزاء المكذب المرض فى الدنيا، فيحوله إلى المرض فى الآخرة، أو أن يكون المرض فى المكـذبين، فيحوله إلى المرض فى المؤمنين، و إنمـا جىء، ب «ينظرون» مكـان «ينتظرون» لأن المنتظر لشـىء، ينظر ليرى، هل صار أم لا، و هـذا لا يكون، إلا قرب وقت الشـىء الـذى ينتظره، فكأنه قرب العـذاب إليهم، فهم ينظرون ليروه، بخلاف «ينتظرون» فإنه يلائم الأمر البعيد المرتقب.

[۴۵] أ وَ لَمْ يَسِيرُوا أي هؤلاء الكفار فِي الْأَرْضِ التي أهلك أهلها، كأرض عاد و ثمود، و أرض سدوم، و غيرها فَيَنْظُرُوا بأعينهم كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم الذين كذبوا أنبياءهم، فأخذهم الله بالعقاب وَ كانُوا أولئك الذين أهلكوا أَشَدَّ مِنْهُمْ أي من هؤلاء الكفار قُوَّةً في أبدانهم، و في سائر مرافق حياتهم وَ إذ صار وقت هلاكهم، لم يقف دون إرادة الله قواهم الكثيرة، إذ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ بأن تكون القوة سببا لعجز الله عن تنفيذ إرادته في هلاك القوم فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ أي ليس، في السماء و لا في الأرض، شيء يقف أمام إرادة الله، فإذ قد أهلك أولئك الذين كانوا أشد من هؤلاء قوة، فهل يتمكن هؤلاء الأضعفون، إن يقفوا أمام العذاب؟ إِنَّهُ تعالى كانَ عَلِيماً بجميع الأشياء يعلم ما يفعل كل إنسان قَدِيراً بأن يجازيه حسب عمله، فليقلع هؤلاء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۲۹

[سورة فاطر (۳۵): آية ۴۵]

وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً (۴۵)

الكفار، عن غيهم و كفرهم، و إلا كان مصيرهم، مصير الأمم الماضية.

[۴۶] وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا من الكفر و العصيان ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها أي ظهر الأرض مِنْ دَابَّةٍ تدب على وجه الأرض، إذ قد خلقت الأشياء لأجل الإنسان، فإذا أهلك الإنسان لكفره و عصيانه لزم فناء سائر الحيوانات، لأنه قد فني ما لأجله خلقت، أو أن المراد، أن العذاب، لو نزل لعمّ الكل، فلا تبقى دابة في الأرض، فإنه إذا كان هناك جماعة بعضهم مجرم، و بعضهم صالح، و جاء السيل لأخذ المجرم، أخذ البريء معه، و هذا لا ينافي العدل، إذ يكون ذلك سببا لرفع درجات البريء- كما قرر في علم الكلام- بأن الآفات إما للتأديب أو للتعذيب، أو لرفع الدرجة وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ الله سبحانه إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى أي قد سماه في اللوح المحفوظ، فقد علّم على مدة بقاء زيد بسنة كذا و لبقاء عمرو بسنة كذا، و هكذا، و الاسم في اللغة بمعنى العلامة، و منه سمي علم الأشخاص اسما فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً عارفا بأحوالهم، فيجازيهم حسب ما عملوا، كما يقول الحاكم، مهددا للمجرمين إذا جاء يوم المحاكمة، أنا أعرف الناس، أي لا أشتبه في الحكم على المجرم بالعقاب، و أميزه على الصالح البريء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳۰

۳۶ سورة يس مكيّة/ آياتها (۸۴)

سميت السورة بهذا الاسم، لابتدائها، ب «يس» و هو كما ورد من أسماء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما لا ينافي في أن يكون «رمزا» أيضا، و ينطبق عليه بعض الأقوال الأخر، في المقطعات، و هي كسائر السور المكية، تعالج قضية العقيدة، في أسلوب جذّاب، و إذ كان في أواخر سورة فاطر، أنهم لم يؤمنوا بالرسول، بعد إذ جاءهم، افتتحت هذه السورة، بالحلف الأكيد، على كون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرسلا من قبل الله سبحانه.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذي من ابتدأ باسمه في أعماله، كان العمل قريبا بالخير، و التمام، و إن لم يبتدأ به، كان أبعد عن الخير، و إن تمّ في الظاهر، فإن طابع الله سبحانه، إذا لم يوضع على شيء فني فيما يفنى من زهرة الحياة الدنيا، و الإتيان بوصفي الرحمن و الرحيم، للتأكيد على هاتين الصفتين في الإله سبحانه، مقابل آلهة الكفار الذين يتصفون بالقساوة و الغلظة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳۱

[سورة يس (۳۶): الآيات ۱ الى ۶]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يس (۱) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (۲) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۳) عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۴)

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (۵) لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ (۶)

[۲] يس اسم للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، كما

ورد عن الباقر عليه السّلام، قال «إن لرسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خمسة أسماء فى القرآن، محمد، و أحمد، و عبد الله، و يس، و نون»

«۱»، أو رمز بين الله و بين الرسول و الأئمة عليهم السّلام، أو غير ذلك من الأقوال، و على الأول يكون «منادى» أى «يا رسول الله».

[۳] وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ حلف بالقرآن و إنما سمى القرآن حكيما، لما فيه من الأحكام الحكيمة، التى جاءت حسب الصلاح، و الحكمة هى وضع الأشياء مواضعها.

[۴] إِنَّكَ يا رسول الله لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فلست كاذبا، كما يزعم هؤلاء بل قد أرسلك الله إلى الناس بشيرا و نذيرا.

[۵] فى حال كونك عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ أى تسلك الطريق الذى لا انحراف له، فى العقيدة و العمل، و إنما جىء ب «على» تشبيها بمن كان يمشى على الطريق، لاستعلائه عليه.

[۶] فى حال كون القرآن تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ العزيز فى سلطانه، فلا يريد شيئا، إلا عمله، الرحيم بعباده.

[۷] لِتُنْذِرَ قَوْماً و هم كفار مكة ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ أى لم ينذر آباؤهم، لأنهم كانوا، بلا أنبياء، فى زمن فترة بين المسيح و الرسول عليهما السّلام، أو

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۹۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۴۳۲

[سورة يس (۳۶): الآيات ۷ الى ۸]

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۷) إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (۸)

أن «ما» موصولة، أى تنذرهم، كما أنذر آباؤهم، لكن ظاهر «الفاء» تفيد الأول فَهُمْ غافِلُونَ عن الأصول و الآداب، و النظام، و إنما عبّر بالغفلة، لأن الإنسان يكمن فى نفسه الأصول و الآداب (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) «۱» و إنما يغفل عنها، بسبب الأهواء، و الشهوات، و التقاليد.

[۸] لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ ثبت القول بالعذاب، على أكثر هؤلاء القوم، لعنادهم و لجاجهم فى الأمر، بعد تبين الحق، و وضوح الحجة فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ فقد علم الله عدم إيمانهم، أو أن المراد، أنه ثبت القول، بعدم الإيمان عليهم، بما علم الله فيهم من العناد و اللجاج، فهم لا يؤمنون.

[۹] إن هؤلاء الكفار فى إعراضهم كالإنسان الذى غلّت يديه مع عنقه، و غشى على بصره، فكيف أنه لا يتمكن أن يشرئب عنقه ليرى، و لا أن يلمس بيده ليعلم، و لا أن ينظر ببصره ليرى، فإن هذه الأعضاء الثلاثة تتعاون فى فهم الشىء، و حيث أن الله سبحانه، يرى من إنسان الإعراض عن الحق و اللجاج، يتركه حتى يضل و يتيه فى أودية العماية، فكأنّه أضلّه لأنه تركه، كما يقال: الملك أفسد الناس إذ تركهم حتى فسدوا إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أى أعناق هؤلاء الكفار المعاندين أَغْلالًا جمع غل، و هو السلسلة التى يربط بها المجرم فى عنقه أو يده أو رجله فَهِيَ أى تلك الأغلال إِلَى الْأَذْقانِ بأن

---

(۱) الروم: ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۴۳۳

[سورة يس (۳۶): آية ۹]

وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (۹)

كانت كبيرة، حتى وصلت إلى أذقانهم، ليرفعها نحو الفوق، فلا يتمكنون من النظر بعيونهم أمامهم، فإن رؤوسهم بسبب تلك الأغلال مرفوعة نحو السماء، و قيل أن المراد أيديهم مغلولة إلى الأعناق، ف «هى» عائدة إلى الأيدى المفهومة من السياق، و أذقان جمع ذقن، و هو النتو وسط الفك السفلى فَهُمْ مُقْمَحُونَ من قمح، بمعنى رفع رأسه إلى فوق، فإن الأغلال، لما امتدت إلى تحت أذقانهم، رفعت رؤوسهم إلى السماء، حتى لا يتمكنون من النظر أمامهم.

[۱۰] وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا أى أمامهم سدّ عن قبول الحق وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فكما أن الإنسان الذى حصر بين سدين، لا يتمكن من السير و الحركة، كذلك هؤلاء لا يتمكنون من السير مع الحق، و إنما هم جامدون فى مكانهم فَأَغْشَيْناهُمْ أى جعلنا على أبصارهم غشاوة، تمنعهم عن الإبصار فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ الحق، و

قد ورد أن هذه الآية نزلت فى أبى جهل بن هشام، و نفر من أهل بيته، و ذلك «أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قام يصلى، و قد حلف أبو جهل لعنه الله، لئن رآه يصلى ليدمغنّه فجاءه و معه حجر و النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قائم يصلى، فجعل كلما رفع الحجر ليرميه، أثبت الله عز و جل يده إلى عنقه، و لا يدور الحجر بيده، فلما رجع إلى أصحابه، سقط الحجر من يده، ثم قام رجل آخر، و هو من رهطه أيضا، فقال: أنا أقتله، فلما دنا منه جعل يستمع قراءة رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأرعب، و رأى كأن فحلا حائلا بينه و بين الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فرجع إلى أصحابه، فقال:

حال بينى و بينه، كهيئة الفحل يخطر بذنبه- أى يحرك ذنبه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳۴

[سورة يس (۳۶): الآيات ۱۰ الى ۱۲]

وَ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۱۰) إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ (۱۱) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ (۱۲)

غضبا- فخفت أن أتقدم»

«(۱).

[۱۱] وَ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أى على هؤلاء الكفار أَ أَنْذَرْتَهُمْ يا رسول الله أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ عن العقاب و النار لا يُؤْمِنُونَ إذ قد عاندوا الحق، و المعاند يتساوى عند الإنذار و عدمه.

[۱۲] إِنَّما تُنْذِرُ أى ينفع إنذارك، فى مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ أى القرآن، فقد أنذر الرسول الجميع لكن الذين انتفعوا به هم المؤمنون وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ أى فى حال كون الرحمن غائبا عن الحواس، و المعنى آمن بالله، و إن لم يره فَبَشِّرْهُ يا رسول الله بِمَغْفِرَةٍ أى غفران لذنبه وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ لما أتى به من الإيمان و العمل الصالح، و إنما كان الأجر الكريم، لعدم شوبه بما يفسده و ينقصه، أو لأنه يقدم إلى المؤمن مع الإكرام و الاحترام.

[۱۳] ثم بعد الكلام، حول الألوهية و الرسالة، يأتى دور المعاد، فقال سبحانه إِنَّا نَحْنُ التكرار للتأكيد و الإلفات إلى أن المتكلم ذو مقام عظيم نُحْيِ الْمَوْتى جمع ميت، أى ليوم القيامة، لنجازيهم وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا أى قدم الناس لآخرتهم من الأعمال الصالحة، أو

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۵۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳۵

[سورة يس (۳۶): آية ۱۳]

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (۱۳)

الفاسدة وَ آثارَهُمْ أى الأعمال التى أبقوها بعدهم، كمن عمر مسجدا و مخمرا، فإنه يكتب له الثواب و العقاب، و هو فى القبر وَ كُلَّ شَيْءٍ من الأعمال الصالحة و الطالحة، و سائر الأشياء أَحْصَيْناهُ من الإحصاء، و هو التعداد بالإثبات و الكتابة فِي إِمامٍ مُبِينٍ أى كتاب ظاهر، و إنما سمى الكتاب إماما، لأنه يجعل مصدر الأخذ، كما أن الإمام، مصدر الاقتداء و الأخذ، و لعل المراد بذلك اللوح المحفوظ،

و فى جملة من الأحاديث، «أن الإمام المبين، هو الإمام أمير المؤمنين»

عليه السّلام «۱»، و ذلك، إما تأويل أو مصداق، فإن الأعمال تعرض على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و الأئمة عليهم السّلام، حتى يكونوا شهداء عليها، فيعلمون أعمال الناس، و لا تنافى، بين أن يكون هناك كتاب صامت، و كتاب ناطق.

[۱۴] وَ اضْرِبْ لَهُمْ يا رسول الله مَثَلًا أى بيّن لهم مثالا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ أى قرية أنطاكية،

روى عن الباقر عليه السّلام أنه سئل عن تفسير هذه الآية، فقال: «بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكية، فجاءهم بما لا يعرفون، فغلظوا عليهما، فأخذوهما و حبسوهما فى بيت الأصنام، فبعث الله الثالث، فدخل المدينة، فقال: أرشدونى إلى باب الملك، فلما وقف على الباب، قال: أنا رجل كنت أتعبد فى فلاة من الأرض، و قد أحببت أن أعبد إله الملك، فأبلغوا كلامه الملك، فقال:

أدخلوه إلى بيت الألهة، فأدخلوه، فمكث سنة مع صاحبيه، فقال

---

(۱) تفسير القمى: ج ۲ ص ۲۱۲. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۴۳۶

لهما: بهذا ينقل قوم من دين إلى دين؟ بالخرق، أ فلا رفقتما؟ ثم قال لهما: لا تقرّان بمعرفتى، ثم أدخل على الملك، فقال له الملك: بلغنى أنك كنت تعبد إلهى، فلم أزل و أنت أخى؟ فسلنى حاجتك، فقال: ما لى من حاجة أيها الملك، و لكن رأيت رجلين فى بيت الألهة فما حالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتيانى ببطلان دينى، و يدعوانى إلى إله سماوى، فقال: أيها الملك، فمناظرة جميلة، فإن يكن الحق لهما اتبعناهما، و إن يكن الحق لنا دخلا معا فى ديننا، و كان لهما ما لنا و عليهما ما علينا؟ فبعث الملك إليهما، فلما دخلا عليه، قال لهما صاحبهما: ما الذى جئتما به؟ قالا: جئنا ندعوه إلى عبادة الله الذى خلق السماوات و الأرض، و يخلق فى الأرحام ما يشاء، و يصور كيف يشاء و أنبت الأشجار و الثمار، و أنزل القطر من السماء، فقال لهما:

إلهكما هذا الذى تدعوان إليه، و إلى عبادته، إن جئنا بأعمى أ يقدر أن يرده صحيحا؟ قالا: إن سألناه أن يفعل فعل إن شاء، قال أيها الملك:

علىّ بأعمى لم يبصر شيئا قط؟ فأتى به، فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يرد بصر هذا، فقاما و صليا ركعتين، فإذا عيناه مفتوحتان، و هو ينظر إلى السماء، فقال: أيها الملك، علىّ بأعمى آخر؟ فأتى به، فسجد سجدة، ثم رفع رأسه، فإذا الأعمى يبصر، فقال أيها الملك: حجة بحجة، علىّ بمقعد، فأتى به، فقال لهما مثل ذلك، فصليا، و دعوا الله، فإذا المقعد، قد أطلقت رجلاه، و قام يمشى، فقال: أيها الملك على بمقعد آخر فأتى به فصنع به كما صنع أول مرة، فانطلق المقعد، فقال: أيها الملك قد أتيا بحجة آتينا بمثلها، و لكن بقى شيء واحد، فإن كانا هما فعلاه دخلت معهما فى دينهما؟ ثم قال أيها الملك بلغنى أنه كان للملك ابن واحد، و مات، فإن أحياه إلههما، دخلت معهما فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۴، ص: ۴۳۷

[سورة يس (۳۶): آية ۱۴]

إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (۱۴)

دينهما فقال له الملك: و أنا أيضا معك، ثم قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة، قد مات ابن الملك، فادعوا إلهكما أن يحييه، فخرا ساجدين لله عز و جل، و أطالا السجود، ثم رفعا رأسهما، و قالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده، قد قام من قبره إن شاء الله،

فخرج النـاس ينظرون، فوجـدوه، قـد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب، قـال: فأتى به الملك، فعرف أنه ابنه، فقال له: ما حالك يا بنى، قال:

كنت ميتا، فرأيت رجلين بين يدى ربى الساعة ساجدين، يسألانه أن يحيينى، فأحيانى قال: يا بنى تعرفهما إذا رأيتهما، قال: نعم، فأخرج النـاس جملـة إلى الصـحراء، يمرّ عليه رجـل رجـل، فيقـول له أبوه انظر، فيقول لاـ ثم مروا عليه بأحـدهما بعـد جمع كـثير، فقـال هـذا أحـدهما، و أشار بيـده إليه، ثم مروا أيضا بقوم كثيرين، حتى رأى صاحبه الآخر، فقال و هذا الآخر، فقال النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم، صـاحب الرجلين: أمـا أنـا فقـد آمنت بإلهكما، و علمت أن ما جئتما به هو الحق، فقال الملك: و أنا أيضا آمنت بإلهكما، و آمن أهل مملكته كلهم»

«(۱)»

و فى بعض الروايات «أن عيسى عليه السّلام، كان هو الذى بعث بالرسولين، أولا ثم بعث وصيه شمعون ثانيا» «۲»

، كأنّ الإتيان بهذا المثل للدلالة على قدرة الله على الإحياء، إرشادا للمنكرين للبعث إِذْ جاءَهَا أى جاء إلى أهل تلك القرية الْمُرْسَـلُونَ الذين أرسلوا من قبلنا بتوسط عيسى المسيح عليه السّلام.

[۱۵] إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ أى إلى أهل تلك القرية اثْنَيْنِ أى رسولين

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۲۴۰.

(۲) راجع بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۲۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳۸

[سورة يس (۳۶): الآيات ۱۵ الى ۱۸]

قالُوا ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (۱۵) قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (۱۶) وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۱۷) قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۸)

فَكَذَّبُوهُما أهـل القريـة، و قـالوا لسـتم أنتم رسـلا من قبله سـبحانه، و إنما رجلين كاذبين فَعَزَّزْنا أى قويناهما برسول ثالث هو شـمعون فَقالُوا جميعا لأهل القرية إِنَّا إِلَيْكُمْ أيها القوم مُرْسَلُونَ فقد كانوا هم أنبياء بأنفسهم و رسل عيسى عليه السّلام.

[۱۶] قالُوا لهم أهل القرية ما أَنْتُمْ أى لسـتم أنتم إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فلا تصـلحون للرسالة من قبل الله، كما لسـنا نحن رسلا، فكانوا يظنون أن الرسول يجب أن لاـ يكون بشـرا وَ مـا أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ تـدعوننا إليه إِنْ أَنْتُمْ أى ما أنتم أيها المـدعون للرسالـة إِلَّا تَكْذِبُونَ أى كاذبون، فيما تدعون من أنكم أنبياء لله تعالى.

[۱۷] قـالُوا أى قـالت الرسـل الثلاثـة فى جواب القوم رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ و الـدليل على أن ربنا يعلم أنه أجرى الخوارق على أيدينا.

[۱۸] وَ مـا عَلَيْنـا أى لاـ يجب علينـا إِلَّا الْبَلاـغُ أى إبلاـغ الـدين الْمُبِينُ بـأن نبلغكم بكل جلاء و وضوح، بلا اختفاء و التواء، فإن آمنتم نفعكم إيمانكم، و إن لم تؤمنوا ضركم، أما نحن، فقد أدينا الأمانة، و بلغنا الرسالة.

[۱۹] قالُوا أى قال أهل القرية للرسل- بعد أن لم يتمكنوا من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۳۹

[سورة يس (۳۶): آية ۱۹]

قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (۱۹)

رد حجتهم- إِنَّا تَطَيَّرْنـا بِكُمْ أى تشاءمنـا بواسـطتكم، فنخـاف أن يصـيبنا شؤمكم، فنقع فى البلاـء من طالعكم السـيئ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عن

دعوتكم هذه لَنَرْجُمَنَّكَمْ من الرجم، و هو الرمى بالحجارة، أى نرميكم بالحجارة، حتى نقتلكم، فقد كان الرجم، من أبشع أنواع القتل، يعاقبون به أخطر أنواع المجرمين وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا أى من طرفنا عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع.

[۲۰] قالُوا أى قالت الرسل، فى جواب الكفار و تهديدهم طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أى إن شؤمكم معكم، حيث أقمتم على الكفر و العصيان، و الإقامة على الكفر، موجب للشؤم، كما قال سبحانه: (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) «۱» فليس بلاؤكم منا، بل من أنفسكم أ إِنْ ذُكِّرْتُمْ أى هل تذكيرنا لكم بالله، و اليوم الآخر، موجب لهذا القول لنا؟ و هذا استفهام إنكارى، كما تقول لمن هددك، حيث نصحته: هل نصيحتى توجب التهديد؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ فلا تهددونا، لأنكم وجدتمونا كاذبين، و أسباب شؤم و بلاء، بل لأنكم قوم تجاوزون الحق تجاوزا كثيرا، و لذا مع علمكم بصدقنا، و إننا أسباب خير و يمن تقولون لنا هذه الأقوال، و تهددونا بالرجم و العذاب.

---

(۱) طه: ۱۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۰

[سورة يس (۳۶): الآيات ۲۰ الى ۲۲]

وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (۲۰) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (۲۱) وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۲)

[۲۱] و قد كان رجل يسمى حبيب النجار آمن بالرسل عند ورودهم المدينة، و كان له بيت فى آخر المدينة، فلما سمع بمحاورة القوم مع الرسل، أتى إلى القوم لينصحهم وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ أى آخرها رَجُلٌ يَسْعى أى يركض و يسرع فى المشى، لئلا يفوته الموقف، و قد قيل إن القوم أرادوا قتل الرسل، فجاء حبيب لإنقاذهم من القتل، فلما وصل إلى المجتمع قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ الذين أرسلهم الله إليكم لهدايتكم و إنقاذكم من الكفر و العصيان.

[۲۲] اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً فهم، لا يريدون جزاء و ثمنا على تبليغهم، و إنما يقصدون بذلك الثواب، عند الله سبحانه، فما لكم لا تتبعون الناصحين الذين ينصحون، بلا ثمن و جزاء؟ وَ هُمْ فى كلامهم مُهْتَدُونَ قد هداهم الله سبحانه، فليسوا ضلالا، و لا كاذبين، و لا طالبين للأجر.

[۲۳] ثم التفت حبيب من الخطاب إلى التكلم، فقال وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى أى أىّ شىء لى فى عدم عبادتى لله الذى خلقنى؟ فإن «فطر» بمعنى خلق، و كان هذا الكلام للقوم، بصورة مؤدبة لا تثيرهم، و لا تزعجهم وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أيها القوم، فى يوم القيامة، فهو المبدئ و المعيد، فكونه خالقا موجب للشكر و العبادة و كونه مرجعا موجب للخوف و العبادة، فإن الإنسان إنما يطيع أحدا، إذا تفضل عليه، أو خاف عقابه، و الأمران مجتمعان فيه سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۱

[سورة يس (۳۶): الآيات ۲۳ الى ۲۵]

أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّى شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لا يُنْقِذُونِ (۲۳) إِنِّى إِذاً لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (۲۴) إِنِّى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (۲۵)

[۲۴] أ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ أى من دون الله آلِهَةً بأن أعبد الأصنام، عوض عبادة الله تعالى؟ و هذا استفهام إنكارى، أراد التعريض بالقوم، كيف يعصون الخالق، و يعبدون الأصنام؟ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ أصله «يردنى»، فعل مضارع من «أراد» و النون للوقاية، و ياء التكلم، محذوف، لدلالة الكلام عليه، أى إن إرادة الله أن يضرنى لا تُغْنِ عَنِّى شَفاعَتُهُمْ أى شفاعة الأصنام- الآلهة- شَيْئاً فإنها لا تشفع، و لو شفعت لم تفد شفاعتها، أو المعنى لا شفاعة لهم، فتغنى و تفيد، على طريق السالبة بانتفاء الموضوع وَ لا يُنْقِذُونِ أى لا ينقذوننى عن

الضرّ الذى أراده الله بى، و قد أراد بهذا تنبيه القوم على ما هم كانوا يعترفون به فى قرارة أنفسهم، من أن الأصنام، لا شأن لها إطلاقا، حتى إن أقل شىء لا يصدر منها، و الإتيان بالجمع العاقل للأصنام، لملاحظة وحدة السياق، مع كلام القوم، و اعتقادهم بأنها تسمع و تعقل.

[۲۵] إِنِّی إِذاً أى إذا عبدت الأصنام، مع أنها لا تنفع لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ أى انحراف واضح لا شك فيه.

[۲۶] إِنِّی آمَنْتُ بِرَبِّکُمْ أيها الرسل، أو أيها القوم فَاسْمَعُونِ سماعا يفيدكم، بأن تفعلوا مثل فعلى، أو المراد، فاشهدوا لى بهذه الشهادة، فإنى مؤمن بربكم الذى أوجدكم من العدم، لا الأصنام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۲

[سورة يس (۳۶): الآيات ۲۶ الى ۲۷]

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِی يَعْلَمُونَ (۲۶) بِما غَفَرَ لِی رَبِّی وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُكْرَمِينَ (۲۷)

[۲۷] قالوا، فاجتمع القوم، و قتلوا حبيبا، فنودى، حين أن قتل من قبله تعالى، و قِيلَ له ادْخُلِ الْجَنَّةَ المعدة لك بسبب إيمانك قالَ و هو ميت بعد استشهاده، كما ورد يا لَيْتَ قَوْمِی يَعْلَمُونَ

[۲۸] بِما غَفَرَ لِی رَبِّی أى بغفران ذنوبى، ليرغبوا فى ثوابه، و يدخلوا فى الدين، بترك الكفر و العصيان وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُكْرَمِينَ الذين أكرمهم، بالإضافة إلى الغفران بالثواب و الجنة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۳

تقريب القران إلى الأذهان الجزء الثّالث و العشرون من آية (۲۹) سورة يس إلى آية (۳۲) سورة الزمر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۴

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۵

[سورة يس (۳۶): الآيات ۲۸ الى ۳۰]

وَ ما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَ ما كُنَّا مُنْزِلِينَ (۲۸) إِنْ كانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ (۲۹) يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۳۰)

[۲۹] ثم إن الكفار يجب أن يعلموا أن الله سبحانه إذا أراد إهلاكهم، لا يرسل إليهم جنودا حتى يقاتلونهم، فيرجون احتمال غلبهم على جنود الله، حتى يقولوا إذا جاءت الجنود نتهيأ لها، بل إن الله إذا أراد الإهلاك، أرسل إليهم ملكا يصيح بهم صيحة واحدة تدمرهم، حتى إنه ليس لهم مجال لحركة أو عمل، فليعتبروا من قوم حبيب النجار، فإن جماعة منهم بقوا على الكفر، بعد إيمان الملك و حاشيته، و أرسلنا عليهم جبرئيل، أو ملكا آخر صاح بهم صيحة واحدة أو خلقنا صيحة فى الفضاء، أهلكتهم جميعا، حتى لم يبق منهم حىّ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ أى قوم الرجل الذى جاء، من أقصى المدينة يسعى مِنْ بَعْدِهِ أى بعد قتلهم له مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ من الملائكة، يحاربونهم، حتى تكون لهم فرصة المقاتلة، و احتمال الغلبة وَ ما كُنَّا مُنْزِلِينَ أى ليس شأننا، إنزال الجند، إذا أردنا إهلاك قوم، أو كما ننزل فيما سبق، لا ننزل فى المستقبل- و هذا تهديد لكفار مكة-.

[۳۰] إِنْ كانَتْ أى ما كانت كيفية إهلاك أولئك القوم إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً صاح بهم الملك، أو بخلق الصيحة فى الفضاء فَإِذا هُمْ خامِدُونَ أى ساكنون، قد ماتوا، من الخمود ضد الاشتعال، كأنهم قد أطفئوا فى أثر الصيحة.

[۳۱] يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ الحسرة هى الندامة، فالمعنى أيتها الندامة على العباد، احضرى فهذا وقتك، كما قالوا فى مثل «يا ويله» و «يا عجبا» أو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۶

[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۱ الى ۳۳]

أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (۳۱) وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ (۳۲) وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (۳۳)

المعنى، يا قوم أتحسر حسرة، و من المعلوم إن الله سبحانه لا يتحسر بمعناها فى البشر، و إنما المراد نتيجة الحسرة، كما فى سائر الصفات، كالغضب و الرضى، و ما أشبه، و لذا قالوا خذ الغايات، و اترك المبادئ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ «من» «لتعميم» النفى إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ يضحكون منه، و يجعلونه محلا للسخرية، و حيث كان الكلام فى السابق، حول مواجهة الأقوام للأنبياء، بالأذى و التكذيب، جاء السياق لبيان عموم الأذى، و إنه كان من شعبة السخرية.

[۳۲] أ لَمْ يَرَوْا هؤلاء الكفار المعاصرون للرسول، و معنى الرؤية العلم، على نحو الاستفهام التقريرى، أى ألم يصل علمهم كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ أى قبل هؤلاء مِنَ الْقُرُونِ كعاد و ثمود، و قوم لوط، و القرن يسمى الجيل و الأمة، باعتبار تقارن أعمارهم أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ أى أن تلك القرون إلى هؤلاء لا يَرْجِعُونَ فقد أخذهم العذاب، فلم تبق منهم باقية؟ فليعتبروا بأولئك، و ليعلموا أن مصير هؤلاء إن بقوا على كفرهم و تكذيبهم مصير أولئك.

[۳۳] وَ إِنْ كُلٌّ أى ما كل تلك الأقوام لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ «لما» بمعنى إلّا، أى إلا أن الجميع يحضرون لدينا يوم القيامة للحساب و الجزاء، و لعل «كل» باعتبار كل قوم، و «جميع» باعتبار كل فرد من كل قوم.

[۳۴] ثم كيف يكفر هؤلاء بالله سبحانه، و أمام أعينهم، آثاره الظاهرة،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۷

[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۴ الى ۳۵]

وَ جَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ وَ فَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ (۳۴) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلا يَشْكُرُونَ (۳۵)

و أعلامه الباهرة؟ وَ آيَةٌ أى علامة دالة على وجود الله لَهُمُ أى لهؤلاء المنكرين وجود الله سبحانه الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ التى لا نبات فيها، و لا حركة أَحْيَيْناها بالإنبات بواسطة المطر، أو سائر المياه وَ أَخْرَجْنا مِنْها من تلك الأرض الحبوب، فإن حَبًّا يراد به الجنس، و الحب، كالحنطة، و الشعير، و الأرز، و غيرها فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ أى من ذلك الحب، و المراد بعضه، لأن بعضه الآخر، يكون نصيب الحيوانات و الطيور.

[۳۵] وَ جَعَلْنا فِيها أى فى الأرض جَنَّاتٍ أى بساتين مِنْ نَخِيلٍ جمع نخل، و هو ما يعطى التمر وَ أَعْنابٍ جمع عنب، و أطلق العنب على شجرته باعتبار السبب و المسبب، و إنما خصّا بالذكر لكثرة أقسامهما خصوصا فى تلك البلاد وَ فَجَّرْنا أى أخرجنا فِيها فى تلك الأرض الميتة، أو فى تلك الجنات مِنَ الْعُيُونِ جمع عين، و هى محل خروج الماء العذب من الأرض.

[۳۶] و إنما فعلنا ذلك لِيَأْكُلُوا أى ليأكل البشر مِنْ ثَمَرِهِ أى من ثمر النخل و ما أشبه، و توحيد الضمير باعتبار كل واحد واحد وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أى لم تعمل كل عمل، من تلك الأعمال أيدى هؤلاء، فإنهم، و إن عملوا، و لكنهم أسباب ضعيفة ظاهرية، و إنما الخالق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۸

[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۶ الى ۳۸]

سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ (۳۶) وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ (۳۷) وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۳۸)

المكون هو الله تعالى أ فَلا يَشْكُرُونَ الله، بإعطائهم هذه النعم المتواترة؟

[۳۷] سُبْحانَ الَّذِي منصوب بفعل مقدر أى أنزهه تنزيها، و أسبحه تسبيحا خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها المراد بالأزواج الأصناف، أى أن من خلق

هـذه الأصـناف الكـثيرة الموجودة فى العـالم، منزه عن الشـريك و النقص، بـل هو الواحـد الـذى لاـ نقص فيه مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ بيـان «الأزواج» أى خلق أزواج النبـات و أصـنافه وَ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ خلق الأزواج، ذكرا و أنثى وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ من الجن و الملائكـة، و ما فى بطون الأرض، و قعر البحر، و أجواء السماء، و أصناف النجوم و غيرها.

و ستأتى الإشارة إلى خلق الأنعام، و لعله لذا لم يذكر هنا.

[۳۸] وَ آيَةٌ لَهُمُ أى دلالة على وجود الله، و سائر صـفاته، لهؤلاء المنكرين لله سـبحانه اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فكأنّ النهار كان جلدا على جسم الليل، فإذا جاء الليل، كأنّه سـلخ النهار من الليل، حتى يبـدو الليل، كما يسـلخ جلـد الشاة منها، فيبـدو جسـمها، فهو كقولنا «لحم الشاة نسلخ منه الجلد» فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ داخلون فى الظلام.

[۳۹] وَ الشَّمْسُ تَجْرِى كل يوم، لأن يأتيهم بالنهار لِمُسْتَقَرٍّ لَها أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۴۹

[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (۳۹) لاـ الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهـا أَنْ تُـدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۴۰)

إلى محل قرار لها- عند الناس- و هو تحت الأرض، أو إلى وقت قرار لها، و هو يوم القيامة ذلِكَ الإجراء تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ فى سـلطانه، فما أراد كان الْعَلِيمِ بالمصالح، فيعمل ما فيه صلاح البشر و الكون.

[۴۰] وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ أى قـدرنا له مَنازِلَ ففى كل يوم فى منزل، فإن للقمر ثمانيـة عشـر منزلا، كما ذكر علماء الفلك، أو المراد المنازل المرئيـة من هلاـل و قمر و بـدر، فى أحوالهـا المختلفـة زيادة و نقيصـة حَتَّى عادَ القمر فى آخر الشـهر كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ العرجون هو العذق اليابس المقوّس، فإن القمر فى آخر الشهر يعود كما بدأ هلالا ضعيفا مقوسا.

[۴۱] لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أى لا تتمكن أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ فى سـيرها فإن الشـمس تقطع دورة الفلك فى سـنة كاملة، و التى يقطعها فى شهر، أو أن حركاتهما فى أفلاكهما نظّمتا بحيث لا يصـطدم أحدهما بالآخر، و هذا بيان لحكمة الله سـبحانه، فى أنه نظمهما، بحيث لا يتلاقيان، و يسـببا فساد الأنظمـة الكونية وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ بأن يأتى الليل قبل تقضـى وقت النهار، كالإنسان الذى يسبق الآخر الذى يأتى حتى يلحقه، ثم يترادفان فى المسير حتى يتقـدم ذلك المتأخر، فإن الليل لا يزاحم النهار فى أفق واحـد، حتى يرى الإنسان ليلا و نهارا فى حال واحد، ثم يتقدم الليل، و يتأخر النهار، و هذا كناية عن دقة التنظيم الذى لا يتزلزل وَ كُلٌّ من الشـمس و القمر فِى فَلَكٍ و مدار خاص يَسْبَحُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۴۹۹

[سورة يس (۳۶): الآيات ۴۱ الى ۴۳]

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (۴۱) وَ خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ (۴۲) وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ (۴۳)

كالذى يسبح فى الماء بكل سهولة و يسر، و الإتيان بضمير العاقل، إما من باب أن لهما عقلا- و ذلك غير بعيد- و يؤيده ما ورد فى الدعاء من خطاب القمر، ب «أيها الخلق المطيع»

و إما من جهة أنه حيث نسب إليهما السباحة، و هى من فعل العاقل، ناسب الإتيان بضمير العاقل.

[۴۲] وَ آيَةٌ أى دلالة دالة على وجود الله سبحانه، و سائر صـفاته لَهُمْ أى لهؤلاء الكفار، أو البشر عامة أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ أى نسـلهم، و لعل نسبه الحمل إلى الذرية، مع أن الحمل عام للآباء و الأبناء، إن الذرية أحوج إلى الحمل فإن الإنسان الكبير، يمكن أن يعبر مضايق

البحـار بالسباحة، و ما أشبه، أما الذرية فلا علاج لسيرهم إلا بالسفينة فِي الْفُلْكِ أى السفينة الْمَشْحُونِ من «شحن» إذا ملأ، بمعنى السفينة المليئة بالناس و الأثاث، و معنى «حملنا» جعلنا الماء بحيث يمكن أن يحمّل عليه، بمثل السفينة المملوءة، فمن جعل ذلك يا ترى؟ إنه هو الله تعالى القادر على كل شيء، فبينما القطعة الصغيرة من الحجر تعوم فى الماء، لتسير على ظهره السفينة المحمّلة بالأثقال.

[۴۳] وَ خَلَقْنا لَهُمْ أى للبشر، أو للذرية مِنْ مِثْلِهِ أى من مثل الفلك ما يَرْكَبُونَ عليه فى البر من الأنعام التى تحمل أثقالهم إلى البلاد النائية.

[۴۴] وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فى البحر، حين كانوا راكبين فى السفينة، و ذلك بتهييج الرياح و العواصف، أو ما أشبه فَلا صَرِيخَ لَهُمْ أى فلا أحد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۱

[سورة يس (۳۶): الآيات ۴۴ الى ۴۶]

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ (۴۴) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ ما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۴۵) وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (۴۶)

يغيثهم، إن أردنا إغراقهم وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ أى لا يخلصون من الغرق، إذا أردناه، و لعل الفرق بين الأمرين، أن الصريخ أعم من المنقذ، فالصريخ من يترحم عليهم، سواء قدر على إنقاذهم أم لا.

[۴۵] إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا أى لا منقذ لهم، إلا رحمنا بهم و فضلنا عليهم، فإنه هو الذى بنجيهم من مخاطر البحر وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ أى و لأجل أن يبقوا أحياء مدة عمرهم حسب تقديرنا، إلى حين يوافيهم الأجل، أى أنقذناهم رحمة و إمتاعا.

[۴۶] وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ لهؤلاء الكفار الذين يشاهدون هذه الآيات الدالة على قدرتنا، و سائر صفاتنا اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أى ما أمامكم من الآخرة، فلا تعصوا حتى يحل عليكم عذاب ذلك اليوم وَ ما خَلْفَكُمْ فإن الإنسان العاصى يعاقب فى الدنيا فى مستقبل عمره بالعيش الضنك، كما قد يبتلى أولاده بما صنع، و هذا هو «ما خلف الإنسان» لأن الإنسان يخلف الدنيا وراءه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لكى يرحمكم الله تعالى، فلا يؤاخذكم بسيئات أعمالكم، و جواب «إذا» محذوف تقديره «أعرضوا» و لم يقبلوا، و قد استدل لذلك بقوله.

[۴۷] وَ ما تَأْتِيهِمْ أى تأتى هؤلاء الكفار مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ كالمعجزات التى يأتى بها الأنبياء، و الآيات التى تظهر فى الكون،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۲

[سورة يس (۳۶): الآيات ۴۷ الى ۴۹]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۴۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۸) ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ (۴۹)

و كالآيات المنزلة بقصد التشريع، و ما أشبه إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ يعرضون عن تدبرها، و العمل بموجبها، و إنما هم قد ركبوا أهواءهم، و عملوا بما توحى إليهم أنفسهم و تقاليدهم، و بهذا يخسرون الدنيا و الآخرة، و يلقون فى العذاب.

[۴۸] وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أى لهؤلاء الكفار أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ من المال قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا الذين يأمرونهم بالإنفاق أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ على نحو الاستفهام الاستنكارى، أى لماذا نطعم من لا يشاء الله إطعامه، إذ لو شاء إطعامه، تمكن من إطعامه؟ و قد أرادوا بذلك الفرار، عن بذل بعض أموالهم، ثم يقولون للمؤمنين مستهزئين إِنْ أَنْتُمْ أى ما أنتم أيها المؤمنون إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ أى انحراف واضح، حيث تأمروننا بالإنفاق لمن لا يريد الله إطعامه.

[۴۹] و قد كان المؤمنون ينذرون الكفار، بأنهم إن لم يؤمنوا، عاقبهم الله إما فى الدنيا أو فى الآخرة وَ لذا كان الكفار يَقُولُونَ منكرين قولة المؤمنين مَتى هذَا الْوَعْدُ الذى تعدوننا به من نزول العذاب بنا إن بقينا على الكفر إِنْ كُنْتُمْ أيها المؤمنون صادِقِينَ فيما تقولون؟

[۵۰] ما يَنْظُرُونَ أى ما ينتظر هؤلاء الكفار إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تصاح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۳

[سورة يس (۳۶): الآيات ۵۰ الى ۵۱]

فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (۵۰) وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (۵۱)

بهم بإذن الله، كما صيحت بالأقوام السابقين تَأْخُذُهُمْ و تهلكهم، فهل يريد هؤلاء تلك الصيحة؟ و هذا الكلام من باب الإهانة لهم، و بيان أن أمرهم يسير جدا، حتى أن صيحة واحدة تكفى لإبادتهم وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ أى تأخذهم الصيحة فى حال كونهم، يختصمون فى أمورهم، فتأخذهم على غرّة و غفلة من أمرهم، من «خصّم» أصله «اختصم».

[۵۱] فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً فإذا أخذتهم الصيحة بغتة، لم يقدروا على الإيصاء وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ إذا أخذتهم الصيحة خارج بيوتهم، فإن اختصامهم معناه أنهم فى الأسواق، و فى محل أعمالهم و أشغالهم، و يحتمل، أن يراد ب «الصيحة» النفخة الأولى، فإن إسرافيل ينفخ فى الصور، فيهلك جميع البشر، دفعة واحدة، كما ورد فى الأحاديث، أى أنهم لا يؤمنون، حتى تأخذهم الصيحة على نحو الاستفهام الإنكارى.

[۵۲] و بهذه المناسبة، يأتى السياق، لبيان بعثهم بعد موتهم، فقد رأينا، كيف ماتوا، بصيحة خارقة، أو بقبض روحهم، بواسطة عزرائيل، الذى هو شبيه بالصيحة، أو بنفخ إسرافيل، فلننظر إلى حشرهم وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ هو شبيه بالبوق، ينفخ فيه إسرافيل، حين يريد الله إحياء الناس للقيامة و المعاد فَإِذا هُمْ أى فإذا بالكفار بغتة و فجأة مِنَ الْأَجْداثِ جمع جدث، و هو القبر إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ و المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۴

[سورة يس (۳۶): الآيات ۵۲ الى ۵۴]

قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (۵۲) إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ (۵۳) فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۴)

الموضع الذى قرره الله سبحانه للحشر و الحساب، و إلا فلا مكان له سبحانه، فهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، لتقريب الذهن، و معنى ينسلون، يخرجون سراعا إلى الموقف، فإن النسول هو الإسراع فى الخروج.

[۵۳] قالُوا لما رأوا أهوال القيامة يا وَيْلَنا يا هلاكنا، احضر فهذا وقتك، أو يا قوم، ندعو على أنفسنا بالويل مَنْ بَعَثَنا أى أقامنا مِنْ مَرْقَدِنا محل رقدتنا، و الرقدة هى النوم، و المراد من قبورنا، ثم يقولون هذا البعث هو ما وَعَدَ الرَّحْمنُ فى دار الدنيا، فلم نك نصدّقه وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ أى الأنبياء عليهم السّلام، الذين أخبروا بذلك، فلم نك نصدقهم، فالآن نشاهد صدقهم، و هم فى القبر، لم يكونوا نياما، و إنما قالوا ذلك، باعتبار، أن قبرهم قد خلص، و صاروا إلى حال آخر، إذ حيوا كما كانوا فى الدنيا.

[۵۴] و ليس أمر البعث صعبا على الله سبحانه إِنْ كانَتْ أى ما كانت بعثتهم إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً صاح بها إسرافيل فى الصور النفخة الثانية فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ ترد أرواحهم إلى أجسادهم، و يحضرون فى موقف الحشر للحساب و الجزاء.

[۵۵] فَالْيَوْمَ أى يوم القيامة لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً بأن يزاد فى سيئاته،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۵

[سورة يس (۳۶): الآيات ۵۵ الى ۵۸]

إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ (۵۵) هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ (۵۶) لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ (۵۷) سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (۵۸)

أو ينقص من حسناته وَ لا تُجْزَوْنَ أيها البشر إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فجزاء كل حسب عمله، أو المراد إن الأعمال تجسّم فكل يرى عمله.

[۵۶] قد رأينا أحوال أصحاب النار، و أنهم يدعون بالويل، فلننظر إلى أحوال أهل الجنة إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الذين صدقوا بالله، و

بالرسول، و بالمعاد الْيَوْمَ أى فى ذلك اليوم فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ قد شغلهم النعيم، الذى لا عين رأت مثله، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، و معنى فاكهون، فرحون، ناعمون، متنعمون.

[۵۷] هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ من حور العين، أو حلائلهم الدنيوية، أو أشكالهم من سائر صنوف المؤمنين فِي ظِلالٍ هى ظلال أشجار الجنة و قصورها عَلَى الْأَرائِكِ جمع أريكة، و هى السرير الذى يصنع للعروس مُتَّكِؤُنَ فهم فى كمال راحة، فإن الاتكاء أفضل أحوال الجالس.

[۵۸] لَهُمْ فِيها أى فى الجنة فاكِهَةٌ هى ثمر أشجار الجنة وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ أى يتمنون و يشتهون، يقال ادّع علىّ ما شئت أى تمنّ.

[۵۹] و لهم بالإضافة إلى كل ذلك النعيم الجسمانى نعيم روحى، و هو سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ أى يقول الرب الرحيم لهم قولا، هو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۶

[سورة يس (۳۶): الآيات ۵۹ الى ۶۲]

وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (۵۹) أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۶۰) وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (۶۱) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (۶۲)

سلام، فإنه سبحانه يحيّيهم بالسلام.

[۶۰] وَ فى القيامة يقال للكفار امْتازُوا أى انفصلوا عن جماعة المؤمنين الْيَوْمَ أى فى هذا اليوم أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ فكونوا على حدة، و ذلك لإهانتهم، فإن المجرم إذا كان بين أناس آخرين لا تزدريه العيون، بخلاف ما إذا انفصل عنهم.

[۶۱] ثم يقال لهم من قبله سبحانه أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أى ألم آمركم و أعاهدكم على لسان الأنبياء أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ أى لا تطيعوه فيما يأمركم إِنَّهُ أى الشيطان لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة، فلما ذا عبدتموه، و أطعتموه، حتى تردوا هذا المورد؟.

[۶۲] وَ ألم أقل لكم أَنِ اعْبُدُونِي وحدى هذا أى عبادتى صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ لا انحراف فيه، و لا عوج، يوصلكم إلى خير الدنيا و سعادة الآخرة، فلما ذا تركتم عبادتى؟.

[۶۳] وَ لَقَدْ رأيتم فى الدنيا، أن الشيطان قد أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا أى خلقا كَثِيراً دعاهم إلى الضلالة، فقبلوا منه و انحرفوا أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ إن الشيطان يضلكم إن اتبعتموه، كما أضل جماعات كثيرة من جنسكم؟ و هذا استفهام إنكارى، يعنى أنكم بعد ما رأيتم إضلال الشيطان، لجماعات منكم، كيف اتبعتموه؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۷

[سورة يس (۳۶): الآيات ۶۳ الى ۶۶]

هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۶۳) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۶۴) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۶۵) وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (۶۶)

[۶۴] و إذ قد انحرفتم، و لم تسمعوا العظة، و النصيحة، ف هذِهِ التى تشاهدونها جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فى الدنيا، فلم تكونوا تصدقون بها.

[۶۵] اصْلَوْهَا أى ادخلوها، لا زمين لها، من صلى، بمعنى لزم الشيء الْيَوْمَ أى فى هذا اليوم بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ أى بسبب كفركم.

[۶۶] و هناك يشرع الكفار فى الجدال و الكذب ظانين أن ذلك ينجيهم، كما كانوا يفعلون فى الدنيا، فيحلفون بالله كذبا، قائلين (وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) «۱» و لكن كذبهم لا ينطلى هناك الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ أى نضع الختم على فمهم، لئلا يتمكنون من النطق وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ بأن نقدر أيديهم على الكلام، فتشهد الأيدى بأعمالها التى اقترفتها جرما و عصيانا وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ أى بما كان يعمل هؤلاء المجرمون، فمثلا تقول اليد «إنى سرقت»، و تقول الرجل «إنى مشيت إلى الزنى» و هكذا يفضحون هناك، حيث لا مخلص لهم، عن مثل هذه الشهادة الدامغة، و فى آية أخرى (وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) «۲».

[۶۷] و لا يظنن هؤلاء الكفار، أنا لا نتمكن من النكال بهم فى الدنيا، فإنا

---

(۱) الأنعام: ۲۴.

(۲) فصلت: ۲۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۸

[سورة يس (۳۶): الآيات ۶۷ الى ۶۸]

وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَ لا يَرْجِعُونَ (۶۷) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلا يَعْقِلُونَ (۶۸)

إنما نمهلهم هنا، و إلا فنقدر على مسخهم، و إنزال مختلف صنوف العقاب بهم جزاء على أعمالهم وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ أى لأعميانهم، يقال طمس على عينه إذا محاها حتى لم يبق منها أثر فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ تسابقوا على الصراط، أى الطريق، فإن العميان حين يتسابقون لسلوك الطريق، يرى الإنسان منظرا مضحكا فَأَنَّى يُبْصِرُونَ أى كيف يبصرون الطريق بعد العمى، حتى لا يصطدم بعضهم ببعض، و لا يسقط بعضهم بعضا؟

[۶۸] وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ و المسخ تبديل الإنسان حيوانا، كما مسخ اليهود قردة عَلى مَكانَتِهِمْ التى هم فيها، فى ذلك الطريق الذى تسابقوا فيه فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا أى يمضون إلى مقصدهم وَ لا يَرْجِعُونَ أى لا يتمكنون من الرجوع، فهم فى قبضتنا، حتى إنّا نتمكن أن نعميهم أو نمسخهم فى لحظة، و مع ذلك لا نفعل بهم ذلك رحمة و إمهالا لهم لعلهم يرجعون.

[۶۹] و هل يظن هؤلاء أنّا لا نقدر على مسخهم، أو طمس عيونهم؟ فلينظروا إلى الشباب كيف نبدلهم إلى شيوخ لا يقدرون على شيء، بعد القوة و النضارة، فمن يقدر على ذلك، و هم يرونه كل يوم يقدر على المسخ و الطمس وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ أى نعطيه عمرا كثيرا نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۵۹

[سورة يس (۳۶): الآيات ۶۹ الى ۷۰]

وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ (۶۹) لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ (۷۰)

ننكس قواه و خلقته، فيصير بعد القوة ضعيفا، و بعد العقل خرفا، و بعد النضارة ذابلا، و بعد العلم جاهلا، و هكذا، فهو راجع إلى حالة الطفولة أَ فَلا يَعْقِلُونَ هؤلاء الكفار إن من يقدر على هذا التنكيس، قادر على ذلك التنكيس، بالطمس و المسخ؟

[۷۰] و قد كان الكفار يقولون، إن محمدا شاعر، و إن القرآن شعر، فرجع السياق إلى ما بدأ: حيث قال «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» قائلا وَ ما عَلَّمْناهُ أى ما علمنا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الشِّعْرَ فليس القرآن شعرا وَ ما يَنْبَغِي لَهُ أن يقول الشعر من عند نفسه، ثم ينسبه إلى الله سبحانه، و

قد رووا إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان لا ينشد الشعر إطلاقا، حتى أنه إذا أراد أن يقرأ شعرا، بدّله حتى يخرج عن كونه شعرا، فقال ذات يوم بدل «كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا» ب «كفى الإسلام و الشيب للمرء ناهيا»

أما ما

ورد من أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال «أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب»

«۱»، فلم يثبت أنه قرأه على طريقة الشعر، فلعله لم يقف على «كذب» إِنْ هُوَ أى هذا الذى يقرأه من قبله تعالى إِلَّا ذِكْرٌ للناس وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ واضح، و ليس بشعر، و المراد بالذكر، إنه يذكّر الناس خالقهم الذى نسوه، بعد ما أودع فى فطرتهم، و لعل الإتيان، ب «الذكر» لأن الشعر كان فى الغالب لهوا و تشبيبا، فالذكر مقابل له.

[۷۱] لِيُنْذِرَ الله بواسطته، أو لينذر الرسول، أو لينذر القرآن مَنْ كانَ حَيًّا

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۱۴۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۰

[سورة يس (۳۶): الآيات ۷۱ الى ۷۳]

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ (۷۱) وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ (۷۲) وَ لَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ أَ فَلا يَشْكُرُونَ (۷۳)

فى أنه يسمع و يعقل، مقابل الإنسان الميت، الذى لا ينفعه الإنذار، و إنما شبّه بالميت، لأنه و الميت سواء، فى عدم الاجتناب عن الشيء المخوف وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ أى يثبت القول بالعذاب عَلَى الْكافِرِينَ بأن يتم عليهم الحجة، ففائدة القرآن، هداية العقلاء، و إتمام الحجة على الكفار.

[۷۲] أَ وَ لَمْ يَرَوْا أى هؤلاء الكفار المنكرون لله تعالى أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ أى لمنافعهم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا كناية عن تفرده سبحانه بالخلق، و النسبة إلى «اليد» للتشبيه بالمحسوس تأكيدا لعدم الاشتراك فى خلقها أَنْعاماً جمع نعم، و هى الإبل و البقر و الغنم فَهُمْ لَها مالِكُونَ فهم أنها ملكوها، بفضلنا و إحساننا؟ فمن يا ترى خلق لهم هذه الأنعام غيرنا؟

[۷۳] وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ أى سخرناها لهم، حتى صارت منقادة ذليلة تطيعهم، فلو كانت الأنعام، كسائر السباع، أو الحشرات- حتى مثل الفأر- فمن يا ترى كان يمكنه تسخيرها و تذليلها؟ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ أى من تلك الأنعام لفائدة الركوب كالإبل وَ مِنْها يَأْكُلُونَ أى و منها لفائدة الأكل، كالبقر و الغنم.

[۷۴] وَ لَهُمْ للبشر فِيها فى تلك الأنعام مَنافِعُ كلبس أصوافها و أوبارها، و إشعال فضلاتها، و ما أشبه ذلك وَ مَشارِبُ جمع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۱

[سورة يس (۳۶): الآيات ۷۴ الى ۷۵]

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (۷۴) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (۷۵)

مشرب، و هو مصدر ميمى، و المراد لبنها أَ فَلا يَشْكُرُونَ هذه النعم، التى منحناها لهم، بترك الكفر، و الدخول فى زمرة المؤمنين و المطيعين.

[۷۵] إنهم بعد أن علموا بجزيل إحساننا، و فضلنا عليهم، اتبعوا طريق الكفر و العصيان وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً المراد الجنس، فيشمل الواحد أيضا، فإن الجنس و الجمع يقومان مقام الآخر لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ أى لكى تنصرهم تلك الآلهة، من بأس الله سبحانه، كما قالوا (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى «۱» و قالوا (هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ) «۲».

[۷۶] و لكنهم أخطئوا فى انتظار النصرة من الآلهة لا يَسْتَطِيعُونَ أى تلك الآلهة، و الإتيان بضمير العاقل، لتوحيد السياق فى الحوار، بين المؤمنين، و الكفار، فإن الكفار كانوا يعبرون عن الأصنام، بألفاظ العقلاء زعما منهم، إنها تعقل و تدرك نَصْرَهُمْ أن تنصر هؤلاء الكفار وَ هُمْ أى الكفار لَهُمْ أى لتلك الآلهة جُنْدٌ كالجند، لأن الأتباع، كالجند مُحْضَرُونَ جميعا فى النار، أو المراد إن هؤلاء هم جنود الآلهة المحامون عنها، فكيف يمكن أن تكون الآلهة هى المحامية عنهم؟

(۱) الزمر: ۴.

(۲) يونس: ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۲

[سورة يس (۳۶): الآيات ۷۶ الى ۷۸]

فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (۷۶) أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (۷۷) وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (۷۸)

[۷۷] فَلا يَحْزُنْكَ يا رسول الله قَوْلُهُمْ قول هؤلاء الكفار فيك، إنك شاعر، أو ما أشبه ذلك إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ فى ضمائرهم، و بينهم فى مجالسهم الخاصة وَ ما يُعْلِنُونَ فى الملأ حولك، و حول رسالتك، من الوقيعة فيك، و نسبتك إلى الجنون و الكهانة و السحر، و ما أشبه.

[۷۸] و إذ ذكر السياق جملة حول الرسالة، رجع إلى الكلام حول المعاد، و قد كان من بلاغة القرآن الحكيم، إنه لا يأتى بكلام واحد فى تفصيل، و إنما يقطع الكلام المختلف تقطيعا، و يذكر بعض نوع فى خلال نوع آخر، حذرا من الإسهاب، و ملالة السامع أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ المنكر للمعاد أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ أى قطرة من المنى؟ و المراد بالرؤية العلم فَإِذا هُوَ إنسان كبير خَصِيمٌ لنا، أى يخاصمنا فى أوامرنا و أخبارنا مُبِينٌ ظاهر الخصومة، فإنه يخاصم فى قدرتنا على البعث، و قد رأى كيف قدرنا على أن نصنع إنسانا، من قطرة منى؟

[۷۹] وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا أى ضرب مثلا لإنكاره المعاد بالعظم البالى وَ نَسِيَ خَلْقَهُ أى ترك النظر فى خلق نفسه، حيث إن تصيير المنى إنسانا، أصعب فى نظر العامة، من تصيير العظم البالى إنسانا قالَ و هذا هو مثله مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ أى بالية؟ و الاستفهام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۳

[سورة يس (۳۶): الآيات ۷۹ الى ۸۰]

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (۷۹) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (۸۰)

إنكارى تعجبى، أى لا يمكن أن تحيى العظام البالية،

فقد ذكروا إن أبى بن خلف، أو العاص بن وائل، جاء إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعظم بال متفتت، و قال: يا محمد أ تزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

نعم، و نزلت الآية

.«۱»

[۸۰] قُلْ يا رسول الله، فى جوابه يُحْيِيهَا أى العظام الَّذِي أَنْشَأَها و أبدعها و خلقها أَوَّلَ مَرَّةٍ أى فى ابتداء الأمر، فمن كان قادرا على الإيجاد، فهو قادر على الإعادة وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ فليس لأحد أن يقول: هناك فرق بين الإيجاد و الإعادة، فإن الإعادة بالإضافة إلى احتياجها إلى القدرة، تحتاج إلى علم واسع، لكى يعلم الشخص إن أجزاء الميت الفلانى أين تفرقت و تناثرت، حتى يجمعها بأعيانها، ليكون المعاد، هو الأول، لا غيره؟ فإن الجواب، إن الله سبحانه، كما هو قادر على كل شىء، عالم بكل شىء.

[۸۱] ثم بيّن سبحانه، بعض آثار قدرته، دليلا على قدرته على إحياء الأموات الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أيها البشر مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ أى الرطب، غير اليابس، و إنما يسمى الرطب بالأخضر، لأن الماء إذا كان داخلا فى الأعواد، كان لون الشجر أخضر، فإذا يبس، مال لونه إلى السواد و الغبرة ناراً ف «المرخ» و «العفار» شجرتان، إذا اصطكت بعض أحدهما ببعض الآخر، خرج النار من بينهما، فمن قدر على إخراج النار من الشجر الرطب المضاد للحرارة، قادر على إيجاد الحياة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۷ ص ۲۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۴

[سورة يس (۳۶): الآيات ۸۱ الى ۸۳]

أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (۸۱) إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۸۲) فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۸۳)

فى العظم البالى فَإِذا أَنْتُمْ أيها البشر مِنْهُ أى من ذلك الشجر المخرج للنار تُوقِدُونَ أى تشعلون الحطب، فمن يا ترى جعل النار فى الشجر الريان بالماء؟ و من يا ترى جعل الشجر، بحيث يختزن من شعاع الشمس، مقدار يخرج و يتقد بمجرد الحك و الدلك؟ إنه هو الله القادر على كل شيء.

[۸۲] ثم أ وَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ هذين المخلوقين العظيمين بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بأن يصبّ أجزاءهم البالية فى القالب، حتى يخرج إنسان مثل الإنسان الأول؟ بَلى قادر على ذلك وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إذ هذه العملية، تحتاج إلى قدرة و علم، و كلاهما متوفران لديه سبحانه.

[۸۳] إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ و بمجرد هذه اللفظة، أو معناها- و هى الإرادة- يبدع ذلك الشيء، المراد فَيَكُونُ أمرا موجودا فى الخارج، فلا يحتاج سبحانه، إلى آلات و أسباب و زمان، حتى يوجد شيئا، و قد ذكرنا سابقا إن «كن» إما حقيقة بأن يخلق سبحانه صوتا، أو إشارة إلى إرادته تعالى حدوث ذلك الشيء.

[۸۴] فَسُبْحانَ منصوب بفعل مقدر، أى أسبح سبحان الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و المعنى أنزهه تعالى عن عدم القدرة، أو عدم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۵

العلم، و المعنى إن تمت قدرته ملك كل شيء، فهو قادر على الإيجاد و الإعادة، فإن «ملكوت» هو الملك، و زيد فيه التاء للعظمة، نحو «جبروت» و ملكوت كل شيء ما يقوم به ذلك الشيء، و لفظة «بيده» للكناية، فإن اليد هى الآخذة بالمملوكات، فهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، و إلا فليس لله سبحانه يد كأيدينا، فإنه سبحانه منزه عن الجسمية، و عوارضها وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أى تردون إلى جزائه و حسابه، حيث لا يملك أحد شيئا، إلا هو وحده فيجازيكم حسب أعمالكم الكافر و العاصى بالعقاب، و المؤمن و المطيع بالثواب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۶

۳۷ سورة الصافات مكيّة/ آياتها (۱۸۳)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على هذه اللفظة فى قوله «و الصافات» و هى كغالب السور المكية، تعالج قضايا العقيدة، بأصولها الثلاث، التوحيد و الرسالة و المعاد، فى أسلوب قصصى رائع، و لما ختمت سورة «يس» بشؤون الإله سبحانه، ابتدأت هذه السورة بتلك، مع فصل آيات سيقت للحلف على ذلك.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله الواحد، الذى له كل شيء جميل، و هو منزه عن كل شيء قبيح، فإن لفظ «الله» بما هو علم للذات المستجمع لجميع الكمالات، يوحى إلى هذا المعنى، و الرحمن الرحيم، وصفان مشتقان من الرحمة، يوحى مبدأ اشتقاقهما بالفضل و الرحم، و تكرارهما، بقوة هذه الصفة فى ذاته سبحانه، و الرحمن صفة الفعل، و ليس صفة الذات، فالمعنى أنه سبحانه يفعل ما يفعله الرحيم، لا إن له حالة نفسية، توجب ذلك و لذا قالوا فى مثل هذه الصفات «خذ الغايات و اترك المبادى».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۷

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱ الى ۵]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (۱) فَالزَّاجِراتِ زَجْراً (۲) فَالتَّالِياتِ ذِكْراً (۳) إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ (۴)

رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ رَبُّ الْمَشارِقِ (۵)

[۲] وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا «الصافات» جمع صافة، و هى الملائكة التى تصف أقدامها للصلاة و الإطاعة، أو أجنحتها حال الصعود و الهبوط و «صفا» تأكيد له، أى قسما بالملائكة الصافات، الذين يصطفون صفا، و إنما جيء بالجمع المؤنث، باعتبار الجماعة.

[۳] فَالزَّاجِراتِ أی ثم قسما بالملائکة التی تزجر الکفار حین قبض أرواحهم، أو تزجر من أمر الله، بزجره زَجْراً مصدر تأکیدی لفعل محذوف.

[۴] فَالتَّالِیاتِ ذِکْراً أی ثم قسما بالملائکة التی تتلو القرآن، أو سائر الکتب المنزلة، و حیث إن معنی التالیات یلازم الذکر جیء تأکیده بلفظ «ذکرا».

[۵] قسما بهؤلاء الطوائف من الملائکة إِنَّ إِلهَکُمْ أیها الناس لَواحِدٌ لا شریک له، و قد نری فی القرآن الحکیم القسم من الله سبحانه، بأصناف و أنواع مختلفة من الخلق، دلالة لعظمتها فی أنفسها، و إن لا یصح لنا أن نحلف إلا باسمه الکریم، کما

قال النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من کان حالفا، فلیحلف بالله، أو لیسکت

«(۱)».

[۶] رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ خالقهما و مربیهما وَ ما بَیْنَهُما من الهواء، و الإنسان و الملائکة، و غیرها وَ رَبُّ الْمَشارِقِ جمع مشرق،

---

(۱) متشابه القرآن: ج ۲ ص ۱۹۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۸

[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۶ الی ۸]

إِنَّا زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِزِینَةٍ الْکَواکِبِ (۶) وَ حِفْظاً مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ مارِدٍ (۷) لا یَسَّمَّعُونَ إِلَی الْمَلَإِ الْأَعْلی وَ یُقْذَفُونَ مِنْ کُلِّ جانِبٍ (۸)

و هو موضع طلوع الشمس، فإن الشمس فی کل یوم تطلع من موضع جدید، فلمن هذا الموضع فی کل یوم؟ إنه لله سبحانه.

[۷] إِنَّا زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا أی السماء القریبة إلی الأرض، مؤنث «أدنی» و إنما خصها بالذکر لاختصاصها بالمشاهدة، و لعل المراد بالسماء الدنیا مدار الأرض- کما یقوله العلم الحدیث- بِزِینَةٍ الْکَواکِبِ فإن الکواکب تزین الأرض، و الإضافة للنوع، أی بهذا النوع من الزینة، فإن السماء بجمالها تمتّع الإنسان، مع ما فیها من الفوائد الأخر.

[۸] وَ حفظناها حِفْظاً فإن السماء محفوظة مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ مارِدٍ متجرد خبیث خال من الخیر، فقد یظهر من الأحادیث، أن فی أعالی الجو، یقدر أمور الأرض، و کأنها مراکز للملائکة المدبرة للأمور- بإذن الله سبحانه- فالشیاطین ترید الصعود إلی تلک المراکز، لاستراق بعض الکلمات، لتعلم ماذا یحدث فی الأرض، لکن السماء محفوظة عن وصول الشیاطین و «مارد» مشتق من «مرد» و هو المنجرد، و منه یسمی بالأجرد، من لا شعر له، فکان الشیطان مجرد عن الخیر لا یتأتی منه عمل حسن.

[۹] لا یَسَّمَّعُونَ من أسمع أصله من باب الافتعال «استمع» ثم قلبت التاء سینا، علی القاعدة، أی إنما حفظنا السماء من کل شیطان لکی لا یستمعون إِلَی الْمَلَإِ الْأَعْلی و هم أشرف الملائکة الذین وکّل إلیهم بعض أمور الأرض و لهم مراکز فی تلک الطبقات الرفیعة فی الفضاء وَ یُقْذَفُونَ أی یقذف الشیطان الذی تجرأ و ذهب إلی هناک

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۶۹

[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۹ الی ۱۱]

دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ (۹) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ (۱۰) فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِینٍ لازِبٍ (۱۱)

للاستماع مِنْ کُلِّ جانِبٍ من جوانب السماء بالشهب، کاللص الذی یرمیه الإنسان، إذ رآه یرید سرقته، فقد جعل الله سبحانه الکواکب محلات للإرصاد، فهناک ملائکة ینظرون إلی الملأ الأعلی، فمهما اقترب منه شیطان رموه بالشهب- و هی النیازک- ینحونه عن الاقتراب، و هذا لا ینافی فی تعلیل النیازک، بعلل ظاهرة، فإنه سبحانه جعل للأشیاء عللا ظاهرة، و عللا خفیة، کالمیت الذی إنما یموت بالسم ظاهرا، و بقبض ملک الموت لروحه باطنا، و کالکسوف الذی هو لکثرة المعاصی باطنا، و لحیلولة القمر بین الأرض و

الشمس ظاهرا.

[۱۰] دُحُوراً أى دفعا لهم بالعنف، و طردا، يقال دحره، إذا طرده بالعنف وَ لَهُمْ أى لأولئك الشياطين عَذابٌ واصِبٌ أى عذاب دائم ثابت إلى يوم القيامة.

[۱۱] إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ الخطف هو سلب الشيء خلسة بسرعة، و المعنى إن الشياطين لا يسمعون إلى الملائكة، إلا من اقترب خفية، فاختلس بعض الكلمات، التى تدار بين الملائكة، بأن لقفها بسرعة فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ أى لحقته و أصابته جمرة من نار مضيئة تثقب و تحرق الشيطان من حرارتها و حدتها، و هذه هى النيازك التى نراها فى الليالى، و ذلك لا ينافى ما يعلله علم الفلك لها من أنها قذائف جوية.

[۱۲] و بعد تذكير هؤلاء بما خلقنا من السماوات و الكواكب، و غيرها من المخلوقات العظيمة فَاسْتَفْتِهِمْ أى اسألهم يا رسول الله أ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۰

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۲ الى ۱۵]

بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ (۱۲) وَ إِذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (۱۳) وَ إِذا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (۱۴) وَ قالُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (۱۵)

أى أحكم صنعا، و أصعب فى نظرهم أَمْ مَنْ خَلَقْنا من الملائكة و السماوات و الأجرام؟ فكيف أن هؤلاء مع ضحالتهم يتكبرون عن الانقياد، بينما إن ما هو أشد منهم خلقا خاضعون منقادون؟ إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ أى طين يلصق باليد، و هو الطين الصافى، و هذا بالنسبة إلى كل أحد أحد، فإن أصل كل فرد هو الطين- كما تقدم- فكيف أنهم مع وهن أصلهم يستكبرون؟

[۱۳] بَلْ عَجِبْتَ يا رسول الله من كفر هؤلاء، و شدة إنكارهم، مع وضوح الأمر وَ يَسْخَرُونَ بينما أنت- مع عظمك- تعجب، كيف غفلوا و تمردوا؟ و هؤلاء يسخرون بك، و بما تقول من الحقائق الواضحة الظاهرة للعيان.

[۱۴] وَ إِذا ذُكِّرُوا بآيات الله، أى ذكرتهم بالله و المعاد، مما هو كامن فى فطرة كل أحد لا يَذْكُرُونَ أى لا ينتفعون بالتذكير، فقد أقيم عدم السبب مقام عدم المسبب، إذ التذكير علة الانتفاع، فهم حيث لم ينتفعوا كأنهم لم يذكروا.

[۱۵] وَ إِذا رَأَوْا آيَةً دالة على وجود الله، و سائر صفاته، أو على رسالتك، و صدق ما تقول يَسْتَسْخِرُونَ أى يستهزئون بتلك الآية قائلين: إنها سحر، و الآتى بها ساحر، و جعلوا يضحكون منك و منها.

[۱۶] وَ قالُوا لتلك الآية إِنْ هذا أى ما هذا الذى عمله الرسول من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۱

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۶ الى ۲۰]

أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (۱۶) أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ (۱۷) قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ داخِرُونَ (۱۸) فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ (۱۹) وَ قالُوا يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ (۲۰)

الإعجاز إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ واضح ظاهر.

[۱۷] ثم أخذوا يظهرون التعجب من قولك بأنهم يبعثون يوم القيامة قائلين أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً بأن صارت لحومنا ترابا، و بقيت عظامنا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أى محيون بعد الموت؟

[۱۸] أَ وَ يبعث آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ الذين ماتوا، و صاروا ترابا، و الهمزة للاستفهام، و الواو عاطفة.

[۱۹] قُلْ يا رسول الله، فى جواب استفهامهم الإنكارى نَعَمْ أنتم و آباؤكم تبعثون وَ الحال أَنْتُمْ داخِرُونَ أى صاغرون أذلاء، من دخر، بمعنى صغر و ذل.

[۲۰] و ليس بعثكم أمرا مشكلا فَإِنَّما هِيَ أى بعثتكم بعد الممات زَجْرَةٌ أى صيحة واحِدَةٌ، هى نفخة إسرافيل فى الصور، و إنما سمى

النفخ زجرا لأنهم قد زجروا عن الحالة التی هم علیها إلی الحشر فَإِذا هُمْ یَنْظُرُونَ إلی القیامة التی کذبوا بها.

[۲۱] وَ قالُوا حین یرون القیامة یا قوم وَیْلَنا أو یا ویلنا احضر، فهذا وقتک، و ویل کلمة یقولها الإنسان عند توجه مصیبة إلیه، کأنه یتمنی الهلاک فرارا عن تلک المصیبة هذا یَوْمُ الدِّینِ أی یوم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۲

[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۲۱ الی ۲۴]

هذا یَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ (۲۱) احْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما کانُوا یَعْبُدُونَ (۲۲) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلی صِراطِ الْجَحِیمِ (۲۳) وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (۲۴)

الحساب الذی کذّبنا به.

[۲۲] فیردّ علیهم من قبل الله سبحانه، أو الملائکة، أو المؤمنین، ب هذا یَوْمُ الْفَصْلِ الذی یفصل فیه بین المؤمن و الکافر، و المبطل و المحق الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ فتقولون- و أنتم فی الدنیا- لا حساب و لا جزاء.

[۲۳] ثم یقال من قبل الله تعالی احْشُرُوا أی اجمعوا من ساحة المحشر الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ أی نساءهم الظالمات، أو المراد أشکالهم، فإن الزوج بمعنی الشکل، و کأنّ «الذین ظلموا» مراد به کبراء الظالمین، و یراد ب «أزواجهم» أشباههم من صغار الظالمین وَ ما کانُوا یَعْبُدُونَ أی الأصنام التی کانوا یعبدونها.

[۲۴] مِنْ دُونِ اللَّهِ أی سوی الله سبحانه، و إنما الاستثناء باعتبار أن المشرکین، کانوا یعبدون الله و الأصنام، فالاستثناء لتخصیص الأمر حتی فی الصورة و اللفظ- بالأصنام فَاهْدُوهُمْ أی أرشدوهم و أروهم- بعد جمعهم جمیعا- إِلی صِراطِ الْجَحِیمِ أی الطریق التی تنتهی إلی النار، و إنما جیء بلفظ الهدایة لشباهة إراءتهم لطریق النار بإراءة المؤمنین طریق الجنة.

[۲۵] وَ قِفُوهُمْ من «وقف» أی أوقفوا هؤلاء الکفار، قبل إلقائهم فی النار إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ أی یلزم أن یسأل عنهم، عما فعلوا لزیادة التقریع،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۳

[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۲۵ الی ۲۸]

ما لَکُمْ لا تَناصَرُونَ (۲۵) بَلْ هُمُ الْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (۲۶) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ (۲۷) قالُوا إِنَّکُمْ کُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْیَمِینِ (۲۸)

ثم یلقون فی النار، و قد ورد فی بعض الأحادیث سؤالهم عن ولایة الإمام أمیر المؤمنین علیه السّلام «۱»، و ذلک من باب بعض المصادیق لما یسأل عنه هناک.

[۲۶] ثم یقال لهم تقریعا و تبکیتا ما لَکُمْ أیها الکفار لا تَناصَرُونَ أی لا ینصر بعضکم بعضا، لإنجائکم من أهوال القیامة؟ أصله «تتناصر» حذفت إحدی تائیه للقاعدة.

[۲۷] بَلْ هُمُ الْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ منقادون، لما یفعل بهم، حیث لا یتمکنون من المعارضة، و لیس هناک کالدنیا، التی کان بعضهم ینصر بعضا- فیها- ضد الحق، و لإخماد نوره.

[۲۸] وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ أی بعض أولئک الکفار عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ فإن الأتباع یسألون القادة عن سبب إضلالهم؟ و یلقون علیهم تبعة ضلالهم.

[۲۹] قالُوا أی قالت الأتباع للقادة إِنَّکُمْ أیها القادة کُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْیَمِینِ أی عن طریق الیمن و البرکة، فتقولون لنا إن کفرتم، و لم تؤمنوا بقیت لکم البرکة و السعادة الدنیویة، فلم کنتم تغوونا بهذه الغوایة حتی نلاقی هذا المصیر السیئ؟ أو المراد کنتم تأتون عن طرف

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۴ ص ۲۷۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۴

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۲۹ الى ۳۳]

قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۲۹) وَ ما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ (۳۰) فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذائِقُونَ (۳۱) فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ (۳۲) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ (۳۳)

يميننا للإسرار فى آذاننا، فإن الذى يريد أن يناجى، يسر فى الأذن اليمنى، لأنها أكثر احتراما و استماعا، لأنها فى طرف القلب.

[۳۰] قالُوا أى القادة للأتباع، يريدون بذلك تبرئة ساحتهم عن تبعة كفر الأتباع بَلْ لَمْ تَكُونُوا أنتم بالذات مُؤْمِنِينَ فإنكم كنتم معرضين عن الله و الرسول، و إنا لم نسبب ضلالكم، حتى تكون التبعة علينا.

[۳۱] وَ ما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ أيها الأتباع مِنْ سُلْطانٍ أى سلطة و قهر نجبركم على الكفر، لو لا- أنكم كنتم تحبون الكفر بَلْ كُنْتُمْ أيها الأتباع، فى أنفسكم، و بدون إغوائنا قَوْماً طاغِينَ قد طغيتم، و تجاوزتم حدود الإيمان فتبعتكم على أنفسكم، لا نحن معاشر القادة.

[۳۲] فَحَقَّ عَلَيْنا جميعا التابع و المتبوع قَوْلُ رَبِّنا بأنا معذّبون، فقد قال الله سبحانه: إن من كفر، سيعذب، و قد ثبت، و انطبق علينا هذا القول، ف إِنَّا لَذائِقُونَ عذابنا على الكفر.

[۳۳] و إذ قد ثبت علينا و انطبق العذاب فَأَغْوَيْناكُمْ حسب استعدادكم الذاتى، حيث انزلقتم معنا فى حضيض الكفر إِنَّا كُنَّا بأنفسنا غاوِينَ و الطيور على أشكالها تقع.

[۳۴] ثم يحكى سبحانه حالتهم جميعا، بقوله فَإِنَّهُمْ القادة و الأتباع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۵

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۳۴ الى ۳۷]

إِنَّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (۳۴) إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (۳۵) وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ (۳۶) بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (۳۷)

يَوْمَئِذٍ أى يوم القيامة فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ لكونهم جميعا، كانوا كفارا مشتركين فى الضلال- فى الدنيا- فاشتركوا فى العذاب، هناك.

[۳۵] إِنَّا كَذلِكَ أى كما فعلنا بهؤلاء من التعذيب نَفْعَلُ بسائر المجرمين فهم معذبون بما صدر منهم من الكفر و العصيان، و كأنّ الآية ذكرت سابقا جماعة خاصة، دار حولهم الكلام- و هم المشركون- ثم أرادت تعميم الأمر على سائر من يجرم.

[۳۶] ثم بين سبحانه علة تعذيبهم بقوله إِنَّهُمْ كانُوا فى الدنيا إِذا قِيلَ لَهُمْ قولوا لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ و اتركوا عبادة الأصنام يَسْتَكْبِرُونَ أى يطلبون الكبرياء، و يرون أنفسهم فوق هذا الاعتراف، أ ليسوا هم أكبر قدرا من أتباع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ بزعمهم.

[۳۷] وَ يَقُولُونَ أى يقول بعضهم لبعض أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا أى هل إنّا نترك الأصنام لقول شاعر مَجْنُونٍ يعنون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و الاستفهام إنكارى، أى لا نفعل ذلك.

[۳۸] فرد الله عليهم ذلك بقوله، إن الرسول ليس شاعرا و لا مجنونا بَلْ جاءَ بِالْحَقِ الذى هو التوحيد، و سائر الشؤون الأصولية وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ الذين كانوا من قبله، و هل يقال لمثله شاعر، أو يقال له

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۶

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۳۸ الى ۴۳]

إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ (۳۸) وَ ما تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۳۹) إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۴۰) أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (۴۱)

فَواكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ (۴۲)

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (۴۳)

مجنون؟ فهذا كلامه، ليس بشعر، و هذه حركاته ليست بحركات ذى جنون.

[۳۹] إِنَّكُمْ أيها الكفار لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ أى المؤلم الموجع، فإن استمراركم فى الكفر لا ينتج إلا ذاك.

[۴۰] وَ ما تُجْزَوْنَ يوم القيامة إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى على قدر إجرامكم، أو نفس جرائمكم- بناء على تجسيم الأعمال-.

[۴۱] و لما كان الخطاب، فى «إنكم» يوهم العموم لكل الناس، استثنى سبحانه عن ذلك بقوله إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ الذين أخلصهم الله لنفسه، فلا يعملون، إلا لله سبحانه، فإن هؤلاء بمعزل عن العذاب الأليم.

[۴۲] أُولئِكَ لَهُمْ فى الجنة رِزْقٌ مَعْلُومٌ قد علم و قدّر جزاء لأعمالهم، و الحصة المعلومة، أقر للعين من الحصة المجهولة، التى لا يدرى مقدارها.

[۴۳] ثم بين سبحانه بعض ذلك الرزق المعلوم، بقوله فَواكِهُ جمع فاكهة، و هى ثمرة الأشجار، يتفكهون بها و يتنعمون فيها وَ هُمْ مُكْرَمُونَ فلهم النعمة الروحية،- بالإكرام- إضافة على النعمة الجسمية بالجنة و الفواكه.

[۴۴] و ذلك الإكرام و الفواكه فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ أى البساتين التى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۷

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۴۴ الى ۴۸]

عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (۴۴) يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (۴۵) بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (۴۶) لا فِيها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ (۴۷) وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ (۴۸)

يتنعم فيها الإنسان.

[۴۵] و المؤمنون هناك عَلى سُرُرٍ جمع سرير مُتَقابِلِينَ حال عن أولئك، أى فى حال كون بعضهم فى مقابل بعض ليتم السرور عليهم بالتنعم فى المجالس مع الأصدقاء يرى بعضهم بعضا.

[۴۶] يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ و هى الإناء الذى فيه المائع اللذيذ، و معنى يطاف إن الحور و الولدان، يدورون عليهم بالكأس المملوءة مِنْ مَعِينٍ و المعين الماء الجارى، النابع من العين.

[۴۷] بَيْضاءَ و من ذلك يعرف، إن ما فى الكأس «خمر» لوصفه بالمؤنث، و بما سيأتى لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ فكأنها من كثرة اللذة قطعة منها، نحو زيد عدل.

[۴۸] لا فِيها أى فى تلك الخمر غَوْلٌ هو فساد يلحق الشيء، يعنى ليس فى ذلك الخمر فساد وَ لا هُمْ أى الشاربين عَنْها أى عن تلك الخمر يُنْزَفُونَ أى يسكرون، فليس فى خمر الجنة سكر، من نزف إذا ذهب عقله، أو بمعنى يطردون من نزف بمعنى طرد، فالشرب لهم دائم لا ينقطع مهما أرادوا.

[۴۹] وَ عِنْدَهُمْ زوجات قاصِراتُ الطَّرْفِ «الطرف» العين، و المعنى قصرن أعينهم على أزواجهن، فلا يرغبن فى غيرهم عِينٌ جمع «عيناء» و هى المرأة واسعة العين- مما يزيدها جمالا و رونقا- يعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۸

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۴۹ الى ۵۳]

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (۴۹) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (۵۰) قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ (۵۱) يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (۵۲) أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ (۵۳)

إنهن واسعات العيون.

[۵۰] كَأَنَّهُنَّ أي كـأن أجسام تلك الزوجات من البياض بَيْضٌ مَكْنُونٌ بيض قـد حفظ في مكان، فلم يـذهب بياضه، بواسـطة الوسـخ و الغبار.

[۵۱] و هناك لما يسـتقرون و يتنعمون، بأنواع النعم يـذهب بهم الفكر إلى أحوال الـدنيا، و ما كانوا فيها، ثم يتذكرون الكافرين الذين كانوا يسـتهزئون بهم، حيث إنهم يصـدقون بالمعاد فَأَقْبَلَ بَعْضُـهُمْ أي بعض أهل الجنـة عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ عن أحوالهم السابقـة، فقد التقوا هناك، و كثيرا ما لم يكن لأحدهم معرفة بالآخر.

[۵۲] قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ أي من أهل الجنـة لبعض أصـدقائه إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ أي شـخص مقارن معي في دار الـدنيا، بالجوار أو النسب أو الصداقة.

[۵۳] يَقُولُ لي على وجه الإنكار و الاستهزاء أ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أي من جملة الذين يصدقون بالحساب و الجزاء؟

[۵۴] ثم يستهزئ قرينه بما اعتقده قائلا أ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً لحومنا وَ عِظاماً أ إِنَّا لَمَدِينُونَ أي مجزيون بأعمالنا من دانه، بمعنى حاسبه و جازاه، أي كيف يمكن أن يجزى تراب و عظام؟ فإن هذا لا يكون أبدا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۷۹

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۵۴ الى ۵۸]

قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (۵۴) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ (۵۵) قالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (۵۶) وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (۵۷) أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (۵۸)

[۵۵] قـالَ هـذا المتسائـل- بعـد أن يحكي قول قرينه- هَـلْ أَنْتُمْ أيها الجلساء مُطَّلِعُونَ أي تحبون الاطلاع، و الإشـراف على النار، لترون ذلك القرين المكذب؟

[۵۶] فيقولون نعم نحب الاطلاع، فانظر أنت لتعرف مكانه، حتى ترينا، فإنّا لا نعرفه فَاطَّلَعَ هو بنفسه، و أشـرف على النار فَرَآهُ أي رأى قرينه فِي سَـواءِ الْجَحِيمِ أي في وسـط النـار، فـإن «سواء الشـيء» وسـطه، و طـبيعي أنه حين رآه، أراه إخوانه الـذين قـال لهم «هـل أنتم مطلعون».

[۵۷] و إذ قـد رأى قرينه الكـافر في النـار، يتوجه إليه بالتكلم معه قالَ له المؤمن تَاللَّهِ التاء للقسم، و تأتي غالبا لأمر غريب، أو نحوه إِنْ كِدْتَ أي قد اقتربت، لَتُرْدِينِ أي ترديني و تهلكني بوسوستك، و حذف «ياء» المتكلم تخفيفا.

[۵۸] وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّي و فضله بي، حيث عصـمني من أن أسمع كلامك، فأصير كما صرت لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ الذين أحضروا إلى الحشر و الحساب بالقهر- لا بالرضا- لأنهم علموا بمصيرهم السّيء، و لذا كرهوا الحضور، حتى أجبروا عليه.

[۵۹] ثم يردّد المـؤمن، مـا كـان يقوله الكـافر في الـدنيا، ترديـدا بإنكـار و تقريع أَ فَمـا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ أي كنت تقول في الـدنيا، مـا نحن نموت.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۰

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۵۹ الى ۶۲]

إِلاَّ مَوْتَتَنَا الْأُولى وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۵۹) إِنَّ هـذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۶۰) لِمِثْلِ هـذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ (۶۱) أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (۶۲)

[۶۰] إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولى فليس موت بعـد الحيـاة في القبر، فـإن الإنسـان إذا حوسب في القبر مـات ثانيـا، ثم يحيى يوم القيامـة، كما قال سبحـانه (رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) «۱» وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ يوم القيامـة، ألم تكن تقول ذلك؟ فهل كان صـحيحا؟ أو إن الكفار كانوا يقولون «ما وراءنا إلا موتة واحدة، فلا عذاب» و حينئذ معنى «الأولى» المتعارفة، لا في مقابل الموتة الثانية.

[۶۱] ثم يأتي السياق ليبين فوز أهل الجنة- بعد إسدال الستار على قصة تلك المحاورة- إِنَّ هذا الذي ينعّم المؤمن في الجنة لَهُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ الذى لا فوز و لا فلاح أعظم منه.

[۶۲] لِمِثْلِ هذا الفوز و الثواب فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ أى الذين يريدون العمل، فإنه أحسن نتيجة يحصل عليها العامل.

[۶۳] و بعد أن تقدم شطر من أحوال المؤمنين، يأتى السياق ليقابل بهم أحوال الكفار أَ ذلِكَ الثواب فى الجنان خَيْرٌ نُزُلًا «النزل» هو ما يعد للضيف، و نصبه لكونه تمييزا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ التى أعدت نزلا للكفار؟ قالوا، و هى شجرة صغيرة الورق زفرة مرة تكون بتهامة، شبهت بها الشجرة التى تنبت فى النار لتكون ثمرتها قوتا لأهل النار.

---

(۱) غافر: ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۱

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۶۳ الى ۶۷]

إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (۶۳) إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (۶۴) طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ (۶۵) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (۶۶) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (۶۷)

[۶۴] إِنَّا جَعَلْناها أى جعلنا تلك الشجرة فِتْنَةً أى محنة و عذابا لِلظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان فى الدنيا فابتلوا بأكلها.

[۶۵] إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ أى تنبت من هناك، و تعلوا أوراقها و أغصانها إلى سائر الدركات.

[۶۶] طَلْعُها أى ثمرها و حملها، و يقال للثمر الطلع، لأنه يطلع و يظهر كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ فى بشاعة المنظر، فإنها بالإضافة إلى طعمها السيئ لها منظر مهول، و الإنسان، و إن لم ير الشيطان، و رأسه، إلا أن تصويره جسما مهولا بشعا كاف فى التشبيه، أو لأنها ثمرة تسمى بذلك.

[۶۷] فَإِنَّهُمْ أى الظالمين لَآكِلُونَ مِنْها أى من تلك الشجرة، اضطرارا من جوعهم الشديد الذى لا يطاق فَمالِؤُنَ مِنْهَا أى من تلك الشجرة الْبُطُونَ أى بطونهم، و «اللام» عوض الضمير.

[۶۸] ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها أى بعد أكل تلك الشجرة لَشَوْباً أى شرابا مشوبا، ليس بصافى مِنْ حَمِيمٍ أى الماء الحار، و هذا كما يقال: شرب الماء على الطعام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۲

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۶۸ الى ۷۳]

ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (۶۸) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضالِّينَ (۶۹) فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ (۷۰) وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (۷۱) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (۷۲)

فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (۷۳)

[۶۹] ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ أى مأواهم و مصيرهم، بعد أكل الزقوم، و شرب الحميم لَإِلَى الْجَحِيمِ و كأن محل طعامهم و شرابهم، بعيد عن الجحيم فإذا أكلوا و شربوا رجعوا إلى محلهم، كما قال سبحانه (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) «۱».

[۷۰] إِنَّهُمْ أى هؤلاء الكفار، إنما يصرون على الكفر و الفساد تقليدا فقط، بلا حجة أو دليل، فقد أَلْفَوْا أى وجدوا، من ألفى يلفى بمعنى وجد آباءَهُمْ ضالِّينَ فقد رأوهم منحرفين عن طريق الهداية.

[۷۱] فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ أى يسرعون فى تقليدهم، فإن الإهراع الإسراع.

[۷۲] وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أى قبل هؤلاء الكفار أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ من الأمم السابقة.

[۷۳] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ أى فى أولئك الأولين مُنْذِرِينَ أنبياء ينذرونهم من الضلال و الكفر.

[۷۴] فَانْظُرْ يا رسول الله، أو أيها الناظر كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ

(۱) الرحمن: ۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۳

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۷۴ الى ۷۸]

إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۷۴) وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (۷۵) وَ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۷۶) وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ (۷۷) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۷۸)

حيث إن الله سبحانه، أهلكهم بعذابه لما انحرفوا، و هذا تهديد لهؤلاء بأنهم إن انحرفوا، أخذهم العذاب، كما أخذ السابقين.

[۷۵] إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ بصيغة اسم المفعول، أى الذين أخلصهم الله سبحانه لنفسه، فكانوا يعملون لله سبحانه، لا لغيره، و هذا استثناء من «المنذرين» يعنى إن المنذرين أهلكوا إلا عباد الله منهم.

[۷۶] ثم يأتى السياق ليبين طرفا من أحوال الأمم و أنبيائهم تنبيها و إيقاظا و تبيانا لقوله «و لقد أرسلنا» وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ بعد ما يئس من إيمان قومه، لننصره عليهم فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ نحن لنوح، فلقد أجبناه لما سئل من إنجائه من الكفار.

[۷۷] وَ نَجَّيْناهُ أى خلصناه وَ أَهْلَهُ عائلته- إلا ولده- مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ أى المكروه الذى كان ينزل به من قومه، بأن حملناه فى السفينة، و أهلكنا الكفار.

[۷۸] وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ أولاده و أحفاده هُمُ الْباقِينَ فى الأرض، فالناس كلهم- بعد نوح- من ولده، إذ هلك سائر الناس بالغرق.

[۷۹] وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ أى أبقينا له ذكرا جميلا فِي الْآخِرِينَ أى الأمم الآخرين الذى جاءوا بعده، و هكذا عاقبة المجاهد فى سبيل الله، نجاة، و بقاء الذرية، و ذكر جميل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۴

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۷۹ الى ۸۴]

سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ (۷۹) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۸۰) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۸۱) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۸۲) وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ (۸۳)

إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۸۴)

[۸۰] سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ إما جملة مستأنفة، تحية لنوح من الله سبحانه، و معنى هذا إنه سالم فى جميع العوالم، سالم الذكر، سالم الشخص، سالم المبدأ، أو إنه من تتمة الكلام السابق، أى تركنا عليه أن يسلم الناس عليه إلى يوم القيامة، فكل جيل من الأجيال عالم يحيّى نوحا بالسلام.

[۸۱] إِنَّا كَذلِكَ أى كما أنجينا نوحا نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بإنجائهم من الأعداء.

[۸۲] إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ و فى هذه الآية مدح للمؤمنين حيث جعل نوح عليه السّلام منهم.

[۸۳] ثُمَّ بعد إنجاء نوح عليه السّلام فى السفينة أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ أى الكفار.

[۸۴] وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ أى شيعة نوح لَإِبْراهِيمَ و الشيعة من المشايعة، بمعنى المتابعة، أى أن إبراهيم كان من الذين شايعوا نوحا فى منهاجه و دعوته إلى التوحيد و الشريعة، و الإذعان بالمعاد، و الانقياد لأوامر الله سبحانه.

[۸۵] إِذْ جاءَ إبراهيم عليه السّلام رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ سالم من الشرك و العصيان و الرذائل، و معنى «جاء» توجه إلى الله سبحانه، مع قلب طاهر نظيف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۵

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۸۵ الى ۸۹]

إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ (۸۵) أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (۸۶) فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۸۷) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (۸۸) فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ (۸۹)

[۸۶] إِذْ قالَ إبراهيم عليه السّلام لِأَبِيهِ آزر، و المراد عمه، فإن الاصطلاح على تسمية العم، أبا، احتراما وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ أى أىّ شيء تعبدونه.

[۸۷] أَ إِفْكاً الإفك هو الكذب آلِهَةً بدل من إفكا دُونَ اللَّهِ أى غير الله تُرِيدُونَ قال ذلك على نحو الاستفهام الإنكارى، أى كيف تعبدون آلهة دون الله بالكذب و الإفك؟

[۸۸] فَما ظَنُّكُمْ أيها المشركون بِرَبِّ الْعالَمِينَ أى ما تظنون أن يفعل بكم إذا أشركتم؟ و هذا تهديد لهم فى عبادتهم دون الله.

[۸۹] و لما رأى إبراهيم عليه السّلام، إن الكلام لا يؤثر فيهم عزم على أن يحطّم الأصنام، ليحدث فيهم ضجة، و دائما فى الضجة، تظهر القلوب النقية، و تصطدم التقاليد، فيولد فى الناس حب الاستطلاع و الرجوع إلى مناهجهم ليروا أيها صحيحا، و أيها فاسدا، و قد كان للقوم عيد يخرجون فيه إلى الصحراء، و يضعون الطعام أمام الأصنام، لتبارك عليه، ثم إذا رجعوا أخذوه للتبرك و الاستشفاء، و لما أرادوا الخروج، قالوا لإبراهيم، هلم معنا إلى العيد فَنَظَرَ إبراهيم عليه السّلام نَظْرَةً فِي النُّجُومِ و لعل نظره إليها، كان لأجل التفكر، فإن الإنسان إذا أراد أن يفكر- سريعا- صرف نظره عمن يقابله، إلى محل آخر، لئلا يشغله المخاطب، فيفكر فى أمره.

[۹۰] فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ فقد كان قلبه حزينا على إصرار القوم على الكفر،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۶

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۹۰ الى ۹۴]

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (۹۰) فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ (۹۱) ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ (۹۲) فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (۹۳) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (۹۴)

و السقم كما يطلق على المرض الجسدى، يطلق على ضجر النفس و عدم خلوها من الهمّ و المعنى لا حالة لى على الخروج معكم، فإن مشغول القلب بالهم، لا حالة له على التنزه و التفرج.

[۹۱] و لما عرف القوم، بأنه لا يخرج معهم تركوه فَتَوَلَّوْا عَنْهُ أى أعرضوا عن مصاحبته للعيد مُدْبِرِينَ أى ولوه الدبر ذاهبين إلى العيد.

[۹۲] فَراغَ أى مال إبراهيم إِلى آلِهَتِهِمْ أى الأصنام، فإنه حين رأى خلو المعبد من العباد، مال نحو الأصنام فَقالَ لها أَ لا تَأْكُلُونَ و قد كان هذا سؤال العارف يريد أن يسمع غيره، لتتم عليه الحجة، و المراد بالأكل وجود الحس و الحياة، و إلا فإله الحق أيضا لا يأكل، و قد تقدم أن أمام الآلهة كانت أطعمة للقوم.

[۹۳] ما لَكُمْ أيها الأصنام لا تَنْطِقُونَ و لا تتكلمون؟ و الإتيان بالضمائر على غرار العاقل، توحيدا مع سياق كلام القوم.

[۹۴] فَراغَ أى مال إبراهيم عَلَيْهِمْ أى على الأصنام ضَرْباً بِالْيَمِينِ فقد أخذ فأسا بيمينه، و شرع يحطمهم و يكسرهم، و إنما أخذ باليمين، لأنها أقوى فى العمل.

[۹۵] و لما رجع القوم من العيد، و دخلوا بيت الأصنام رأوها محطمة مكسرة، و علموا إن ذلك من فعل إبراهيم، لأنه هو الذى بقى فى المدينة، و إنه كان مخالفا للأصنام فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ أى إلى إبراهيم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۷

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۹۵ الى ۹۸]

قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ (۹۵) وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ (۹۶) قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (۹۷) فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ (۹۸)

يَزِفُّونَ أى يسرعون فى المشى، فإن «زف» بمعنى الإسراع فى المشى لنيل مطلوب، أو الانتقام من عدو، أو ما أشبه.

[۹۶] و أخذوا إبراهيم، و أثبتوا التحطيم عليه، ف قالَ لهم إبراهيم عليه السّلام أ تَعْبُدُونَ أيها القوم ما تَنْحِتُونَ على نحو الاستفهام الإنكارى، أى كيف تعبدون الأصنام، التى تنحتونها من الأحجار بأيديكم، و هل يمكن أن يكون الإله مصنوعا للإنسان؟

[۹۷] وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ أيها القوم وَ ما تَعْمَلُونَ من الأصنام، فإن أصنامكم التى تعملونها و تنحتونها مخلوقة له سبحانه.

[۹۸] و لما لم يتمكن القوم من رد حجة إبراهيم، و تفكروا فى التخلص منه قالُوا قال بعضهم لبعض ابْنُوا لَهُ لإبراهيم بُنْياناً محلا ليلقى فيه الحطب، فيشعل، ثم يقذف فيه إبراهيم ليحترق، و احتراق الإنسان لا يحتاج إلى ذلك، و إنما أراد القوم إظهار حقدهم على إبراهيم بذلك فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ أى النار، و كل نار عظيمة، تسمى جحيما.

[۹۹] و صنعوا البنيان، و جمعوا الحطب، و أشعلوه، و قذفوا فيه إبراهيم، لكنه لم يحترق فَأَرادُوا أى القوم بِهِ بإبراهيم كَيْداً حيلة للخلاص منه فلم ينجحوا بل جعلناهم الْأَسْفَلِينَ و أعلينا إبراهيم عليهم، إذ (قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ) «۱».

---

(۱) الأنبياء: ۷۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۸

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۹۹ الى ۱۰۲]

وَ قالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ (۹۹) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۰۰) فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (۱۰۱) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (۱۰۲)

[۱۰۰] و إذ خرج إبراهيم من النار ظافرا، و رأى أن القوم لا يؤثر فيهم الكلام، و إنما هم مصرون على عبادة الأصنام، أراد هجر تلك الديار، إلى مكان آخر، لعله يجد آذانا واعية وَ قالَ إبراهيم عليه السّلام إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي أى إلى حيث أمرنى ربى إلى الديار المقدسة، و هذا كما يسمى من يذهب إلى الحج، إنه ذاهب إلى الله سَيَهْدِينِ أى يهدينى ربى- فيما بعد- إلى المكان الذى يختاره لى، فإنى مهاجر من هذه البلاد، منتظر أمر ربى لاختيار المكان الذى أقطن فيه.

[۱۰۱] ثم دعا ربه أن يهب له ولدا، ليكون خلفه فى إقامة الدين، فقال يا رَبِّ هَبْ لِي ولدا مِنَ الصَّالِحِينَ بأن يكون من جملتهم.

[۱۰۲] فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ أى ولد حَلِيمٍ ذو حلم و أناة، و هذا من أعظم صفات المصلحين، إذ الإصلاح يحتاج إلى التحلّم من الجهال، و تلقّى أذاهم بصبر و أناة، و المراد بالغلام «إسماعيل» جد نبينا عليهما السّلام.

[۱۰۳] و أعطاه الله سبحانه الولد، و بقى معه حتى شبّ و كبر فَلَمَّا بَلَغَ الغلام مَعَهُ السَّعْيَ أن يسعى مع إبراهيم فى أعماله، فإن الولد ما دام طفلا لا يتمكن أن يشارك الأب فى مهامه، فإذا كبر و شب، يبلغ مبلغا يتمكن أن يسعى مع أبيه فى حوائجه قالَ إبراهيم عليه السّلام له يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أى رأيت فى النوم أَنِّي أَذْبَحُكَ و قد كان نومه وحيا من الله سبحانه، و كان هذا امتحانا آخر لإبراهيم عليه السّلام، بعد تلك المصاعب و الأحزان، و الطرد من الوطن، و إسكان الأهل فى واد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۸۹

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۰۳ الى ۱۰۵]

فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (۱۰۳) وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ (۱۰۴) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۰۵)

غير ذى زرع فَانْظُرْ يا بنى ما ذا تَرى أى ما رأيك فى هذا الأمر؟ فهل تقبل أن أذبحك أم لا؟ قالَ إسماعيل عليه السّلام يا أَبَتِ أصله «أبى» و التاء عوض عن الياء افْعَلْ ما تُؤْمَرُ من ذبحى، فإنى مستعد لذلك سَتَجِدُنِي عند الذبح إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ أصبر على ألم الذبح، و مفارقة الحياة.

[۱۰۴] فَلَمَّا أَسْلَما أى استسلم إبراهيم لذبح ولده، و إسماعيل لأن يذبح وَ تَلَّهُ أى أضجعه، فإن التل هو الصرع، و منه يسمى تل التراب تلا، لأن التراب يصرع و يجمع هناك لِلْجَبِينِ الجبين، ما عن يمين الجبهة و شمالها، أى أنام إبراهيم ولده إسماعيل على جنبه ليقتله.

[۱۰۵] أظهرنا له ما كنا نقصده من عدم الذبح- و إنما الامتحان- وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ فإتيان «الواو» هنا للإشارة إلى وجهة فى الكلام، و ذلك من فنون البلاغة.

[۱۰۶] قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا أى أتيت بما يصدقها، و التصديق كما يكون بالعمل، كذلك يكون بالتهيؤ القريب مع النية الجازمة إِنَّا كما جازينا إبراهيم بالعفو عن ذبح ولده، و إعطائه أجر الذبح كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى عملهم تجاه الله سبحانه بإطاعة أوامره، و اجتناب نواهيه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۰

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۰۶ الى ۱۰۷]

إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (۱۰۶) وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (۱۰۷)

[۱۰۷] إِنَّ هذا الذى امتحن به إبراهيم من ذبح ولده لَهُوَ الْبَلاءُ الامتحان الْمُبِينُ الظاهر، فإن تهيؤ الإنسان لذبح ولده بعد كبره و شدة علاقته معه، لمن أعظم الامتحانات.

[۱۰۸] وَ فَدَيْناهُ أى جعلنا عوض ذبح إسماعيل، فإن الفدية هو العوض عن شىء وجب على الإنسان بِذِبْحٍ عَظِيمٍ الذبح هو المذبوح، فقد جاء جبرئيل من الجنة بكبش ذبح عوض إسماعيل، و من المعلوم أن ذبح كبش الجنة فدية أعظم أقسام الذبح قربة إلى الله تعالى، أو المراد إنه كان عظيما، حيث أمر الناس بالاقتداء به، و السير خلفه، و إلى هذا اليوم يذبحون الأغنام، فى الأضحية تجديدا لتلك الذكرى، و قد ورد إن كل ما يذبح بمنى، فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة.

فى حديث عن الباقر و الصادق عليهما السّلام، يذكر قصة حج إبراهيم، قال ثم أفاض إلى المزدلفة، فسميت المزدلفة، لأنه ازدلف إليها، ثم قام على المشعر الحرام، فأمره الله أن يذبح ابنه، و قد رأى فيه شمائله و أخلاقه و آنس مما كان إليه، فلما أصبح أفاض من المشعر إلى منى، فقال لأمه: زورى البيت أنت، و احتبس الغلام، فقال يا بنى هات الحمار و السكين؟ حتى أقرّب القربان، سأل الراوى: ما أراد بالحمار و السكين؟ قال: أراد أن يذبحه ثم يحمله، فيجهزه و يدفنه، قال: فجاء الغلام بالحمار و السكين، فقال: يا أبت أين القربان؟ قال: ربك يعلم أين هو، يا بنى أنت و الله هو، إن الله قد أمرنى بذبحك، فانظر ما ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، قال: فلما عزم على الذبح، قال: يا أبت خمّر وجهى، و شد وثاقى، قال: يا بنى الوثاق مع الذبح؟ و الله لا أجمعهما عليك اليوم، قال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۱

الباقر عليه السّلام:، فطرح له قرطان «برذعة» الحمار، ثم أضجعه عليه، و أخذ المدية فوضعها على حلقه، قال فأقبل شيخ، فقال: ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله، غلام لم يعص الله طرفة عين تذبحه؟ فقال: نعم إن الله قد أمرنى بذبحه، فقال: بل ربك ينهاك عن ذبحه، و إنما أمرك بهذا الشيطان فى منامك، قال:

ويلك الكلام الذى سمعت، هو الذى بلغ بى ما ترى، لا- و الله لا أكلمك، ثم عزم على الذبح، فقال الشيخ: يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك، فإن ذبحت ولدك، ذبح الناس أولادهم فمهلا، فأبى أن يكلمه، ثم قال عليه السّلام: فأضجعه عند الجمرة الوسطى، ثم أخذ المدية فوضعها على حلقه، ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم انتحى عليه المدية، فقلبها جبرئيل عليه السّلام عن حلقه، فنظر إبراهيم، فإذا هى مقلوبة، فقلبها إبراهيم عليه السّلام على حدها، و قلبها جبرئيل عليه السّلام على قفاها، ففعل ذلك مرارا، ثم نودى من ميسرة مسجد الخيف، يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا، و اجترّ الغلام من تحته، و تناول جبرئيل الكبش من قلّة ثبير، فوضعه تحته، و خرج الشيخ الخبيث، حتى لحق بالعجوز حين نظرت إلى البيت، و البيت فى وسط الوادى، فقال: ما شيخ رأيته بمنى فنعت نعت إبراهيم عليه السّلام، قالت: ذاك بعلى، قال: فما وصيف رأيته معه؟

و نعت نعته، فقالت: ذاك ابنى، قال: فإنى رأيته أضجعه، و أخذ المدية، ليذبحه؟ قالت: كلا ما رأيته، إبراهيم إلّا أرحم الناس، و كيف

رأيته يذبح ابنه؟ قال: و رب السماء و الأرض، و رب هذه البنية، لقد رأيته أضجعه؟ و أخذ المدية ليذبحه، قالت: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذبحه، قالت: فحق له أن يطيع ربه «الحديث»

»(۱).

---

(۱) الكافى: ج ۴ ص ۲۰۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۲

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۰۸ الى ۱۱۳]

وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۱۰۸) سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ (۱۰۹) كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۱۰) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۱) وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۱۲)

وَ بارَكْنا عَلَيْهِ وَ عَلى إِسْحاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (۱۱۳)

[۱۰۹] وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ أى على إبراهيم عليه السّلام ذكرا جميلا فِي الْآخِرِينَ فى الأمم التى أتت من بعده، فإن جميع الأمم، يمدحون إبراهيم عليه السّلام، جزاء لجهاده، و إطاعته لله سبحانه.

[۱۱۰] سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ إما جملة مستأنفة، أى سلامة من الله على إبراهيم فى دنياه بالذكر الجميل، و فى آخرته بالجنة و النعيم، أو من تتمّة «و تركنا» أى أبقينا له تسليم الناس له و تحيتهم إياه.

[۱۱۱] كَذلِكَ الذى جزينا إبراهيم عليه السّلام نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ كل من أحسن عقيدة و عملا.

[۱۱۲] إِنَّهُ أى إبراهيم عليه السّلام مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ الذين آمنوا بنا، و فى هذا تلميح إلى رفعة درجة الايمان.

[۱۱۳] وَ بَشَّرْناهُ أى بشرنا إبراهيم، جزاء لخدماته و أتعابه بِإِسْحاقَ فقد كانت زوجته «سارة» لا تلد، لكن الله سبحانه شاء أن يتفضل عليهما بالولد فولدت له إسحاق فى حال كونه نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ أى من جملتهم، و فى جماعتهم، و هذا ترغيب فى الصلاح، و حيث إن النبى مع عظم درجته يعدّ منهم.

[۱۱۴] وَ بارَكْنا عَلَيْهِ أى على إبراهيم وَ عَلى إِسْحاقَ بأن جعلنا فيهما البركة و الزيادة: زيادة النسل، و زيادة الذكر، و زيادة الخير إلى غير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۳

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۱۴ الى ۱۱۶]

وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَ هارُونَ (۱۱۴) وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۱۱۵) وَ نَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۱۱۶)

ذلك، و يحتمل بعيدا أن يكون ضمير «عليه» راجعا إلى «إسماعيل» المفهوم من قوله «بنىّ» و قد صدق سبحانه، فإن من نسل إسحاق «اليهود» و من نسل إسماعيل كثرة من المسلمين، و قد بعث فيهم كثرة من الأنبياء، و بقوا إلى هذا اليوم وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما أى ذرية إبراهيم- و بالطبيعة يرجع ذلك إلى إسماعيل- و ذرية إسحاق مُحْسِنٌ بالإيمان و الطاعة وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ بالكفر أو العصيان مُبِينٌ صفة لكلا الأمرين، باعتبار كل واحد منهما، و كانت هذه الجملة، للتعريض بالظالم كيف يظلم، و آبائه هؤلاء الأنبياء العظام المحسنون؟

[۱۱۵] و بعد تمام قصة إبراهيم يعطف السياق إلى قصة موسى و هارون الذين هما من نسل إبراهيم عليه السّلام وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَ هارُونَ أى أنعمنا عليهما بنعم كثيرة لطفا و منّة، لا استحقاقا، فقد جعلناهما، نبيين عظيمين، و ملكناهما الأرض إلى غير ذلك من النعم، التى تفضل الله بها عليهما.

[۱۱۶] وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما أى خلصناهما و بنى إسرائيل مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ و هو إسار فرعون الذى كان يذبّح أبناءهم و يستحيى نساءهم.

[۱۱۷] وَ نَصَرْناهُمْ على فرعون بإغراقه مع جيشه، و غلبة هؤلاء عليهم فَكانُوا هُمُ أى موسى و هارون، و بنو إسرائيل الْغالِبِينَ على فرعون و قومه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۴

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۱۷ الى ۱۲۳]

وَ آتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ (۱۱۷) وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۱۱۸) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ (۱۱۹) سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۰) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۲۱)

إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۲۲) وَ إِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱۲۳)

[۱۱۸] وَ آتَيْناهُمَا أى أعطينا موسى و هارون الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ يقال استبان الأمر إذا أظهر ظهورا جليا، و المراد بالكتاب «التوراة» التى كانت ظاهرة جلية.

[۱۱۹] وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ أى دللناهما الطريق الذى يوصل إلى المطلوب بأقصر مسافة.

[۱۲۰] وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما أى أبقينا على موسى و هارون الذكر الجميل فِي الأقوام الْآخِرِينَ بأن عرّفناهما للناس، حتى يثنون عليهما.

[۱۲۱] سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ إما جملة مستأنفة، و إما من تتمة «تركنا» كما تقدم.

[۱۲۲] إِنَّا كَذلِكَ أى كما جزيناهما نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى العقيدة و العمل.

[۱۲۳] إِنَّهُما مِنْ جملة عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ و فيه إشارة إلى مدح الإيمان، حتى أن موسى و هارون يستحقان، آيتين عليهما بكونهما مؤمنين.

[۱۲۴] و إذ فرغ السياق من ذكر موسى و هارون، يأتى لذكر «إلياس» النبى عليه السّلام وَ إِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فى المجمع، قالوا: إنه بعث بعد حزقيل، لما عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل، و كان يوشع لما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۵

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۲۴ الى ۱۲۸]

إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۲۴) أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ (۱۲۵) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۱۲۶) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (۱۲۷) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۱۲۸)

فتح الشام، بوأها بنى إسرائيل و قسمها بينهم، فأحل سبطا منهم ببعلبک و هم سبط إلياس، فبعث فيهم نبيا إليهم، فأجابه الملک، ثم إن امرأته حملته على أن ارتد و خالف إلياس، و طلبه ليقتله، فهرب إلى الجبال و البرارى، إلى أن قال: و سلط الله على الملک و قومه عدوا لهم، فقتل الملک و امرأته.

[۱۲۵] إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ المعاصى و تخافون الله؟ على وجه الاستفهام الإنكارى، أى لماذا لا تتقون.

[۱۲۶] أَ تَدْعُونَ بَعْلًا اسم صنم لهم، أى كيف تدعون بالألوهية «بعلا» وَ تَذَرُونَ أى تتركون أَحْسَنَ الْخالِقِينَ أى الله فلا تتخذونه إلها؟

[۱۲۷] تذرون اللَّهَ رَبَّكُمْ بدل من «أَحْسَنَ الْخالِقِينَ» وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فإنه هو الخالق لكم جميعا، فكيف يترک الإنسان خالقه ليأخذ غيره؟

[۱۲۸] فَكَذَّبُوهُ فى دعوته و لم يؤمنوا به، بل قالوا إنک تكذب فى ادعائک بوجود الله، و أنک رسوله، فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ يحضرون فى القيامة بالعنف، و الكره منهم، حيث يعلمون شدة الحساب عليهم، و سوء الجزاء، بخلاف المؤمنين الذين يحضرون الموقف رغبة منهم، إذ يعلمون الجزاء الحسن.

[۱۲۹] إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ من قوم «إلياس» فإنهم ليسوا بمحضرين،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۶

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۲۹ الى ۱۳۲]

وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۱۲۹) سَلامٌ عَلى إِلْ‌ياسِينَ (۱۳۰) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۳۱) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۳۲)

أو استثناء منقطع، حيث إن المراد، إن كل إنسان محضر، إلا من أخلصه الله سبحانه لنفسه، من الصالحين- و قد ذكرنا سابقا وجه الاستثناء المنقطع-.

[۱۳۰] وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ أي على إلياس، ذكرا جميلا فِي الأقوام الْآخِرِينَ فإنهم يعظمونه.

[۱۳۱] سَلامٌ عَلى إِلْ‌ياسِينَ إما جملة مستأنفة، بأن يكون السلام من الله عليه، أو مرتبطة بما قبلها، أي تركنا عليه تسليم الأقوام عليه بالإضافة إلى الذكر الجميل، و «آل ياسين» لغة «في إلياس» أو باعتبار ما قالوا:

من أن الكلمة إذا كانت عجمية، جاز التصرف فيها بكل وجه، و لذا جاز في «جبرئيل» لغات، و ما ورد من أن المراد «آل ياسين» يعني آل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۱»، فذاك من باب التأويل، أو باعتبار استعمال اللفظ في أكثر من معنى- على المختار من جوازه بالقرينة-.

[۱۳۲] إِنَّا كما جزينا إلياس كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون في العقيدة و العمل.

[۱۳۳] إِنَّهُ أي إن إلياس مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ المصدقين بنا و بشريعتنا، و من المعلوم إن منتهى مفخرة الأنبياء، إنهم من المؤمنين، و لذا قال (وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) «۲» و قال تعالى:

---

(۱) تأويل الآيات: ۴۸۹.

(۲) آل عمران: ۱۰۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۷

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۳۳ الى ۱۳۸]

وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱۳۳) إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۳۴) إِلاَّ عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (۱۳۵) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (۱۳۶) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (۱۳۷)

وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۳۸)

(آمَنَ الرَّسُولُ) «۱».

[۱۳۴] و بعد تمام قصة إلياس، يأتي السياق للإشارة إلى قصة لوط وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ الذين أرسلهم الله إلى قومهم.

[۱۳۵] فقد جاء ليرشد قومه في ترك الكفر، و اجتناب الفاحشة، التي كانوا يرتكبونها، لكن وعظه لم ينفع في قومه، و أخيرا قدر الله سبحانه الهلاك على القوم، و إنجاء لوط من براثنهم إِذْ نَجَّيْناهُ أي لوط وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ من تلك القرية التي كانت تعمل الخبائث، بأن أمرناهم بالخروج منها ليلا.

[۱۳۶] إِلَّا عَجُوزاً هي زوجة لوط المنافقة فِي الْغابِرِينَ أي كانت في الباقين الذين أهلكوا.

[۱۳۷] ثُمَ بعد خروج لوط و أهله من القرية دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ التدمير هو الإهلاك، أي أهلكنا القوم بتقليب أرضهم ظهرا لبطن، و رجمهم بالحجارة.

[۱۳۸] وَ إِنَّكُمْ يا أهل مكة لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ أي على أراضي قوم لوط مُصْبِحِينَ أي صباحا، من أصبح، بمعنى دخل في الصباح.

[۱۳۹] وَ بِاللَّيْلِ فإن أهل مكة كانوا إذا سافروا إلى الشام، مروا بأراضي

---

(۱) البقرة: ۲۸۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۸

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۳۹ الى ۱۴۱]

وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱۳۹) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (۱۴۰) فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (۱۴۱)

قوم لوط المـدمرة، و رأوا أماكنهم أَ فَلا تَعْقِلُونَ أى أليس لكم عقل حتى تعتبروا بأولئك القوم، و تعلموا أن من تمادى فى الكفر و الطغيان، كان مصيره، مثل مصير أولئك؟

[۱۴۰] ثم أتى السياق للإشارة إلى قصة يونس عليه السّلام وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ الذين أرسلوا إلى أقوامهم لإرشادهم.

[۱۴۱] فقد جاء إلى قومه، و كانوا كفارا عصاتا، و عددهم مائة ألف، أو يزيدون، فدعاهم إلى الله مدة مديدة، لكنهم لم يستجيبوا له، فضاق بهم ذرعا و دعا عليهم بالعذاب، لكن دعائه عليهم، كان خلاف الأولى، و لذا شاءت إرادة الله سبحانه، أن ينبهه على ذلك إِذْ أَبَقَ أى فرّ من قومه تضجرا، لئلا يحضر وقت نزول العذاب بهم إِلَى الْفُلْكِ أى السفينة الْمَشْحُونِ أى المملوء بالناس و الأحمال، من شحنه إذا ملأه.

[۱۴۲] فَساهَمَ أى قارع، و ذلك لأن حوتا أخذ طريق السفينة، فاستقر رأى القوم على أن يقرعوا باسم الأشخاص الراكبين، فمن خرج اسمه فى القرعة، ألقوه للحوت ليأكله، فيفتح عليهم الطريق، و إنما قال «ساهم» لأن القوم كلهم، و منهم يونس، قبلوا القرعة، فهو من باب إسناد الفعل إلى السبب فَكانَ يونس مِنَ الْمُدْحَضِينَ يقال أدحضه إذا أسقطه، أى من الساقطين فى البحر، فقد أسقطه القوم حسب خروج اسمه على القرعة، و الإتيان بالجمع «المدحضين» باعتبار السياق، و توهم كلّى له أفراد فى سائر السفن، و تلك السفينة، فلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۴۹۹

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۴۲ الى ۱۴۴]

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (۱۴۲) فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (۱۴۳) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۱۴۴)

ينافى ذلك، إن لم يكن أحد مدحضا سواه.

[۱۴۳] فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ أى ابتلعه الحوت الذى كان سادا طريق السفينة، و قد أمره الله سبحانه أن لا يؤذى يونس، كما أوقف أجهزة هضمه عن هضم يونس، فكان عليه السّلام فى بطنه حيّا، و إن كان فى صعوبة و مشقة وَ هُوَ مُلِيمٌ أى مستحق للوم، يقال ألام الرجل، بمعنى أتى بما يلام عليه، فهو مليم، أو المراد أنه كان يلوم نفسه، لإتيانه بذاك المخالف للأولى، و معناه الشيء الذى يكون تركه أولى، فإذا أضفت إنسانا، كان الأولى أن تحضر له ماء غسل اليد قبل الطعام مثلا فإن لم تحضر له، كان ذلك خلاف الأولى، فتلوم نفسك لم ما أحضرت؟ و قد ثبت عقلا و نقلا، إن الأنبياء منزهون عن العصيان، فما يرى من هذا القبيل، يكون من باب «ترك الأولى» كما حقق فى علم الكلام.

[۱۴۴] فَلَوْ لا أَنَّهُ أى يونس كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ فإنه عليه السّلام كان يقول فى بطن الحوت (لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) «۱».

[۱۴۵] لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ أى يبقى فى بطن الحوت إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ أى يوم القيامة، و إنما نجّاه من بطن الحوت لتسبيحه و تنزيهه لله سبحانه، و ليس بدعا من قدرة الله سبحانه، أن يبقى الإنسان حيا، فإنه على ما يشاء قدير، و ما يقال: إن عمل يونس، كان تركا للأولى، و ترك الأولى، لا عقاب له، فكيف عوقب يونس بحبسه فى بطن الحوت؟ فالجواب إن مقام يونس

---

(۱) الأنبياء: ۸۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۵۴۹

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۴۵ الى ۱۴۷]

فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (۱۴۵) وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (۱۴۶) وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (۱۴۷)

الرفيع، يقتضى أن يكون ترك الأولى منه كالعصيان من سائر الناس، ألا ترى إن رئيس الوزراء، لو أتى عند الملك بما ينافى الآداب، عدّ عاصيا- بلحاظ مقامه- و إن كان الأكبر من مثل ذلك العمل، لا يعدّ عصيانا من سائر الناس، و من هاهنا قيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

[۱۴۶] و بعد زمان من مكث يونس فى بطن الحوت فَنَبَذْناهُ أى أمرنا الحوت بطرحه بِالْعَراءِ و هو المكان الخالى من الشجر وَ هُوَ سَقِيمٌ ذو علّة من تعب بطن الحوت.

[۱۴۷] وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ لظلاله شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ و هو القرع، فكان يمصه، و يستظل به و بورقه، و قد كان تساقط شعره عليه السّلام، ورّق جلده.

[۱۴۸] وَ أَرْسَلْناهُ إما بعد ذلك، كما روى إنه رجع إلى أهل نينوى بعد خروجه من البحر، أو حكاية لما قبل ذهابه عنهم إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ إما أن «أو» بمعنى الواو، كما قال ابن مالك:

و ربما عاقبت الواو إذالم يلف ذو النطق للبث منفذا

أو بمعنى الترديد، لأجل عدم الاهتمام بالخصوصية، و

قد روى عن الصادق عليه السّلام إنهم زادوا ثلاثين ألفا

«۱»، و يمكن أن يكون الترديد باعتبارين، فباعتبار المدينة، كانوا مائة ألف، و باعتبار أطرافها كانوا يزيدون.

---

(۱) الكافى: ج ۱ ص ۱۷۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۱

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۴۸ الى ۱۵۱]

فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (۱۴۸) فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّكَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ (۱۴۹) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ (۱۵۰) أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (۱۵۱)

[۱۴۹] فَآمَنُوا به إما المراد أن القوم الجدد الذين أرسل إليهم آمنوا به، أو المراد القوم الأول، و قد كانوا حين ذهب يونس آمنوا بالله و بما قاله يونس حين رأوا العذاب،

فقد ورد عن الباقر عليه السّلام إن يونس جاءه الوحى من قبله سبحانه، يقول: إن أهل نينوى قد آمنوا و اتقوا، فارجع إليهم

«۱» فَمَتَّعْناهُمْ أى رفعنا عنهم العذاب، و أبقيناهم يمتّعون بالحياة إِلى حِينٍ الموت، حيث ماتوا بآجالهم المقدرة لهم.

[۱۵۰] و بعد نقل هذه القصص، يعود السياق مع كفار مكة، ليوقظهم من غفلتهم، و ينبههم على خرافاتهم، فقال سبحانه فَاسْتَفْتِهِمْ أى سلهم يا رسول الله أَ لِرَبِّكَ الْبَناتُ أى هل لله أولادا إناثا وَ لَهُمُ الْبَنُونَ

فقد كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فكانوا يخصصون البنات- و هم يكرهونها- بالله، أما البنون فلهم وحدهم.

[۱۵۱] أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً أى هل خلقنا الملائكة نساء؟ وَ هُمْ شاهِدُونَ أى حاضرون وقت خلقنا لهم، حتى رأوا أنهم نساء، و هذا على وجه الاستفهام الإنكارى.

[۱۵۲] أَلا فليتنبه السامع إِنَّهُمْ أى الكفار مِنْ إِفْكِهِمْ و كذبهم، و «من» نشوية، أى من منشأ الكذب لَيَقُولُونَ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۳۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۲

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۵۲ الى ۱۵۸]

وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۱۵۲) أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ (۱۵۳) ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۱۵۴) أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۱۵۵) أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ (۱۵۶)

فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۵۷) وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (۱۵۸)

[۱۵۳] وَلَدَ اللَّهُ حين زعموا إن الملائكة أولاد الله وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ في قولهم، إن لله أولادا، و إن الملائكة إناث.

[۱۵۴] أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ أصله «أ أصطفى» بهمزتين، أحدهما للوصل، و الثانية للاستفهام، فحذفت همزة الوصل تخفيفا، أى هل اختار الله سبحانه، البنات على البنين، حين زعمتم إنه جعل ملائكته نساء؟ و المعنى الإنكار عليهم فى أن يختار الله، الأدنى- بنظرهم- على الأعلى، و هو قادر على كل شيء.

[۱۵۵] ما لَكُمْ أيها الكفار كَيْفَ تَحْكُمُونَ بهذا الحكم الباطل؟

و أصل «مالك» أى شيء لك، ثم استعمل فى الإنكار.

[۱۵۶] أَ فَلا تَذَكَّرُونَ تتعظون و ترجعون عن غفلتكم.

[۱۵۷] أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ أى هل تحكمون بذلك اعتباطا بدون دليل، أم لكم على ذلك دليل واضح؟ فإن السلطان بمعنى الدليل، لأنه يسلط الإنسان على خصمه الخالى من الدليل.

[۱۵۸] فإن تزعمون إن لكم دليلا على قولكم فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ الذى فيه الحجة على أن الملائكة إناث إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى قولكم.

[۱۵۹] وَ أغرب من هذا، أن جَعَلُوا أى الكفار بَيْنَهُ تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۳

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۵۹ الى ۱۶۱]

سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (۱۵۹) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۱۶۰) فَإِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ (۱۶۱)

وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً إما هو حكاية، لما كانوا يقولون: إن الله تزوج امرأة من الجن فولدت له الملائكة، أو لما كانوا يقولون: إن الله أخ لإبليس- و هو من الجن- فالله خالق الخير و إبليس خالق الشر، و الله أعلم بمراده وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ أى يحضرون بالكره لموقف القيامة، و لو كانت الجنة قريبة فى النسب لله سبحانه، كان تعالى يكرمهم، و هذا كقوله (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ) «۱»؟ و المعنى أن هؤلاء يزعمون إن الجن نسيب مع الله، و الحال إن الجن هم يعلمون إنهم عباد له يحضرهم للحساب و الجزاء كسائر العبيد.

[۱۶۰] سُبْحانَ اللَّهِ أى أنزه الله تنزيها عَمَّا يَصِفُونَ أى عن الشيء يصفون الله به من كونه صاحب الأولاد أو البنات، و إنه نسيب الجنة.

[۱۶۱] و إذ كان فى قوله سبحانه (إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ) «۲» عموم لفظى، استثنى من «إنهم» المؤمنين بالرسول المنزهين عن هذه الأقوال إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ الذين أخلصهم الله لنفسه، فهم لا يقولون بهذه الأقوال الفارغة و الخرافات.

[۱۶۲] ثم بين سبحانه إن هؤلاء الكفار لا يتمكنون من إضلال كل أحد، إلا الذين هم منحرفون ذاتا، و كأنه تسلية للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و للمؤمنين، بأن لا يخافوا على الدعوة أن تذهب سدى فَإِنَّكُمْ أيها الكفار وَ ما تَعْبُدُونَ

---

(۱) المائدة: ۱۹.

(۲) الصافات: ۱۵۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۴

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۶۲ الى ۱۶۵]

ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ (۱۶۲) إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ (۱۶۳) وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ (۱۶۴) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (۱۶۵)

أى الأصنام التى تعبدونها، أو المراد مطلق المعبودات حتى الملائكة.

[۱۶۳] ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ أى على الله سبحانه بِفاتِنِينَ يقال فتنة إذا أضلّه و حرّفه عن الطريق، أى أنكم لا تتمكنون من إضلال الناس، على خلاف الله سبحانه.

[۱۶۴] إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ و إنما تتمكنون على إضلال جماعة خاصة، هم يصلون الجحيم، و يلازمونها، فإن «صلى» بمعنى دخل النار ملازما لها، فمن سبق فى علمه سبحانه أنه منحرف، يصلى النار لا محالة، هو الذى يضل بإضلالكم، لا كل أحد، فالاستثناء من المقدر، أى «بفاتنين الناس، إلا ..».

[۱۶۵] ثم جاء السياق ليحكى جملة من خطاب الملائكة للكفار، فى رد قولهم، إن الملائكة بنات الله، و إنها آلهة شركاء لله- فقد كان بعض الكفار يعبد الملائكة- و قيل: إن كلام الملائكة يبتدأ من قوله «فإنكم» وَ ما مِنَّا معاشر الملائكة، و ما ورد من إرادة أهل البيت عليهم السّلام، بذلك، فإنه من باب التأويل، أو استعمال اللفظ المشترك فى أكثر من معنى، أو نحو ذلك، إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ لا يتمكن أن يتعدى ذلك المقام، فكيف يمكن أن يكون من بهذه الصفة إلها يعبد؟ فإن الإله لا حد له، و لا محل خاص يكنفه.

[۱۶۶] وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ صفوفا فى الصلاة، أو المصطفون كالخدم، ننتظر الأوامر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۵

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۶۶ الى ۱۷۱]

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (۱۶۶) وَ إِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ (۱۶۷) لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ (۱۶۸) لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۱۶۹) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۱۷۰)

وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ (۱۷۱)

[۱۶۷] وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ المنزّهون لله عن الشريك، و عن النقائص، فكيف يمكن أن يكون من هذا وصفه إلها، يعبد من دون الله؟

[۱۶۸] وَ إِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ «إن» مخففة من الثقيلة، أى أن الكفار، كانوا يقولون قبل بعثة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۱۶۹] لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ أى كتابا، من كتب الأنبياء السابقين، بأن كان أرسل إلينا رسول، كما أرسل إلى تلك الأمم.

[۱۷۰] لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أى كنا من الذين يخلصهم الله لعبادته، بأن كنا مطيعين له غاية الإطاعة، فإن كفار مكة، حيث كانوا يرون أهل الكتاب منحرفين، و يسمعون قصص أسلافهم، كانوا يتعجبون من انحراف أهل الكتاب، و يقولون: لو كان أرسل إلينا رسول لكنا مطيعين لله، منقادين لأوامره، فلما أتاهم الرسول، صاروا مثل تلك الأمم فى إيذاء الرسول و تكذيبه.

[۱۷۱] فلما جاءهم الرسول أو الكتاب فَكَفَرُوا بِهِ و لم يقبلوه فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة كفرهم، و هذا تهديد لهم بالعقاب و النكال.

[۱۷۲] وَ لكن كفر هؤلاء لا يضر الأنبياء عليهم السّلام، ف لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا بالنصر، أى إنّا قبل أن نبعث الأنبياء، كنا نقول- و المراد بالقول:

التقدير- إنهم سينتصرون على أعدائهم لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ الذين أرسلوا من قبلنا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۶

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۷۲ الى ۱۷۶]

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (۱۷۲) وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ (۱۷۳) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (۱۷۴) وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (۱۷۵) أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (۱۷۶)

[۱۷۳] إِنَّهُمْ أى الأنبياء- و هذا تفسير «كلمتنا»- لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ أى الغالبون على الكفار، فإنا ننصرهم على أعدائهم، و الإتيان، ب

«لهم» للتأكيد، كما أنه كذلك فى الآيات السابقة «و إنا لنحن» فى قصة الملائكة، ثم أن الله سبحانه لم يخلف وعده، فإن الأنبياء انتصروا فى نهاية المطاف، و سادت مناهجهم الحياة، و الانتصار هو هذا، و إن عذبوا و قتلوا، ألا ترى إنا نقول: انتصرت الدولة الفلانية، إذا غلبت فى نهاية المطاف، و إن قتل أكثر شبابها، و خربت ديارها.

[۱۷۴] وَ إِنَّ جُنْدَنا أى المؤمنين لَهُمُ الْغالِبُونَ على سائر الأعداء، و كونهم جند الله، باعتبار نصرهم لدينه.

[۱۷۵] فَتَوَلَ يا رسول الله، و المعنى: أعرض، عَنْهُمْ عن هؤلاء، بأن لا تقابلهم بالأذى حَتَّى حِينٍ نأمرك بقتالهم، فقد كانت حكمة الله، أن تشمل الدعوة بالسلم التام، حتى تنمو و تقوى، ثم تصول بالقوة، كما هو طريقة العقلاء.

[۱۷۶] وَ أَبْصِرْهُمْ أى أنظرهم بدون أن تحاربهم، فإن الإنسان الذى تقع عليه الكوارث، قد يقوم بالمدافعة، و قد يجلس ينتظر و ينظر، فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ عاقبة أمرهم حين تؤمر بالجهاد، كيف يتضاءلون أمام الحق، و حين يؤخذون للعذاب، كيف لا قوة لهم و لا ناصر؟

[۱۷۷] إنهم من جهلهم يقولون: لو كنت يا محمد صادقا، أنزل علينا العذاب، و هذا مستغرب جدا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۷

[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۷۷ الى ۱۸۱]

فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ (۱۷۷) وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (۱۷۸) وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (۱۷۹) سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (۱۸۰) وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (۱۸۱)

أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ أى كيف يطلب هؤلاء العذاب؟ أما يخافون منه؟

[۱۷۸] و سيأتى يوم العذاب فَإِذا نَزَلَ العذاب بِساحَتِهِمْ أى بأفنية دورهم فَساءَ الصباح وقت ذاك صَباحُ الْمُنْذَرِينَ بصيغة اسم المفعول، أى صباح هؤلاء الذين أنذرهم الرسول، فلم ينفعهم الإنذار.

[۱۷۹] وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ أى أعرض يا رسول الله عن هؤلاء بعد أن دعوتهم، فلم تنفعهم الدعوة حَتَّى حِينٍ يأتى الأمر بقتالهم.

[۱۸۰] وَ أَبْصِرْ أمرهم ناظرا إلى ما يصنعون فقط لتكون شاهدا عليهم فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ إنما كرر للتأكيد، أو لأن المراد بأحدهما عذاب الدنيا و بالآخر عذاب الآخرة.

[۱۸۱] و أخيرا نزّه الله سبحانه نفسه، عما ينسب إليه من الصاحبة و الولد و الشريك، و سائر الخرافات سُبْحانَ رَبِّكَ «سبحان» منصوب بفعل مقدّر، أى أسبح ربك تسبيحا، و المعنى أنزهه عما لا يليق به رَبِّ الْعِزَّةِ أى مالك العزة و خالقها، و من لوازم العزة المطلقة، أن لا يكون له ولد و شريك، و زوجة ليشاركوه العزة عَمَّا يَصِفُونَ هؤلاء، أى يصفون الله به.

[۱۸۲] وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ تحية عليهم منا، أو سلامة و أمان لهم، من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۸

[سورة الصافات (۳۷): آية ۱۸۲]

وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۸۲)

أن ينصر عليهم أعدائهم.

[۱۸۳] وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فجنس الحمد للّه، إذ جميع المحامد منه، و هو رب العوالم، خالقها و مربيها، و العوالم باعتبار عالم الإنسان، و عالم الحيوان، و عالم الجن و الشياطين، و عالم الملائكة، و عالم الدنيا، و عالم الآخرة، إلى غير ذلك، فإن اللّه سبحانه، هو رب الكل لا شريك له فيها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۰۹

۳۸ سورة ص مكيّة/ آياتها (۸۹)

سميت السورة بهذا الاسم لابتدائها بهذه اللفظة «ص» و هى كسائر السور المكية تبين العقيدة بأصولها الثلاثة، فى أساليب قصصية رائعة، للتقريب إلى الذهن، و التركيز على الحقائق، و إذ ختمت سورة الصافات، بذكر المكذبين للرسل، و للكافرين بالله، و الجاحدين للقرآن، ابتدأت هذه السورة بمثل ذلك.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ باسم الإله الرحمن الرحيم نبدأ السورة إعلانا على الصبغة العامة للمسلم، بأنه مربوط بالله، و ذكرا لله الذى لا ينسى من ذكره، و يبارك كل شيء ابتدأ به، و استمطارا لشآبيب رحمته، ليغمر القارئ بالفضل و الرحم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۰

[سورة ص (۳۸): الآيات ۱ الى ۳]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (۱) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ (۲) كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوْا وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ (۳)

[۲] ص فيه أقوال: منها إنه رمز بين الله و الرسول، و منها أن المراد، إن القرآن الذى لا تتمكنون- أيها الكفار- من الإتيان بأقصر سورة منه، من جنس حروف الهجاء، ل «ص» و غيره،

و منها إنه: اسم لعين تنبع من تحت العرش، كما ورد عن الصادق عليه السّلام

، و منها إنه اسم من أسماء الله تعالى إشارة إلى اسم لكونه إشارة إلى «الصابر» أو «الصادق» إلى غيرها من الأقوال، و فى إعرابه أيضا خلاف تبع الخلاف الأول وَ الْقُرْآنِ أى قسما بهذا القرآن الذى هو ذِي الذِّكْرِ أى صاحب الشرف، كما يقال: لفلان ذكر أى شرف بسببه يذكر فى المجامع، أو المراد أنه صاحب التذكير بالله و اليوم الآخر، و لا ينافى أن يكون هو ذكر- باعتبار بعض آياته- و أن يكون صاحب الذكر- باعتبار مجموعة و جواب القسم محذوف: أى أنه لحق، دلّ عليه قوله «بل الذين».

[۳] فليس فى القرآن نقص، يوجب عدم إيمانهم، فإنه حق ظاهر لا مرية فيه بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و اليوم الآخر فِي عِزَّةٍ أى تكبر عن قبول الحق، فإن الإنسان العزيز يعرض عن الرضوخ لغيره- سواء كانت عزة واقعية، أو عزة مزعومة- وَ شِقاقٍ أى مخالفة للرسول، و العدو مهما يرى الحق فى جانب خصمه، لا يرضخ له، و لا يقبل منه، مشتق من شق، كأنّه فى شق و طرف، و الخصم فى شق آخر.

[۴] و لكن هل يبقون هؤلاء كذلك معرضين عن الحق، أعداء للرسول؟

كلا، فليعتبروا بالأمم المكذبة، التى سبقتهم، ف كَمْ أَهْلَكْنا «كم» للخبر يراد به التكثير مِنْ قَبْلِهِمْ أى قبل هؤلاء الكفار مِنْ قَرْنٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۱

[سورة ص (۳۸): الآيات ۴ الى ۵]

وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ (۴) أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ (۵)

أى من أمة، و تسمى الأمة قرنا، باعتبار تقارن أعمار أفرادها فَنادَوْا عند إتيانهم العذاب بالاستغاثة و الضراعة، لكن لم يفيدهم النداء، فى نجاتهم من العذاب وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ أصل «لات» «لا» زيدت عليه التاء، بمعنى «ليس» و «مناص» من «النوص» و هو التأخر يقال: ناص ينوص إذا تأخر، و قد حذف خبر «لات» أى ليس الوقت الذى استغاثوا فيه، وقت التأخر للعذاب و النجاة لهم، فقد كانوا فى مهلة، ما دام أجلهم باق، أما إذا حقّت عليهم كلمة العذاب، فلا تفيدهم الضراعة و الاستغاثة.

[۵] وَ عَجِبُوا أى الكفار أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ أى رسول من قبل الله سبحانه لإنذارهم و تخويفهم عن بأس الله، بأنهم إن تمادوا على الكفر و العصيان، أخذهم العذاب، و أرجعوا إلى النار مِنْهُمْ أى من جنسهم، فقد كانوا يقولون: لو لا- يكون الرسول علينا ملائكة وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا الرسول ساحِرٌ كَذَّابٌ فإنه يسحرنا، حين لا نتمكن من الإتيان، بمثل القرآن، حين يأتى بخوارق، و هو يكذب على الله، بأنه رسوله، و إن الله إله واحد لا شريك له، و لا صاحبة، و لا ولد.

[۶] ثم جعلوا يستفهمون مستنكرين بقولهم أَ جَعَلَ أى هل جعل هذا الرسول الْآلِهَةَ المتعددة التى نقول بها إِلهاً واحِداً؟ أى كيف

يقول، أن لا إله إلا إله واحد، و الحال أن لنا آلهة متعددة؟ إِنَّ هذا الذى يقوله محمد من وحدة الإله لَشَيْءٌ عُجابٌ أى لأمر عجيب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۲

[سورة ص (۳۸): آية ۶]

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ (۶)

مفرط فى العجب،

قال بعض إن قبيلة، كانت لها آلهة متعددة، تبعا لتنازع كان يقع بينهم، و قد كانوا يقولون: إن هذه الكثرة من الآلهة، لا تكفينا، فيجب صنع آلهة جديدة، فلما قال لهم الرسل أن الإله واحد، قالوا، إنا لم نكتف بهذا العدد العديد من الآلهة، فهو يدعونا إلى إله واحد؟ و هناك ظريفة تحكى، هى أن الكفار اجتمعوا، و قالوا إن فى القرآن كلمات غير فصيحة، و ظنوها مأخذا على الرسول، و جمعوا تلك الكلمات فى ثلاث، هى «كبار» و «يستهزئ» و «عجاب» و أتوا إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ناقدين للقرآن فقال الرسول: ائتونى بأفصحكم، فذهبوا، و جاءوا بشيخ كبير، قالوا: إنه أفصحهم، و لما حضر بين يدى الرسول أراد الجلوس، فقام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأخذ فى القيام، فجلس الرسول، فأخذ الشيخ فى الجلوس، فقام الرسول، فاستشاط الشيخ غضبا من هذا العمل، و قال: يا محمد أ تستهزئ بى، و أنا شيخ كبار، هذا أمر عجاب؟ و هناك نظر بعض القوم إلى بعض، و قد أبطل الشيخ دعواهم فى جملة واحدة و انصرفوا خائبين، و نقل إن المشركين، اجتمعوا حول الرسول، ليفاوضوه فى ترك الدعوة؟ فقال لهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أ تعطون كلمة واحدة تملكون بها العرب و العجم؟ فقال أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك و عشرة أمثالها؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فقاموا و قالوا: أ جعل الآلهة إلها واحدا؟ فنزلت هذه الآيات

«۱».

[۷] وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ المراد بالانطلاق، انطلاق الألسنة بالكلام، فقد قال الأشراف- و هم الملأ- بعضهم لبعض، و لأتباعهم أَنِ امْشُوا

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۳۴۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۳

[سورة ص (۳۸): الآيات ۷ الى ۸]

ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ (۷) أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ (۸)

أى سيروا فى طريقكم التقليدى الذى يقول: بتعدد الآلهة، و لا- تعيروا كلام محمد بالا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ المتعددة، و تحملوا المشاقّ فى سبيلها، لئلا يغلبكم محمد إِنَّ هذا البقاء على ديننا، و الصبر على المشاق، فى سبيل الآلهة لَشَيْءٌ يُرادُ منّا، فنحن مطلوبون عند العرف الاجتماعى بالحماية عن الشرك.

[۸] ما سَمِعْنا بِهذا الذى يقوله الرسول من وحدة الإله، و عدم الشرك فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ أى ملة أهل الكتاب، التى هى خير الملل، بعد الوثنية، و ما أشبههما، و كأنهم أرادوا بذلك التموية على العوام، بأن أهل الكتاب أيضا، لا يقولون بوحدة الإله، فكيف يدعى محمد، إنه مثل موسى و عيسى، يدعى ما لا يقولا به إِنْ هذا الذى يقوله الرسول من التوحيد إِلَّا اخْتِلاقٌ أى الكذب، فقد خلقه و صنعه محمد، و لا- نصيب له من الواقع و قد رأى الكفار أهل الكتاب، الذين انحرفوا عن منهاج التوحيد، فجعلوهم حجة فى مقابل الرسول، و إلا فالأنبياء جميعا لم يقولوا إلا بالتوحيد، و هكذا أكد التوراة و الإنجيل على ذلك.

[۹] ثم جعلوا يستغربون، عن أن الرسول يكون موحى إليه من بينهم؟ ظانين إنهم مثل الرسول فى المؤهلات، إن لم يكونوا أفضل منه، فاللازم أن يوحى إليهم دونه، أو إليهم و إليه على حد سواء أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ أى على الرسول الذِّكْرُ أى القرآن مِنْ بَيْنِنا؟ كيف ذلك يكون، و فينا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۴

[سورة ص (۳۸): آية ۹]

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّکَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (۹)

من هو أكبر منه سنا، و مالا، و جاها، و أولادا؟ لكنهم غفلوا، من أن مؤهلات الرسالة، غير مؤهلات العرف و العادة، و الرسول منفرد فيها، فليس قولهم هذا لنقص رأوه في الرسالة و الرسول بَلْ هُمْ فِي شَکٍّ مِنْ ذِكْرِي الذي أنزلته على الرسول، و لم يكن الشك بحق، فإنهم، لو تفكروا علموا بصدق الرسول، و إنما شك المقلد الجاهل، الذي يرى الحق في طرف، و التقليد في طرف آخر بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ أي عذابي، حذف «ياء المتكلم» تخفيفا، و هذا تهديد لهم، بمعنى أنهم، إنما يقولون ما يقولون لا لعدم صحة الرسالة و الدعوة، بل لأنهم منحرفون محتاجون إلى التأديب، و سيذوقون العذاب.

[۱۰] أمّا ما يقولون من أن اللازم نزول الذكر عليهم، دون الرسول، و قولهم (لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) «۱» فالجواب: إن ذلک فضل الله يعطيه من يشاء أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّکَ حتى يفتحون خزائن الرسالة، فيهبونها لمن شاءوا، دون من يريده الله سبحانه؟ الْعَزِيزِ في سلطانه، يفعل ما يشاء الْوَهَّابِ العطايا لمن يشاء، و من المعلوم، إن الله سبحانه لا يهب، إلا حسب المصلحة و الحكمة، فإنما ينزل الرسالة لمن يؤهلها، كما قال سبحانه (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ) «۲» و قال (وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ) «۳».

---

(۱) الزخرف: ۳۲.

(۲) الأنعام: ۱۲۵.

(۳) الدخان: ۳۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۵

[سورة ص (۳۸): الآيات ۱۰ الى ۱۲]

أَمْ لَهُمْ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ (۱۰) جُنْدٌ ما هُنالِکَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ (۱۱) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ (۱۲)

[۱۱] أَمْ لَهُمْ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما حتى إذا شاءوا، أن لا يكون محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، رسولا، سدّوا أبواب الوحي على وجهه، لأنهم يملكون طرق الوصول من السماء إلى الأرض؟ و إذا قالوا: إنهم يملكون ذلک فَلْيَرْتَقُوا أي يصعدوا فِي الْأَسْبابِ الموصلة لهم إلى السماوات، ليمنعوا مسالک الرسالة، لئلا يوحى بالقرآن إلى الرسول.

[۱۲] إنهم ليسوا بمالكي خزائن الله، و لا لهم ملک السماوات و الأرض، و إنما جماعة منبوذة تجمعت من لفيف جنود للباطل، في ابتعاد عن التصرف في الشؤون الكونية، إنهم جُنْدٌ ما نكرة غير مربوطين بشأن من الشؤون هُنالِکَ منبوذة في زاوية من زوايا العالم، لا يرتبط بأمر من أمور الكون مَهْزُومٌ هزمهم المنطق و الحق مِنَ الْأَحْزابِ ملتفة من أحزاب مختلفة، و مذاهب متشتتة، فلم يجمعهم الحق، و إنما الحسد و العناء و الكبر، و إلا فما يجمع بين اليهودي و المسيحي، و المشرک تحت قيادة أبي سفيان لمحاربة الرسالة الإلهية العظمى؟ و «جند» مبتدأ، و «هنا لک» خبرة، و «مهزوم» صفة جند.

[۱۳] إن مصير هؤلاء، هو مصير من قبلهم من الكفار، حيث كذبوا الأنبياء، فأهلكهم الله سبحانه، بما كذبوا، و إن بقي هؤلاء في كفرهم و غيهم، سيلاقون ذلک المصير المهلک كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ أي قبل هؤلاء الكفار قَوْمُ نُوحٍ نوحا عليه السّلام وَ عادٌ كذبت هودا عليه السّلام وَ فِرْعَوْنُ كذب موسى و هارون عليه السّلام ذُو الْأَوْتادِ صفة فرعون، و

قد سئل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۶

[سورة ص (۳۸): الآيات ۱۳ الى ۱۵]

وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ أُولئِكَ الْأَحْزابُ (۱۳) إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ (۱۴) وَ ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً ما لَها مِنْ فَواقٍ (۱۵)

الصادق عليه السّلام، لأى شىء سمى فرعون ذا الأوتاد؟ فقال: لأنه كان إذا عذب رجلا، بسطه على الأرض على وجهه، و مدّ يديه و رجليه، فأوتدوها بأربعة أوتاد فى الأرض و ربما بسطه على خشب منبسط، فوتد رجليه و يديه بأربعة أوتاد، ثم تركه على حاله حتى يموت

.«۱»

[۱۴] وَ كذبت ثَمُودُ صالحا عليه السّلام وَ قَوْمُ لُوطٍ لوطا عليه السّلام وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ و هم قوم شعيب، و قد كانت إلى جنبهم غيضة ذات أشجار، و هى الأيكة، كذبوا شعيبا عليه السّلام أُولئِكَ الْأَحْزابُ الذين كذبوا الرسل، و كان قومك حزب من تلك، فما كان مصيرهم؟

[۱۵] إِنْ كُلٌّ أى ما كل من أولئك الأقوام إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ الذين أرسلوا إليهم فَحَقَ أى ثبت و لزم عليهم عِقابِ أى عقابى، و حذف الياء تخفيفا، و المراد بالعقاب أخذهم بأنواع عذاب الاستئصال فى الدنيا قبل الآخرة.

[۱۶] وَ إذ قد عرف قومك مصير أولئك المكذبين، فما بقاؤهم فى الكذب و الكفر، إلا انتظارا لتلك العاقبة السيئة ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ أى كفار مكة إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً يصيح بهم جبرئيل، أو ملك آخر، حتى يهلكهم جميعا، كما حدث فى بعض الأمم السابقة، أو المراد النفخة الأولى ما لَها أى ليس لتلك الصيحة مِنْ فَواقٍ أى إفاقة، بأن

---

(۱) راجع مجمع البيان: ج ۸ ص ۳۴۷ ..

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۷

[سورة ص (۳۸): الآيات ۱۶ الى ۱۷]

وَ قالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ (۱۶) اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۱۷)

تنقطع قبل هلاك القوم، فيرجعوا عن غيهم، و ضلالهم، يقال: أفاق من مرضه إذا طاب، و فواق الناقة، هى المدة بين الحبستين، لأن فيها يعود اللبن إلى الضرع.

[۱۷] و إذ كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، يهدد الكفار بالعذاب، كانوا يقولون:- مستهزئين له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- عجل لنا بالعذاب! وَ قالُوا أى الكفار رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا أى قدم لنا نصيبا من العذاب قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ و «القط» هو النصيب، من «قطّ» بمعنى قطع، لأن النصيب، يقطع و يعين فى مقدار خاص.

[۱۸] قال الله سبحانه فى جوابهم تسلية للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، اصْبِرْ يا رسول الله عَلى ما يَقُولُونَ أى ما يقوله هؤلاء الكفار فى تكذيبك، و الاستهزاء بك وَ اذْكُرْ جماعة من الأنبياء عليهم السّلام الذين آذوهم قومهم، فصبروا، أو كانت لهم القوة الدنيوية، بالإضافة إلى الإيمان الذى هو قوة معنوية تقوية لقلوب المؤمنين، و لئلا يقول المرجفون:

إن الإيمان، لا يلائم الحياة الدنيا، فاذكر يا رسول الله عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ أى صاحب القوة، فإن «أيد» جمع يد، ثم استعملت فى النعمة و القوة، لأن اليد من أسبابهما إِنَّهُ عليه السّلام، مع كونه، ذا قوة عظيمة دنيوية أَوَّابٌ أى تواب يستغفر ربه فى دائم الأحوال، من آب يئوب إذا رجع، و كأن الانشغال بأمور الدنيا، كان انصرافا عن الله سبحانه- و لو انصرافا مباحا- فكان يرجع إليه تعالى، بصرفه نفسه كلها إليه كل صباح و مساء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۸

[سورة ص (۳۸): الآيات ۱۸ الى ۲۱]

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ (۱۸) وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (۱۹) وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ (۲۰) وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ (۲۱)

[۱۹] إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ أى جعلناها مسخرة مع داود فى كونها يُسَبِّحْنَ بتسبيح داود بِالْعَشِيِّ أى العصر وَ الْإِشْراقِ أى عند شروق الشمس، فإن داود كان إذا سبّح الله تعالى فى هذين الوقتين، كانت الجبال تردد معه التسبيح، و قوله «يسبّحن» بلفظ العاقل، لأن صدور محل العقلاء من الجبال يدخلها فى جملتهم.

[۲۰] وَ سخرنا لداود عليه السّلام الطَّيْرَ المراد به الجنس أى كل الطيور، فى حال كونها مَحْشُورَةً أى مجموعة له كُلٌّ من الجبال و الطير لَهُ أى لداود أَوَّابٌ أى رجّاع فكانت الطيور تردّد معه التسبيح، كما تردد الجبال، و قيل إنها كانت تطيعه، فيما يأمر به.

[۲۱] وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ أى قوينا ملك داود بالحرس و المال، و كثرة العدة و العدة وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ المراد بها، إما النبوة، أو أن يكون بحيث يعرف مواضع الأشياء، فإن الحكمة هى عبارة عن علم وضع الشيء فى موضعه اللائق به وَ فَصْلَ الْخِطابِ أى الخطاب الفاصل بين الحق و الباطل، و المراد به علم القضاء، فإنه كان يعرف كيفية الحكم بين الناس و معرفة تمييز المحق من المبطل، و قد كان من ذلك قاعدة «البينة على المدعى، و اليمين على من أنكر».

[۲۲] ثم ينتقل السياق لينقل قصة امتحن الله بها داود عليه السّلام، فقد جاء خصمان إلى داود فى شكوى، و لما سمع داود من المدعى كلامه حكم له، بدون أن يستمع من المنكر، و كان هذا الاستعجال تركا للأولى،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۱۹

بالنسبة إليه، ثم توجه و أناب إلى الله سبحانه، و قد كان أمثال هذه المخالفات- المسماة بترك الأولى- تصدر من الأنبياء أحيانا لإثارة النشاط فى نفوسهم، لتقوى اتصالاتهم بالله سبحانه، و هى لم تكن معصية، كما لا يخفى، كما أن نقلها فى القرآن لعلها، بسبب أن لا يعتقد الناس فيهم الألوهية، فإن من عادة الناس، أن يرفعوا الإنسان النزيه فوق مرتبته، كما رفعوا المسيح و على بن أبى طالب عليهما السّلام إلى مقام الألوهية، أما إذا علموا بصدور ترك الأولى منهم، كان ذلك حاجزا دون الغلو، و من غريب الأمر إن جماعة اختلقوا حول هذه القصة أكاذيب استنادا إلى «العهدين» المحرّف، فذكروا قصة «أوريا» كما نسبوا إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أسطورة قصة «زينب»، و

قد روى فى المجالس عن الصادق عليه السّلام، أنه قال رضى الناس لا يملك، و ألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا إلى داود، إنه تبع الطير، حتى نظر إلى امرأة «أوريّا» فهواها، و إنه قدم زوجها أمام التابوت، حتى قتل، ثم تزوج بها

«۱»، و

قد روى عن الإمام المرتضى عليه السّلام، إنه قال: لا أوتى برجل يزعم، إن داود تزوج امرأة أوريا، إلا جلدته حدين حدا للنبوة، و حدا للإسلام «۲»

وَ هَلْ أَتاكَ يا رسول الله، و هذا للتشويق نحو القصة، التى ستذكر نَبَأُ الْخَصْمِ أى خبر الخصمين، و المراد «بالخصم» الجنس، و لذا يشمل النفرين، أى هل بلغك خبر الخصمين إِذْ تَسَوَّرُوا أى صعدوا على السور لينزلوا الْمِحْرابَ محل عبادة داود عليه السّلام؟ فقد كان فى المحراب، إذ رأى نفرين نزلا من سور

---

(۱) الأمالى للصدوق: ص ۱۰۲ المجلس ۲۲.

(۲) تنزيه الأنبياء: ص ۹۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۰

[سورة ص (۳۸): الآيات ۲۲ الى ۲۳]

إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ (۲۲) إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ (۲۳)

المحراب، أي جداره، فهاله أمرهم، إذ لم يدخلوا من الباب، و إنما جيء بلفظ الجمع، فقال «تسوروا» لأن الخصم جنس، و الجنس عام، و يتحمل أن يكونوا أكثر من اثنين، بأن أتياه مع بعض متعلقيهم، كما هو العادة في المنازعات.

[۲۳] إِذْ دَخَلُوا الخصوم عَلى داوُدَ من السور فَفَزِعَ و خاف مِنْهُمْ لأنهم دخلوا من غير الباب، و بدون الإذن، و في غير الأوان قالُوا لداود لا تَخَفْ فلسنا نريد إيذاءك، فإن الإنسان قد اعتاد أن يخاف من المفاجئ، لأنه يظن كون المجيء للإيذاء، و إلا كان يأتي على نحو المعتاد، لا ـ فجأة ... إنما نحن خَصْمانِ أي نفران، أو طرفان بَغى و ظلم بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فجئنا إليك لتحكم بيننا فَاحْكُمْ يا داود بَيْنَنا بِالْحَقِ و العدل وَ لا تُشْطِطْ من الشطط، بمعنى الميل عن الحق و الكذب، و الالتواء، و هذا القول لم يكن لأجل احتمالهم، إن داود يكذب و يجور، بل هكذا يقول الإنسان المخاصم، ليرى طرفه و السامعين، إنه واضح للحق مائل إليه، لا يريد جورا و ظلما و تعديا وَ اهْدِنا أي أرشدنا في قضيتنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ أي وسط الطريق، الذي لا جور فيه، و لا انحراف.

[۲۴] ثم قال أحدهما لداود عليه السّلام إِنَّ هذا الخصم أَخِي في النسب، أو من باب الشفقة و اللين في الخطاب لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً أنثى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۱

[سورة ص (۳۸): آية ۲۴]

قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ (۲۴)

الشاة وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فقط فَقالَ أخي لي، يريد سلب شاتي، لتكمل له مائة شاه أَكْفِلْنِيها أي ضم شاتك إلى نعاجي، و اجعلني كفيلها حتى تكون لي وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ أي غلبني في الكلام و مخاطبته معي، بأن خاشنني في الكلام بقصد أن يقهرني و يأخذ شاتي.

[۲۵] و بمجرد أن سمع داود كلام المدعي، بدون أن يطلب من خصمه الردّ قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ أخوك، و جار عليك في طلبه بنعجتك بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ ليضمها إِلى نِعاجِهِ ثم بين داود، أن الظلم من عادة بعض الشركاء على بعض وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ جمع خليط، و هو الشريك، لأنه يخالط الإنسان، لأجل اشتراك أموالهما لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ حيث إن الأقوى منهم يريد أكل الأضعف، ثم استثنى من هذا العموم المؤمنين بقوله إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بأن كانوا مستقيمين عقيدة و عملا، فإنهم لا يظلمون أحدا، و لم يكن حاجة إلى هذا الاستثناء، لأنه نص أولا بقوله «كثيرا» و إنما جيء بالاستثناء، لئلا يوهم، إن الكثير من المؤمنين، للتنصيص على إن أحدا من المؤمنين ليس بداخل في ذلك الكثير وَ قَلِيلٌ ما هُمْ «ما» لزيادة التقليل، فإن المؤمن المستقيم في جميع شؤونه، قليل جدا، و إذ حكم داود بهذا الحكم قبل أن يستفسر من المدعى عليه الحال، تنبّه إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۲

[سورة ص (۳۸): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ (۲۵) يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ (۲۶)

استعجاله الذي كان خلاف الأولى وَ ظَنَ حينذاك داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ أي امتحناه بهذه الحكومة، و يظهر من لفظ «ظن» إنه لم يتيقن، و

إنما ترجح فی نظره ذلک فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ أی طلب منه غفرانه، فإن ترک الأولی موجب للتنقیص من الثواب، فاستزادته بحاجة إلی الستر و الغفران، و فرض أنه لم یکن وَ خَرَّ أی سقط داود لوجهه راکعاً معظما له سبحانه، فإن الرکوع یطلق علی مطلق التعظیم، و لو بنحو السجود، کما یدل علیه «خر» و هو الأنسب بمثل هذا المقام وَ أَنابَ أی رجع إلی ربه، بعد الانشغال بتلک القضیة، و قد ورد فی بعض الأحادیث إن الخصمین کانا ملکین.

[۲۶] فَغَفَرْنا لَهُ أی لداود ذلِکَ الترک للأولی وَ إِنَّ لَهُ أی لداود عِنْدَنا أی فی المحل المعد المکرم بکرامتنا- تشبیها للمعقول بالمحسوس- لَزُلْفی أی قربی و کرامة، من زلف بمعنی اقترب وَ حُسْنَ مَآبٍ أی المرجع الحسن فی الآخرة.

[۲۷] ثم خاطبه الله سبحانه بقوله یا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناکَ خَلِیفَةً فِی الْأَرْضِ الخلیفة هو الذی یجلس مکان غیره خلفا له، و الأنبیاء خلفاء الله سبحانه، حیث إنه قررهم للقیام بأمره، و إنفاذ حکمه فی الأرض، و کأن الإتیان، بقوله «فی الأرض» لإفادة العموم، فلیس خلیفة له فی بلدة أو قطر فَاحْکُمْ بَیْنَ النَّاسِ بِالْحَقِ المطابق للواقع

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۳

[سورة ص (۳۸): آیة ۲۷]

وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما باطِلاً ذلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ النَّارِ (۲۷)

وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوی الذی یأمر بالانحراف، حسب العواطف و المیول فَیُضِلَّکَ اتباع الهوی عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ و طریقه، و هذا لیس معناه، إن داود کان محتمل الانحراف، و إنما الأوامر الصارمة، توجّه إلی الأنبیاء، کما توجّه إلی غیرهم، کما قال سبحانه (وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ) «۱» إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ أی ینحرفون عن طریق الله، بالحکم أو الفتوی أو الدعوة إلی الباطل لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ بِما نَسُوا یَوْمَ الْحِسابِ أی بسبب نسیانهم، و المراد بالنسیان ترکهم أحکام الله، و حیث إن النسیان غالبا سبب لترک الأوامر، کان الإتیان بالنسیان، و إرادة الترک مجازا من علاقة السبب و المسبب، و یوم الحساب، إما متعلق، ب «بما نسوا» أی بسبب نسیانهم لیوم الحساب، أو متعلق ل «عذاب شدید» أی لهم عذاب شدید، یوم الحساب بسبب نسیانهم أوامر الله.

[۲۸] و إذ وصلت القصة إلی هذا الموضع، ألفت السیاق الأذهان إلی حقیقة کبری، هی إن العالم لم یخلق باطلا، حتی یلائمه الحکم فی القضایا بالباطل، بل العالم خلق بالحق و للحق، فاللازم أن تکون الأمور العملیة من حکم و فتوی، و غیرهما علی الحق، و إلا کانت العاقبة الانهیار و الدمار وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما من البشر

---

(۱) الزمر: ۶۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۴

[سورة ص (۳۸): الآیات ۲۸ الی ۲۹]

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ کَالْفُجَّارِ (۲۸) کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ مُبارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (۲۹)

و الملک و الهواء، و غیرها باطِلًا عبثا و اعتباطا، بلا غایة، أو غرض، حتی یکون الباطل من القول و العمل و الحکم، ملائما للخلق، و لا یکون له مصیر مؤلم ذلِکَ أی کون الخلق باطلا ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا بالله و جحدوا حکمه، و إنما قال «ظن» لأنهم یرجحون ذلک، و لا یستیقنونه فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ النَّارِ التی تحرقهم لکفرهم، و ظنهم، أن الخلق عبث باطل.

[۲۹] ثم توجه السیاق إلی تنبیه الکفار، بأنهم لیسوا سواء و المؤمنین، لا فی الدنیا، و لا فی الآخرة، بل المؤمنون فوقهم مقاما و منزلة أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا أی هل من الممکن أن نجعل المؤمنین وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ اللازم منه عدم العمل بالمعاصی کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ

فإن كل كافر و عاصى مفسد، أى عامل بالفساد مفسد لنفسه، أو غيره؟ كلا! لا نجعل المؤمن كالمفسد أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ الذين اتقوا معاصى الله بعد الإيمان كَالْفُجَّارِ الذين عصوا و فجروا؟ من الفجر، و هو الشق، كأن الفاجر يشق ستر الهدى، و ينفذ نحو الباطل، و لعل المراد بالسؤال الثانى، بيان عدم استواء المطيع و العاصى من المؤمنين، بعد بيان عدم استواء المؤمن و الكافر.

[۳۰] و من ثم ياتى الكلام حول القرآن الحكيم، ليلفت بعد بيان القصص و الآداب، إلى أنه كتاب عظيم، حيث اشتمل على مثل هذه الحقائق الرائعة، و قد ذكر فى علم القرآن إلقاء المطلب فى الذهن، بعد الإتيان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۵

[سورة ص (۳۸): الآيات ۳۰ الى ۳۱]

وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۳۰) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (۳۱)

بأمر معجب أنفذ من الإلقاء فى الذهن الخالى غير المتحرك، ألا ترى إن الإنسان إذا رق قلبه لأمر كان أسرع إلى العمل من أجله؟ و هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ يا رسول الله مُبارَكٌ ذو بركة و زيادة و نماء كثير نفعه و خيره، لأنه يهدى و يرسم الخطط الموجبة، للزيادة و الخير لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ أى يتفكروا فيها و يتعظوا بها وَ لِيَتَذَكَّرَ مما أودع فيهم من الحقائق بالفطرة أُولُوا الْأَلْبابِ أى أصحاب العقول، فإن اللبّ بمعنى العقل، أما غيرهم فإنهم لا يتذكرون و لا يتدبرون.

[۳۱] و إذ تمت قصة داود، يأتى السياق لبيان قصة سليمان وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ و معنى الهبة العطية المجانية، و الأولاد هبات للآباء، و لذا قال سبحانه (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ) «۱» إنه نِعْمَ الْعَبْدُ إذ كان كأبيه يعمل بأوامرنا إِنَّهُ أَوَّابٌ أى كثير الرجوع إلى الله سبحانه فى جميع أموره، و قد سبق أن الإنسان إذا صرف إلى ضروريات حياته، فكأنّه ابتعد عن الله سبحانه، إذ لم يكن بجميع سرائره مشغولا نحوه تعالى، و لذا كان الالتفات إليه بعد ذلك أوبا و رجوعا.

[۳۲] اذكر يا رسول الله إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ أى على سليمان بِالْعَشِيِ أى فى آخر النهار الصَّافِناتُ جمع صافنة، و هى الخيل الواقفة على

---

(۱) الشورى: ۵۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۶

[سورة ص (۳۸): الآيات ۳۲ الى ۳۳]

فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ (۳۲) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ (۳۳)

ثلاث قوائم الواضعة السنبك الرابع على الأرض. يقال صفنت الخيل إذا وقفت كذلك، و هى من علامة الجودة الْجِيادُ جمع جيد و هى الفرس الأصيلة النجيبة، و نجابة الفرس بعرفانها صاحبها، و سرعة سيرها، و الاهتمام بخلاص راكبها من المشكلة التى يقع فيها.

[۳۳] فاشتغل سليمان بتلك الأفراس، حتى فاتت صلاة مندوبة، كان يصليها فى ذلك الوقت، حتى غابت الشمس، و مضى وقت صلاته المندوبة، و هناك تأثر سليمان من ذلك، و أمر أصحابه بردّ الأفراس إليه، ليوقفها فى سبيل الله، كفارة لفوت صلاته المندوبة، أو يذبحها ليطعمها الناس كفارة، و هذا المعنى، قد استفدناه من بعض الأخبار، مع التحفظ على ظاهر الآية، و ما ثبت من عصمة الأنبياء عليهم السّلام، و إن كان الواقع فى القصة لا يعلمه إلا الله، و الراسخون فى العلم، و لما نظر سليمان إلى غروب الشمس، و ذهاب وقت نافلته فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ أى أحببت الخير حبا، و الخير هو الفرس، و كل مال هو خير، كما قال سبحانه (إِنْ تَرَكَ خَيْراً) «۱» عَنْ ذِكْرِ رَبِّي أى آثرت الاشتغال بعرض الأفراس عن ذكر الله حَتَّى تَوارَتْ الشمس بِالْحِجابِ كأنها عروس تستر نفسها بالحجاب حين تغيب و تستتر تحت الأفق، فلم أصلّ نافلتى.

[۳۴] ثم قال سليمان لأصحابه رُدُّوها أى ردوا الصافنات عَلَيَ

---

(۱) البقرة: ۱۸۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۷

[سورة ص (۳۸): الآیات ۳۴ الی ۳۵]

وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَیْمانَ وَ أَلْقَیْنا عَلی کُرْسِیِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (۳۴) قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (۳۵)

فردوها إلیه فَطَفِقَ أی شرع سلیمان یمسح مَسْحاً بِالسُّوقِ أی سوق الأفراس جمع ساق وَ الْأَعْناقِ أی و یمسح أعناقها، و «اللام» عوض عن الضمیر و المعنی یمسح سوقها و أعناقها تسبیلا فی سبیل الله، و وقفا لها علی جهات الخیر، أو ضربا بالسیف لیطعمها الفقراء، کل ذلک، لتکون کفارة عن فوت نافلته، بسبب اشتغاله بها.

[۳۵] وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَیْمانَ أی امتحناه، و ذلک بأنه ولد له مولود، فخاف علیه من إیذاء الشیاطین، و جعله فی السحاب، لیکبر هناک- و قد کان السحاب مسخرا له- و لکن ذلک، کان خلاف التوکل من مثله علیه السّلام، و لذا مات الولد، و ألقی علی کرسی حکمه، فلما رآه عرف أنه ترک الأولی فی إیداع الولد السحاب وَ أَلْقَیْنا عَلی کُرْسِیِّهِ أی سریر حکمه جَسَداً لولده المیت ثُمَّ أَنابَ أی رجع عن ترکه للأولی.

[۳۶] قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی اعتمادی علی السحاب فی إبقاء ولدی، و عدم أذی الشیاطین له وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی لعله أراد نوعا من الملک، یکون ذو إعجاز لا یتمکن أحد من الإتیان مثله، کما إن عصا موسی، و إحیاء عیسی، و قرآن الرسول، کانت بحیث لا ینبغی لأحد من بعدهم، فلم یرد سلیمان البخل، و تخصیص رحمة الله بنفسه بل أراد الإعجاز، و الذی یؤید ذلک، إن الملک الذی وهب له کان معجزة، إذ هو تسخیر الریح، و عبارة «لا ینبغی لأحد» یراد به الناس، لا حتی الأنبیاء علیهم السّلام، فإن مثل هذا التعبیر شائع،

قال الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۸

[سورة ص (۳۸): الآیات ۳۶ الی ۳۸]

فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّیحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخاءً حَیْثُ أَصابَ (۳۶) وَ الشَّیاطِینَ کُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ (۳۷) وَ آخَرِینَ مُقَرَّنِینَ فِی الْأَصْفادِ (۳۸)

«ما أقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء علی ذی لهجة، أصدق من أبی ذر»

«۱» و لم یرد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ترجیحه علی الأئمة، کما أن قوله سبحانه فی القرآن الحکیم (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُکِّرَ بِآیاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها) «۲» أرید به ممن آمن و عصی، لا من کل أحد، و هکذا، و مثله تعبیر عرفی شائع إِنَّکَ یا رب أَنْتَ الْوَهَّابُ الکثیر الهبة، فتفضل علیّ بذلک.

[۳۷] فَسَخَّرْنا أی ذللنا بأمره لَهُ أی لسلیمان الرِّیحَ التی کانت تحمل بساطه و تسیر به إلی حیث شاء تَجْرِی الریح بِأَمْرِهِ أی أمر سلیمان رُخاءً أی لینة بدون عنف حَیْثُ أَصابَ أی إلی کل مکان أراد الذهاب إلیه، و الإصابة هی الوصول إلی الشیء، و کأن المعنی حیث أصاب نظره و إرادته.

[۳۸] وَ سخرنا له الشَّیاطِینَ أی الأجنة، و قد سبق أن الشیطان قسم من الجن، و إن کان له نوعان، نوع یسمی جنا، و نوع یسمی شیطانا کُلَّ بَنَّاءٍ یبنی له القصر و الدار، و ما أشبه، فی المدن و الصحاری وَ غَوَّاصٍ فی البحر یذهب فی الماء لیأتی له بالجواهر و اللئالی، و «کل» بدل من الشیاطین، بدل بعض من الکل.

[۳۹] وَ سخرنا له شیاطین آخَرِینَ غیر البناء و الغواص فی حال

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۴۲۶.

(۲) السجدة: ۲۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۲۹

[سورة ص (۳۸): الآيات ۳۹ الى ۴۱]

هـذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (۳۹) وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ (۴۰) وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نـادى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ (۴۱)

كونهم مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفادِ جمع صـفد، و هو الغلّ، فقد كان يجمع بين بعض الشياطين مع بعض فى السلسلة تعذيبا لهم على تمردهم، أو لئلا يفر المتمرد منهم أو كان يغل المتمرد يـديه و رجليه، و هـذا كنايـة عن إعطاء زمامهم بيده، حتى أنه يتمكن من اسـتخدامهم و عقاب المجرمين منهم.

[۴۰] و بعـد هـذا الملـك الوسيع الخـارق، قال الله سـبحانه لسـليمان- زيادة لا كرامـة- هـذا الملك عَطاؤُنا لك فَامْنُنْ على من شـئت بإعطـائه مـا تشـاء أَوْ أَمْسِكْ عمن شـئت، بأن لا تعطيه شـيئا فى حال كونك بِغَيْرِ حِسابٍ أى أنك لا تحاسب عما تفعل، أو أعط بغير حساب و تعداد من شئت، فهو متعلق ب «امنن».

[۴۱] وَ إِنَّ لَهُ أى لسليمان عِنْدَنا لدينا لَزُلْفى قربا منّا فإنه ذو جاه و منزلة عند الله سبحانه وَ حُسْنَ مَآبٍ أى مرجعا حسنا فى الآخرة.

[۴۲] وَ اذْكُرْ يا رسول الله عَبْدَنا أَيُّوبَ كيف صبر على البلاء، فإنه عليه السّـلام ذهب ماله و أهله و أولاده، و تمرض فى جسـده، بأشـد أنواع المرض، و لم يزل يـذكر الله و يشـكره، حتى إذا بلغ الأمر منتهاه، و أراد الله سـبحانه له الشـفاء، بعـد أن أحسن الصبر و نجح فى الامتحان إِذْ نادى رَبَّهُ تعالى قائلا يا رب أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۰

[سورة ص (۳۸): الآيات ۴۲ الى ۴۳]

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ (۴۲) وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ (۴۳)

فإن الشيطان هو الذى صار سببا لبلاء أيوب، و قد مكّنه الله سبحانه منه، بأن لم يصده عن إيذائه، كما لم يصده عن الوسوسة لآدم عليه السّـلام، امتحانـا لأـيوب، و ليرتفع بـذلك مقـامه، و «النصب» هو البلاـء، و «العـذاب» هو الأـلم، و لعله أراد بـاللفظين الألم الجسـمى و الروحى، أو ألمه فى أهله و ماله و أولاده، و ألمه فى نفسه.

[۴۳] و بعـد أن دعـا أيوب ربه، لينجيه من البلاـء خوطب من قبله سـبحانه ارْكُضْ بِرِجْلِكَ أى ادفع برجلك الأرض، فإن الركض، هو الدفع بالرجل على جهة الإسـراع، و منه يسمى المشى السريع ركضا، فركض عليه السّلام برجله الأرض، فظهرت عين ماء، فقيل له هذا الـذى تراه مُغْتَسَلٌ أى موضع يغتسل فيه، و قـد أريد بذلك، تنبيهه على الاغتسال فى ذلك الماء بارِدٌ الإتيان بهذا الوصف للترويح عن النفس المريضة الملتهبة التى تطلب الماء البارد وَ شَرابٌ يشرب منه، و قد اغتسل أيوب فى ذلك الماء، و شرب منه، فصح جسمه كأن لم يكن به مرض أبدا.

[۴۴] وَ وَهَبْنـا لَهُ أَهْلَهُ الـذين مـاتوا فى البلاـء، بـأن أحيـاهم الله سـبحانه وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ إما بـأن ولـد له أولاد آخرين على عـدد أولئك الأولاد، حتى صار له من الأولاد ضـعف أولاده قبل البلاء، و إما بأن المراد إعطاء أهله الـذين ماتوا قبل البلاء، و الذين ماتوا فى البلاء، و ذلك لأنه اسـتحق الـذين ماتوا فى البلاء، لا الـذين ماتوا قبله بآجالهم الطبيعيـة، و إنما فعلنا ذلك رَحْمَـةً مِنَّا له و تفضـلا عليه، فليس أحد يستحق على الله شيئا وَ ذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ أى، و ليتذكر أصحاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۱

[سورة ص (۳۸): آية ۴۴]

وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۴۴)

العقول، بأن الله سبحانه، إذا أخذ من أحد شيئا، فلا يفعل ذلك اعتباطا و عبثا، و إنما ليعطيه ذلك الشيء مع الزيادة- إذا كان أخذه، لم يصدر عن عقاب و تأديب- و هذا هو شأنه سبحانه فى جميع ما يأخذ، كما قال فى باب الإنفاق (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً) «۱».

[۴۵] وَ خُذْ يا أيوب بِيَدِكَ ضِغْثاً و هو ملء الكف من الشماريخ للتمر فَاضْرِبْ بِهِ أى بذلك الضغث امرأتك وَ لا تَحْنَثْ حلفك، فقد رأى أيوب من زوجته قولا، أو عملا ساءه ذلك، فحلف أن يضربها عددا من السوط، أو نحو ذلك- مما سكتت عنه الآية، و لما أن عوفى خفف الله سبحانه ذلك، بأن يضربها بالشماريخ ضربة واحدة، لا تؤذى كثيرا، بأن يجعل لكل مرة شمراخا، و قد كان حلف أيوب على ضربها مشروعا، إذ لعلها كانت عاصية فى قولها أو عملها الذى ساء أيوب و للزوج حق تأديب الزوجة، و لذا وجب الوفاء بها، كما أن عدم الحنث بذلك تخفيف من الله سبحانه، مع أنه عليه السّلام، أتى بما يشبه المحلوف، فلا يقال: كيف قال تعالى «لا تحنث» و الحال أن المحلوف غير هذا؟ إِنَّا وَجَدْناهُ أى وجدنا أيوب صابراً على البلاء الذى ابتلى به نِعْمَ الْعَبْدُ أيوب إِنَّهُ أَوَّابٌ أى كثير الرجوع إلى الله سبحانه من آب بمعنى رجع، و قد ذكرنا معنى رجوع الأنبياء عليهم السّلام، و أنه من اشتغالهم بالأمور الدنيوية.

---

(۱) البقرة: ۲۴۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۲

[سورة ص (۳۸): الآيات ۴۵ الى ۴۸]

وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ (۴۵) إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (۴۶) وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ (۴۷) وَ اذْكُرْ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ (۴۸)

[۴۶] وَ اذْكُرْ يا رسول الله عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ ابن إبراهيم وَ يَعْقُوبَ ابن إسحاق أُولِي الْأَيْدِي أى أصحاب القوة و التمكن، فقد كان هؤلاء الأنبياء عليهم السّلام أصحاب ثروة و نعمة و جاه وَ الْأَبْصارِ يبصرون أمور دينهم، فقد جمعوا بين الدنيا و الآخرة، و إنما أمر الرسول بذكرهم ليقتدى بهم الناس فى دينهم و دنياهم، فلا يتركوا أحدهما للآخر، كما قال تعالى (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) «۱».

[۴۷] إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ أى جعلناهم لنا خالصين، فلا يعملون شيئا إلا لأجلنا بِخالِصَةٍ أى بخلصة، و صفة خالصة لا شوب فيها: هى ذِكْرَى الدَّارِ الآخرة، فقد كانوا دائمى التذكر لها، و من المعلوم، أن الإنسان إذا كان دائم التذكر للآخرة، لا تزل له قدم، و قوله «ذكرى» بدل من «بخالصة».

[۴۸] وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ جمع مصطفى أى اصطفيناهم، و اخترناهم للنبوة، و معنى عندنا، فى حسابنا، و ما كتبناه، لهم ليجزون عليه الْأَخْيارِ جمع خير، كأموات جمع ميت، و هو الذى يفعل الأشياء الكثيرة الحسنة.

[۴۹] وَ اذْكُرْ يا رسول الله إِسْماعِيلَ بن إبراهيم عليه السّلام، و كأنه لذكره

---

(۱) البقرة: ۲۰۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۳

[سورة ص (۳۸): الآيات ۴۹ الى ۵۱]

هذا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (۴۹) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ (۵۰) مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرابٍ (۵۱)

هنا، لم يذكر هناك مع أبيه و أخيه وَ الْيَسَعَ قال بعضهم كان من أنبياء بنى إسرائيل وَ ذَا الْكِفْلِ هو يوشع بن نون، وصى موسى عليه

السّلام، علی بعض الأقوال وَ کُلٌّ من هؤلاء مِنَ الْأَخْیارِ الخیّرین.

[۵۰] هـذا الـذی سـمیناهم هنا فی القرآن ذِکْرٌ لهم، و شـرف فی الـدنیا، باق بقاء الأبد وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِینَ الذین أولئک الأنبیاء من ساداتهم لَحُسْنَ مَآبٍ أی مآب حسن، و المآب هو المرجع، من آب بمعنی رجع.

[۵۱] ثم بین سـبحانه المراد بذلک بقوله جَنَّاتِ عَدْنٍ یقال عدن بالمکان إذا أقام فیه، و الجنهٔ هی البسـتان، سمی بها لأن الأشجار تجن و تستر أرضـها، أی جنـات إقامهٔ لا زوال لأحـد عنها، فی حال کونها مُفَتَّحَـهً لَهُمُ الْأَبْوابُ و الإتیان من باب التفعیل، للدلالـهٔ علی کثرهٔ الأبـواب المفتحهٔ لهـم، لأن من معـانی بـاب التفعیـل التکـثیر، و فی ذلـک إشـارهٔ إلی عظم رتبتهم، حیث إن کـل الأبـواب تفتـح فی وجوهم، حتی یکون لهم أن یدخلوها من حیث شاءوا.

[۵۲] فی حال کونهم مُتَّکِئِینَ فِیها أی مستندین أهل الجنهٔ إلی المساند، و ذلک للدلالهٔ علی کمال راحتهم الجسدیهٔ و الروحیهٔ یَدْعُونَ فِیها أی یطلبون فی تلک الجنات بِفاکِهَهٍ هی ثمرهٔ الأشجار کَثِیرَهٍ حسب ما أرادوا وَ شَرابٍ بقدر ما اشتهوا،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۴

[سورهٔ ص (۳۸): الآیات ۵۲ الی ۵۶]

وَ عِنْدَهُمْ قاصِـراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ (۵۲) هـذا ما تُوعَدُونَ لِیَوْمِ الْحِسابِ (۵۳) إِنَّ هـذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ (۵۴) هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِینَ لَشَرَّ مَآبٍ (۵۵) جَهَنَّمَ یَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ (۵۶)

من خمر و من عسل و من لبن و غیرها.

[۵۳] وَ عِنْدَهُمْ زوجات قاصِـراتُ الطَّرْفِ قد قصـرت عیونهن علی أزواجهن، فلسن کبعض نساء الدنیا اللاتی ینظرن إلی غیر أزواجهن، مـن حیث إنهن یرون غیرهم أعلی جاهـا، أو مالاـ أو جمالاـ أو غیر ذلـک، من أزواجهن أَتْرابٌ جمع ترب، و هی الـتی بسن الزوج، فلیس أعمارهن أقل أو أکثر من أزواجهن، حتی یکونا مختلفی الجسم أو العقل.

[۵۴] هذا الذی تقدم فی وصف الجنان و نعیمها ما تُوعَدُونَ أیها الناس لِیَوْمِ الْحِسابِ فإذا أحسنتم استحققتم کل ذلک.

[۵۵] ثم إنه لاـ انقطـاع لنعیم الجنـهٔ، بـل یقال لأهل الجنـهٔ إِنَّ هـذا الـذی ترون من النعیم لَرِزْقُنا لکم أیها المؤمنون ما لَهُ أی لیس لهـذا الرزق مِنْ نَفادٍ أی فناء و انقطاع بل باق إلی الأبد.

[۵۶] هـذا ما یقـدم للمتقین، فلننظر الکفار وَ إِنَّ لِلطَّاغِینَ الذین طغوا علی الله سـبحانه و تجاوزوا الحد بالکفر و العصـیان لَشَـرَّ مَآبٍ أی مآب شریر فی مقابل «حسن المآب» للمتقین.

[۵۷] جَهَنَّمَ تفسیر لشر مآب یَصْلَوْنَها من صلی الشیء إذا لازمه، أی یدخلونها ملازمین لها فَبِئْسَ الْمِهادُ أی بئست جهنم مسکنا لهم، و المهاد هو المحل الذی یمهده الإنسان، و یهیئه لنفسه.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۵

[سورهٔ ص (۳۸): الآیات ۵۷ الی ۶۰]

هـذا فَلْیَذُوقُوهُ حَمِیمٌ وَ غَسَّاقٌ (۵۷) وَ آخَرُ مِنْ شَـکْلِهِ أَزْواجٌ (۵۸) هـذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَکُمْ لاـ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ (۵۹) قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِکُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ (۶۰)

[۵۸] أما شـرابهم هذا فَلْیَذُوقُوهُ حَمِیمٌ وَ غَسَّاقٌ أی هذا حمیم و غساق، فلیذوقوا کل واحد منهما، و الحمیم هو الماء الحار، و غساق، ما یغسق أی یسیل من صدید أهل النار و تحمیمهم.

[۵۹] وَ آخَرُ أی و لهم ضـرب آخر من الطعام و الشـراب مِنْ شَکْلِهِ من شکل الحمیم و الغساق أَزْواجٌ ألوان و أنواع متشابههٔ فی الشدهٔ، و صعوبهٔ المذاق.

[۶۰] تلک دارهم، و ذاک طعامهم و شرابهم، و لهم صنوف أخری من العذاب، من جملهٔ تلک ضیق المکان، حتی أنهم فی جهنم من

الضيق، كالوتد دقّ فى الحائط- كما ورد- و ذلك إن القادة يدخلون النار أولا فيجدون ضيقا و إرهاقا، ثم يؤتى بالأتباع، و إذا يراهم القادة، يقولون: لا- مكان هنا لهؤلاء، فيقول مالك النار هذا الجمع الذى تشاهدونهم فَوْجٌ أى جماعة مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ من الاقتحام، و الدخول فى الشيء بشدة، و صعوبة، أى داخلون فى ثناياكم و خلالكم لا مَرْحَباً بِهِمْ أى لا رحبت عليهم الأرض، و لا اتسعت لهم أماكنهم، و هذا حكاية لقول القادة، الذين هم فى النار، يقولون لأتباعهم ذلك، و هو عكس التحية إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ أى يدخلونها ملازمين لها.

[۶۱] و إذ يسمع الأتباع هذا الترحيب المعكوس من قادتهم قالُوا بَلْ أَنْتُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۶

[سورة ص (۳۸): الآيات ۶۱ الى ۶۳]

قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ (۶۱) وَ قالُوا ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ (۶۲) أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ (۶۳)

أيها القادة لا مَرْحَباً بِكُمْ أى لا اتسع بكم المكان، و لا حييتم إلا بالسوء أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ أى قدمتم هذا العذاب لَنا حيث حملتمونا على الكفر و العصيان فَبِئْسَ الْقَرارُ و المقر الذى نستقر عليه.

[۶۲] و كان القادة يجيبون بأنّا لم نقدم لكم هذا العذاب، و إنما أنتم كنتم منحرفين عن الجادة، كما سبق شبه هذا الحوار بين السادة و الأتباع فى بعض السور السابقة، و لذا يلتجئ الأتباع إلى الله لينتقم لهم من القادة الذين غرّوهم ثم لا يقبلون حتى أن يسمعوا ذلك الكلام من أتباعهم قالُوا أى قالت الأتباع يا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا العذاب و هيأه، لأن ندخله فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً عذابا لضلاله بنفسه و عذابا لإضلاله لنا فِي النَّارِ و إلى هنا ينتهى الحوار بين القادة و الأتباع.

[۶۳] ثم إن الكفار فى النار يفتقدون المؤمنين، الذين سخروا منهم فى الدنيا، و كذبوا كلامهم حول الوعيد، فيتساءل بعضهم عن بعض حولهم وَ قالُوا ما لَنا لا- نَرى رِجالًا مؤمنين كُنَّا نَعُدُّهُمْ فى دار الدنيا مِنَ الْأَشْرارِ؟ جمع شر، فقد كان الكفار فى الدنيا يقولون، إن المؤمنين أشرار، حيث يرونهم يأمرون بالمعروف، و ينهون عن المنكر، و يسبون الأصنام.

[۶۴] أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أى هل إن عدم رؤيتنا لهم فى النار، لأجل أن سخريتنا بهم- فى الدنيا- كان خطأ، فذهبوا إلى النعيم، و لذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۷

[سورة ص (۳۸): الآيات ۶۴ الى ۶۷]

إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (۶۴) قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۶۵) رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (۶۶) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (۶۷)

لا- نراهم، أَمْ أن سخريتنا كانت صحيحة، فهم معنا فى الجحيم، و لكن زاغَتْ أى مالت و انحرفت عَنْهُمُ الْأَبْصارُ أى أبصارنا، فعدم رؤيتنا لهم، لأن أبصارنا عدلت عنهم، فلا نراهم، و إن كانوا معنا فى الجحيم؟

[۶۵] إِنَّ ذلِكَ التخاصم بين القادة و الأتباع المنجرّ إلى ذلك الكلام حول المؤمنين لَحَقٌّ كائن لا محالة تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ بدل عن ذلك، أى أن ذلك التخاصم بين أهل النار حق ثابت لا شك فيه.

[۶۶] قُلْ يا رسول الله إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ مخوف لكم، إن بقيتم على الكفر و العصيان، لتلاقون هذا اليوم العصيب الذى سبق الحديث عنه وَ ما مِنْ إِلهٍ يحق له العبادة إِلَّا اللَّهُ الْواحِدُ الذى لا شريك له الْقَهَّارُ لجميع خلقه يقهرهم على ما يريد بهم من الأمور التكوينية، فلا يعز الإنسان، ما يرى من إسلاس القياد له فى دار الدنيا، للاختبار و الامتحان.

[۶۷] رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا من الملك و الإنس و الجن و غيرها الْعَزِيزُ الغالب فى سلطانه، فلا يمتنع منه شيء الْغَفَّارُ لذنوب عباده، فمن ندم و تاب، غفر ذنبه، و قبل توبته.

[۶۸] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء هُوَ أى ما أخبركم به عن المبدأ و المعاد، و سائر الأمور نَبَأٌ عَظِيمٌ أى خبر ذو عظمة، تكون سعادة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۸

[سورة ص (۳۸): الآيات ۶۸ الى ۷۱]

أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (۶۸) ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (۶۹) إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۷۰) إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (۷۱)

الإنسان، و شقوته تابعة لتصديقه، أو تكذيبه.

[۶۹] أَنْتُمْ أيها الكفار عَنْهُ أى عن هذا النبأ مُعْرِضُونَ لا تعيرونه اهتماما، كأنه ليس بمهم.

[۷۰] إنه ليس كهانة أو سحرا أو شعرا، كما كانوا يذكرون، و إنما هو وحى، و إلا- فمن أين أدرى أنا، ماذا جرت بين الله و بين الملائكة، من محادثات حول أصل الخلقة، فإنه ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى يعنى الملائكة إِذْ يَخْتَصِمُونَ يقال لكل تخالف فى الرأى اختصاما، و قد كان فى ابتداء الخلقة أمر الله سبحانه طرفا، و فكرة الملائكة طرفا آخر، أو إن المراد اختصام الشيطان مع الله فى الملأ الأعلى.

[۷۱] إِنْ يُوحى إِلَيَ أى ما يوحى إلىّ إِلَّا ل أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ فلو لم أكن نبيا منذرا من أين كنت أعلم بماذا جرى فى الملأ الأعلى، و إنما أعلم ذلك، لأنه يوحى إلىّ حيث أنى نذير ظاهر، و رسول من قبل الله سبحانه، فليس النبأ أمرا هينا، كما تزعمون أنتم من أنه نزاع بين «محمد» و «الكفار» فحسب، و إنما أمر مهم جدا هو أمر الوحى من الله إلى الأرض، لتقرير المنهج العام للبشرية فى هذه الحياة، و الحياة الآخرة.

[۷۲] ثم بين السياق قصة اختصام الملأ الأعلى، الذى كان إخبار الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، له دليلا على نبوته، و أنه يوحى إليه، و قد كان أمثال هذه العلوم فى ذلك الزمان خاصا برؤساء أهل الكتاب، حتى أن أحدا لم يكن يعلم من تلك شيئا- حتى بالمقدار الخرافى المحرّف الذى كان مدرجا فى التوراة و الإنجيل- فإذا أخبر بذلك فى صورة صحيحة،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۳۹

[سورة ص (۳۸): الآيات ۷۲ الى ۷۴]

فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (۷۲) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (۷۳) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ (۷۴)

رجل أمى، كان دليلا- على اتصاله بالوحى، كما لو أخبر فى هذا اليوم، رجل أمى عن أسرار الذرة، و غوامض علم الفلك بصورة صحيحة، لم يصل إليها بعد أعظم علماء الفيزياء و الفلك إِذْ قالَ رَبُّكَ يا رسول الله لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ أى أريد أن أخلق، فاسم الفاعل بمعنى المستقبل بَشَراً مِنْ طِينٍ يعنى آدم عليه السّلام.

[۷۳] فَإِذا سَوَّيْتُهُ أى سويت خلق هذا البشر و تمت أعضاؤه وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي أى أحييته، و جعلت فيه الروح المضاف إلىّ تشريفا، و معنى النفخ، أن يخلق سبحانه روحا، ثم يدخله فى آدم على طريقة النفخ فَقَعُوا الفاء عاطفة، و «قعوا» أمر من وقع يقع لَهُ ساجِدِينَ أى اسقطوا على الأرض، للسجود لآدم.

[۷۴] ثم إن الله سبحانه خلق آدم، و نفخ فيه الروح فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ لآدم عليه السّلام حسب أمر الله سبحانه، و الإتيان بتأكيدين، لرفع استبعاد أن يكون الملايين من الملائكة المتفرقين فى مختلف الفضاء الوسيع المدهش، قد سجدوا لآدم و لزيادة التقريع على إبليس حيث أبى السجود، مع سجود الجميع.

[۷۵] إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ أى جعل نفسه أكبر و أعظم من أن يسجد لآدم وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ «كان» لمجرد الربط، أو بمعنى صار، أو باعتبار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۰

[سورة ص (۳۸): الآيات ۷۵ الى ۷۸]

قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ (۷۵) قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (۷۶) قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (۷۷) وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ (۷۸)

إنه فى علم الله، كان كافرا فى ضميره، فظهر ما كان كامنا.

[۷۶] قالَ الله سبحانه لإبليس يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ أنا بِيَدَيَّ هذا سؤال للتوبيخ و التقريع، أى ما هو سبب امتناعك من السجود لمثل الإنسان الشريف، الذى كرّمه الله سبحانه، بأن خلقه بلا واسطة؟ و قوله «بيدى» إضافة تشريفية، كناية عن وساطة سببت فى خلقه، ثم قال له سبحانه أَسْتَكْبَرْتَ أى هل استكبرت عن السجود، بلا حق أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ بأن كنت فى الحقيقة و الواقع، أعلى رتبة من آدم، و لذا لم تسجد؟.

[۷۷] قالَ إبليس فى جواب الله سبحانه، بل كنت أعلى رتبة من آدم، إذ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ أى أشرف من آدم، و ذلك لأنك يا رب خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ فإن أصلى النار وَ خَلَقْتَهُ أى خلقت آدم مِنْ طِينٍ و النار أشرف من التراب.

[۷۸] قالَ الله سبحانه للشيطان، إذ رأى كبره و غروره و تمرده فَاخْرُجْ مِنْها أى من الجنة، فقد كان الجميع فى الجنة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مطرود مبعّد، يقال رجمه أى طرده.

[۷۹] وَ إِنَّ عَلَيْكَ يا شيطان لَعْنَتِي طردى و غضبى إِلى يَوْمِ الدِّينِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۱

[سورة ص (۳۸): الآيات ۷۹ الى ۸۴]

قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۷۹) قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (۸۰) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (۸۱) قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۸۲) إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (۸۳)

قالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ (۸۴)

أى يوم القيامة، حيث تحاسب هناك و تلقى فى النار.

[۸۰] قالَ إبليس عند ذلك، يا رَبِ أى ربى، و حذف ياء المتكلم تخفيفا فَأَنْظِرْنِي أى امهلنى، بأن أبقى حيا إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ أى يوم القيامة الذى يبعث و يحشر و يحيى فيه الناس؟

[۸۱] قالَ الله تعالى فى جوابه فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ أى من جملة الذين يبقون إلى النفخة الأولى.

[۸۲] إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ الوقت المعلوم، هو النفخة الأولى التى يموت فيه كل حيّ، فلم يمهله الله سبحانه إلى يوم القيامة، بل إلى النفخة الأولى، و ما ورد فى بعض الأحاديث، من أنه عند ظهور الإمام عليه السّلام، فهو ببعض الاعتبارات، كما سبق.

[۸۳] قالَ الشيطان، إذ علم بالمهلة فَبِعِزَّتِكَ حلفى يا رب، أى أقسم بقدرتك لَأُغْوِيَنَّهُمْ أى لأضلّن بنى آدم أَجْمَعِينَ

[۸۴] إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ الذين أخلصتهم لنفسك، فلا أقدر على أولئك، و معنى إغوائه لهم دعوته إلى الغواية.

[۸۵] قالَ الله سبحانه فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ جملة معترضة، أى قولى حق، دائما ثابت لا كذب فيه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۲

[سورة ص (۳۸): الآيات ۸۵ الى ۸۸]

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (۸۵) قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (۸۶) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (۸۷) وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (۸۸)

[۸۶] و «الحق» مبتدأ خبره قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ أى حقا إملاء النار مِنْكَ و المراد به هو و ذريته وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ أى اتبع كلامك مِنْهُمْ

أَجْمَعِينَ «منهم» بيان «من تبعك» و الضمير يعود إلى بنى آدم، المفهوم من السياق، و «أجمعين» تأكيد لمن تبع، أى كل متتابع، بحيث لا أدع متابعا لك خارج جهنم.

[۸۷] و أخيرا قُلْ يا رسول الله للناس ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أى تبليغ الوحى و القرآن مِنْ أَجْرٍ أى مال تعطونه لى فى مقابل أتعابى وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ للقرآن من تلقاء نفسى، فليس القرآن كذبا، تكلفته أنا، و لا وسيلة، لأخذى مالا منكم.

[۸۸] إِنْ هُوَ أى ما هو إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ يذكرهم بما كمن فى فطرتهم من التوحيد و المعاد و الآداب، و ما أشبه، و المراد بالعالمين، الأجيال، لأن كل دور من أدوار الدنيا، عالم مستقل، و إن اتصلت الحلقات بعضها ببعض.

[۸۹] وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ أى خبر القرآن و صدقه بَعْدَ حِينٍ فى الدنيا، حيث ترون غلبته على الكفر و الكفار، و فى الآخرة، حيث ترون صدقه فى ما أخبر به من الجنان و أهلها، و النيران و أصحابها، و قد علم الكفار، و سائر الناس، صدق أنبائه بالنسبة إلى مستقبل الدنيا، و سنرى صدق أنبائه بالنسبة إلى الآخرة، جعلنا الله من أهل الجنة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۳

۳۹ سورة الزمر مكيّة/ آياتها (۷۶)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على هذه اللفظة «زمرا» و هى كسائر السور المكية باستثناء آيات، قالوا إنها مدنية، تعالج قضايا العقيدة فى أصولها، و لما ختمت سورة «ص» بذكر القرآن، فتحت هذه السورة بذلك.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الله، الذى لا يخيب من استعان به، و هو خير مستعان يستعين به الإنسان فى مختلف حوائجه، و التوصيف بالرحمن و الرحيم، التماس للرحمة، التى وسعت كل شىء، كى ينال الإنسان المستعين من ذلك المعين الذى لا ينضب فضلا و رحمة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۴

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۱ الى ۳]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۱) إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (۲) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ (۳)

[۲] تَنْزِيلُ الْكِتابِ أى نزول هذا الكتاب، إنما هو مِنَ اللَّهِ فهذا خبر لتنزيل الكتاب الْعَزِيزِ الغالب فى سلطانه الْحَكِيمِ الذى يحكم بما يريد وفق المصلحة، و يفعل ما يشاء على طبق الصلاح، فبحكمته أحكم الكتاب، و بعزته أنزله للهداية و الإرشاد، و ليس سحرا أو تقوّلا أو كهانة كما يقول المشركون.

[۳] إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ يا رسول الله الْكِتابَ أى القرآن بِالْحَقِ فليس إنزاله لأجل الباطل أو اللعب، أو ما أشبه، كما لو كتب رئيس إلى نائبه، أن اقتل الناس، فإنه إرسال بالباطل، و الإتيان بمادة «نزل» فى الآيتين، إما لعلو مقام المنزل، فنزل العلو رتبة منزلة العلو حسا، و إما حقيقة باعتبار، إن القرآن جاء من السماء إلى الأرض فَاعْبُدِ اللَّهَ وحده لا شريك له، كما أمرنا فى الكتاب مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أى فى حال كونك تخلص له الدين- و هو الطريقة، فى العقيدة و العمل- و لا تجعل له ندا أو شريكا، كما يفعل المشركون.

[۴] أَلا فلينتبه السامع لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ يعنى إن الطريقة الناصعة الخالصة من الانحراف و الالتواء، و كل سوء هى لله سبحانه، أما سائر الطرق، فإنها ليست خالصة، بل فى كل منها التواء و كذب و غش، و المراد بالدين الخالص هو الإسلام وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أى من دون الله أَوْلِياءَ أى أصناما يوالونهم، يقولون:- فى سبب الاتخاذ-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۵

ما نَعْبُدُهُمْ أى إنا لا نعبد الأصنام- و الإتيان بضمير العاقل، باعتبار إن الكفار كانوا يعتبرون الأصنام عقلاء- إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى اسم مصدر زلف بمعنى قرب، فهو مفعول مطلق، ب «يقربونا» أى يقربونا تقريبا، فقد كانوا يعتقدون إن الأصنام توجب القرب من الله سبحانه، لكنهم كاذبون فى هذا الزعم، و إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يوم القيامة فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من أمور الدين، فقد كان المشركون على اختلاف كبير بين الطوائف و العقائد، أو أن ضمير «بينهم» يعود إلى الناس عامة، مؤمنهم و كافرهم، و المراد بالحكم القضاء، و بيان أيهم مبطل، و أيهم محق، أو بيان أيهم مغرق فى الباطل، و أيهم ليس بتلك المثابة، و إن كان الكل على باطل- و هذا بناء على رجوع ضمير بينهم إلى الكفار فقط- إِنَّ اللَّهَ بعد بيان الطريق، و انحراف البعض لا يَهْدِي بالألطاف الخفية، بالنسبة إلى من انحرف، و هو الذى عبّر عنه بقوله سبحانه مَنْ هُوَ كاذِبٌ على الله و على رسوله كَفَّارٌ أى كثير الكفر، فكلما رأى حقا كفر به، بخلاف من آمن، فإن الله يهديه، بأن يلطف به الألطاف الخفية الزائدة على أصل الهداية، ليزداد هدى، كما قال تعالى (زادَهُمْ هُدىً) «۱» و (وَ زِدْناهُمْ هُدىً) «۲».

---

(۱) محمد: ۱۸.

(۲) الكهف: ۱۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۶

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۴ الى ۵]

لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۴) خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (۵)

[۵] لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً كما يزعم هؤلاء الكفار من أن لله ولدا لَاصْطَفى أى لاختار هو بنفسه مِمَّا يَخْلُقُ من الإنسان و الملك ما يَشاءُ فكان ينتخب الأليق به، لا أن يترك الأمر إلى الكفار، حتى يضيفوا إليه من شاءوا من الأولاد، كما أضاف اليهود عزيرا إليه، و النصارى المسيح، و المشركون الملائكة، فمثلا كان يختار موسى ابنا، و محمّد ابنا سُبْحانَهُ أى أسبحه سبحانه، فهو منزّه عن الأولاد، ولادة و تبنيا، و هؤلاء كاذبون فى إضافة الأبناء إليه، فإنه هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الذى لا شريك له، و لا صاحبة و لا ولد الْقَهَّارُ الذى يقهر الكون طبق إرادته، و لو كان له ولد، شاركه فى الألوهية، فلم يكن واحدا، و لا قادرا على قهره.

[۶] خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِ فلا باطل فى شأنه، حتى يتخذ ولدا بالتبنى، و لا شريك له حتى يكون له ولد صلبى، إذ لو كان له ولد لشاركه فى الخلق بمقتضى كونه إلها يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ تشبيه بمن يلف شيئا على شيء، فإذا جاء الليل كان، كأنه لفّ على النهار حتى ستره وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ فإذا جاء النهار، كان كأنه لف أيضا على الظلمة حتى سترها وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ بأن ذللهما و أجراهما حسب الصلاح و الحكمة كُلٌّ منهما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۷

[سورة الزمر (۳۹): آية ۶]

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (۶)

يَجْرِي فى مداره لِأَجَلٍ مُسَمًّى أى إلى غاية محدودة، يوم يقفان عن السير، و هو يوم القيامة، أَلا فلينتبه السامع هُوَ الله الْعَزِيزُ الغالب فى سلطانه الْغَفَّارُ فمن تاب من الكفار و العصاة، غفر له ذنبه، و إنما أتى بهذا الوصف، لإلقاء الرجاء فى قلوب من لاذت قلوبهم نحو الحق، فلا ييأسوا من سالف أعمالهم، أن تقبل توبتهم.

[۷] خَلَقَكُمْ أيها البشر، بعد خلق السماوات و الأرض، و الشمس و القمر مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ هى نفس آدم عليه السّلام، يعنى أن أصل خلقتكم من شخص واحد، كل الناس ينتهون إليه ثُمَ هذا إنما هو للتراخى فى الكلام، لا التراخى فى الخارج، كقوله «إن من ساد ثم ساد أبوه، ثم قد ساد بعد ذلك جده» فإن سيادهٔ الأب قبل الابن خارجا، و إنما أتى، ب «ثم» للتراخى فى التكلم، و بيان أن هذا الكلام بإثر ذلك الكلام جَعَلَ مِنْها أى من تلك النفس زَوْجَها إما أن يراد كون حواء عليها السّلام، من فاضل طينة آدم، أو أنها من نفس ذلك الجنس، فليست زوجة آدم من جنس الملائكة، أو الجن، و هذا فضل منه سبحانه، لأن «كل جنس لجنسه يلف» وَ أَنْزَلَ أى بسبب ما أنزله من المطر أنشأ لَكُمْ أيها البشر مِنَ الْأَنْعامِ و هى الإبل و البقر و الضأن و المعز ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ من كل زوجين ذكر و أنثى يَخْلُقُكُمْ أيها البشر فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۸

[سورة الزمر (۳۹): آية ۷]

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۷)

فنطفة فعلقة فمضغة، فعظام فإنسان سوى، فحياة فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ظلمة البطن، و ظلمة الرحم، و ظلمة المشيمة، فإن هذه الأغلفة الثلاثة محيطة بالولد حال تكوينه ذلِكُمُ «ذا» إشارة، و «كم» خطاب اللَّهُ رَبُّكُمْ أيها البشر، فإنه هو الذى خلقكم من الابتداء إلى حال الوجود، بتلك الكيفية المدهشة لَهُ الْمُلْكُ كما أن له الخلق لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لا شريك له من صنم أو وثن، أو غيرهما فَأَنَّى تُصْرَفُونَ عن الحق، أى إلى أين يصرفكم الشيطان و الكفار؟ حتى تقولون بالشريك لله سبحانه.

[۸] إِنْ تَكْفُرُوا أيها البشر، فهو يضركم، و لا يضر الله سبحانه فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ غير محتاج إليكم، حتى يضره كفركم وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ فإنه لم يأمر بذلك، و هذا لنقض قول الكفار، حيث كانوا يقولون: إن الله أمرنا بهذا وَ إِنْ تَشْكُرُوا أيها البشر و رأس الشكر، أن توحدوه يَرْضَهُ أى يرضى الشكر لَكُمْ و يجازيكم عليه جزاء حسنا و ليعلم الكافر أن القادة لا يحملون تبعة كفرهم، كما يقولون فى الدنيا، حيث قالوا (اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ) «۱» وَ لا تَزِرُ أى لا تحمل نفس وازِرَةٌ أى حاملة وِزْرَ أُخْرى أى ذنب الشخص

---

(۱) العنكبوت: ۱۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۴۹

[سورة الزمر (۳۹): آية ۸]

وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ (۸)

الآخر، بأن تخفف نفس ذنب شخص آخر، نعم إن الضال يحمل وزرين، وزر ضلاله، و وزر إضلاله ثُمَ بعد الدنيا، أيها البشر إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ مصدر ميمى، أى رجوعكم فَيُنَبِّئُكُمْ يخبركم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يجازيكم على أعمالكم، فإن الإخبار مقدمة الجزاء، كما يقول الحاكم للمجرم: سأخبرك بما عملت إِنَّهُ سبحانه عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أى بالأشياء التى تدور فيها، فعلمه شامل لكل شىء، فلا يظن البشر أنه يتمكن من الإخفاء منه.

[۹] و عجيب أمر هذا الإنسان الذى يكفر بالله، بعد أن يعتقد فى باطنه به وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ من مرض، أو فقر أو بلاء دَعا رَبَّهُ و توجه إلى الله تعالى مُنِيباً إِلَيْهِ من أناب بمعنى رجع، أى راجعا إلى الله وحده راجيا إيّاه دون سواه ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ أى أعطاه الله نِعْمَةً مِنْهُ أى من قبله نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ أى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى أن يكشفه من قبل هذه النعمة، و معنى النسيان

ترک التوحید و الشکر، و یستعمل النسیان فی الترک، لأنه من أسبابه، بعلاقة السبب و المسبب، کما قال (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِیَهُمْ) «۱»، أو باعتبار أن الشرک غالبا یجر إلی النسیان وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً جمع ند و هو المثل و الضد،

---

(۱) التوبهٔ: ۶۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۰

[سورة الزمر (۳۹): آیهٔ ۹] تقریب القرآن إلی الأذهان ج۴ ۵۹۹

أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّیْلِ ساجِداً وَ قائِماً یَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ یَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ إِنَّما یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ (۹)

و المراد بها الأوثان لِیُضِلَ الناس عَنْ سَبِیلِهِ أو یضل نفسه عن سبیل اللّه، و اللام للعاقبهٔ، إذ جمیع الکفار لا یریدون بالشرک إضلال الناس، أو ضلال أنفسهم، و إنما عاقبهٔ الشرک الضلال و الإضلال قُلْ یا رسول الله، لمثل هذا الشخص تَمَتَّعْ بِکُفْرِکَ قَلِیلًا الأمر للتهدید، أی تنعم بنعمهٔ الدنیا، التی جرها إلیک کفرک، فکأنه تنعم بالکفر، و الباء سببیهٔ، نحو تنعم بالعلم أو بالمال إِنَّکَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ الملازمین لها کملازمهٔ الصاحب لصاحبه.

[۱۰] فهل هذا الإنسان الذی یکفر و یکون مصیره النار خیر أَمَّنْ یؤمن، و یعمل الصالحات، حتی یصیر إلی الجنهٔ؟ ف هُوَ قانِتٌ من القنوت بمعنی الخضوع لله تعالی آناءَ اللَّیْلِ جمع «أنی» بمعنی ساعات اللیل، و إنما خص اللیل بالذکر، لأن القیام فی ساعاتها للعبادهٔ، أدل علی قوهٔ الإیمان من الطاعهٔ فی ساعات النهار، فی حال کونه ساجِداً مرهٔ وَ قائِماً فی الصلاهٔ و التلاوهٔ، أخری یَحْذَرُ الْآخِرَةَ أی یخاف من عذابها وَ یَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ و الجنهٔ قُلْ یا رسول الله فی صدد المقارنهٔ بین الکافر و المؤمن هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ و من الواضح، أنهما لا یستویان، و إذا لا یستوی المؤمن العالم بالله و الیوم الآخر، و الکافر الذی لا یعلم بالمبدأ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۱

[سورة الزمر (۳۹): الآیات ۱۰ الی ۱۱]

قُلْ یا عِبادِ الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّکُمْ لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّما یُوَفَّی الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسابٍ (۱۰) قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ (۱۱)

و المعاد إِنَّما یَتَذَکَّرُ بهذه المواعظ و الإرشادات أُولُوا الْأَلْبابِ أی أصحاب العقول الذین یعملون عقولهم، لاستفادهٔ الحق، أما غیرهم، فهم فی غفلهٔ من هذا.

[۱۱] قُلْ یا رسول اللّه یا عِبادِ و أصله یا عبادی الَّذِینَ آمَنُوا فعل ماضی اتَّقُوا أیها الناس رَبَّکُمْ أی خافوا عقابه، فلا تخالفوا أوامره، فإنه لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فی العقیدهٔ و العمل فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَةٌ المراد بها الجنس، فإن اتباع مناهج الله سبحانه، یوجب الغنی، و الصحهٔ، و الأمن، و العلم، و الفضیلهٔ، و سائر الخیرات، کما دلّ علیه الدلیل و التجارب وَ إذا رأیتم أنکم لا تتمکنون من الإتیان بالطاعهٔ فی مکان فهاجروا، ف أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إلی حیث تتمکنون من أن تحسنوا هناک، و حیث إن الهجرهٔ توجب أتعابا جمّهٔ، قال سبحانه إِنَّما یُوَفَّی و یعطی وافیا الصَّابِرُونَ فی الشدائد أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسابٍ فإنه لکثرته، لا یتمکن الإنسان من عدّه، و إن کان بقدر معلوم عند اللّه سبحانه.

[۱۲] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وحده مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ أی أخلص له فی طریقتی، فلا آخذ عقیدهٔ أو عملا، إلا من طرفه وحده، لا أعتقد بغیره و لا أعبد سواه.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۲

[سورة الزمر (۳۹): الآیات ۱۲ الی ۱۵]

وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِى (١۴) فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (١۵)

[١٣] وَ أُمِرْتُ من قبله سبحانه لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ الذين يسلمون لأوامره، و إنما أكون أولهم، لأدرك الفضل فى السبق إلى الطاعة، فإن من سبق إلى خير جمع الفضل و الأجر.

[١۴] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى بالكفر أو الإثم عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ هو يوم القيامة، الذى لا منجى و لا مفر منه، و عذابه فى غاية الشدة، و الخوف يمكن أن يكون مع القطع بالضار كما يمكن أن يكون مع الشك و الظن و الوهم.

[١۵] قُلِ يا رسول الله لهؤلاء المشركين اللَّهَ أَعْبُدُ لا غيره مُخْلِصاً لَهُ دِينِى أى أخلص له طريقتى، فلا أعبد أحدا معه، و هذا تكرار لما سبق للتأكيد و تفريغ ما يأتى عليه.

[١۶] فَاعْبُدُوا أنتم أيها الكفار ما شِئْتُمْ من الأصنام و البشر مِنْ دُونِهِ أى من دون الله، و هذا الأمر للتهديد، أى افعلوا ما شئتم فستلقون جزاءه، و لذا قال تعالى قُلْ يا رسول الله لهم إِنَّ الْخاسِرِينَ الذين يحق أن يقال لهم خاسرون هم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ بأن ذهبت نفوسهم إلى النار، و تفرقت عنهم أهاليهم إلى الجنة أو إلى النار، و الخاسر هو الذى يذهب رأس ماله، بخلاف الرابح الذى يبقى أصل ماله و يزاد عليه، فإن المؤمن بقيت نفسه فى راحة و أهله معه،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۳

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ١۶ الى ١٧]

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ (١۶) وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَ أَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ (١٧)

ثم ربح النعيم، أما الكافر، فإنه لم يحصل شيئا، و بالإضافة إلى ذلك، أتلف نفسه و أهله أَلا ذلِكَ الذى ذكر من خسارة النفس و المال هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ الواضح الذى لا خسارة فوقه.

[١٧] لَهُمْ أى للخاسرين مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ «ضلل» جمع «ظلة» و هى السترة العالية، يعنى فوقهم أطباق النار وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ أى فرش، و تسمية ما تحتهم «ظلل» إما باعتبار المشاكلة اللفظية، من قبيل قوله تعالى (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) «١» و إما من جهة، أن ما تحت كل طائفة سقف لمن فى الدرك و الأسفل منه، إذ النار دركات و أطباق بعضها فوق بعض ذلِكَ الذى تقدم من العذاب يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ حتى لا يعصوه فيلقون فيه يا عِبادِ حذف ياء المتكلم تخفيفا فَاتَّقُونِ أى اتقونى فلا تعصونى، فقد ألزمت عليكم الحجة، و أرشدتكم إلى السبيل.

[١٨] وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ المراد به الشيطان، أو كل قائد ضال شديد الطغيان، و يطلق على الأوثان تشبيها، و إلا فليست الأوثان تطغى و تجاوز الحدّ أَنْ يَعْبُدُوها بدل اشتمال للطاغوت، أى اجتنبوا عبادتها، وَ أَنابُوا أى رجعوا عن الكفر و العصيان إِلَى اللَّهِ بأن

(١) البقرة: ١٩۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۴

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ١٨ الى ١٩]

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ (١٨) أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ (١٩)

آمنوا و أطاعوا، و الرجوع، إنما هو بالنسبة إلى من كان كافرا عاصيا، و يدخل غيره فى العموم بالملاك لَهُمُ الْبُشْرى أى البشارة بخير الدنيا و سعادة الآخرة فَبَشِّرْ يا رسول الله عِبادِ أصله عبادى حذف ياء المتكلم تخفيفا.

[۱۹] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ وصف للعباد، أى إذا سمعوا من المجتمع قولا، يتركون منحرفه فلا يعملون به، بل فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أى أولاه بالاتباع، فإن الإنسان يستمع فى المجتمع الكفر و الإيمان، و الطاعة و العصيان و الفضيلة و الرذيلة، فالإنسان الخير يتبع الأحسن مما يستمع، و الإنسان الشرير يتبع الأسوأ مما يستمع، و الأحسن منسلخ عن معنى التفضيل، أو يراد به الأحسن عرفا، و إن لم يكن فى طرف مقابله حسن حقيقة أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ أى أن من صفته اتباع الأحسن، هو الذى تفضل الله عليه بالهداية، و المراد بها اللطف الخفى، أما الهداية بمعناها العام، فهى لكل بر و فاجر وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ أى أصحاب العقول، فإن اللب بمعنى العقل، نقل فى المجمع عن بعض إنه قال: إن هاتين الآيتين، نزلت فى «زيد» و «أبى ذر» و «سلمان» حيث كانوا يعترفون بالتوحيد فى زمن الجاهلية «۱».

[۲۰] ثم يسلى الله رسوله فى عدم إيمان جماعة من المعاندين، فلا يهتم

---

(۱) مجمع البيان: ج ۸ ص ۳۹۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۵

[سورة الزمر (۳۹): آية ۲۰]

لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ (۲۰)

لهم أ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أى ثبتت كلمة العذاب فى شأنه، بأن علم الله سبحانه، أنه لا يؤمن إلى الأبد، فأثبت فى شأنه العذاب، و قال فيه «إنه معذب» أ فَأَنْتَ يا رسول الله تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ بأن تهديه حتى لا يدخل النار، و هذه الجملة عبارة عن «تتمكن من إنقاذه» على سبيل الاستفهام الإنكارى، أى أنك يا رسول الله، لا تتمكن من إنقاذ هذا القسم من الناس، و إنما أتت هذه الجملة، فى قالب الاستفهام، لزيادة الإنكار، و قوله «من فى النار» باعتبار، الأول، نحو، (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ) «۱»، و كما نقول «السلطنة ساقطة» حيث نرى فيها آثار السقوط.

[۲۱] لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بأن خافوا عقابه، فأطاعوه لَهُمْ غُرَفٌ جمع غرفة، و هى البيت فوق الدار، و تلك أحسن من التحت لقربها من الشمس، و دخول الهواء فيها، و إشرافها و غير ذلك مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مبنية، فهم فى قصور ذات طبقات، كما أن من فى النار فى عذاب ذى أطباق، من فوقهم ظلل، و من تحتهم ظلل مَبْنِيَّةٌ أى قد بنيت تلك الغرف، و الإتيان بهذا الوصف، لامتداد البشارة، فإن الإنسان كما أطال وصف المطلوب، امتدت فى نفسه البشائر تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا أى من تحت تلك الغرف الْأَنْهارُ فهم ينظرون إلى الأنهار و الأشجار، من فوق مما يزيد فى سرورهم، فإن الإشراف على المحبوب من الأعلى يشع فى النفس بهجة و حبورا وَعْدَ اللَّهِ أى

---

(۱) التوبة: ۴۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۶

[سورة الزمر (۳۹): آية ۲۱]

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِى الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ (۲۱)

وعدهم الله بذلك وعدا، فهو مفعول مطلق لفعل مقدر، و لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ الذى يعده، لأن الخلف ناشئ، إما من الجهل أو العجز أو الخبث، و الله سبحانه منزه من ذلك كله.

[۲۲] و بعد أن ذكر سبحانه قسما من التوحيد و المعاد و الرسالة، ذكر بعض أدلة التوحيد أ لَمْ تَرَ يا رسول الله، أو أيها الرائى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً و هو المطر فَسَلَكَهُ أى أدخل ذلك الماء فى يَنابِيعَ فِى الْأَرْضِ جمع ينبوع، و هو محل اختزان الماء، و تجمعه

کالعیون و القنوات و الأنهار، و ما أشبهها ثُمَّ یُخْرِجُ الله بِهِ أی بسبب ذلک الماء زَرْعاً أی نباتا مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ من أخضر و أحمر و أزرق و أصفر و أبیض، و غیرها، أو المراد بالألوان جمیع الصفات من طعوم و روائح، و حجوم، و أشکال و غیرها، فإن اللون له إطلاقان: إطلاق بمعنی ما یدرک بالبصر فقط، و إطلاق بمعنی ما یدرک بجمیع الحواس، بل أعم من ذلک، کالخواص و الفوائد ثُمَّ یَهِیجُ أی یجف الزرع و ییبس، من هاج أی ثار، فکأن النبات یثور عن حالته الأولی فَتَراهُ مُصْفَرًّا بعد ما کان ذا لون آخر ثُمَّ یَجْعَلُهُ الله حُطاماً رفاتا منکسرا متفتتا، فإن الحطم هو الکسر للشیء الیابس إِنَّ فِی ذلِکَ الذی تقدم من إنزال الماء، و إنبات النبات مع تلک الأوصاف المذکورة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۷

[سورة الزمر (۳۹): آیة ۲۲]

أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلی نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَیْلٌ لِلْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِکْرِ اللَّهِ أُولئِکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۲۲)

لَذِکْری أی تذکیر بما کمن فی النفوس من التوحید لِأُولِی الْأَلْبابِ أی أصحاب العقول، فإن لب کل شیء أحسنه، و لب الإنسان عقله.

[۲۳] و إذا کانت الآیات الکونیة تدل علی ما یقوله الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کان الذی أعرض قاسیا، لا یدخل النور قلبه، و کان الذی یقبل و یسلم رحب الصدر قابلا لأنّ یدخل فیه الإسلام، کالظرف الوسیع القابل لأخذ الشیء أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ و إنما نسب الشرح إلی الله، لأنه لطف به الألطاف الخفیة، بعد أن کان هو بصدد الإیمان، مقابل الکافر الذی لا یشرح الله صدره، بأن یعرض الله عنه، إذا رآه بصدد التعامی عن الحق، و إنما نسب الشرح إلی الصدر، لأنه مرکز القلب الذی هو مصدر قبول الإیمان، أو رفضه، فهو من باب سبک مجاز من مجاز، أو باعتبار أن المعرض تشتد فیه حرارة القلب، فتنتفخ الرئة کثیرا لتجذب الهواء الکثیر لتبرید القلب، فتکون آخذة موضعا وسیعا من الصدر، و لذا یحس الإنسان بضیق صدره، لضیق مجاری الدم و ما أشبه، بسبب ضغط الرئة، و بالعکس من ذلک الذی یهدأ و یسرّ بالإسلام، فإن حرارته تخف، فلا تحتاج الرئة إلّا إلی حرکة یسیرة، حتی یبقی أکثر مواضع الصدر فارغا، فلا ضغط من الرئة علی الأوردة و الشرایین، و بذلک یحس الإنسان بسعة صدره فَهُوَ عَلی نُورٍ کأنه فی طرق الحیاة، علی قطعة نور، یبصر به طریقه جیدا، فلا یقع فی مشاکل الحیاة مِنْ رَبِّهِ «من» نشویة أی نور ناشئ من قبل الله

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۸

[سورة الزمر (۳۹): آیة ۲۳]

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِینُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللَّهِ ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۲۳)

تعالی، و قد حذف عدل الاستفهام، أی أ فمن شرح الله صدره، کمن لیس کذلک؟ و حذفه لنکتة هی، إن من لیس کذلک غیر قابل حتی للذکر، و کأنه لا شیء، فَوَیْلٌ لِلْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ أی الهلاک و السوء، للذی قسی قلبه، حتی لم یجد الإیمان محلا له فیه مِنْ ذِکْرِ اللَّهِ أی قساوة من هذا النوع، و إن کان رقیق القلب من جهات أخری أُولئِکَ القاسیة قلوبهم فِی ضَلالٍ مُبِینٍ أی انحراف واضح بیّن.

[۲۴] و إذ تقدم الحدیث عن الإسلام، یأتی السیاق لیصف القرآن الحکیم، الذی هو مصدر أحکام الإسلام و إرشاداته اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ المراد بالحدیث الجنس، أی أحسن نوع من هذا الجنس، و الحدیث هو الخبر، سمی حدیثا، لأنّه یحدث و یتجدد بعد أن لم یکن، فإن المخبر یجدّده و یذکره، و إنما سمی القرآن حدیثا، لأنه کلام الله و إخباراته و إن کان فیه بعض الإنشاء، فإنه بصورة عامة، حدیث من باب التغلیب کِتاباً بدل من أحسن الحدیث، أو حال أی فی حال کونه مکتوبا لا ملفوظا فقط مُتَشابِهاً یشبه بعضه بعضا، فلا تفاوت فی ألفاظه فصاحة و إعجازا، و لا فی معانیه و أحکامه، إحکاما و إرشادا، فلا اختلاف فیه، و لا تناقض مَثانِیَ جمع مثنی، أی أن قصص هذا الکتاب، و إخباراته، و أحکامه، تذکر مثنی مثنی، فی قوالب مختلفة للترکیز فی الأذهان، و یکون أبلغ فی التحدی و الإعجاز، و وصف الکتاب بالمثانی- جمعا- باعتبار سوره و آیاته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۵۹

[سورة الزمر (۳۹): آية ۲۴]

أَ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۲۴)

و فصوله تَقْشَعِرُّ أى ترتجف مِنْهُ من هذا الكتاب جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فتأخذهم قشعريرة خوفا من وعيده و رهبة و جلالا ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ بعد الانكماش بالقشعريرة وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ فإنّ وعوده سبحانه توجب الهدوء و الطمأنينة، كما قال تعالى (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) «۱» و من عادة الإنسان، أنه إذ ذكر الوعيد تفكر، فيذكر الوعد، و هناك الاطمئنان للقلب الوجيف، و الجلد المقشعر ذلِكَ أى القرآن هُدَى اللَّهِ الذى هدى بسببه الناس إلى طريق الحق و الرشاد يَهْدِي بِهِ أى بالقرآن مَنْ يَشاءُ و ليست مشيئته سبحانه اعتباطية، بل لمن سلك الطريق الحق و كان فى صدد الهدى، و المراد بالهداية هنا، الألطاف الخاصة، و إلّا فالهداية عامة لكل مؤمن و كافر وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ بأن يتركه حتى ينحرف بعد أن لم يقبل الهدى فَما لَهُ مِنْ هادٍ إذ اللطف منه سبحانه، فإذا أعرض الإنسان عن السلوك فى الطريق، لم يكن له من يلطف به، حتى يهتدى.

[۲۵] أَ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ بأن يكون وجهه فى مقابل لفح النار و لهبها يَوْمَ الْقِيامَةِ خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة، لا يرى النار

---

(۱) التغابن: ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۰

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (۲۵) فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۲۶)

أبدا؟ و واضح أن الجواب من يأتى آمنا خير، و إنما قال «الوجه» لأنه أشرف الأعضاء، فيكون عذابه أكثر إيلاما من عذاب سائر الأعضاء وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ فى الدنيا بناء على تجسيم الأعمال، أو المراد ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون، بعلاقة السبب و المسبب، فإن الكسب علة الجزاء، و إنما حذف.

[۲۶] و يعتبر هؤلاء الكفار بمن سبقهم حيث إنهم لما كذبوا عوقبوا و أهلكوا كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أى قبل هؤلاء الكفار من الأمم الماضية فَأَتاهُمُ الْعَذابُ أى جاءهم عذاب الله فى الدنيا مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أى لا يعرفون، فقد كانوا آمنين فى بلادهم، و إذا بهم يرون عذاب الاستئصال من صيحة أو خسف أو قذف، أو ما أشبه يعمهم.

[۲۷] فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ أى أذاق أولئك الأمم المكذبة الْخِزْيَ و الهوان فِي الْحَياةِ الدُّنْيا بأن عذبهم و أهلكهم وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ الذى أعدّ لهم لتكذيبهم و كفرهم أَكْبَرُ من عذاب الدنيا لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ أى لو علموا بالعذاب المهيئ لهم، لعلموا أن ذلك أكبر من عذاب الدنيا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۱

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۲۷ الى ۲۹]

وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۷) قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۲۸) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۲۹)

[۲۸] وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ يفيدهم و يهديهم إلى الطريق، كما مثلنا هنا لهم بأحوال المكذبين السابقين لَعَلَّهُمْ أى لكى يَتَذَكَّرُونَ ما أودع فيهم من الفطرة الدالة على أن من أساء، فإنه يرى السوء، و إن من أحسن يرى الحسنى.

[۲۹] لقد بينا الأمثلة فى هذا القرآن فى حال كونه قُرْآناً عَرَبِيًّا يفهمون معناه، فهو بلغتهم غَيْرَ ذِي عِوَجٍ أى ليس صاحب اعوجاج، و ميل عن الحق، فهو لفظا بلغتهم، و معنى لا انحراف فى أحكامه لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أى لكى يتقوا الكفر و العصيان، فلا يأتيهم العذاب.

[۳۰] ثم بين سبحانه، مثلا للموحد و المشرك، فالموحد كالعبد الذى هو لإنسان واحد، و المشرك كالعبد الذى هو لعدة سادة يتنازعون ما بينهم، فى الأمور، فيجر كل واحد العبد إلى جانبه، أيها خير؟ و من الطبيعى إن العبد الذى لسيد واحد خير، من ذلك العبد المشترك بين سادة كثيرين ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا للموحد و المشرك، فللمشرك رَجُلًا فِيهِ شُرَكاءُ أى جماعة سادة مشتركون مُتَشاكِسُونَ من شكس بمعنى خاصم، فالمتشاكسون بمعنى المتنازعون المتخاصمون فيما بينهم، فهل هذا العبد أحسن حالا؟ أم العبد الذى هو لسيد واحد وَ رَجُلًا و هو مثال الموحد سَلَماً لِرَجُلٍ أى خالصا لسيد واحد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۲

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۳۰ الى ۳۱]

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (۳۰) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (۳۱)

يطيع أوامره، و ينتهى عن زواجره هَلْ يَسْتَوِيانِ أى العبدان مَثَلًا أى من حيث المثل، و إذ كان الجواب العدم، فاللازم أن يعرف المشرك، أن له أسوأ المثل، فليقلع عن غيه الْحَمْدُ لِلَّهِ فلا شريك له يستحق الحمد، بل جميع المحامد راجعة إليه، و لذا يستحق كل حمد بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ إن الإله واحد، و لذا يعبدون آلهة متعددة، و كما إن العبد لسيد واحد، ينعم براحة البال، كذلك الموحد ينعم بالراحة و الاطمئنان، و كما إن العبد لعدة شركاء موزع القلب لا يدرى ماذا يصنع، قلق الضمير، كذلك المشرك قلق لا يدرى، هل يرضى الله أم الشركاء، فهو مكلوم الفؤاد.

[۳۱] إن الدنيا تنقضى، و إن الرسول و المشركين، سيموتون، و هناك تشكّل محكمة كبرى، أمام الله سبحانه، و يظهر من المحق و من المبطل؟

و هذا تهديد لهم بأنكم إن بقيتم على غيكم، ستلاقون يوما عسيرا، حين يخاصمكم الرسول يوم القيامة إِنَّكَ يا رسول الله مَيِّتٌ بعد مدة وَ إِنَّهُمْ أعداؤك و خصماؤك المشركون مَيِّتُونَ جمع ميت.

[۳۲] ثُمَّ إِنَّكُمْ بعد انقضاء مدة البرزخ بين الدنيا و الآخرة يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أى المحل الذى أعده للحساب، و إلا فليس لله سبحانه، مكان تَخْتَصِمُونَ فيظهر من المحق و من المبطل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۳

تقريب القران إلى الأذهان الجزء الرّابع و العشرون من آية (۳۳) سورة الزمر إلى آية (۴۷) سورة فصّلت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۴

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۵

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۳۲ الى ۳۴]

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (۳۲) وَ الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (۳۳) لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ (۳۴)

[۳۳] ثم بين سبحانه حال الفريقين الموحدين و المشركين فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ بأن ادعى أن له ولدا أو شريكا وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ و هو الرسول و القرآن إِذْ جاءَهُ و المعنى لا أظلم من مثل هذا الشخص، و قد سبق، أن هذا الاستفهام، و كون من ذكر أظلم الناس، إنما هو إضافى لا حقيقى، ثم بين سبحانه مصير هؤلاء بقوله أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً أى منزلا، من ثوى بمعنى اتخذ المنزل، و محل السكنى لِلْكافِرِينَ و المعنى أن مثوى هؤلاء هو جهنم.

[۳۴] وَ الَّذِی جاءَ بِالصِّدْقِ أی بالأمر الـذی هو صـدق، کالرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم الذی جاء بالقرآن صدقا، و جاء بشـریعهٔ هی صادقهٔ وَ الذی صَدَّقَ بِهِ أی صدق بمن جاء بالصدق، کالمؤمنین الذین صدقوا بالرسول أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الذین اتقوا عذاب الله و نکاله، بأن أطاعوه فیما أمر و نهی.

[۳۵] لَهُمْ أی لهؤلاء الرسول و المؤمنین ما یَشاؤُنَ من أنواع النعیم و الملـذات الجسـمیهٔ و الروحیـهٔ عِنْدَ رَبِّهِمْ أی فی الجنهٔ، و قد سـبق، أن کونه عنـد الله، من بـاب تشبیه المعقول بـالمحسوس، فهنـاک موضع اختـاره الله سـبحانه، فقریب من رضاه و فضـله ذلِکَ الـذی أن یکون لهم ما یشاءون جَزاءُ الْمُحْسِنِینَ الذین أحسنوا فی العقیدهٔ و العمل.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۶

[سورهٔ الزمر (۳۹): الآیات ۳۵ الی ۳۶]

لِیُکَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِی عَمِلُوا وَ یَجْزِیَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ (۳۵) أَ لَیْسَ اللَّهُ بِکافٍ عَبْدَهُ وَ یُخَوِّفُونَکَ بِالَّذِینَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۳۶)

[۳۶] و إنما «لهم ما یشاءون» لأن الله سـبحانه یریـد أن یحقق لهم فضـلا و کرامـهٔ لِیُکَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أی عن هؤلاء المحسـنین أَسْوَأَ الَّذِی عَمِلُوا المراد کل سـیئهٔ، فإنها أسوأ من حسـناتهم، إما بتجریـده من معنی التفضـیل، أو بالمقایسـهٔ العرفیهٔ، یقال، الزنی أسوأ من النکاح، یراد أحـد الأـمرین، إمـا بمعنی أن الزنی یسـیء دون النکـاح، أو بمعنی أن العرف یری، أن الزنی، أسوأ من النکـاح- فیما یری کلیهما شیئـا-، و معنی «التکفیر» الحبـط و المحو وَ یَجْزِیَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ أی بمقابل أحسن الَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ و المراد ب «الـذی» الجنس، أی أحسن الأعمـال التی کانوا یعملونها، و هـذا کالسابق أیضا، فالمراد جزاؤهم بکل حسـنهٔ، و فی الأحسـنیهٔ، الاحتمالان، فالله سـبحانه یجزی المحسنین، بما یشاءون لتحقیق تکفیر خطایاهم و جزاؤهم بحسناتهم.

[۳۷] و قـد کـان المشـرکون یخوفون الرسول، بأنه إن اسـتمر فی دعوته أصابه منهم و من آلهتهم المکروه، فرد الله علیهم بقوله أَ لَیْسَ اللَّهُ بِکافٍ عَبْدَهُ اسـتفهام للإنکار، أی أن الله یکفی عبـده، کل ما أهمه، فلا یمکن الأعداء من الوصول إلیه وَ یُخَوِّفُونَکَ یا رسول الله بِالَّذِینَ مِنْ دُونِهِ أی بالأصـنام، و عبـدتها الذین هم دون الله، فقد کانوا یقولون للرسول، إنا نخاف أن تخبلک آلهتنا لأنک تعیبها وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ بأن یترک لطفه الخاص عنه، بعد أن أراه الطریق، فانحرف

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۷

[سورهٔ الزمر (۳۹): الآیات ۳۷ الی ۳۸]

وَ مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَ لَیْسَ اللَّهُ بِعَزِیزٍ ذِی انْتِقامٍ (۳۷) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَ فَرَأَیْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِیَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ کاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِی بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِکاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِیَ اللَّهُ عَلَیْهِ یَتَوَکَّلُ الْمُتَوَکِّلُونَ (۳۸)

فَما لَهُ مِنْ هادٍ یهـدیه سبل الرشاد، إذ الهدایـهٔ خاصهٔ به سـبحانه، و هی هدایتان ظاهرهٔ، و قد أعرضوا عنها، و خفیهٔ، و الله منعهم إیاها، حیث رأی إعراضهم عن الهدایهٔ العامهٔ.

[۳۸] وَ مَنْ یَهْدِ اللَّهُ بأن لطف به ألطافه الخاصـهٔ، بعـد أن جاء فی الطریق بمجرد الهدایـهٔ العامهٔ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍ أی لا أحد یتمکن من إضـلاله، لأـن لطف الله یرعـاه أَ لَیْسَ اللَّهُ بِعَزِیزٍ یعز من سـلک طریقه فلاـ یقوی أحـد علی إضـلاله بعـد أخـذ الله بیـده ذِی انْتِقامٍ ممّن انحرف عن الجـادهٔ، و انتقامه منه أن یترکه فی الـدنیا ضالّا لا یعتنی به، و فی الآخرهٔ یـذیقه من النار، و الاسـتفهام للإنکار، یعنی أن الله عزیز منتقم.

[۳۹] ثم یـأتی السیاق لعدهٔ مباحثـات مع المشـرکین حول شـرکهم وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أی سـألت یـا رسول الله هؤلاـء المشـرکین مَنْ خَلَقَ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ هـل الله أم شـرکاؤکم؟ لَیَقُولُنَّ فی الجواب اللَّهُ خلقهمـا، لأنهم، لا یتجرءون أن یقولوا أن الأصـنام خلقتهما قُلْ یا

رسول الله لهم، بعد أن اعترفوا بأن الله خلق السماوات و الأرض أ فَرَأَيْتُمْ أى أخبرونى هل إن الله إذا أضرّ أو نفع، الأصنام تقدر على خلاف ذلك؟ و طبيعى أن الجواب: لا، إذا فما شأن الأصنام فى الكون، أو فى نفس الإنسان، حتى يتخذها الإنسان آلهة؟ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى الأصنام التى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۸

[سورة الزمر (۳۹): آية ۳۹]

قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳۹)

تدعونها، سوى الله إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ أى قصد الله إضرارى، بمرض أو فقر أو بلاء هَلْ هُنَ أى الأصنام، و الإتيان بضمير العاقل، لتوحيد السياق بين كلام الكفار الذين اعتقدوا، أن الأصنام عقلاء، و بين كلام القرآن فى المناقشة معهم كاشِفاتُ ضُرِّهِ أى دافعات للضر الذى جاء من قبل الله تعالى؟ أَوْ أَرادَنِي الله بِرَحْمَةٍ من غنى أو صحة، أو أمن، أو جاه، أو نحوها هَلْ هُنَ أى الأصنام مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ بأن تقدر على أن تمانع الله حتى لا يتمكن سبحانه من الرحمة و الفضل؟ و إذا أجاب الكفار بالنفى، كان المجال لأن يقال لهم، إذا فما فائدة الأصنام حتى يعبدها الإنسان؟

قُلْ يا رسول الله، إذن، حَسْبِيَ اللَّهُ أى يكفينى الله عن غيره من الآلهة، فلا أعبد إلا إياه عَلَيْهِ أى على الله يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ أى أن اللازم، أن يتوكل عليه من يريد التوكل، و يفوض أمره إليه دون سواه.

[۴۰] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء القوم يا قَوْمِ إذا لم تقبلوا عظتى، ف اعْمَلُوا أنتم عَلى مَكانَتِكُمْ أى حالكم الذى أنتم عليه، و هذا تهديد، كما تقول للمجرم، اعمل ما شئت، و المراد سترى جزاؤك السيئ إِنِّي عامِلٌ على مكانتى فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فى الدنيا أو الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۶۹

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۴۰ الى ۴۲]

مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (۴۰) إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (۴۱) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۴۲)

[۴۱] مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ أى يذله و يهينه؟ هل هو أنا أم أنتم؟ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ فى الآخرة، و لعل المراد، ب «عذاب يخزيه» عذاب الدنيا.

[۴۲] إن إيمان المؤمن يعود نفعه على نفسه، و ضلال الكافر يعود ضرره على نفسه، فلا يهمك يا رسول الله، من ضل بعد إتمام الحجة إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ أى القرآن لِلنَّاسِ أى لهداية الناس بِالْحَقِ أى إنزالا بالحق، فلم يكن إنزالا بالباطل، أو لأجل الباطل، فَمَنِ اهْتَدى بالقرآن فَلِنَفْسِهِ أى تعود فائدة هدايته إلى شخصه وَ مَنْ ضَلَ و انحرف عن الطريق فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها أى على ضرر نفسه، إذ تعود عقوبة الضلال على نفسه وَ ما أَنْتَ يا رسول الله عَلَيْهِمْ أى على الناس، أو على من ضل بِوَكِيلٍ حتى تكون مسئولا، عمن لم يقبل الهداية، و إنما أنت مبلغ و منذر.

[۴۳] إن الخلق بيد الله، و إيصال الضرر و النفع منه- كما مرّ- و الإماتة بإذنه، فما يكون بعد ذلك شأن الأصنام، التى يعبدونها هؤلاء؟ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ أى يميتها، و «توفى» متعد، و لذا، فالمتوفى بصيغة الفاعل هو الله، و المتوفى بصيغة المفعول هو الإنسان حِينَ مَوْتِها أى حين الموت المقدر لها، و انقضاء أجلها، و المراد بالأنفس، هى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۰

[سورة الزمر (۳۹): آية ۴۳]

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قُلْ أَ وَ لَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَ لا يَعْقِلُونَ (۴۳)

الإنسان، لا نفس الإنسان- بمعنى روحه- حتى يقال، إن الروح لا تموت وَ الَّتِي أى النفس لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها بأن كان الإنسان نائما، و لم يخرج روحه الذى به الحياة بعد، فإنه فى قبضة الله، فإذا شاء أماته، بأن لا يرسل روحه الذى أخذه، و إن شاء أرسله حتى يستيقظ، و من المعلوم، أن الروح الـذى أخـذه سبحانه عنـد المنام، هو ما به من الحس و العقل، فإذا شاء موته، أخـذ بقيـة الروح أيضا، و إن شاء عـدم موته، أرسل المقـدار الـذى أخذه فَيُمْسِكُ الَّتِي أى النفس التى قَضـى الله و حكم عَلَيْهَا الْمَوْتَ فلا يعيدها إلى البدن وَ يُرْسِلُ الله النفس الْأُخْرى التى لم يقض عليها الموت لأن تبقى فى البدن إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى أى مدة محدودة، قد سميت فى اللوح المحفوظ إِنَّ فِي ذلِكَ الـذى ذكر من الإماتـة للإنسان اليقظ، و الإماتـة للإنسان النائم، و إرجاع الروح إلى بعض النائمين ليبقى حيا إلى مـدة محـدودة مقـدرة لَآياتٍ دلالات على وجود الله لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و إلا فمن أمات الإنسان فى اليقظـة؟ و من أمات بعض النائمين؟ و من أعاد الروح لبعض النـائمين حتى يقوم؟ و قوله «و التى لم تمت» عطف على «الأنفس» من باب عطف الخاص على العام، و إنما جاء بهـذا العطف تمهيدا للتفضيل الذى ذكره بعد.

[۴۴] فالأصـنام، إذن لا شأن لها فى الكون، بقى للمشـركين أن يقولوا، أنهم يعبـدونها، لأجل أنها تشـفع لهم يوم القيامـة أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۱

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۴۴ الى ۴۵]

قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۴۴) وَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (۴۵)

أى قالوا بأنها شـفعاؤهم، و معنى من دون الله، أن الشـفاعة لله مسلمة، فهم إنما اتخذوا غيره شفيعا قُلْ يا رسول الله، فى رد هذه الحجة أَ وَ لَوْ كـانُوا أى الأصـنام لا يَمْلِكُونَ شَـيْئاً من أمر الشـفاعة وَ لا يَعْقِلُونَ يعنى حتى فى هـذه الصورة تعتبرون الأصـنام شـفعاء؟ و الإتيان بضمير العاقل للأصنام، لتوحيد السياق، مع كلام المشركين.

[۴۵] قُلْ يا رسول الله لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً فأمرها بيده، ليس لأحد، فإذا شاء أن يشـفع لأحد أمر نبيا أو إماما أو صالحا أن يشـفع لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و من جملة أملاكه ملكه للشفاعة، فلا يغتر القوم، بأن يعبدوا الأصنام بزعم الشفاعة ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أيها البشر، فهو المبدئ، و هو المعيد، و هو بيده الشفاعة وحده، حتى إن الأنبياء، و من إليهم (وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى «۱»).

[۴۶] وَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ بأن لم يأت الـذاكر بـذكر غيره، من الأصـنام اشْـمَأَزَّتْ الاشـمئزاز الانقباض و النفور عن الشـىء، أى نفرت قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ممن كفروا بالله، و جعلوا له

---

(۱) الأنبياء: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۲

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۴۶ الى ۴۷]

قُلِ اللَّهُمَّ فـاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۴۶) وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (۴۷)

شركاء، و إنما أتى بهـذا الوصف للتلازم بين عـدم الإيمان بالتوحيـد و عدم الإيمان بالآخرة وَ إِذا ذُكِرَ الأصـنام الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ أى من دون الله إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ أى يفرحون، فإذا قال قائل «الله» نفروا، و إذا قال «اللات» فرحوا، و هـذا عجيب إذ إنهم، كانوا يعبدون الله و الشركاء- فى زعمهم- فما الذى أوجب اشمئزازهم من «الله» و لم يوجب إلا فرحهم من «اللات» مثلا؟.

[۴۷] قُلِ يـا رسول الله اللَّهُمَ أى يـا الله، و الميم عوض عن يـاء النـداء، يا فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى يا خالقهما و مبـدعهما، من فطر

بمعنى خلق، يـا عالِمَ الْغَيْبِ الـذى غاب عن الحواس، سواء كان موجودا غير محسوس، أو مما سيوجد وَ الشَّهادَةِ أى الشـىء المشـهود الحاضـر، الذى يحس بالحواس أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ المؤمنين و المشـركين فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من التوحيد و الشرك، و سائر الأمور، فبيـدك الخلق و المعاد، و أنت العالم بكل شـىء، و فى هـذا تعريض بالآلهـة الباطلة، التى لا خلق لها و لا علم، و لا تملك من الإعادة شيئا.

[۴۸] و هنـاك فى القيامـة لا ينفع الكفار شـىء، فليتأهبوا لـذلك اليوم من ها هنا قبل أن يبلسوا وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أنفسـهم بالكفر و العصيان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۳

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۴۸ الى ۴۹]

وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۴۸) فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۴۹)

ما فِي الْأَرْضِ من الأموال و المعادن و الثروات جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ و هذا من باب المثال، و إلا فعشرة أضعافه أيضا بذلك الحكم لَافْتَدَوْا بِهِ أى جعلوا مـالهم بـدلا عن أنفسـهم مِنْ سُوءِ الْعَـذابِ يَوْمَ الْقِيامَـةِ ليفكوا أنفسـهم من النار، و يخلصوها من العقاب، و لكن لو فرض ذلـك؟ هل كان ينفعهم؟ كلا وَ بَـدا لَهُمْ أى ظهر لهم هناك مِنْ طرف اللَّهِ سـبحانه ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِـبُونَ أى صـنوفا من العـذاب لم يكونوا يظنون أن الله أعدها لهم، من كثرتها، و شدة ألمها و وقعها.

[۴۹] وَ بَدا لَهُمْ أى ظهر لهم هناك سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا أى جزاء أعمالهم التى كسـبوها، فكأنّ الجزاء سـيئة لما عمل الإنسان وَ حاقَ بِهِمْ أى حل و أحاط بهم ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ فقد كانوا يسـتهزءون بالعذاب، و يوم القيامة ينزل بهم العذاب، الذى استهزءوا به و ضحكوا منه.

[۵۰] و من عجيب أمر هؤلاء المشـركين أنهم يتـذكرون الله عنـد الشـدة، فإذا تفضل عليهم بالرخاء نسوه، و نسـبوا الفضل إلى ذكائهم الشخصى و علمهم فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ من مرض، أو فقر، أو بلاء، أو عدو، أو ما أشبه دَعانا استغاث بنا لكشفه و إنقاذه منه ثُمَّ إِذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۴

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۵۰ الى ۵۱]

قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (۵۰) فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (۵۱)

اسـتجبنا دعاءه و خَوَّلْناهُ أى أعطيناه نِعْمَـةً مِنَّا أى من طرفنا بأن بدلنا مرضه صـحة، و فقره غنى، و هكذا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ أى أعطيت هذا الشـىء المخول إلى، و المراد به النعمة عَلى عِلْمٍ منى، و لا يرتبط بالتقدير، و إعطاء الله سبحانه، فقد أدت فطنتى و عملى إلى الحصول على هذا بَلْ هِيَ أى هذه النعمة فِتْنَةٌ امتحان و اختبار، ليعرف بذلك قدر شكره، فليس حصوله بعلمه، و إنما أعطاه الله سبحانه ليمتحنه، هـل يبقى على عهـده الـذى دعـا الله فيه أم لـا؟ فيجازيه حسب عمله وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أى أكثر الناس لا يَعْلَمُونَ أن النعم من الله- لا من فطنتهم- و أنها للاختبار، لا مجرد نعمة فحسب.

[۵۱] قَدْ قالَهَا أى قال مثل هذه الكلمة، و هى «إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ» كما سبق من كلام قارون الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أى من قبل هؤلاء، فكل ضعيف الإيمـان، إذا رأى النعمـة ظنهـا من فطنته فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِـبُونَ أى أن كسـبهم لم يغن عنهم، و لم يفـدهم فى دفع عذاب الله تعالى.

[۵۲] و إذ بطروا عنـد النعمة، و لم يؤدّوا حقها و شـكرها فَأَصابَهُمْ أى أولئك الذين من قبلهم سَـيِّئاتُ ما كَسَـبُوا أى وصل إليهم عقاب أعمالهم السيئة، فإضافة «سيئات» إلى «ما» من باب إضافة الصفة إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۵

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۵۲) قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۵۳)

الموصوف، أو أن المراد من «السيئات» العقاب، سمى سيئة، لمشاكلته للسيئة، مثل (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ) «۱» وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ القوم المعاصرين للرسول سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا كما أصاب أولئك الأقوام وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ أى أنهم لا يتمكنون من إعجاز الله سبحانه، حتى لا يتمكن من أخذهم و عقابهم، لفرارهم من ملكه، أو امتناعهم من نفوذ إرادته فيهم.

[۵۳] إن هؤلاء يظنون أن النعمة، إنما أتتهم من علمهم و فطنتهم أ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ أى يوسعه عليه وَ يَقْدِرُ أى يضيق الرزق على من يشاء، فليس لعلمهم مدخل فى توسعة الرزق، و لذا نرى أناسا كثيرين لهم فوق فطنة أولئك، و ذكائهم، و مع ذلك رزقهم ضيق لا وسعة فيه، كما نرى أناسا دون فطنتهم و علمهم، و رزقهم أوسع من هؤلاء إِنَّ فِي ذلِكَ البسط و الضيق لَآياتٍ أى دلالات دالة على وجوده سبحانه لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ و إنما خصهم لأنهم المنتفعون بالآيات.

[۵۴] و إذ تبين خطأ هؤلاء، فإن الباب أمامهم مفتوح إذا أرادوا الدخول، و ليس العاصى آيسا من رحمة الله، فإنه يقبل التائب مهما كان

(۱) البقرة: ۱۹۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۶

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۵۴ الى ۵۵]

وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (۵۴) وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (۵۵)

عصيانه قُلْ يا رسول الله للعصاة، تحكى لهم كلامى الذى وجهته إليهم يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ بارتكاب الكفر و الآثام، و الإسراف هو التعدى عن الحدود، فإن الكافر و العاصى يتعديان عن حدود العبودية، أمام الله سبحانه لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أى لا تيأسوا من غفرانه و فضله، ف إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لمن جاءه نادما تائبا إِنَّهُ سبحانه هُوَ الْغَفُورُ لذنوب عباده الرَّحِيمُ بهم يتفضل عليهم بالرحمة فوق غفران ذنبهم.

[۵۵] وَ أَنِيبُوا الإنابة، هى الرجوع عن الذنب، أى أيها العصاة، توبوا إِلى الله رَبِّكُمْ و ارجعوا إليه وَ أَسْلِمُوا لَهُ أى انقادوا إليه بالطاعة، فيما يأمركم و ينهاكم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ فى الدنيا بالهلاك، أو فى الآخرة فى القبر، أو يوم القيامة ثُمَ إذا جاء العذاب لا تُنْصَرُونَ أى لا ينصركم أحد من الأصنام، أو أصدقائكم العصاة.

[۵۶] وَ اتَّبِعُوا أيها الناس أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فمثلا أنزل الله إباحة المنام، و استحباب العبادة فى الليل، فاتباع الأحسن، هو العبادة- فى المثال- و هذا على سبيل الترغيب، لا الإلزام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۷

[سورة الزمر (۳۹): آية ۵۶]

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (۵۶)

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً أى فجأة بدون إنذار سابق وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ به و بوقته، فإذا ترون أنفسكم فيه حيث لا مناص و لا خلاص، و عدم اتباع الأحسن لا يوجب ذلك، و إنما الموجب العصيان، فهذا مربوط بالآية السابقة، و إنما كرر «العذاب» لترتيب

أمرين عليه، الأول أنهم لا يضرون، و الثانى إتيانه بغتة حين لا يشعرون.

[۵۷] أنيبوا إلى الله و أسلموا قبل إتيان العذاب، حتى لا تتحسروا- إن بقيتم على الكفر و العصيان- ل أَنْ لا تَقُولَ نَفْسٌ أى شخص، أو كراهة، أن تقول نفس يا حَسْرَتى أى يا قوم لى الحسرة، أو يا حسرتى احضرى، فهذا وقتك، و التحسر، هو التأسف على ما فات، و الالف بدل من ياء المتكلم، قال ابن مالك:

و اجعل منادى صح، أن يضف لياكعبد عبدى عبد عبدا عبديا

عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ أى على تفريطى و تقصيرى فى إطاعة أمر الله سبحانه، و الحال قد كنت عند الله سبحانه، و هذا كما يقول أحدنا: كنت إلى جنب العالم، و لم أتعلم منه، و الله سبحانه منزه عن الجنب، و لكن قرب أحكام الدين و المرشدين إلى الإنسان، نزلّ منزلة القرب من الله تعالى تشبيها للمعقول بالمحسوس، لتقريب الذهن، و هذا هو المراد مما

ورد عن الباقر عليه السّلام، أنه قال «نحن جنب الله»

«(۱).

(۱) مناقب آل أبى طالب: ج ۴ ص ۱۷۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۸

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۵۷ الى ۵۹]

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (۵۷) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (۵۸) بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (۵۹)

وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ «إن» مخففة من الثقيلة، أى يا حسرتى علىّ، إنى كنت من المستهزئين بالرسول، و بأحكام الله.

[۵۸] أَوْ تَقُولَ نفس لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي فى الدنيا و أرشدنى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ فقد أراكم الله الطريق، حتى لا يكون لكم هذا العذر هناك.

[۵۹] أَوْ تَقُولَ نفس حِينَ تَرَى الْعَذابَ الذى يحيط بها لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً أى ليت لى رجوعا إلى الدنيا فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ حتى إذا مت ثانية، لا أرى العذاب، فإنّا ننصحكم، بأن تنيبوا و تسلموا قبل أن تقولوا هذا القول، حيث لا ينفعكم، و يقال لكم (إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها)

«(۱).

[۶۰] و حينذاك يقال لهذا المتحسر و المتمنى بَلى أى ليس كما قلت، فإن «بلى» تأتى غالبا لنفى ما تقدم، نحو (أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى «۲» فإنك، لا ترجع بعد أن ظهرت سيئاتك، حين ما أتاك الدليل و الحجة فلم تقبل قَدْ جاءَتْكَ آياتِي على لسان الأنبياء و الأئمة، فقد أوضحوا لك الحجج و الأدلة فَكَذَّبْتَ بِها و لم تقبلها وَ اسْتَكْبَرْتَ بأن استعليت

(۱) المؤمنون: ۱۰۱.

(۲) الأعراف: ۱۷۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۷۹

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۶۰ الى ۶۲]

وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ (۶۰) وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۱) اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (۶۲)

على أن تقبلها وَ كُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ بالله و بما أنزل.

[۶۱] وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى يا رسول الله، أو أيها الرائى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ فزعموا أن له شريكا أو ولدا، أو أنه ليس بعادل، أو لم يرسل رسولاـ أو ما أشبه وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ شديدة السواد، فقد تكبروا هنا- و مظهر الكبر هو الوجه- و هناك يعاقب الوجه بهذا العقاب الظاهر، لكل رأس يذل صاحبه و يهينه أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً أى محل ثوى، و هو المنزل، من ثوى، إذ اتخذ المنزل و المسكن لِلْمُتَكَبِّرِينَ استفهام يريد به الإنكار، أى أن جهنم مثواهم.

[۶۲] وَ يُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا أى خافوا، فلم يكفروا، و لم يعصوا بِمَفازَتِهِمْ المفازة مصدر ميمى، أى بسبب فوزهم، حيث أنهم قد فازوا فى الدنيا بالإيمان و العمل الصالح، و يكون لهم فى الآخرة النجاة و الفلاح من النار و العذاب لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ أى العذاب و الشدة وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما يراد بهم، إذ لا حزن لهم.

[۶۳] اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فلاـ شريك له فى خلق أو تكوين وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أى حفيظ حارس، فكما أن الوكيل يعمل للموكل،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۰

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۶۳ الى ۶۵]

لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۶۳) قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ (۶۴) وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (۶۵)

و يحفظ ما يتعلق به، كذلك الله سبحانه يربى كل شيء و يكلؤه، بحراسته و حفظه، فليس للأصنام خلق و لا حفظ.

[۶۴] لَهُ مَقالِيدُ جمع مقلاد، و هو المفتاح السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فمفتاح كل شيء بيده، مثلا: مفتاح المطر الريح، و مفتاح النبات المطر، و مفتاح المرض السموم، و هكذا، فإن كل شيء بيده مفتاحه، و هذا كناية عن أن الأمور الكونية، كلها بيده، و ليس للأصنام شيء وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ دلائله و حججه، بأن أنكروه، أو جعلوا له شريكا أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ الذين يخسرون دنياهم و آخرتهم، أما الدنيا، فإن لهم فيها معيشة ضنكا، و أما الآخرة، فإن لهم فيها النار.

[۶۵] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الذين يعيبون عليك توحيدك لله سبحانه أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أصله «تأمروننى» ثم أدغمت نون الوقاية فى نون الجمع أَيُّهَا الْجاهِلُونَ فأنتم تريدون، أن أشرك بالله، كما أشركتم، و هذا جهل بالحقيقة، فإن الله لا شريك له، و الأصنام جهل بالحقيقة، فإن الله لا شريك له، و الأصنام ليست بشيء؛ فإن مستواها أنزل من مستوى نبتة صغيرة، فكيف تجعلونها شريكة الله.

[۶۶] ثم أكد الله سبحانه شأن التوحيد، حتى أن كل أحد أشرك حبط عمله، و لو كان نبيا، و قد تقرر فى الأدب و المنطق، أن صدق الشرطية بصدق التلازم، و إن استحال خارجية أحد الطرفين، كما لو قلت: لو جمع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۱

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۶۶ الى ۶۷]

بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۶۶) وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۶۷)

النقيضان تغير وجه العالم، فإن كلا من جمع النقيضين، و تغير وجه العالم، هكذا، مستحيل، إلا أن القضية صادقة للتلازم، و من هذا الباب قوله سبحانه وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ يا رسول الله وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ من الأنبياء و الرسل لَئِنْ أَشْرَكْتَ بالله، و دعوت معه غيره لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و حبط العمل بطلانه، بأن لا يكون له ثواب، أى لم يكن لك أجر على أعمالك الحسنة وَ لَتَكُونَنَّ حين أشركت مِنَ الْخاسِرِينَ الذين خسروا أنفسهم و أهليهم، دنياهم و آخرتهم، و توجه الخطاب إلى الرسول، و سائر الرسل، لتنبيه الناس، بأن الأمر هكذا، حتى بالنسبة إلى أعظم الناس.

[۶۷] بَلِ اللَّهَ وحده فَاعْبُدْ يا رسول الله وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لنعمائه.
[۶۸] وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ أى الكفار حَقَّ قَدْرِهِ أى ما عظموه حق عظمته، حيث جعلوا له شريكا، و أنكروا قدرته على البعث، و الحال أنه قادر على كل شىء وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً بجميعها، و جميع ما فيها قَبْضَتُهُ و القبضة هى ما قبضت عليه بجميع كفك يَوْمَ الْقِيامَةِ أى أن يوم القيامة تكون الأرض تحت قدرته سبحانه، كالشىء الذى فى قبضة الإنسان وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ أى ملفوفات بعضها حول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۲

[سورة الزمر (۳۹): آية ۶۸]

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ (۶۸)

بعض، و كلها فى يده اليمنى، و إنما قال «بيمينه» لأن اليمين أقدر على القبض، و هذا من باب التشبيه، يعنى أن الكون كله تحت قدرته القوية، حتى أن السماوات بالنسبة إليه، كالثوب المطوى، فى يد أحد أفراد الإنسان، و أن الأرض بالنسبة إليه، كالشىء المقبوض فى الكف، و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتقريب إلى الذهن، كما يقال: أن المملكة خاتم فى إصبع فلان، يراد قدرته الزائدة على إدارتها، كقدرة الشخص على إدارة خاتمه، و إنما قال «يوم القيامة» مع أن السماوات و الأرض، هكذا، بالنسبة إليه، قبل ذلك؟ لأن الكلام حول قدرة الله سبحانه، على إعادة الأرواح إلى الأجساد، فى ذلك اليوم، فالآية بصدد أن قدرته تعالى فى ذلك اليوم، بهذا القدر الهائل، فكيف لا يقدر على بعث الناس، و قد فهم- بالتلازم- بطلان الشركاء، إذ الكون كله تحت قدرته وحده بلا شريك و لا ظهير سُبْحانَهُ أى أسبحه سبحانا، و أنزهه تنزيها وَ تَعالى أى أنه رفيع، فإن الفعل منسلخ عن معنى الماضى، كما فى سائر صفات الذات عَمَّا يُشْرِكُونَ أى عن الأصنام، التى يشركونه بها.
[۶۹] وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ قد تقرر فى البلاغة، أن المضارع المتحقق وقوعه، يؤتى بصيغة الماضى، لإفادة أنه لمعلومية وقوعه، كأنه قد وقع و انقضى، و الصور بوق ينفخ فيه إسرافيل مرتين، مرة علامة لانقضاء العالم، و رحيل الجميع منه إلى الآخرة، و بذلك يموت الناس كلهم، و مرة علامة، لابتداء عالم الآخرة، و بذلك يحيى الناس كلهم، و هذا كالذى يصنعه أمير القافلة، حين إرادة الرحيل، و إرادة النزول، من النفخ فى البوق، و المراد بهذا النفخ هنا هو الأول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۳

[سورة الزمر (۳۹): آية ۶۹]

وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَ وُضِعَ الْكِتابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۶۹)

فَصَعِقَ أى مات مَنْ فِي السَّماواتِ من الملائكة و غيرهم وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ من أفراد البشر و غيرهم إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ كالأملاك الأربعة، جبرئيل، و ميكائيل، و إسرافيل، و عزرائيل، و غيرهم، و التفصيل فى كتاب «البحار» ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أى فى الصور نفخة أُخْرى حين إرادة ابتداء القيامة، و الشروع فى العالم الآخر فَإِذا هُمْ أى البشر و الملائكة، و غيرهم قِيامٌ أى قائمون من قبورهم، و هو جمع «قائم» يَنْظُرُونَ إلى المحشر، منتظرين ماذا يفعل بهم؟ و قوله «فإذا هم» للدلالة على سرعة قيامهم عقيب النفخة، فإن الإحياء فجائى.
[۷۰] وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها أى بعدله سبحانه، كما يقال: أشرق البلد بنور فلان إذا أخذ بالزمام، حيث أنه يعدل و يحسن فى مقابل سالف الأيام، التى كانت الأرض مظلمة، بظلم الظالمين وَ وُضِعَ الْكِتابُ أى وضعوا الكتاب فى الوسط، و هو كتاب أعمال العباد، و كأنه كان قبل ذلك فى زاوية بعيدة، ثم أتى به للمحاسبة، و هذا كما يقال للمحاسب: ضع الدفتر حتى نحاسب، و الكتاب اسم جنس يشمل كتب الخلائق كلهم وَ جِيءَ فى ساحة المحاكمة بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ جاء بهم الله سبحانه، ليحاكموا الأمم، و يشهدوا عليهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۴

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۷۰ الى ۷۱]

وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ (۷۰) وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا بَلى وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ (۷۱)

فالمراد بالشهداء الذين يشهدون على العباد بما عملوا، و هم صالحوا كل أمة، إذ كانوا في وسط الأمة ناظرين إلى أعمالهم، فيشهد الصالح الفلانى، بأن القوم، كانوا يضلون، و الصالح الفلانى، بأن القوم كانوا يشربون الخمر، و هكذا وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ أى حكم الله، و من جعله حاكما هناك «بينهم» أى بين الناس بِالْحَقِ و العدل بإعطاء كل ذى حق حقه، بلا حيف و لا جور وَ هُمْ أى الخلق لا يُظْلَمُونَ فى الحكم بأن ينقص من حق، أو يزاد اعتباطا.

[۷۱] وَ وُفِّيَتْ أى أعطيت وافيا كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ أى يعطى كل إنسان حسب أعماله وافيا، فالمحسن يوفّى بالإحسان، و المسيئ بالنكال وَ هُوَ سبحانه أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ فى الدنيا، فيجازيهم حسب ما علم، بلا تغيير أو خطأ، أو زيادة و نقيصة.

[۷۲] وَ بعد تمام الحساب سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ساقهم الملائكة بالجبر و العنف إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً جمع زمرة، و هى الفوج، أى يساقون زمرة فزمرة، و فوجا ففوجا، كل فوج مشتمل على متشابهى الأعمال، كالزناة و المقامرين، و هكذا حَتَّى إِذا جاؤُها أى وصلوا إلى جهنم فُتِحَتْ أَبْوابُها لهم، و هى سبعة أبواب، حتى يدخل كل فوج من الباب، المناسب بحالهم و المقرر لهم وَ قالَ لَهُمْ أى لأولئك الكفار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۵

[سورة الزمر (۳۹): آية ۷۲]

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (۷۲)

خَزَنَتُها جمع خازن، و هو الموكل بالشيء، أى الموكلون بجهنم أَ لَمْ يَأْتِكُمْ أيها المجرمون رُسُلٌ مِنْكُمْ أى من جنسكم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ أى يقرءون على مسامعكم آياتِ رَبِّكُمْ أدلته و حججه وَ يُنْذِرُونَكُمْ أى يخوفونكم لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا أى من مشاهدة هذا اليوم و عذابه، و هذا الاستفهام منهم، إنما هو على وجه التقريع و التبكيت، و إلا فالخزنة يعلمون ذلك قالُوا أى قال الكفار فى جواب الخزنة بَلى قد جاءتنا رسل ربنا، و خوفونا من هذا اليوم وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ فإنا قد كفرنا، فثبت فى حقنا ما قاله سبحانه، بأن من كفر يعاقب بالنار، و هذا، كما يقول أحدنا «هكذا مصيرى» فى يأس و انقطاع، و إنما لم يقولوا «علينا» مكان «على الكافرين» لإفادة، أن سبب عذابهم، هو كفرهم، فهو حكم مع ذكر العلة.

[۷۳] و حينذاك قِيلَ و القائل الخزنة ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ أى ادخلوها من أبوابها خالِدِينَ فِيها أى فى حال كونهم باقين فيها أبد الآبدين فَبِئْسَ هذا المحل- فى جهنم- مَثْوَى أى محل إقامة الْمُتَكَبِّرِينَ الذين تكبروا فى الدنيا عن الحق، حتى صاروا إلى هذا المكان.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۶

[سورة الزمر (۳۹): الآيات ۷۳ الى ۷۴]

وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ (۷۳) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (۷۴)

[۷۴] وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ أى خافوا فى الدنيا عذابه، فأطاعوه، فيما أمر و نهى، و إنما يساقون بإكرام و إعظام إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً زمرة فزمرة، كل فوج فى أشكالهم، فالمصلون صلاة الليل زمرة، و التالون للقرآن زمرة، و هكذا حَتَّى إِذا جاؤُها أى وصلوا إليها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها ليدخل كل فوج من الباب المناسب لعمله المعدّ له، و للجنة ثمانية أبواب و الإتيان بالواو فى «و فتحت» دون «فتحت» فى الآية السابقة للتفنن الذى هو نوع من البلاغة وَ قالَ لَهُمْ أى لأهل الجنة خَزَنَتُها جمع خازن، و هو الموكل بالشيء سَلامٌ عَلَيْكُمْ إما بقصد التحية، و إما بمعنى، أن السلامة من الآفات و البليات عليكم، تظللكم دائما، و لذا لم يقل «لكم» فإن «على» تفيد معنى الإحاطة و الشمول طِبْتُمْ أى صرتم طيبين هنا بسبب أعمالكم الطيبة فى دار الدنيا فَادْخُلُوها أى ادخلوا الجنة، من أبوابها خالِدِينَ أى فى حال

كونكم، دائمين فيها أبد الآبدين، لا خروج لكم عنها، و كان الإتيان بواو العطف فى الجملتين، لإيجاد فراغ فى الذهن، حتى يبقى منتظرا لأصناف الكرامة، و ألوان اللذة، فليس الأمر ينتهى بقول الخزنة، و إنما، ل «حتى» جواب طويل عريض باق مدى الأبد.

[۷۵] وَ قالُوا أهل الجنة بعد دخولها الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنا وَعْدَهُ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۷

[سورة الزمر (۳۹): آية ۷۵]

وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۷۵)

صدق فى وعده لنا بأنا إن عملنا صالحا أدخلنا الجنة وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ أى أرض الجنة، نقلها إلينا، كالميراث الذى ينقل إلى الوارث، و لعل التعبير بلفظ الأرض، لبيان أنهم جازوا أرض الجنة، و غرفها، حيث قالوا بعد ذلك نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ أى نأخذ المنزل من قصورها، أىّ محل شئنا فما هو مقدر لنا- و فى ذلك إشارة إلى سعة قصورهم، و أرض الجنة لكل إنسان- و «نتبوأ» من «تبوّأ» بمعنى اتخذ المنزل، أصله «باء» إذا رجع، إذ المنزل مرجع الإنسان، كلما خرج عاد إليه فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ بالخيرات، الجنة.

[۷۶] وَ تَرَى يا رسول الله، أو أيها الرائى الْمَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ قد أحاطوا بعرش الله سبحانه، و العرش هو موضع جعله الله سبحانه محلا تشريفيا، أحاطه بعنايته و لطفه، و جعله مصدر أمره و نهيه، كما أن البيت الحرام فى الدنيا محل تشريفى له سبحانه، ذاك بالنسبة إلى الملائكة، و هذا بالنسبة إلى البشر، و يلتذ المؤمنين بهذه الرؤية، كمن يلتذ إذا نظر إلى قصر الملك المحاط بالجيش، و رجال التشريفات، فإن الإنسان يتقوى روحيا إذا نظر إلى محل القوة و العزة، و هم يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أى ينزهونه عما لا يليق به بسبب الحمد، فإذا قال الإنسان «سبحان الله» كان تنزيها فقط، أما إذا قال «الحمد لله» كان تحميدا و تنزيها، فإن وصف الممدوح بالجميل، حمد و تنزيه له عن القبيح، بخلاف التنزيه عن القبيح، فإنه ليس حمدا-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۸

كما مر- وَ قُضِىَ بَيْنَهُمْ أى بين الناس بِالْحَقِ و هذا كموجز لما تقدم للتركيز عليه وَ قِيلَ و القائل كل من هنالك الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و هذا هو منتهى أهل التقوى فى الدنيا، و أكرم به من عاقبة جميلة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۸۹

۴۰ سورة غافر مكية/ آياتها (۸۶)

و تسمى أيضا بسورة «المؤمن» لاشتمالها على لفظى «غافر» و «مؤمن»، و هى كسائر السور المكية، تعالج قضايا العقيدة فى أصولها الثلاث، الألوهية، و الرسالة، و المعاد، و لما ختمت سورة «الزمر» بالحمد لله رب العالمين، ابتدأت هذه السورة بذكر صفاته سبحانه، التى بها استحق الحمد.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله، المستجمع لجميع صفات الكمال، شعارا للمؤمن فى مقابل شعار الكفار الذين كانوا يبتدئون «باسم اللات» و نحوه، و شعار النصارى الذين يبتدئون باسم «الأب و الابن و روح القدس» و هكذا سائر الكفار و المنحرفين، و قد اعتادوا فى زماننا أن يقولوا «باسم الشعب» فى الحكومات الديمقراطية ..

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وصفان من مادة واحدة، إفادة لقوة الرحمة، فى ذاته سبحانه، كما قال (وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) «۱».

---

(۱) الأعراف: ۱۵۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۰

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۱ الى ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (۱) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۲) غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (۳) ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ (۴)

[۲] حم «حاء» و «ميم» و جنسهما من سائر حروف الهجاء، هى مادة هذا القرآن الذى يعجز البشر عن الإتيان بمثله، أو هو رمز بين الله و رسوله، أو أن معناه، الحميد المجيد، فهو ابتداء بعد البسملة، باسمين من أسمائه سبحانه، على طريق الرمز، أو غير ذلك.

[۳] تَنْزِيلُ الْكِتابِ أى هذا هو إنزال القرآن مِنَ قبل اللَّهِ الْعَزِيزِ الغالب سلطانه الْعَلِيمِ الذى يعلم كل شىء، فيعلم الصالح من غيره، أو أن «تنزيل الكتاب» مبتدأ «من الله» خبره.

[۴] غافِرِ الذَّنْبِ صفته، ل «الله» أى أنه سبحانه يغفر ذنوب عباده، و هذا على نحو القضية الطبيعية، لا أن معناه أنه سبحانه، يغفر كل ذنب وَ قابِلِ التَّوْبِ جمع توبة، كدوم جمع دومة، أو مصدر من تاب يتوب توبا، و المعنى إن من تاب و رجع إليه سبحانه، قبل توبته، و لم يرده عن بابه خائبا شَدِيدِ الْعِقابِ لمن كفر و عصى ذِى الطَّوْلِ الطول هو الإنعام الذى تطول مدته لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا شريك له إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أى المرجع فى المعاد، فهو إله واحد له الفضل، يغفر لمن استغفره، و يعاقب من عصاه، و بيده العاقبة.

[۵] و إذ كان الإله واضحا وجوده و صفاته، من الآيات الكونية، فإنه ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللَّهِ الدالة على وجوده و صفاته إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۱

[سورة غافر (۴۰): آية ۵]

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ (۵)

فإنهم يخاصمون حول أصل وجود الإله، أو صفاته، و إلا فالمصنف لا بد و أن يستدل من الآيات الكونية على وجوده سبحانه فَلا يَغْرُرْكَ يا رسول الله تَقَلُّبُهُمْ أى تقلب الكفار و تصرفهم فِى الْبِلادِ بالعزة و التجارة، بأن يوجب هذا التصرف للمشاهد شكا فى أنه لو كان هناك إله لأخذهم أخذ مقتدر، و ضيّق عليهم المسالك، فهو يغتر، و يخدع- عن الحقيقة- بهذا التقلب و التصرف، فالخطاب، و إن كان حسب الظاهر متوجها إلى الرسول، إلا أنه فى الحقيقة لإيقاظ الناس عامة، أو أن المخاطب هو العام، أى «لا يغررك أيها الناظر إلى الكفار».

[۶] فإنهم إنما يتقلبون بمهلة الله لهم حتى يستنفدوا كل أمرهم، و تظهر ضمائرهم، و هناك الأخذ الشديد، كما كان يفعل سبحانه بالأمم السابقة، فقد كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ أى قبل كفار مكة قَوْمُ نُوحٍ رسولهم نوحا عليه السّلام وَ كذبت الْأَحْزابُ أى الأمم الذين تحزبوا على الرسل، رسلهم مِنْ بَعْدِهِمْ أى من بعد قوم نوح، كعاد و ثمود و قوم لوط و قوم إبراهيم، و غيرهم وَ هَمَّتْ أى قصدت كُلُّ أُمَّةٍ من تلك الأمم المكذبة بِرَسُولِهِمْ قصد سوء لِيَأْخُذُوهُ أى يأخذوا الرسول، للحبس أو القتل أو النفى وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ أى خاصموا رسلهم بمجادلات و محاورات باطلة، حول الألوهية و الرسالة و المعاد لِيُدْحِضُوا أى يبطلوا بِهِ أى بسبب الجدال الباطل الْحَقَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۲

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۶ الى ۷]

وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ (۶) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ (۷)

الذى أتى به الأنبياء فَأَخَذْتُهُمْ أى أخذت تلك الأمم بالعقاب، بعد أن لم يبق رجاء فى هدايتهم فَكَيْفَ كانَ عِقابِ أى عقابى لهم؟ و حذف ضمير المتكلم تخفيفا، و هذا تهديد لكفار مكة، بأنهم، إن تمادوا فى غيهم، كان مصيرهم، كمصير أولئك الأقوام، و

الاستفهام تقريری للإيقاظ و الإلفات.

[۷] وَ كما ثبتت كلمة العذاب على أولئك الأمم الذين كذبوا الرسل كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أی ثبتت كلمة ربك بالعذاب، بأن قال «سأعذبهم» و ستنطبق هذه الكلمة عليهم عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا من أهل مكة، يا رسول الله أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ إما بمعنى، لأنهم أصحاب النار، فلذا ثبت فی حقهم عذاب الدنيا، أو «أنهم» تأكيد «حقت» فيكون التشبيه فی «كذلك» من حيث أصل العذاب، و إن كان المراد بالعذاب فی الأمم السابقة عذاب الدنيا و الآخرة، و فی هذه الأمة فی الآخرة فقط.

[۸] إن أقرب الملائكة إلى الله سبحانه منزلة هم مؤمنون بالله، فكيف لا يؤمن هؤلاء؟ و أنهم يستغفرون للمؤمنين، فمن آمن فاز باستغفارهم، فليستبشر المؤمنون الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ و هم جماعة من الملائكة، خلقهم الله سبحانه، واضعين العرش على أكتافهم، زيادة فی الهيبة و الجلال، كما لو شاهد الإنسان سرير ملك محمولا على جماعة من الأشراف، و من الواضح أن الملائكة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۳

لا يتأذون بذلك، كما أن العرش إنما هو محل شرّفه الله سبحانه، لا أنه محله؛ فإنه منزه عن المكان وَ مَنْ حَوْلَهُ أی حول العرش من الملائكة يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أی ينزهون الله سبحانه، تنزيها بالمدح، فإن من قال زيد- مثلا- شجاع كان حامدا له و منزها له عن الجبن، بخلاف من قال أنه ليس بجبان، فإنه تنزيه فقط وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ أی بربهم معترفين بوحدانيته، و سائر صفاته، و لعل تأخير الإيمان، عن التسبيح لأجل أن فيهم أظهر، فإذا رآهم أحد، سمع منهم التسبيح، أما الإيمان فإنه يعلم بالملازمة وَ يَسْتَغْفِرُونَ أی يطلبون من الله الغفران لِلَّذِينَ آمَنُوا من أهل الأرض، بأن يغفر الله لهم زلاتهم، و ما أسلفوا من الكفر و العصيان، و يقولون، إذ يريدون الاستغفار للمؤمنين، يا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً أی وسعت رحمتك كل شیء، فارحم المؤمنين و اغفر لهم وَ عِلْماً فإنك تعلم أنهم مطيعون، و إنما يزلهم الشيطان، أو المراد، نطلب منك الغفران على علمك بزلاتهم، كما يقال «على علمك فاعف» يعنی مع أنك عالم نطلب العفو، فی مقابل طلب العفو من الذی لا يعلم، فإنه أسرع عفوا، إذ لا يعلم بالتفاصيل فَاغْفِرْ يا الله لِلَّذِينَ تابُوا عن الكفر و العصيان وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ أی طريقك الذی هو الإسلام وَ قِهِمْ أی و احفظهم، من «وقی» «يقی» و الأمر «ق» فالواو عاطفة عَذابَ الْجَحِيمِ حتى لا يعذبوا بها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۴

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۸ الی ۹]

رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۸) وَ قِهِمُ السَّيِّئاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۹)

[۹] يا رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ أی أدخل المؤمنين جَنَّاتِ عَدْنٍ أی بساتين إقامة، من «عدن» إذا أقام الَّتِي وَعَدْتَهُمْ على ألسنة الأنبياء، و لعل هذا الدعاء بمعنی أثبتهم على الإيمان حتى يدخلوا الجنان، و إلا فالله سبحانه، يفی بوعده حتما، فلا حاجة إلى الطلب، أو أنه على طريق الضراعة و الانقطاع وَ أدخل الجنات مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ أی نسلهم، ليكمل أنسهم بذلك، فإن الإنسان، عند أحبائه آنس، و معنی من صلح، من آمن و عمل صالحا إِنَّكَ يا رب أَنْتَ الْعَزِيزُ القادر على ما تشاء الْحَكِيمُ فی أفعالك تفعلها، حسب الصلاح و الحكمة، و لقد كان من الصلاح، أن وعدتهم بالجنة، فأكمل ذلك لهم، بإدخالهم فيها.

[۱۰] وَ قِهِمُ أی احفظهم، يا رب من السَّيِّئاتِ حتى لا يعملوا فی الدنيا ما يوجب سخطك، و على هذا فجملة وَ مَنْ تَقِ مستأنفة للمشابهة، أو المراد قهم جزاء السيئات، أو أنواع العذاب التی هی سيئات، و على هذا فجملة «و من تق» تتمة وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ أی تحفظه من جزاء المعاصی يَوْمَئِذٍ أی فی الآخرة فَقَدْ رَحِمْتَهُ رحمة عظيمة وَ ذلِكَ أی حفظهم من العذاب هناك هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذی لا فوز مثله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۵

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۱۰ الى ۱۱]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ (۱۰) قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (۱۱)

[۱۱] و إذ يرون الكفار النار، و جزاء أعمالهم فى الآخرة، يغضبون على أنفسهم، لم فعلوا ما يستحقون به هذه النار و النكال؟ فيناديهم الملائكة أنّ غضب الله عليكم بسبب أعمالكم أشد من غضبكم على أنفسكم! و هذا لتأليمهم روحيا، فإن الإنسان إذا علم غضب الملك العظيم عليه يتألم كثيرا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ من قبل الملائكة يوم القيامة لَمَقْتُ اللَّهِ أى غضب الله عليكم أَكْبَرُ أى أشد و أكثر مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ أى من غضبكم على أنفسكم، و ذلك المقت إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ أى إن هذين المقتين، إنما كانا من وقت دعيتم إلى الإيمان فكفرتم.

[۱۲] قالُوا و هم معترفون أذلاء، قد رفع عن أعينهم الغشاء، يا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ موتا حين كنا ترابا، و موتا بعد الحياة الدنيوية، أى جعلنا ميتا مرتين، و الإماتة بالنسبة إلى الموت الترابى، و إن كان خلاف المنصرف، إلا أنه غير بعيد، بالنسبة إلى ما ورد فى أحوال الإنسان، حيث لا ـ موت جديد، بعد الموت الدنيوى، و ما ورد أنه بالنسبة إلى الرجعة، فالظاهر أنه من باب المصداق، و إلا فالكفار كلهم لا يحبون الرجعة، و ظاهر الآية أنه بالنسبة إلى الكلى وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ أى حياتين، حياة بالتولد فى الدنيا، و حياة بعد الموت فى القيامة، و إنما يقول الكفار ذلك خضوعا و تخشعا، كالمجرم الذى يعترف بذنبه تخشعا، و يريدون بذلك اعترافهم، بأن أزمّة الأمور بأيدى الله سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۶

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۱۲ الى ۱۳]

ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (۱۲) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَ ما يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (۱۳)

فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا، حيث كفرنا بك و عصينا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ من حالة القيامة و النار، إلى الدنيا لنعمل صالحا مِنْ سَبِيلٍ و هذا طلب بتأدب خوفا و وجلا من الطلب الصريح.

[۱۳] لكن لا ـ مجال لهم فى الخروج، و يقال: (كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها) «۱» (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ) «۲» ثم يقال لهم ذلِكُمْ العذاب الذى حل بكم، و «كم» خطاب بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ و إنه لا إله إلّا هو، كما كان يدعوه المؤمنون كَفَرْتُمْ و أنكرتم أن يكون واحدا وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ أى بالله تُؤْمِنُوا بالآلهة المتعددة كما كان يفعل المشركون فَالْحُكْمُ أى فصل هذه القضية، و الحكم عليكم فى الآخرة بالنار و العذاب لِلَّهِ الْعَلِيِ الرفيع الذى لا ـ شريك له، فهو أرفع من كل شىء الْكَبِيرِ الذى لا أكبر منه، فى ذاته و صفاته.

[۱۴] ثم يأتى السياق ليبين بعض آياته سبحانه الدالة على وجوده، و سائر صفاته هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ أى أدلته الكونية، الدالة على ذاته و صفاته، و معنى الإرائة إيجادها، كالليل و النهار و المطر، أو إلفاتكم إليها، و إن كانت مستقرة ثابتة وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ أيها البشر مِنَ السَّماءِ رِزْقاً

(۱) المؤمنون: ۱۰۱.

(۲) الأنعام: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۷

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۱۴ الى ۱۵]

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (۱۴) رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (۱۵)

و هو المطر الموجب لكل رزق، أو المراد أنه سبحانه يقدر فى السماء أرزاقكم، فينزل الأمر به من هناك وَ ما يَتَذَكَّرُ أى يلتفت إِلَّا مَنْ يُنِيبُ أى يتوب، فإن التذكر المفيد، إنما هو تذكر التائب دون غيره.

[۱۵] فَادْعُوا أيها البشر اللَّهَ وحده مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى فى حال كونكم توجهون عبادتكم إليه، و تجعلون دينكم له دون غيره وَ لَوْ كَرِهَ إخلاصكم و توحيدكم لله الْكافِرُونَ فلا تبالوا بهم.

[۱۶] إنه سبحانه رَفِيعُ الدَّرَجاتِ أى يرفع درجات الناس فى الجنة، فبيده الملك و الملكوت، و مثله يحق أن يعبد دون سواه، أو إن المعنى أنه سبحانه صاحب درجات رفيعة، و المراد بالدرجات الصفات، فهو ذو العلم الرفيع و الإحسان الرفيع، و الحلم الرفيع، و هكذا، فلا يبلغ شأنه شىء من الأصنام، أو غيرها، حتى يجعل شريكا له، و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ذُو الْعَرْشِ فله عرش السلطة، وحده بلا شريك و منازع يُلْقِى الرُّوحَ أى الحياة للبشرية، التى هى الوحى، فقد شبه الوحى بالروح، تشبيها بالروح الذى به حياة الإنسان، و فى الوحى حياته الواقعية من العمى و الضلالة، أو المراد الروح لنبوة الشخص مِنْ أَمْرِهِ أى أن الإلقاء صار من أمره لا جبر له فيه، إذ قد يلقى الإنسان شيئا مجبورا من أمر غيره عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و هم الأنبياء عليهم السّلام، و مشيئته سبحانه باعتبار صلاحية النبى لذلك،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۸

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۱۶ الى ۱۷]

يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (۱۶) الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۱۷)

لمؤهلاته النفسية لِيُنْذِرَ الله بسبب الإلقاء، أو ينذر الرسول يَوْمَ التَّلاقِ أصله «التلاقى» حذف الياء تخفيفا، حيث يلتقى فيه أهل السماء بأهل الأرض، كما عن الصادق عليه السّلام «۱».

[۱۷] يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ أى ظاهرون من قبورهم لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ أى من الناس شَيْءٌ فكل شىء منهم من الأجساد، و الأعمال، و النوايا، منكشفة لديه سبحانه، و يقول الله سبحانه، حينذاك لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ تقريعا للذين اغتصبوا الملك فى الدنيا، و لمن أشركوا بالله بزعم أن لله شريكا فى الملك، و يأتى الجواب من قبله أو قبل صلحاء الناس و الملائكة لِلَّهِ الْواحِدِ الذى لا شريك له الْقَهَّارِ الذى يقهر الكون حسب ما يشاء.

[۱۸] الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ فالمحسن يجزى بالإحسان، و المسيء بالإساءة لا ظُلْمَ على أحد الْيَوْمَ فلا ينقص من ثواب المحسن و لا يزاد على عقاب المجرم إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ يعنى إن الآخرة قريبة، أو إن حساب الخلائق فى ذلك اليوم، يكون سريعا، فلا مجال للّف و الدوران، كما فى الدنيا، حتى يحتمل المجرم التملص.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۷ ص ۵۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۵۹۹

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۱۸ الى ۱۹]

وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ كاظِمِينَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لا شَفِيعٍ يُطاعُ (۱۸) يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ (۱۹)

[۱۹] وَ أَنْذِرْهُمْ يا رسول الله، أى خوّفهم من العذاب يَوْمَ الْآزِفَةِ من أزف بمعنى دنى، و يسمى يوم القيامة، بالآزفة لدنوها، و الآزفة

ليست رفعة لليوم- في المقام- و إنما مضاف إليها، نحو يوم القيامة إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ فإن الإنسان إذا خاف كثيرا حدثت فيه الحرارة الزائدة، و لذا تنتفخ الرئة، و تكبر لجلب الهواء الكثير لتبريد القلب، فتضغط على القلب، و ترفعه عن موضعه، فيأتي قريب الحنجرة كاظِمِينَ أي في حال كونهم امتلأوا غما و غيضا، لكنهم كظموه و أخفوه، فلم ينطقوا بشيء خوفا و رعبا، يقال: كظم فلان غيظه إذا أخفاه ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان من صديق هناك، إذ أصدقاؤهم في الدنيا يفرون منهم وَ لا شَفِيعٍ يُطاعُ فإن هناك لا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن، و الإتيان ب «يطاع» لبيان النتيجة، أي لا خلاص لهم، و إلا فهناك لا شفيع لهم إطلاقا.

[۲۰] و قد علم سبحانه جميع أعمالهم و نياتهم، فيجازيهم حسب الأعمال يَعْلَمُ تعالى خائِنَةَ الْأَعْيُنِ أي خيانة العين، بأن تنظر إلى ما حرمه الله تعالى، و إنما سمي خيانة، لأنها تنظر بسرقة و خيانة، لئلا يعرف الناس أنه نظر إلى الشيء الفلاني وَ يعلم ما تُخْفِي الصُّدُورُ و تنويه فهو مطلع على النيات، و إنما نسب الاختفاء إلى الصدور، لأن القلب في الصدر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۰

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۲۰ الى ۲۱]

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۶۴۹

وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (۲۰) أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ (۲۱)

[۲۱] وَ اللَّهُ يَقْضِي و يحكم في يوم القيامة بِالْحَقِ فهو القاضي الوحيد هناك وَ الأصنام الَّذِينَ يَدْعُونَ أي يدعونهم المشركون آلهة مِنْ دُونِهِ من دون اللّه لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إذ لا حكم لهم هناك، لا بحق، و لا بباطل، و الإتيان، للأصنام بضمير العقلاء، لتوحيد السياق بين كلام أصحابها، و كلام الله و المؤمنين إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الذي يسمع كل شيء الْبَصِيرُ الذي يرى كل مرئي، أما الأصنام فهي جمادات، لا تسمع و لا تبصر، فكيف تتمكن أن تحكم؟

[۲۲] أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا أي يذهبوا و يسافروا، هؤلاء الكفار فِي الْأَرْضِ هنا و هناك فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم السابقة، الذين كذبوا أنبياءهم، كقوم هود و صالح و لوط و غيرهم، مما بقيت آثارهم الخربة في البلاد و الصحاري كانُوا هُمْ أي أولئك الأقوام أَشَدَّ مِنْهُمْ أي من هؤلاء الكفار قُوَّةً في أبدانهم وَ أكثر آثاراً فِي الْأَرْضِ أي عمارة و بناء و زراعة و صناعة، جمع أثر و هو الذي يبقى بعد الإنسان أثرا له، و علامة منه فلما كفروا، لم تفدهم قوتهم و آثارهم، بل فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أي عاقبهم، و أنزل عليهم العذاب بسبب ذنوبهم كفرهم و عصيانهم وَ ما كانَ لَهُمْ أي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۱

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۲۲ الى ۲۴]

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (۲۲) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۲۳) إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ (۲۴)

لأولئك الأقوام مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ «الواق» أصله «واقي» من وقى، بمعنى حفظ، أي لم يكن لهم حافظ يحفظهم من بأس الله و عذابه، و هؤلاء إن تمادوا في كفرهم و عصيانهم كان مصيرهم مصير أولئك.

[۲۳] ذلِكَ العذاب الذي نزل بهم، إنما كان لأجل كفرهم و تماديهم في العصيان بسبب أنهم كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالآيات البينات أي الواضحات، و المعاجز الظاهرات الباهرات فَكَفَرُوا و لم يؤمنوا بعد إتمام الحجة فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بذنوبهم، بأن عذبهم و أهلكهم إِنَّهُ سبحانه قَوِيٌّ يقوى على ما يريد شَدِيدُ الْعِقابِ فإذا عاقب أحدا تمكن من ذلك، و عقابه شديدا أليما.

[۲۴] ثم مثل سبحانه لبعض أولئك الأمم الذين أهلكهم سبحانه، بنقل قصة موسى و فرعون وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أي مع آياتنا و

أدلتنا، كالعصا، و اليد البيضاء، و غيرهما وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ أى دليل واضح، فقد كان موسى عليه السّلام مزودا بحجة قوية يحتج و يستدل للألوهية، كما هو شأن الأنبياء عليهم السّلام، فلهم معاجز، و لهم أدلة منطقية على إرشاداتهم.

[۲۵] إِلى فِرْعَوْنَ الملك وَ هامانَ وزيره وَ قارُونَ الطاغى الذى كان مؤمنا، ثم انحرف، و إنما خص هؤلاء بالذكر، لأنهم كانوا رؤساء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۲

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَ ما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِی ضَلالٍ (۲۵) وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِی أَقْتُلْ مُوسى وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّی أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسادَ (۲۶)

الكفار و المنافقين فَقالُوا عوض الإيمان ساحِرٌ كَذَّابٌ إنه يسحر فى خوارقه، كذاب كثير الكذب، فى ادعاءاته بوجود الإله، و أنه رسوله، و أن هناك دارا آخرة.

[۲۶] فَلَمَّا جاءَهُمْ موسى عليه السّلام بِالْحَقِ أى مع الحق الذى هو التوحيد و المعاد و الشريعة مِنْ عِنْدِنا أى كان من طرفنا، فإن الآتى بالحق، قد يكون غير مرسل، كالصلحاء و العلماء الذين يرشدون الناس قالُوا أى فرعون و هامان، و أشراف القبط اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ و هم بنو إسرائيل الذين آمنوا بموسى وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ فقد أمر فرعون، قبل ولادة موسى بقتل أبناء بنى إسرائيل، حيث أخبره منجم، بأنه يولد فى بنى إسرائيل ولد يكون على يده ذهاب ملكه، و أمر بعد نبوة موسى بذلك، حيث أراد عدم كثرتهم ليقوى الصف المخالف، كما كان يبقى النساء أحياء لاستخدامهن و إذلالهن، لكن الله سبحانه منع عن ذلك بإرسال الضفادع و الجراد و القمل و الدّم- كما سبق- وَ ما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِی ضَلالٍ أى أن ما يكيدون يضل و يضيع فلا يظهر له أثر مقصود.

[۲۷] وَ قالَ فِرْعَوْنُ لمن حوله من الأشراف ذَرُونِی أى اتركونى، و لا تشيروا على بالخلاف أَقْتُلْ مُوسى لأستريح منه، و قد قال ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۳

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۲۷ الى ۲۸]

وَ قالَ مُوسى إِنِّی عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (۲۷) وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّیَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِی يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (۲۸)

إظهارا لسطوته، و إلا فقد أراد غير مرة، قتل موسى، فلم يتمكن وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ بما شاء، فقد كان يخاف من دعوة موسى لله سبحانه، بإنزال العذاب عليهم، كما شاهد من قبل، و هذا كما يقول أحدنا، أفعل ذلك، كائنا ما كان، و قوله «ليدع» أمر يراد به الخبر، أى و إن دعا ربه علىّ، و إنما أريد قتل موسى ل إِنِّی أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ بأن يمنعكم عن عبادتى، و عبادة الأصنام، إلى عبادة الله أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسادَ بأن يجهز الجيوش للحرب و القتال، فقتله يريحنا من إفساده فى ديننا أو دنيانا.

[۲۸] وَ قالَ مُوسى عليه السّلام- و كأنه قال ذلك لما سمع بإرادة فرعون قتله- إِنِّی عُذْتُ من عاذ، بمعنى لجأ بِرَبِّی وَ رَبِّكُمْ يا بنى إسرائيل، أو أيها القبط، إن كان خطابه لهم مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ كفرعون الذى تكبر و لا يخاف المعاد.

[۲۹] وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ بالله و بموسى مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أى من ذويه، و قد كان ابن عمه، كما فى بعض الأحاديث، و كان اسمه حزقيل يَكْتُمُ إِيمانَهُ عن فرعون و قومه أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّیَ اللَّهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۴

أى كيف تقتلون موسى، و هو يقول أمرا لا يضركم؟ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ أى بالأدلة الواضحة، و هذا الكلام لا ينافى كتمان إيمانه، فإن الخصوم دائما يظهرون فيما بينهم حقائق خصومهم، و يعترفون بمزاياهم و فضائلهم مِنْ رَبِّكُمْ أى من طرف إلهكم و خالقكم، و قد كان حتى فرعون يعترف بالإله فى خلواته، و لذا تضرع إليه سبحانه وقت انقطاع النيل وَ إِنْ يَكُ موسى كاذِباً فى دعواه النبوة فَعَلَيْهِ

کَذِبُهُ أی أن ضرر کذبه یعود إلیه، لا إلیکم، فإن الکاذب یتضرر من کذبه وَ إِنْ یَکَ صادِقاً فیما یقول یُصِبْکُمْ بَعْضُ الَّذِی یَعِدُکُمْ فإن موسی کان یعدهم بالهلاک و العذاب إن بقوا فی کفرهم و طغیانهم، و إنما قال «بعض» تلطفا فی الخطاب، و توسعا فی الکلام، و کأنه قال، أقل ما فی الأمر، أنه یصیبکم بعض ما یقوله موسی من نکال الدنیا و عذاب الآخرة، و معنی «یصیبکم» یصل إلیکم إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی بالألطاف الخفیة الموجبة للسعادة الأبدیة مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ کَذَّابٌ أی متجاوز فی العصیان حدّ المتعارف، أو متجاوز حدود الشریعة کثیر الکذب، و قد أراد بهذا، إما فرعون و قومه بمعنی أنکم إذا قتلتم موسی، کنتم من المسرفین الکذابین، الکثیری التکذیب لما یقوله موسی من الأمور المربوطة بالمبدأ و المعاد و الشریعة، و إما موسی علیه السّلام، بأنه إن کان موسی مسرفا کذابا، لم یهده ربه، و قد قال ذلک تأکیدا لقوله «وَ إِنْ یَکُ کاذِباً فَعَلَیْهِ کَذِبُهُ».

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۵

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۲۹ الی ۳۰]

یا قَوْمِ لَکُمُ الْمُلْکُ الْیَوْمَ ظاهِرِینَ فِی الْأَرْضِ فَمَنْ یَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِیکُمْ إِلاَّ ما أَری وَ ما أَهْدِیکُمْ إِلاَّ سَبِیلَ الرَّشادِ (۲۹) وَ قالَ الَّذِی آمَنَ یا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ مِثْلَ یَوْمِ الْأَحْزابِ (۳۰)

[۳۰] یا قَوْمِ لَکُمُ الْمُلْکُ و السلطة فی هذا الْیَوْمَ فی حال کونکم ظاهِرِینَ فِی الْأَرْضِ أی غالبین علیها، فإن الإنسان صاحب السلطة یکون ظاهرا للناس یعرفوه، و لا یخفی علیهم فَمَنْ یَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا؟ من یمنعنا من عذاب الله، إن جاءنا عند قتل موسی، فإن هذا الملک یذهب، و یحلّ محله العذاب، و إنما قال «لکم الملک» إما تذکیرا بالنعیم، فی مقابل التخویف بالعذاب، و إما لبیان، أن أصحاب السلطة دائما أقرب إلی سخط الله و نکاله، حیث أنهم یعصون کثیرا، فإذا تجمعت حل بهم العذاب، بخلاف غیر أصحاب السلطة، الذین هم بمعزل عن العصیان، فیکون احتمال عقابهم أبعد، و بعد هذا النصح کله قالَ فِرْعَوْنُ القاسی المظلم القلب ما أُرِیکُمْ إِلَّا ما أَری أی ما أشیر علیکم إلا ما أراه صوابا فی رأیی و فکری، فقتل موسی صواب فی نظری وَ ما أَهْدِیکُمْ إِلَّا سَبِیلَ الرَّشادِ أی ما أرشدکم إلّا الطریق الذی هو صحیح، و فیه الرشد و الهدایة.

[۳۱] وَ قالَ الَّذِی آمَنَ من قوم فرعون و هو حزقیل یا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ أیها القوم إن تقدمتم إلی قتل موسی علیه السّلام أن یصیبکم مِثْلَ یَوْمِ الْأَحْزابِ أی الأحزاب التی عارضت الرسل و کفرت، و لکل حزب یوم، و إنما جمعهم المؤمن، لبیان أن کل حزب، خالف

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۶

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۳۱ الی ۳۳]

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ (۳۱) وَ یا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ یَوْمَ التَّنادِ (۳۲) یَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِینَ ما لَکُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۳۳)

الرسل، حقت علیه کلمة العذاب، ثم فصل ذلک بقوله.

[۳۲] مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ الدأب العادة، و معنی ذلک، أخاف علیکم، مثل سنة الله فی قوم نوح، حیث أغرقهم سبحانه وَ عادٍ قوم هود النبی علیه السّلام وَ ثَمُودَ قوم صالح علیه السّلام وَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ من الأمم التی کذبت الأنبیاء علیهم السّلام وَ مَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ فلا تفعلوا ما تستحقون الظلم بأنفسکم.

[۳۳] وَ یا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ یَوْمَ التَّنادِ أصله «التنادی» مصدر باب التفاعل، و إنما حذف الیاء تخفیفا، و المراد به، إما یوم نزول العذاب، فإن فیه ینادی کل إنسان، صاحبه بالفرار و الحذر، و إما یوم القیامة، حیث ینادی أهل النار أهل الجنة (أَنْ أَفِیضُوا عَلَیْنا) «۱» و ینادی أهل الجنة أهل النار (ما سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ) «۲»؟

[۳۴] یَوْمَ تُوَلُّونَ عن العذاب، فأین منه مُدْبِرِینَ بزعم أن الفرار ینجی من عذاب الله ما لَکُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ أی لا یحفظکم من بأس

الله أحد، فإذا جاء العذاب، لا يتمكن أن يمنع عنه مانع وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ بأن تركه فى الظلمات، حتى يفعل ما يشاء، و قطع عنه الألطاف

(۱) الأعراف: ۵۱.

(۲) المدثر: ۴۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۷

[سورة غافر (۴۰): آية ۳۴]

وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (۳۴)

الخفية، بعد أن أرشده إلى الطريق، فلم يقبل فَما لَهُ مِنْ هادٍ أى ليس له أحد يهديه، بأن يفيض عليه من ألطافه الخاصة، فاحذروا أن تكونوا من أولئك الزمرة.

[۳۵] وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السّلام مِنْ قَبْلُ أى قبل موسى عليه السّلام بِالْبَيِّناتِ أى بالأدلة الواضحة، فقد كان يوسف رسولا إلى أهل مصر، بالإضافة إلى كونه ملكا، و بعد يوسف، امتدت السلطات الخيرة، ثم المتوسطة، ثم الشريرة، حتى وصلت النوبة إلى فرعون، حيث قال «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَما زِلْتُمْ و المراد، لم يزل آباؤهم فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ من التوحيد، فقد كان أهل مصر يعبدون الأصنام، فى ذلك الزمان، و لذا قال يوسف، لأهل السجن:

(يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ) «۱»؟ حَتَّى إِذا هَلَكَ أى مات يوسف، و هلك يستعمل فى مطلق الموت، كما قال سبحانه (كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) «۲» و إن كان يتبادر منه- أحيانا- موت السيء قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كأنكم استرحتم من موت يوسف، كما يستريح المجرم من موت السلطان، إذ يتمكن من إبداء إجرامه، فأنتم- أيها القوم- مسرفون فى الكفر و الضلال، قديما و حديثا، فلم هذا الكفر، و لم هذا الضلال؟ كَذلِكَ أى كما ترك

(۱) يوسف: ۴۰.

(۲) القصص: ۸۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۸

[سورة غافر (۴۰): آية ۳۵]

الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (۳۵)

الله سبحانه أسلافكم ضلّالا غير معتن بشأنهم، لمّا لم يؤثر فيهم إرسال الرسول، و إقامة الحجة يُضِلُّ اللَّهُ بترك لطفه عن مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ فى الكفر و الضلال مُرْتابٌ أى شاك فى الله و المعاد و الشريعة، من ارتاب، بمعنى شك.

[۳۶] ثم بين لهم كيف يقطع الله لطفه عن بعض الناس، حتى يتيهون فى الضلال و الانحراف الَّذِينَ يُجادِلُونَ أى يعاندون فِي البحث، حول آياتِ اللَّهِ أى أدلته الدالة على وجوده و سائر صفاته بِغَيْرِ سُلْطانٍ أى حجة أَتاهُمْ ذلك السلطان، من عقل أو نقل، فجادلهم عن الهوى، لا- عن الدليل و البرهان كَبُرَ ذلك الجدال مَقْتاً أى من حيث المقت، فإن الغضب على ذلك المجادل كبير عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا فالله يلعن المجادل، و المؤمنون يبغضونه كَذلِكَ أى بهذا النحو من الطبع، و هو ختم القلب على الكفر بعد أن جاء الهدى، فجادل بدون الدليل يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فكبره عن الحق و تجبّره فى الأرض، أورث، أن ختم الله على قلبه، و قد سبق أن القلب قابل لكل شيء، فإذا أعرض الإنسان عن الحق إلى الباطل، يستمر إيحاء الباطل على قلبه فى كل مناسبة، حتى يكون الباطل ملكة له، فلا يقبل الهدى أبدا، لا بالاضطرار، و إنما بالاختيار و النفرة عن الحق عنادا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۰۹

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۳۶ الى ۳۷]

وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (۳۶) أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبابٍ (۳۷)

[۳۷] وَ قالَ فِرْعَوْنُ بعد أن سمع مواعظ حزقيل، و كأنّ هناك كان مجلس حوار بين حزقيل، و بين القوم يا هامانُ و هو وزير فرعون ابْنِ لِي صَرْحاً أى قصرا مشيدا عاليا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ بأن أصعد عليه، و أنظر هناك فى ملكوت السماوات.

[۳۸] ثم فسر «الأسباب» بقوله أَسْبابَ السَّماواتِ أى أسباب الاطلاع على السماوات، و ما فيها! فكما أن أسباب العز «السيارة» و أمثالها، كذلك أسباب الاطلاع على السماوات «المرتقى العالى» و «المجهر» و ما أشبه، فإذا بنى بعضه كان الرجاء أن يبلغ فَأَطَّلِعَ بالنصب لأنه جواب بالفاء، أى إذا بلغت اطلعت إِلى إِلهِ مُوسى و قد قصد بهذا التمويه على الناس العوام، بأنه إن كان موسى صادقا، فى أن له إلها خلق السماوات، فإنى قادر على الاطلاع عليه و محاربته وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ أى أظن موسى كاذِباً و قد أراد بهذا الخداع للناس، فى أنه منصف مع موسى، حتى يتورع أن يقال أنه علم كذبه، بل يريد الاستطلاع هل صدق موسى أم كذب؟ و إن كان ظنه أنه كاذب.

ثم قال سبحانه وَ كَذلِكَ أى كما زيّن لهؤلاء الكفار أعمالهم السيئة، أو كما ذكر من حكاية أعمال فرعون و أقواله زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ و المزين هو نفسه، أو الشيطان سُوءُ عَمَلِهِ أى رأى عمله السيء حسنا وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ أى منع عن طريق الهداية و المانع له هو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۰

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۳۸ الى ۴۰]

وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ (۳۸) يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ (۳۹) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ (۴۰)

الشيطان، أو نفسه الأمارة بالسوء وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ و مكره الذى عمله لإطفاء نور موسى إِلَّا فِي تَبابٍ أى هلاك و خسارة و اضمحلال، من «تبّ» بمعنى هلك و خسر، فلم ينفع كيده، لإطفاء نور موسى عليه السّلام.

[۳۹] و لما رأى حزقيل إصرار القوم على ضلالهم، ألقى عليهم نصيحته الأخيرة وَ قالَ الَّذِي آمَنَ من قوم فرعون، و كان يكتم إيمانه يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ حذف ياء المتكلم تخفيفا، و بقيت الكسرة، دليلا عليه أَهْدِكُمْ جزم الفعل، لأنه فى جواب الأمر، أى إن تتبعونى أهدكم سَبِيلَ الرَّشادِ، أى طريق الرشد، و المراد اتبعوا كلامى، فإن فيه الهداية و الرشد.

[۴۰] يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا أى الحياة القريبة، و «دنيا» مؤنث «أدنى» مَتاعٌ أى مورد انتفاع قليل، ثم يزول عن قريب وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ التى يستقر فيها الإنسان، أبد الآبدين، فلا تبيعوا آخرتكم بدنياكم، لتزول الدنيا عن أيديكم بعد قليل، و تخسروا الآخرة.

[۴۱] مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها أى مثل تلك السيئة، بلا زيادة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۱

[سورة غافر (۴۰): آية ۴۱]

وَ يا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (۴۱)

عليها وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ مصدق بالله و رسله، و اليوم الآخر، بأن صحت عقيدته و عمله فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ جزاء لإيمانهم و تصديقهم، و عملهم الصالح يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ فلا يعدّ ما يعطون من الأجر و الثواب، و إن كان كل شيء عنده بحساب و عدّ، لا يغيب عن علمه شيء، فآمنوا و اعملوا الصالحات، أيها القوم، حتى تنالوا ذلك الثواب العظيم، و لا تكفروا حتى تدخلوا فى النار- و قوله، فلا يجزى إلا مثلها، لبيان لطفه سبحانه، و للمقابلة، و إلا فلم تكن هذه الخصوصية فى معرض الكلام-

[۴۲] وَ يا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ؟ «ما لى» كان فى الأصل استفهاما عن النفع العائد إلى الشخص، ثم استعمل فى كل استفهام،

بعلاقة، الجزئى و الكلى، كما يقال: ما لى أراك حزينا؟ أى لماذا تحزن، و المعنى، أخبرونى كيف صرتم هكذا حتى إنى أدعوكم إلى ما فيه نجاتكم من عذاب الدنيا و الآخرة وَ أنتم تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ بأن أشرك بالله، و أعصى حتى أستحق النار، و كأن المؤمن خرج هنا من كتم الإيمان، و جعل يحاورهم بصفته مؤمنا، و لذا قال سبحانه «فوقاه الله» كأنهم أرادوا قتله لما علموا إيمانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۲

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۴۲ الى ۴۴]

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (۴۲) لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَ لا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ (۴۳) فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۴۴)

[۴۳] ثم بين دعوتهم له بقوله تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ بأن لا أعتقد بوحدانيته وَ أُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ أى أجعل الصنم- الذى لا علم لى بكونه إلها- شريكا لله تعالى، و قوله «ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فإن من علم أن شيئا ليس بإله، فإنه لا- يعلم ألوهيته، و لعل الإتيان بهذا التعبير، لعدم جرح عواطفهم، حتى يتألبون عليه وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الغالب فى سلطانه، لا كالصنم الذى لا حول له و لا قوة الْغَفَّارِ فإنكم إذا آمنتم به غفر ذنوبكم.

[۴۴] لا جَرَمَ «جرم» بمعنى قطع، و يستعمل مع «لا» بمعنى حقا، لأن الحق لا قطع فيه عن الواقع، كالكذب الذى فيه قطع عن الواقع إلى الخيال و الوهم أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ من الأصنام لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا فإنها لا تدعو أحدا لا فى الدنيا وَ لا فِي الْآخِرَةِ بل الله هو الداعى إلى عبادته و طاعته، أو المراد أنه لا يستجيب دعوة الداعى، لا فى الدنيا، و لا فى الآخرة، فأى نفع فى عبادته وَ أَنَّ مَرَدَّنا أى رجوعنا، مصدر ميمى، من «ردّ» بمعنى رجع إِلَى اللَّهِ فكيف نترك طاعته و رجوعنا إليه؟ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ الذين أسرفوا فى الكفر و العصيان، و تجاوزوا الحدّ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ الملازمون لها.

[۴۵] ثم هددهم، بأنهم إن لم يقبلوا كلامه يأتيهم يوم يذكرون فيه مقالته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۳

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۴۵ الى ۴۶]

فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ (۴۵) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ (۴۶)

حيث لا ينفعهم التذكر فَسَتَذْكُرُونَ أيها القوم ما أَقُولُ لَكُمْ من النصائح يوم يأخذكم العذاب، أو يوم القيامة وَ أما أنا، ف أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ أى أكل أمورى إليه حتى لا يمسنى السوء منكم إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ فهو يبصرنى و يتمكن على نجاتى.

[۴۶] و قد أراد القوم به سوء، إذ همّ فرعون بقتله، لكن الرجل، فرّ من بين أيديهم إلى جبل فَوَقاهُ اللَّهُ أى حفظه الله من سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا فإن مكرهم، كان يشتمل على نتائج سيئة من قتله و ما يلازم القتل من الإيذاء و الإهانة و ما أشبه وَ حاقَ أى أحاط و حل بِآلِ فِرْعَوْنَ و المراد هو و آله، فقد ذكرنا سابقا، أنه قد يقال «آل- فلان» و يراد هو و آله سُوءُ الْعَذابِ بالغرق فى البحر فى الدنيا.

[۴۷] و ما فى البرزخ، ف النَّارُ يُعْرَضُونَ أى آل فرعون عَلَيْها على النار غُدُوًّا صباحا وَ عَشِيًّا عصرا، بأن يعذبون كل يوم مرتين، مقابل المؤمنين، الذين لهم رزقهم بكرة و عشيا، و هذا عذاب برزخهم وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أى إذا قامت القيامة، يقال للملائكة الموكلين بهم أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أى هو و آله أَشَدَّ أنواع الْعَذابِ لكفرهم و طغيانهم، فقد نتج تمردهم تعذيبهم فى العوالم الثلاثة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۴

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۴۷ الى ۴۹]

وَ إِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ (۴۷) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

كُلٌّ فِيها إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ (۴۸) وَ قالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ (۴۹)

[۴۸] و بمناسبة الحديث، عن عمل فرعون و اتباع قومه له، بدون تبصر و اهتداء، يأتى السياق لنقل جملة من حوار أهل النار وَ اذكر يا رسول الله إِذْ يَتَحاجُّونَ أى يتخاصم الرؤساء و الأتباع فِي النَّارِ فى الآخرة فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ عقيدة و إمكانية، و هم الأتباع لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا من القادة و الرؤساء، أى تكبروا عن قبول الحق إِنَّا كُنَّا لَكُمْ معاشر الرؤساء تَبَعاً جمع تابع، كخدم جمع خادم، أو مصدر من قبيل «زيد عدل»، فقد كنا نسمع أوامركم، ضد الدين و الشريعة فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا أى دافعون عنا نَصِيباً و قسما مِنَ النَّارِ التى أحاطت بنا؟

[۴۹] قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا فى جواب الضعفاء إِنَّا كُلٌّ أى كل واحد منا و منكم فِيها أى فى النار، فلسنا خالين من العذاب، حتى نتحمل بعض عذابكم إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ بأن يتحمل كل جزاء ما عمله من شرك و عصيان.

[۵۰] ثم إنهم يتوجهون إلى الملائكة الذين هم موكلون بالنار وَ قالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ بصورة عامة، من الأتباع و المتبوعين لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ جمع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۵

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۵۰ الى ۵۱]

قالُوا أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (۵۰) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ (۵۱)

خازن، و هو الحافظ، و المراد بهم الملائكة، الذين يتولون أمور أهل جهنم ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ حتى نستريح، و لو قليلا، و إنما يقولون ذلك لأنهم لا يطمعون فى انقطاع العذاب.

[۵۱] قالُوا أى قال الخزنة فى جوابهم أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ أى بالحجج القاطعة الواضحة، ثم عاندتم و لم تقبلوا قالُوا أهل النار فى الجواب بَلى جاءونا، فلم نقبل قالُوا أى قالت الخزنة لهم بعد هذا الاعتراف فَادْعُوا أنتم، حتى يخفف الله عنكم، فإنّا لا ندعو و ذلك لعلم الخزنة، بأن الدعاء لا يفيد وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ أى ضياع و بطلان، فلا تفيد دعوتهم شيئا.

[۵۲] ثم يرجع السياق إلى قصة الرسل، و من يعاندهم إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا كما نصر سبحانه، حيث نرى، أنّ الدين واضح ظاهر، بينما معاندوا الأديان، ليس لهم إلا الخسران، و قد نصر سبحانه، عيسى، و موسى، و محمدا، و إبراهيم، و غيرهم، من الرسل عليهم السّلام بالأتباع الكثيرين، و علوّ الاسم و الاحترام، ففى دنيا اليوم، و نفوسها «ثلاثة آلاف مليون و خمسة عشر مليونا» «۱» أكثر من

---

(۱) كان ذلك فى وقت كتابة الكتاب أما الآن فنفوس العالم أكثر من ذلك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۶

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (۵۲) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى وَ أَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ (۵۳)

ثلثى العالم متدينون، و هل النصرة فوق هذا؟ و هل كان مقصد الرسل و المؤمنين بهم أكثر من هذا؟، أما من يتصور أن النصرة معناها، أن لا يقتل الرسول- أو المؤمنون به فى ساحة حرب، و أن لا يهان، فقد اشتبه، ألا ترى أنه يقال: انتصرت الدولة الفلانية على الدولة الفلانية، و إن ذهب شبابها ضحايا، و أموالها نهبا، حين لم تسقط، و لم يستول عليها الأجنبى، و لم تمح عن الخارطة؟ وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ جمع شاهد، كأصحاب و صاحب، و المراد يوم القيامة، و هم الذين يشهدون على الناس، بالإيمان و الكفر و الإطاعة و العصيان.

[۵۳] ثم بين وصفا لذلك اليوم، يناسب حال الكفار- الذين كان الكلام حولهم- يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ أى أن اعتذارهم من

الكفر و العصيان، لا يفيدهم فى دفع العذاب عنهم، و ليس كالدنيا حيث ينفع المعتذر عذره وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ أى البعد و الطرد عن رحمة الله و فضله وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ أى الدار السيئة، من إضافة الصفة إلى الموصوف.

[۵۴] وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا مُوسَى الْهُدى أى الهداية، التى بها يهدى الناس إلى الحق- و هذا رجوع إلى قصة موسى عليه السّلام، التى سبقت، و تسلية للمؤمنين بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- وَ أَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ أى أعطينا التوراة إرثا لهم، باعتبار الكتب السابقة، فكأن كتاب الله الذى فيه شريعته شيء واحد، يتوارثه المؤمنون جيلا- بعد جيل، و إن كان ذا قوالب متعددة، كالتوراة و الإنجيل و القرآن.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۷

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۵۴ الى ۵۵]

هُدىً وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (۵۴) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ (۵۵)

[۵۵] هُدىً أى لأجل هدايتهم إلى الحق و إرشادهم طريق السعادة وَ ذِكْرى أى و لأن يكون مذكرا بالله و برسله و بالمعاد- مما يكمن فى فطرة كل إنسان، بصورة إجمالية- لِأُولِي الْأَلْبابِ أى أصحاب العقول جمع لب، و هو العقل.

[۵۶] فَاصْبِرْ يا رسول الله على أذى قومك، فإن مصيرك و مصير المؤمنين، كمصير موسى، الذى غلب على فرعون، و مصير بنى إسرائيل، الذين علا كعبهم على أعدائهم إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بنصرتك، و إهلاك الكفار حَقٌّ مطابق للواقع، لا كذب فيه، وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ فإن الأنبياء كانوا يعدّون اشتغالهم بالأمور الدنيوية الضرورية ذنبا، ألا ترى، أن من أصابه وجع الرجل، حتى لا يتمكن من جمعها، إذا اضطر إلى أن يبسطها فى مجلس أمام أناس محترمين، اعتذر منهم، و طلب عفوهم؟ مع أن عمله ذاك ضرورى ليس باختياره، و هكذا أشغال الأنبياء الدنيوية، أمام الله سبحانه، و إن كانوا مضطرين إليها كل اضطرار تقويما للبدن، فإنه بنظرهم ذنب، أمام الله الذى ينبغى أن لا يشغل عنه الإنسان، و لو طرفة عين، و هناك قول، بأن الآية على طريقة «إياك أعنى و اسمعى يا جارة» وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أى نزهه بالحمد، فإن الإنسان إذا أثنى على الله بالعلم مثلا، كان حمدا و تنزيها عن الجهل، فى آن واحد بِالْعَشِيِّ و هو من زوال الشمس إلى الليل وَ الْإِبْكارِ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، و المراد الاستمرار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۸

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۵۶ الى ۵۷]

إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (۵۶) لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۵۷)

على الاستغفار و التسبيح.

[۵۷] إنَ الكفار الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أى يخاصمون الرسول و المؤمنين فى إبطال آيات الله و أدلته الكونية، و خوارق الأنبياء بِغَيْرِ سُلْطانٍ أى بغير دليل أَتاهُمْ من عقل، أو شرع، و إنما يجادلون عبثا و اعتباطا بعد ما تم عليهم الحجة إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ أى ليس احتجاجهم، و خصامهم، إلا- لأجل أن فى صدورهم، تكبرا عن قبول الحق، و لكن ما هُمْ بِبالِغِيهِ أى لا يبلغون ما يريدون من العظمة التى تمنعهم عن قبول الحق، فإن الله سبحانه يذلّهم، حتى لا يبلغوا كبرياءهم، و من غريب الأمر، أن الإنسان يرى كل متكبر عن الحق هكذا أنه يظن إن هو قبل الحق يهان، و يجرح كبرياءه، فلا يقبل، بل يتكبر، زعما بأنه، إن فعل ذلك يصل إلى عظمة، و ارتفاع فى المجتمع، و الأمر دائما خلاف ذلك، فالحق يعلو، و المتكبر يذل فَاسْتَعِذْ يا رسول الله بِاللَّهِ من شر هؤلاء الكفار المتكبرين، أو من الابتلاء، بمثل هذا النحو من الكبر الصادف عن الحق إِنَّهُ تعالى هُوَ السَّمِيعُ لقولك و استعاذتك الْبَصِيرُ بما يجول فى خاطرك، و ما أنت عليه من الخضوع للحق، و القبول له.

[۵۸] و كيف يتكبر هؤلاء الكفار، و هم يرون حولهم السماوات و الأرض، و خلقهما، أكبر من خلقهم؟ و الإنسان العاقل، إذ رأى

نفسه وسط هذا الكون الفسيح، لا بد و أن يتضاءل، و يعترف بصغر نفسه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۱۹

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۵۸ الى ۵۹]

وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ لا الْمُسِيءُ قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ (۵۸) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (۵۹)

لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بما فيهما من عجيب الصنع، و صفوف الخلق أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ و لعل التعبير بأكبر، لأن خلق الإنسان أدق، و لذا لما خلق الله الإنسان، قال: (فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ) «۱» وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ذلك لأنهم لا يتفكرون، و الإنسان إذا لم يتفكر في الكون يغتر بنفسه و يتكبر.

[۵۹] إن الكفار كالأعمى، حيث أغلقوا بصائرهم عن الإدراك، و التفكر، و المؤمنين كالبصير، لأنهم فتحوا منافذ عقولهم، فأدركوا الحقائق وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ كما هو واضح لكل ذي عقل وَ لا يستوي الَّذِينَ آمَنُوا بالله و اليوم الآخر، و ما يلزم الإيمان به وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أي الأعمال الصالحة وَ لَا الْمُسِيءُ الذي أساء بالكفر و العصيان قَلِيلًا ما تَتَذَكَّرُونَ «ما» مصدرية، أي قليل تذكرهم لهذه الحقيقة، و هي عدم استواء الكافر و المؤمن، و المحسن و المسيء، أو أن «ما» مصدرية، أي قليل تذكرهم لهذه الحقيقة، و هي عدم استواء الكافر و المؤمن، و المحسن و المسيء، أو أن «ما» تأكيدية.

[۶۰] إِنَّ السَّاعَةَ أي القيامة لَآتِيَةٌ تأتي قطعا لا رَيْبَ فِيها أي

---

(۱) المؤمنون: ۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۰

[سورة غافر (۴۰): آية ۶۰]

وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (۶۰)

ليست محل ارتياب، و إن ارتاب فيها المبطلون، و هذا كما نقول «لا شك أن هذه شمس» و إن شك فيها السوفسطائيون وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ بإتيان الساعة لكفرهم، أو عدم رسوخ الإيمان في أعماقهم.

[۶۱] و إذ جرى حديث الإيمان و المتكبرين عن قبوله، يأتي السياق لتوجيه الناس إلى الله سبحانه بالدعاء و الضراعة إليه، و أن من تكبر عنه، فجزاؤه النار، فالإيمان و الدعاء، كلاهما توجه إلى الله، و الاستكبار عن الإيمان و عن الدعاء كلاهما ابتعاد عنه، و هنا مناسبة أخرى، أن لا ييأس الكافر و العاصي، فإن أبواب الدعاء بطلب التوبة و نحوه مفتوحة وَ قالَ رَبُّكُمُ أيها الناس ادْعُونِي اطلبوا حوائجكم، صغيرها و كبيرها أَسْتَجِبْ لَكُمْ «استجب» مجزوم جوابا للأمر، أي إن تدعوني، أستجب لكم إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي و من جملتهم من يستكبر عن الدعاء، إذ الدعاء قسم من العبادة، فإن العبادة اعتراف الإنسان بسيادة الله، و العمل طبقه، و الدعاء قسم منه سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ في الآخرة، و لذا جيء، ب «السين» داخِرِينَ من دخر، بمعنى ذل و صغر، و هم صاغرون، في مقابل تكبرهم، في الدنيا عن الدعاء، و لا يقال: كيف قال سبحانه «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» و إنّا نرى أن كثيرا من الأدعية لا تستجاب؟ فإن الجواب، أن القضية طبيعية، أي أن من طبيعة الدعاء أن يستجاب، كسائر القضايا، فلو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۱

[سورة غافر (۴۰): آية ۶۱]

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (۶۱)

قلنا: الشمس مشرقة أو النار محرقة، أو العقار الفلاني مقوي، أو ما أشبه، لم يناف مع عدم إشراق الشمس وقت الكسوف، أو عدم

إحراق النار إذا لم يشأ الله، كنار إبراهيم، أو عدم تقوية العقار فى بدن بلغ من الضعف إلى حيث لا يتمكن من هضم العقار، و هكذا فى سائر القضايا، فإن الملحوظ، فى أمثالها الطبيعة، لا كل فرد، و الطبيعة قد يمنع عنها مانع، أو عدم تمامية المقتضى، و قد قال سبحانه (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) «۱»، فمن لم يف بعهده سبحانه، بأن ارتكب الكفر و العصيان، لم يكن عليه سبحانه، أن يفى بما عهد، و كذا قال تعالى: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ «۲» فمن لم يتق، لم يكن لدعائه، قبول و استجابة .. و لا يقال: إنا لا نرى الفرق البين بين الداعى و غيره، فلكل منهما مشاكل و لكل منهما سعادة؟ إذ الجواب أنه منقوض بمن يقول: إنا لا نرى فرقا بين من يراجع الطبيب، و بين من لا يراجع، فإن لكليهما صحة حينا و مرض حينا آخر، و الحلّ: إنا نرى الفرق شاسعا، فالداعون، أسعد هناء عيشا، و أقل مشكلة من غيرهم، و هذا يعلم، عند المقايسة الدقيقة، كما هو الجواب عن مثال مراجع الطبيب و غيره.

[۶۲] ثم بين سبحانه جملة من الآيات الكونية، الملفتة إلى وجوده تعالى، و سائر صفاته اللَّهُ وحده، هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ معاشر البشر اللَّيْلَ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، أو إلى طلوع الشمس لِتَسْكُنُوا و تستريحوا، من الأتعاب فِيهِ بالنوم و الراحة

---

(۱) البقرة: ۴۱.

(۲) المائدة: ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۲

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۶۲ الى ۶۳]

ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۶۲) كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (۶۳)

وَ جعل لكم النَّهارَ مُبْصِراً أى موجبا، لأن تبصرون فيه حوائجكم و سبلكم، فتشتغلوا و تسيروا إلى مآربكم إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ يتفضل عليهم بأنواع النعم، بدون استحقاق منهم وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ نعمه و فضله، بل يجحدون بها و يكفرون به.

[۶۳] ذلِكُمْ ذا إشارة إلى الله سبحانه، جاعل تلك الآيات المذكورة، و «كم» خطاب للسامعين اللَّهُ رَبُّكُمْ أيها البشر خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فهو بالإضافة إلى جعله تلك الأمور، و كونه ربا لكم، خالق لكل شيء موجود فى الكون لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا شريك له من صنم، أو بشر أو ملك أو غيرها، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى إلى أين تصرفون أيها المشركون حيث تتخذون مع الله شريكا له؟ من أفك بمعنى انصرف و قلّب الأمر، و لذا يسمى الكذب إفكا.

[۶۴] كَذلِكَ أى كما أفك هؤلاء بالشرك بالله، بعد رؤية الآيات يُؤْفَكُ و يصرف عن الحق الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ من الأمم السابقة، فكل جاحد للآيات الكونية، لا بد و أن يصرف عن التوحيد إلى الشرك، و الذى يأفك هؤلاء نفوسهم الأمارة، و رؤساؤهم الكافرون.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۳

[سورة غافر (۴۰): آية ۶۴]

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (۶۴)

[۶۵] اللَّهُ وحده، هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً أى تستقرون عليها وَ جعل السَّماءَ بِناءً أى بناها بناء، و المراد بالسماء الأفلاك و الهواء، التى قد أحكمت إحكاما دقيقا، و إن لم يكن جسما ملموسا، حتى إن هذا الإحكام لو أزيل، لاختلت الحياة، و اضطربت الأرض و الكون وَ صَوَّرَكُمْ أى أعطاكم الله الصور أيها البشر فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ أى أجملها و زينها، و المراد بالصورة هنا أعم من الشكل و اللون و الحجم، فإن الصورة تطلق على ذلك، كما تطلق على اللون فقط، أو الشكل فقط، أو الحجم و الكيفية فقط وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ التى خلقها من ماء عذب، و أثمار شهية و ألبان و عسل و سائر المطاعم، بل و المشارب و المساكن و المناكح و العلوم و

غیرها، فإن الجمیع داخلة فی الرزق، و المراد بهاتین القضیتین، کغالب القضایا الطبیعیة، فلا ینافی ذلک عدم حسن صورة بعض الأفراد، أو عدم رزقهم الطیب طیلة عمرهم ذلِکُمُ «ذا» إشارة إلیه سبحانه الذی فعل ما تقدم و «کم» خطاب للبشر اللَّهُ رَبُّکُمْ أیها البشر، و لا شریک له فی ذلک فَتَبارَکَ اللَّهُ أی جلّ سبحانه، فإنه الدائم الذی ینمی الأشیاء، و یجعل فیها الخیر و البرکة- و قد تقدم معنی تبارک- رَبُّ الْعالَمِینَ عالم الإنسان و الملائکة و الحیوان و الجن و غیرهم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۴

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۶۵ الی ۶۶]

هُوَ الْحَیُّ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (۶۵) قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِی الْبَیِّناتُ مِنْ رَبِّی وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِینَ (۶۶)

[۶۶] إن الذی أنعم علیکم بهذه النعم هُوَ الْحَیُّ المطلق الذی لا موت له لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا شریک له و لا ظهیر فَادْعُوهُ أیها البشر مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ أی دعوة بإخلاص فی دینکم و طریقتکم الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ فإن له الحمد وحده، حیث أن کل شیء محمود منه، لا یشرکه فیها أحد، و اللام فی الحمد للجنس، أی أن جنس الحمد له، أما من جعل اللام للاستغراق، فقد ابتعد عن سیاق الکلام.

[۶۷] قُلْ یا رسول الله، لهؤلاء الکفار إِنِّی نُهِیتُ نهانی الله سبحانه أَنْ أَعْبُدَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أی الأصنام التی تدعونها آلهة و هی سوی الله سبحانه لَمَّا جاءَنِی الْبَیِّناتُ الأدلة الواضحات علی التوحید، أی حین أتانی الحجج و البراهین مِنْ رَبِّی أی من قبله سبحانه، و ذلک الحین قبل خلق آدم، کما

قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «کنت نبیا و آدم بین الماء و الطین»

«۱» فلا تدل هذه الآیة علی أنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان قبل نزول القرآن، غیر عارف ببعض المعارف وَ أُمِرْتُ من قبله تعالی أَنْ أُسْلِمَ فی جمیع أعمالی و عقائدی لِرَبِّ الْعالَمِینَ الذی یملک العوالم کلها، و هو المدبر و المربی الوحید لها، و الإسلام هو

---

(۱) مفتاح الفلاح: ص ۴۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۵

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۶۷ الی ۶۸]

هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخاً وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفَّی مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّی وَ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۶۷) هُوَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ فَإِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۶۸)

الاستسلام و الانقیاد.

[۶۸] هُوَ الله تعالی وحده الَّذِی خَلَقَکُمْ أیها البشر مِنْ تُرابٍ فإن الإنسان تراب، ثم یکون نباتا، و النبات یأکله الحیوان، فیکون لحما و قسما من اللحم و قسما من التراب یأکله معا الإنسان، فیکون دما فی جسمه ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ فإن الدم ینقلب منیا، و هو النطفة ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ و هو المنی المتحول إلی علقة من الدم ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ من بطون أمهاتکم طِفْلًا و المراد، کل واحد منکم طفلا، فلا تنافی بین الإتیان، ب «کم» جمعا، و ب «طفلا» مفردا ثُمَ یبقیکم لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ و هو حال استکمال القوة و الشباب ثُمَ یبقیکم لِتَکُونُوا شُیُوخاً جمع شیخ، و هو الکبیر السن، البالغ عمر الشیخوخة و الضعف وَ مِنْکُمْ أیها البشر مَنْ یُتَوَفَّی مِنْ قَبْلُ أن یبلغ سن الشباب أو الشیوخ و یموت بعضکم قبل ذلک، وَ یفعل الله ذلک بکم لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّی أی المدة التی سمیت فی اللوح المحفوظ، فإن الله سبحانه، قدر لکل إنسان أجلا محدودا لا یتجاوزه وَ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ أی و لکی تتفکروا و تعقلوا أمر دینکم، فإن خلق الإنسان، و إبلاغه الأجل المسمّی إنما هو للتعقل و التفکر.

[۶۹] و هُوَ الله الَّذِی یُحْیِی الناس من التراب، ثم یحییهم بعد موتهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۶

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۶۹ الى ۷۱]

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (۶۹) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ وَ بِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۷۰) إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (۷۱)

ليوم القيامة وَ يُمِيتُ الإنسان بعد حياته فَإِذا قَضى أَمْراً أى أراد شيئا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ لفظا، أو إرادة فَيَكُونُ و يوجد فى الخارج، و هذا لدفع استبعاد الحياة بعد الموت، فإن الله الذى تمكن من خلق الإنسان، يتمكن من إعادته بعد الموت.

[۷۰] أَ لَمْ تَرَ يا رسول الله، أو أيها الرائى إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أى المشركين الذين يريدون إبطال الآيات و الحجج الدالة على وجود الله و صفاته، و يوم القيامة أَنَّى يُصْرَفُونَ أى إلى أين من الضلال، يصرفهم الشيطان و أنفسهم الكافرة.

[۷۱] الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ بأن لم يؤمنوا بالقرآن، و نسبوه إلى الكذب وَ بِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا من الشرائع و الأحكام، بأن لم يقبلوا ما جاء به الأنبياء من الأصول و الأحكام فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ فى القيامة، عاقبة تكذيبهم بالكتاب، و بالشريعة.

[۷۲] إِذِ ظرف ل «يعلمون» أى يعلمون سوء أعمالهم حين تكون الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ كما يغل المجرم فى الدنيا، و الغل فى العنق، إما للإهانة و الألم، و إما للربط وَ السَّلاسِلُ فى أعناقهم يُسْحَبُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۷

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۷۲ الى ۷۴]

فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (۷۲) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (۷۳) مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكافِرِينَ (۷۴)

أى يجرّون، و الأغلال جمع غل، و هو طوق يدخل فى العنق، و السلاسل جمع سلسلة، و هى حلق حديدية متشابكة يربط بها المجرم.

[۷۳] فِي الْحَمِيمِ متعلق ب «يسحبون» أى يجرون فى المحل الحار المنتهى حرارته غايتها ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ من سجّر التنور، إذا أوقده، و لعل المعنى يكونون وقودا فى النار، حتى تشعل النار بهم، كما قال سبحانه (وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ) «۱».

[۷۴] ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ تقول لهم الملائكة الموكلة بالنار، على وجه الإهانة و الإذلال أَيْنَ ذهبت ما كُنْتُمْ أى الأصنام التى كنتم تُشْرِكُونَ أى تجعلونها شريكة لله سبحانه؟

[۷۵] مِنْ دُونِ اللَّهِ متعلق ب «تشركون» فإنهم لما كانوا يعبدون الله، و يعبدون الأصنام، استثنى «الله» سبحانه قالُوا أى المشركون فى الجواب ضَلُّوا عَنَّا أى ضاعوا عنا، و لا نجدهم بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ فى الدنيا شَيْئاً، و هذا إما يقولونه إنكارا، لعلهم يتخلصون بهذا الإنكار، من تبعة عبادة الأصنام، كما فى آية أخرى يقولون (وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) «۲» و إما أن مرادهم، أن ما كنا ندعوا

---

(۱) البقرة: ۲۵.

(۲) الأنعام: ۲۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۸

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۷۵ الى ۷۶]

ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (۷۵) ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (۷۶)

فى الدنيا، لم يكن شيئا يستحق العبادة، و ينفع أو يضر، نحو

«يا أشباه الرجال و لا رجال»

فقد نفوا الذات مريدين نفى الصفة كَذلِكَ أى كما أبطل الله سبحانه عبادة هؤلاء للأصنام يُضِلُّ اللَّهُ سائر الْكافِرِينَ فلا يهديهم طريق

الجنـة، و يبطـل عبـادتهم و أعمـالهم، أو المعنى يضـلهم فى الـدنيا، بأن يتركهم و شأنهم، حين رآهم لم يقبلوا الهـدى، فلا يلطف بهم الألطاف الخفية، حتى يعملوا ما ينتفعون به فى الآخرة.

[۷۶] ذٰلِكُمْ «ذا» إشارة إلى العـذاب الذى يحيط بهم، و «كم» خطاب بسبب ما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ بأن كنتم تبطرون و تتكبرون بالأعمال الإجراميـة وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ من مرح، و هو الفرح بالباطل بتوسع فهو أخص من الفرح، و هكـذا يكون المجرمون دائمـا، إن فرحهم بالباطـل، و هم يوسـعون فى الفرح، بخلاف المؤمنين الـذين فرحهم بـالحق، و هم يفرحون بقـدر، حيث يعلمون أن وراءهم يوما مهولا، كما قال الله (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) «۱».

[۷۷] ادْخُلُوا أيها الكفار أَبْوابَ جَهَنَّمَ أى من أبوابها السبعة، كل فوج، حسب بابه و أعماله فى حال كونكم خالِدِينَ فِيها إلى الأبد، لا انقطاع لعذابها، و لا خلاص لكم منها فَبِئْسَ مَثْوَى من «ثوى»

---

(۱) القصص: ۷۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۲۹

[سورة غافر (۴۰): الآيات ۷۷ الى ۷۸]

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ (۷۷) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ (۷۸)

بمعنى اتخذ المحل، أى المنزل الْمُتَكَبِّرِينَ الذين تكبروا عن قبول الحق، و الظاهر أن هذا الكلام تأكيد للكلام السابق، و هو «يسـحبون فى الحميم، ثم فى النار يسـجرون» لا إنّ ذلك، كان قبل دخولهم جهنم، و إن كان محتملا، بأن يكون هناك أنهر من المياه الحارة، و الأودية النارية، فيسحبون أولا، فى تلك المياه، و يعذبون بتلك النار، ثم يدخلون فى النار.

[۷۸] ثم يرجع السـياق إلى الرسول ليصبّره عما يلاقى من الأذى فى سبيل البلاغ فَاصْبِرْ يا رسول الله إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ لك بالنصـر و الأجر و لأولئك بالعـذاب و الإذلال و الانهزام حَقٌّ لا خلف فيه فَإِمَّا أصلـه «إن» الشـرطية، و «ما» الزائدة نُرِيَنَّكَ يا رسول الله بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ فإن الله وعـدهم عـذاب الـدنيا و الآخرة، و المراد بالبعض عـذاب الدنيا أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ بأن نقبض روحك قبل تعذيبهم فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ فى الآخرة، لنعـذبهم العـذاب الشديـد، و ليس من المهم عذابهم هنا، حتى يحتم أن تراه، و إنما المهم أنهم لا يفوتوننا، و معنى «إلينا» إلى حكمنا و عقابنا.

[۷۹] و قد كان الكفار يطلبون من الرسول، أن يأتيهم بالخوارق، كعصا موسـى، و إحياء عيسى، فيأتى السياق، لردّ هذا الطلب، فقد أتى الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بالقرآن الـذى هو أعظم الخوارق حجة و دليلا، فمن كفر بعد ذلك، فهو معاند، أما الإتيان، بسائر الآيات، فذلك حسب إرادة الله، إن شاء جاء بها و إن لم يشأ لم يأت- بعد أن تمت الحجة- أما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۰

[سورة غافر (۴۰): آية ۷۹]

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (۷۹)

الخوارق لإثبات وجود الله سبحانه، فهى الآيات الكونية المثبوتة، فى كل جهة من جهات الكون وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ يا رسول الله مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ أحوالهم، كإبراهيم، و نوح، و موسـى، و عيسـى، و لوط، و يونس، و غيرهم وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ أحوالهم، كسـائر الأنبياء عليهم السّـلام، بل الأكثر منهم، لم تقص أحوالهم فى القرآن- و ليس المهم القصـة- وَ إنما المهم أنه ما كانَ لِرَسُولٍ أى لم يكن حسب مقـدوره أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ أى بمعجزة خارقـة إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بأن يأذن اللّه للرسول حتى يتمكن أن يؤتى بها فَإِذا

جاءَ أَمْرُ اللَّهِ بهلاک القوم، بعد أن أتاهم الرسول بالخارقة، و لم یؤمنوا قُضِیَ علیهم بالهلاک و الدمار بِالْحَقِ بسبب أنهم عاندوا فاستحقوا العقاب وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْمُبْطِلُونَ خسروا دینهم و دنیاهم، و فی هذا تلمیح، بأنه إنما لا یؤذن للرسول بالخارقة، لأنه إن جاءهم بالخارقة و لم یقبلوا استحقوا العقاب، و الله سبحانه لا یشاء عقاب هؤلاء بهذه العجالة.

[۸۰] ثم یأتی السیاق، لیذکر جملة من الآیات الکونیة، الدالة علی وجوده تعالی و صفاته، و التی هی أحسن من الخارقة الموقتة، ألا تری أنه لو صنع إنسان صنعا، هل یحتاج بعد ذلک أن یأتی بدلیل علی وجوده،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۱

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۸۰ الی ۸۱]

وَ لَکُمْ فِیها مَنافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَیْها حاجَةً فِی صُدُورِکُمْ وَ عَلَیْها وَ عَلَی الْفُلْکِ تُحْمَلُونَ (۸۰) وَ یُرِیکُمْ آیاتِهِ فَأَیَّ آیاتِ اللَّهِ تُنْکِرُونَ (۸۱)

أو علمه، بمجیء خارق؟ اللَّهُ وحده هو الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَنْعامَ أی خلقها لکم، و المراد بالأنعام، الإبل و البقر و الغنم لِتَرْکَبُوا مِنْها أی بعضها و هی الإبل وَ مِنْها أی من جمیعها تَأْکُلُونَ لبنا و لحما.

[۸۱] وَ لَکُمْ أیها الناس فِیها مَنافِعُ من جهة الصوف و الشعر و الوبر، و حمل الأثقال، و غیر ذلک وَ لِتَبْلُغُوا عَلَیْها حاجَةً فِی صُدُورِکُمْ بأن ترکبوها لمقاصد بعیدة، و الوصول إلیها حاجة فی صدورکم، و هذا أخص من الرکوب، الذی سبق فی الآیة المتقدمة، فإن الرکوب أعم من ذلک، و أهمیة هذا القسم من الرکوب، هی التی أوجبت تخصیصها بالذکر، و قوله «لتبلغوا» عطف علی «لترکبوا» وَ عَلَیْها وَ عَلَی الْفُلْکِ تُحْمَلُونَ الأنعام للبر، و الفلک، و هی «السفینة» للبحر، و تکرار «علیها» تمهید ل «علی الفلک» فمن یا تری جعل کل ذلک؟ و هل یحتاج الإنسان بعد ذلک إلی خارقة للبرهنة علی وجود الله، أو صفاته؟

[۸۲] وَ یُرِیکُمْ الله سائر آیاتِهِ و أدلته الدالة علی وجوده، و سائر صفاته، من الآیات الآفاقیة و الأنفسیة، إما بخلق جدید، أو بإلفاتکم إلی المخلوق السابق فَأَیَّ آیاتِ اللَّهِ تُنْکِرُونَ أیها البشر، تنکرون وجودها، أو دلالتها علی الله المتصف بالعلم و القدرة، و سائر الصفات؟

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۲

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۸۲ الی ۸۳]

أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کانُوا أَکْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثاراً فِی الْأَرْضِ فَما أَغْنی عَنْهُمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ (۸۲) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۸۳)

[۸۳] و بعد الاحتجاج علی الکفار بصنوف الاستدلال لتهدیدهم، إن تمادوا فی الغی و الضلال، و إنه یصیبهم ما أصاب الأمم السابقة، لما تمادوا فی الکفر و الطغیان أَ فَلَمْ یَسِیرُوا أی یسافروا هؤلاء الکافرین فِی الْأَرْضِ إلی الشام و إلی الیمن فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم المکذبة، و النظر إنما هو بالنظر إلی أراضیهم و طلالهم، و السؤال عن أحوالهم، من الساکنین هناک کانُوا أولئک الأمم أَکْثَرَ مِنْهُمْ عددا وَ أَشَدَّ قُوَّةً بدنیة و علمیة و غیرهما وَ أکثر آثاراً فِی الْأَرْضِ بالزراعة و العمارة و الصناعة، و نحوها فَما أَغْنی عَنْهُمْ أی ما أفادهم فی دفع العذاب عنهم ما کانُوا یَکْسِبُونَ أی ما کسبوه من البنیان و العمارة و الأموال و القوی، و غیرها.

[۸۴] فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ أی بالأدلة البینة الواضحة، الدالة علی وجود الله، و سائر صفاته فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أی فرح الکفار بعلمهم الوراثی التقلیدی حول الأصول، و استحقروا علم الرسل وَ استهزءوا بما أتت به الرسل، ف حاقَ أی حل و أحاط بِهِمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ من العذاب، فقد کان الکفار یستهزءون بما یعدهم الرسل من العذاب، و أخیرا وقعوا فیه.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۳

[سورة غافر (۴۰): الآیات ۸۴ الی ۸۵]

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ کَفَرْنا بِما کُنَّا بِهِ مُشْرِکِینَ (۸۴) فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إِیمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْکافِرُونَ (۸۵)

[۸۵] فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا أى عذابنا النازل بهم قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لا شريك، كما قال الرسل وَ كَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ أى بالأصنام التى كنا نشركها بالله.

[۸۶] فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا و عذابنا، كما قال سبحانه (وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) «۱» سُنَّتَ اللَّهِ أى سنّ الله عدم قبول إيمان من نزل به العذاب سنّة الَّتِي قَدْ خَلَتْ و سبقت و استمرت فِي عِبادِهِ الكفار، و ذلك لأن العذاب لا ينزل إلا بعد أن يظهر عناد الكفار، بحيث يعلم أنهم لا يؤمنون باختيارهم أبدا، و هذا و إن كان معلوما لله سبحانه من الأزل إلا أن مظهره ذلك وَ خَسِرَ هُنالِكَ عند نزول العذاب الْكافِرُونَ بأن ذهبت دنياهم و آخرتهم، فلم يفوزوا بما أعدّ الله للصالحين من الثواب و الجنان.

---

(۱) النساء: ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۴

۴۱ سورة فصلت مكيّة/ آياتها (۵۵)

سميت هذه السورة، ب «فصلت» لاشتمالها على هذه الكلمة، و سميت ب «حم السجدة» لابتدائها، ب «حم» و وجود السجدة الواجبة فيها، فأضيف «حم» إلى السجدة، لتميزها عن غيرها من «الحواميم» و هى كسائر السور المكية، تحوم حول العقيدة بأصولها الثلاث، و لما ختم سبحانه سورة المؤمن «غافر» بذكر الذين يتكبرون عن آيات الله سبحانه، و الإيمان به، ابتدأ فى أوائل هذه السورة، بذكرهم، و ما كانوا يقولون حول الإيمان.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله المستجمع لجميع صفات الكمال، ذى الرحمة الموكّدة التى وسعت كل شىء، و ذكر الله بصفة خاصة، يستمطر من تلك الصفة على الذاكر، فمن أكثر ذكر، الغنى، يغنى، و من أكثر ذكر، العظيم، يعظم، و من أكثر ذكر المؤمن يقوى إيمانه، فالإكثار من ذكر «الرحمن الرحيم» يوجب اتصاف الذاكر بالرحم، هذا بالإضافة إلى إيجابه أن يرحمه الله سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۵

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۱ الى ۳]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

حم (۱) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۲) كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۳)

[۲] حم أى هذا حم، أو «حاء» و «ميم» «تنزيل» و قد تقدم فى فواتح السور بعض التى منها أنها رموز بين الله و الرسول، و منها أنها للإشارة، إلى أن القرآن المعجز من جنس هذه الحروف التى تتلفظون بها ليل نهار، و قال بعض: أن الكفار تبانوا أن يصفقوا و يلفظوا عند قراءة الرسول، استهزاء و منعا للناس عن الاستماع، فكان كلما وجد مثل هذا المجال، افتتحت السورة بالمقطعات، لأنهم كانوا ينصتون لها لما قد دهشهم، فيلقى الوحى الموقظ.

[۳] تَنْزِيلٌ أى أن القرآن تنزيل مِنَ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ذى الرحمة المكررة، فإنه يرحم العباد فى الدنيا و الآخرة، و يرحمهم بالحياة، و سائر اللوازم، إلى غيرهما من الأقوال فى وجه التكرار- و قد تقدم بعضها-.

[۴] هو كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ أى بيّنت آياته تبيانا تاما، بحيث، لم تجمل و لم تدمج، بل أوضحت، كما يقال، فصلت الأمر لزيد، حيث أوضحه له و ذلك، لأن التفصيل و التوضيح متلازمان غالبا، و هذا لا ينافى إجمال بعض الآيات لحكمته، لأن القضية طبيعية، أى أن طبيعة القرآن، تفصيل آياته و توضيحه فى حال كونه قُرْآناً عَرَبِيًّا بهذه اللغة التى يفهمها أهل الجزيرة و القرآن، من قرأ، بمعنى جمع

بعضه إلى بعض، و أنه يقرأ، كما أنه يسمى كتابا لأنه يكتب لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى أنزل هذا القرآن، لأهل العلم، و إنما خصوا بذلك- مع أنه عام- لأنهم هم المستفيدون منه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۶

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۴ الى ۵]

بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (۴) وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ (۵)

[۵] فى حال كون هذا القرآن بَشِيراً للمؤمن و المحسن، بالجنة و الثواب وَ نَذِيراً للكافر و العاصى، بالنار و العقاب، و ذلك بما اشتمل عليه من آيات الوعد و الوعيد فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ أى أكثر المخاطبين به- إلى حين نزول هذه السورة- و المراد بهم أهل مكة فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ القرآن، استماع تفكر و تعقل و فائدة.

[۶] وَ قالُوا أى الكفار المعرضون قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ أى فى أغطية، فإن «أكنة» جمع «كن» و هو الغطاء مِمَّا تَدْعُونا يا محمد إِلَيْهِ من التوحيد و المعاد، و سائر الأصول و الفروع، فلا نفقه ما تقول، كالشيء الذى عليه غطاء، حيث لا ينفذ فيه البصر و السمع لحيلولة الغطاء بينه و بين الإبصار و الاستماع، و كانوا يقولون هذا القول استهزاء بالرسول و القرآن وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ أى حمل ثقيل، فلا نسمع ما تلفظ منه، من آى القرآن وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ يا محمد حِجابٌ لا نراك و لا ترانا فقلبنا و سمعنا و بصرنا، غير مستعدة لك و لكلماتك، و كما كان قوم نوح يفعلون ذلك (وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ) «۱» فقوم الرسول، كانوا يقولون قولا فَاعْمَلْ يا محمد على طبق وحيك إِنَّنا عامِلُونَ على طبق تقاليدنا، و هذا يشبه الاستهزاء أو التهديد، قريب من قوله تعالى (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ) «۲».

---

(۱) نوح: ۸.

(۲) الكافرون: ۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۷

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۶ الى ۷]

قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (۶) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (۷)

[۷] قُلْ يا رسول الله فى جواب هؤلاء الأشخاص، إننى لست شخصا عجيبا، حتى أستحق، كل هذه الأقوال الفارغة بل أنا بشر يوحى الله إلىّ لإرشادكم إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أى من هذا الجنس، فلا أدعى لنفسى مقاما فوق هذا، منتهى الأمر، أنه يُوحى إِلَيَ من قبل الله سبحانه أَنَّما إِلهُكُمْ أيها الكفار إِلهٌ واحِدٌ لا شريك له، كما تزعمون فَاسْتَقِيمُوا فى عقيدتكم و أعمالكم إِلَيْهِ استقامة منتهية إليه سبحانه دون انحراف إلى اليمين أو الشمال وَ اسْتَغْفِرُوهُ أى اطلبوا غفرانه فيما سلف من معاصيكم وَ وَيْلٌ أى الهلاك و النكال، فإن «ويل» كلمة تطلق للأمر السيئ أيّا ما كان لِلْمُشْرِكِينَ الذين يشركون بالله سبحانه.

[۸] ثم بين سبحانه أظهر صفات المشركين بقوله الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ أى لا يعطونها، و الظاهر أن المراد بالزكاة مطلق الإنفاق، لا الزكاة المفروضة، لأنها لم تكن وجبت فى مكة، و السورة كما عرفت مكية، و هذا لأجل أن المشرك لا يعتقد بالله و اليوم الآخر، حتى ينفق، فالذم راجع إلى عدم الاعتقاد، لا إلى عدم الإعطاء، حتى يقال، لو كانت الزكاة مندوبة، لم يكن وجه للويل؟ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ إنما كرر «هم» تأكيدا، و بيانا للتلازم بين الكفر و بين عدم الإيمان بالآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۸

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۸ الى ۱۰]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠)

[٩] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و بما يجب الإيمان به وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ الملازم لعدم عمل السيئات لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أي جزاء على أعمالهم غير مقطوع، فإن «ممنون» من «منّ» بمعنى «قطع» أو من «المنّ» بمعنى الأذى الذي يكدّر الإحسان، أي غير مكدّر بالمن.

[١٠] قُلْ يا رسول الله منكرا على الكفار أَ إِنَّكُمْ أيها الكافرون لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ أي كيف تكفرون بهذا الإله العظيم، الذي خلق أرضكم الوسيعة- هذه- في مدة يومين فقط؟

وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً أي أضدادا، أو أمثالا من الأصنام، تعبدونها معه، ذلِكَ الذي خلق الأرض رَبُّ الْعالَمِينَ فليس دونه إله و لا شريك له.

[١١] وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ جمع راسية، أي الجبال الثابتات، من «رسى» بمعنى ثبت مِنْ فَوْقِها أي من فوق الأرض، حتى أنتم تشاهدونها وَ بارَكَ فِيها أي جعل في الأرض البركة و النمو، فليس ما في الأرض جامدا لا ينمو، إنما فيها الثمار و الحيوان و غيرهما من أنواع الخيرات وَ قَدَّرَ فِيها أي في الأرض أَقْواتَها جمع قوت، و هو الرزق، بأن قدّر لكل إنسان و حيوان رزقه و مأكله فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أي في تتمة أربعة أيام، فيومان للخلق، و يومان للتقدير، و هذا كما يقال:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۳۹

[سورة فصلت (۴۱): آية ۱۱]

ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١)

خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، و إلى الكوفة في خمسة عشر يوما يراد في خمسة، حتى تمت السفرة في خمسة عشر سَواءً أي أربعة أيام مستوية، كاملة من غير زيادة و نقصان لِلسَّائِلِينَ عن مدة خلق الأرض، و تقدير الأقوات فيها، و قد أوصل بعض انهزاميتهم الغربية على أن يتصرف في الآية و يطبقها على العلم الحديث، فيقول بأن «يومين» يعني «ألفي مليون سنة» إلى آخر أمثال هذه الثرثرة الفارغة، و من غريب الأمر أن نرى أناسا يهتبلون كل كلمة غربية و إن قالها رجل في كتاب، و يتركون ظواهر الكتاب و السنة، و لم؟ لإرضاء الغرب و المتغربين، كأنهم لم يسمعوا قوله (وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) «۱» و رفع اليد عن الظاهر، لا يكون إلا بدليل قاطع من عقل أو نقل، و إلّا، حصل التزلزل في جميع أصول الإسلام و فروعه، ثم ما المانع في أن يكون الخلق في مقدار يومين من أيامنا، كما هو الظاهر؟

[١٢] ثُمَّ اسْتَوى الله سبحانه إِلَى السَّماءِ أي قصد نحو خلقها، يقال:

استوى إلى مكان كذا، بمعنى توجّه إليه توجها، لا يلفته شيء، و الإتيان ب «ثم» للتفاوت بين الخلقين، لا للتراخي بين الزمانين وَ هِيَ دُخانٌ أما المراد هو الدخان المتعارف، بأن خلق سبحانه أولا دخانا، ثم جعله سماء، أو المراد الهواء المتخلخل بالماء، الذي صعد من ضرب الماء بعضه ببعض، و سمي دخانا لشباهته به، فإن الدخان هواء متخلخل بالرماد، و كلاهما يرى في النظر على نحو واحد، و هل هناك

---

(۱) البقرة: ۱۲۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۰

[سورة فصلت (۴۱): آية ۱۲]

فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)

في المدارات، ما أصله الدخان، مما يشبه هوائنا المجاور للأرض، أو المراد من خلق السماء خلق الكواكب من الدخان؟ أو غير ذلك؟

احتمالات فَقالَ الله سبحانه لَها أى للسماء- فإنها مؤنثة سماعية- وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا و أقبلا السير على وفق حكمتنا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً و هذا كناية عن تطلب الحركة منهما، كما يتطلب الإنسان من العاقل شيئا قالَتا أَتَيْنا و انقدنا للأوامر طائِعِينَ جمع طائع، و هذا كناية عن خضوعها التكويني، لما أجرى الله فيهما من السنة، كما يقال: قلت لداري لا تهدمي، فامتثلت، يراد أنها لم يحن بعد وقت انهدامها، و يحتمل بعيدا أن يكون هناك خطاب حقيقي، و جواب حقيقي، فإن ظاهر (وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) «۱» إن للأشياء مرتبة من الإدراك و التجارب، و إنما قال «طائعين» لأن الجمع قد يستعمل بمعنى الجنس، أو باعتبار تغليب العقلاء الذين فيهما.

[۱۳] فَقَضاهُنَّ أى صنع السماوات، و أحكم خلقهن سَبْعَ سَماواتٍ مدارات للكواكب السيارة- كما قالوا- أو هناك طبقات تسمى كل طبقة سماء، و لا حجة فى قول علماء الفلك على النفي، إذ الفضاء وسيع مدهش، و لم يدرك الإنسان حسب اعترافهم إلّا شيئا ضئيلا فى الفلك، نسبة إلى ما لم يدرك كنسبة الذرة إلى الصحراء الوسيعة فِي يَوْمَيْنِ أى مقدارهما- كما هو الظاهر- وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها بأن دبّر

---

(۱) الإسراء: ۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۱

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۱۳ الى ۱۴]

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ (۱۳) إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (۱۴)

أمرها، فإن الوحي يطلق على التيسير حسب الصلاح و الحكمة، نحو (وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) «۱» أو المراد أوحى إلى الملائكة الذين فيها، بأمور السماء و تنظيم شؤونها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا أى السماء القريبة من الأرض بِمَصابِيحَ أى النجوم، فإن جعل الفضاء الملاصق للأرض، بحيث يخرقه النور، حتى يراه الإنسان قد تزيّن له، و إنما سمى الكواكب مصابيح، لأنها كالمصابيح تضيء وَ حِفْظاً أى لأجل الحفظ، فإن الكواكب مراكز لرجم الشياطين، الذين يريدون اختلاس الكلمات، التى تدار هناك حول الأرض، فإنهم يرجمون من الكواكب بالشهب ذلِكَ الذى ذكر تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ فى سلطانه الغالب على كل شيء الْعَلِيمِ بالمصالح.

[۱۴] فَإِنْ أَعْرَضُوا أى أعرض هؤلاء الكفار عن الإيمان فَقُلْ يا رسول الله لهم أَنْذَرْتُكُمْ أى أخوّفكم صاعِقَةً أى عذابا، و إنما سمى العذاب صاعقة، لأنه يصعق الإنسان و يهلكه، و التأنيث، باعتبار أنها وصف للنار النازلة من السماء، فى العذاب غالبا مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ أى كعذاب قوم هود و صالح، حيث لم يؤمنوا فأهلكوا.

[۱۵] إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ أى نزل بهم العذاب حين أتتهم رسل الله

---

(۱) النحل: ۶۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۲

[سورة فصلت (۴۱): آية ۱۵]

فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (۱۵)

مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أى من كل طرف من أطرافهم قبلهم و بعدهم، حتى يحيطوا بهم لعلهم يؤمنوا- و هذا كناية عن إصرار الرسل عليهم بالإيمان، أو المراد أنذروهم من جهة دنياهم و آخرتهم، إن لم يؤمنوا، قائلين لهم أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ فلا تشركوا به عبادة الأصنام، لكن هؤلاء الأقوام لم ينفعهم الإنذار، بل قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا أن نؤمن به وحده، و لا نشرك به شيئا، و لا نفعل المعاصي- كما

تقولون- لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً لدعوتنا إلى هذه الأمور فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ إذ لا نعتقد بأنكم رسل من الله تعالى.

[۱۶] فَأَمَّا عادٌ قوم هود عليه السّلام فَاسْتَكْبَرُوا و تجبّروا فِي الْأَرْضِ حين وصفوا أنفسهم فوق حقيقتهم، بل رأوها أعظم من الإيمان بالله و اتباع رسله بِغَيْرِ الْحَقِ فلم يكن ترفيعهم نفوسهم بالحق لعلم أو إيمان، أو ما أشبه، بل لمجرد الظلم و الطغيان وَ قالُوا مغترين بقواهم البدنية و المالية، و ما أشبه مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً حتى يتمكن من تعذيبنا، فقد هددهم نبيّهم بالعذاب، إن تمادوا فى الطغيان، فقالوا نحن نقدر دفعه، إذ لا أقوى منا، حتى يتمكن من تعذيبنا، و قد ردهم الله سبحانه بقوله أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً فلو شاء أهلكهم، و لم يتمكنوا من دفع عذابه بقواهم، التى هى من قبل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۳

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۱۶ الى ۱۷]

فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ (۱۶) وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۱۷)

الله أيضا وَ كانُوا بِآياتِنا أى أدلتنا الدالة على وجودنا، و سائر صفاتنا يَجْحَدُونَ أى ينكرون و لا يعترفون.

[۱۷] فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ الريح الصرصر، هى الريح الباردة من الصرّ بمعنى البرد، أو هى الريح العاصفة، ذات الصوت الشديد، و الصيحة المزعجة، و نحسات، جمع نحس، و هى الأيام المشؤومة المنحوسة، و إنما كانت الأيام نحسات، لما يحدث فيها من العذاب، و النكال، و إنما أرسلنا هذه الريح عليهم لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ أى العذاب الذى يخزيهم و يذلهم فِي الْحَياةِ الدُّنْيا أى فى هذه الحياة القريبة قبل حياة الآخرة وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ المعدّ لهم أَخْزى أكثر إذلالا لهم وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ أى لا ينصرهم أحد من بأس الله تعالى.

[۱۸] وَ أَمَّا ثَمُودُ قوم صالح عليه السّلام فَهَدَيْناهُمْ أى بيّنا لهم طريق الخير و الشر و الإيمان و الكفر فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى أى اختاروا التعامى عن الحق على الهداية، و سلوك طريق الدين، و معنى استحب طلب حب الشيء فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ أى العذاب ذو الذلّ و الهوان، صعقهم و أهلكهم بِما كانُوا يَكْسِبُونَ من تكذيب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۴

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۱۸ الى ۲۰]

وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۱۸) وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (۱۹) حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۲۰)

صالح و عقر الناقة- كما مرت قصتهم سابقا-.

[۱۹] وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا فى هاتين القصتين وَ كانُوا يَتَّقُونَ المعاصى، فلم يصيبهم العذاب.

[۲۰] وَ اذكر يا رسول الله يَوْمَ يُحْشَرُ أى يجمع أَعْداءُ اللَّهِ و هم الكفار و العصاة إِلَى النَّارِ أى منتهين إلى النار فَهُمْ يُوزَعُونَ أى يحبس أولهم ليلحق بهم آخرهم، من وزع، بمعنى حبس، و منع و المعنى إذا حشروا حبسوا هناك على حافة النار قبيل دخولها، و فيه زيادة إهانة و إرهاب.

[۲۱] حَتَّى إِذا ما جاؤُها أى وصلوا إلى النار، و «ما» زائدة جيء بها، لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور- كما فى الصافى- شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ بالاستماع إلى المحارم وَ أَبْصارُهُمْ بالنظر إلى المحرمات وَ جُلُودُهُمْ بلمس الحرام، من أخذ، و مشى عليه، و زنا، و ما أشبه بِما كانُوا يَعْمَلُونَ من أنواع المعاصى، كما قال سبحانه (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) «۱» فإن الله سبحانه، يجعل فيها حاسة النطق و التكلم، كما جعل فى اللسان.

---

(۱) يس: ۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۵

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِی أَنْطَقَ كُلَّ شَیْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۱) وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ (۲۲)

[۲۲] وَ قالُوا أی قال أعداء الله لِجُلُودِهِمْ و الظاهر أن المراد تغليب الجلود، لا- أن خطابهم خاص بها لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا؟ حتی نبتلی بالعقاب، و تتم الحجة علينا، يقولون ذلک معاتبين قالُوا أی قالت الجلود فی جوابهم، و إنما جیء بلفظ العاقل، لأنهم حيث أخذوا فی التكلم، صاروا كأنهم عقلاء أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِی أَنْطَقَ كُلَّ شَیْءٍ من الأشياء الناطقة، و إنما جیء ب «كل شیء» لأن الجلود من الأشياء، و ليست من الأشخاص، فقد ردفت ردف «اللسان» فی الإنسان، و الطيور الناطقة و نحوهما وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ الظاهر أنه جملة مستأنفة خطاب من الله للكفار فی الدنيا، أی كيف تنكرونه، و هو خالقكم؟

وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فی الآخرة، و الرجوع إنما هو إلی حكمه و حسابه و جزائه، و يحتمل أن يكون هذا من تتمة كلام الجلود- و لكن بتأوّل-.

[۲۳] ثم رجع السياق إلی كلام الجلود مع الكفار يوم القيامة، إذ تقول لهم «ما سترتم المعاصی خوف شهادتنا عليكم، بل كان ستركم لها ظنكم بعدم علم الله إن سترتم» و تريد الأعضاء أن تثبت بهذا الكلام، رذيلة أخری علی الكفار- فوق ارتكابهم العصيان- و هی أنهم كانوا يظنون عدم علم الله تعالی بأحوالهم و اطلاعه علی عصيانهم، و هذا كما لو قال الشاهد للمجرم: إنک لم تخف منی، و لذا لم يكن ستركک من خوفی، و إنما كان ستركک للجريمة، لأنک لا تعتقد بعقاب الحاكم لک وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ المعاصی بإتيانها فی السرّ مخافة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۶

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۲۳ الى ۲۴]

وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (۲۳) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْویً لَهُمْ وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (۲۴)

أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا- أَبْصارُكُمْ وَ لا- جُلُودُكُمْ فإنكم لم تكونوا تخافون منها، حتی يكون ستركم للعصيان خوفا من هذه الجوارح وَ لكِنْ كان ستركم حيث ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ فكنتم ترون أن الله لا يعلم السرائر، و إنما يعلم العلانية فقط، فأسرتم المعاصی، حتی لا يعلم بها اللّه سبحانه.

[۲۴] وَ ذلِكُمْ «ذا» إشارة و «كم» خطاب ظَنُّكُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ أی أهلككم، و المعنی أن ظنكم بأن الله لا يعلم سركم، هو الذی أوجب هلاككم، إذ نزّلتم الله سبحانه، دون منزلته، و أنكرتم علمه الشامل، حتی هانت لديكم المعاصی، فأدی إلی الكفر، و فی الإعراب «ذلكم» مبتدأ، و «ظنكم» بدل منه، و «أرداكم» خبر فَأَصْبَحْتُمْ أيها الكفار مِنَ الْخاسِرِينَ الذين خسروا دنياهم و أخراهم، روی عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال ينبغی للمؤمن، أن يخاف الله خوفا، كأنه يشرف علی النار، و يرجوه رجاء، كأنه من أهل الجنة، إن الله تعالی يقول «وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ ... الآية» ثم قال، إن الله عند ظن عبده، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر «(۱).

[۲۵] و بعد هذا كله، فحق هؤلاء الكفار النار فَإِنْ يَصْبِرُوا علی ما يلاقون

(۱) بحار الأنوار: ج ۷ ص ۳۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۷

[سورة فصلت (۴۱): آية ۲۵]

وَ قَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ (۲۵)

من النيران و الهوان فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ أى منزل لهم من «ثوى» بمعنى اتخذ المنزل، و المعنى أن صبرهم لا ينفعهم، كما كان ينفع فى الدنيا وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا أى ليطلبوا العتبى، و هى بمعنى «الرضا» أى يطلبوا رضاه سبحانه عنهم حتى ينجيهم مما فيه فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ بصفة اسم المفعول- أى ممن يرضى عنه، فإن المعتب هو الذى يقبل عتابه، و يجاب إلى ما سأل.

[۲۶] و قد جرت عادة الله فى الكون، أن الإنسان، إذا عاشر الأخيار، يقودونه إلى الخير، و إن عاشر الأشرار، يقودونه إلى الشر، و إذا انحرف الإنسان لما رأى الهدى، لا بد و أن يلتحق بقافلة الأشرار، و هذا معنى تهيئة الله لرفقاء السوء، فإنه حيث جرت سنته الكونية على ذلك نسبت التهيئة، لقرين السوء إليه وَ قَيَّضْنا أى هيئنا لَهُمْ أى لهؤلاء الكفار قُرَناءَ جمع قرين، و هو الصديق المقارن للإنسان فَزَيَّنُوا أولئك القرناء لَهُمْ أى لهؤلاء الكفار ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ من أمور الدنيا الحاضرة، بأن زينوا لهم الكفر و العصيان وَ ما خَلْفَهُمْ من أمور الدنيا الآتية، كتأسيس أسباب الفسق و العصيان، كالبدع الباقية، و بناء محلات الفساد، و ما أشبه ذلك، و لعل العموم شامل للشياطين أيضا، كما قال سبحانه (وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) «۱»

---

(۱) الزخرف: ۳۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۸

[سورة فصلت (۴۱): آية ۲۶]

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (۲۶)

وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ أى ثبت فى حقهم العذاب، فقد صاروا فى قطيع الكافرين، و أهل النار، فهم داخلون فِي أُمَمٍ كافرة كانت قَدْ خَلَتْ و مضت مِنْ قَبْلِهِمْ أى من قبل هؤلاء الكفار مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فهؤلاء داخلون فى زمرة أولئك إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ حيث خسروا سعادة الدنيا و الآخرة.

[۲۷] ثم يأتى السياق لبيان حال الكفار، أمام القرآن و صنيعهم لإبطاله، و عدم وصوله إلى الناس وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا من أهل مكة، بعضهم لبعض لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ الذى يقرأه الرسول، لئلا تتأثروا به، و يجذبكم إلى الإيمان وَ الْغَوْا فِيهِ أى عارضوه باللغو الباطل لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ الرسول، فقد كان بعض الكفار، إذا قرأ الرسول القرآن، جاءوا، و رفعوا أصواتهم بالكلام الهدر، ليخلطوا على الرسول، فلا يتمكن من القرآن، و لئلا يسمع الناس الذين يستمعون إلى كلام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى يؤثر فيهم القرآن، و فوق ذلك، إن بعض الكفار، كان يقف على باب المسجد الحرام، فإذا أراد أحد الدخول، فى المسجد للطواف- و الرسول جالس قرب الكعبة يتلو- ملأ أذنه قطنا، و يحذره من سماع القرآن، قائلا أن فيه سحرا يؤثر، كما فعلوا ذلك بالوفد الذى أتى من المدينة، للإصلاح بين الأوس و الخزرج.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۴۹

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۲۷ الى ۲۹]

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (۲۷) ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (۲۸) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (۲۹)

[۲۸] فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً فى الدنيا بالقتل و الأسر و الضنك، و غيرها، و فى الآخرة بالنار و الهوان وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ أى نجازيهم بأقبح أعمالهم، أما أعمالهم الحسنة، فإنها تحبط، أو نجازيهم بأقبح جزاء فى مقابل العصاة المعادين الذين لا يجازون إلا بالقبيح.

[۲۹] ذلِكَ الذى تقدم من «أَسْوَأَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ» جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ «ذلك» مبتدأ، و «جزاء» خبره، و النَّارُ بدل من «جزاء» أى ذلك الذى ذكرنا هو النار لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ فهم مخلدون فى النار أبد الآبدين جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ أى ينكرون الآيات الدالة على وجودنا، و سائر صفاتنا، من الآيات التكوينية و التشريعية، كالقرآن الحكيم.

[۳۰] وَ إذ دخل الكفار النار، أرادوا الانتقام من الذين أضلوهم فى الدنيا، و قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ و المراد بالجن الشيطان، و المراد الطائفتين لا الشخصين، فهم يريدون الانتقام من الشياطين الموسوسين لهم، و البشر المضلين إياهم، لكى نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا فى النار، لنسحقهم، أو ليكونوا أشد عذابا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۰

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۳۰ الى ۳۱]

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۴ ۶۶۰

إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۳۰) نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ (۳۱)

إذ طبقات النار كلما سفلت ازدادت حرارة و نكالا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ أى من جملتهم، حتى يكون عذابهم أكثر من عذابنا، و هنا لا يأتى الجواب، و قد مرّ فى آية أخرى، أنه سبحانه يقول (لِكُلٍّ ضِعْفٌ) «۱».

[۳۱] فى مقابل أهل النار أهل الجنة الذين آمنوا و عملوا الصالحات إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ أى اعتقدوا ذلك، لا مجرد لقلقة لسان ثُمَّ اسْتَقامُوا فى العمل و السلوك بالإيمان، بما يلزم الإيمان به و العمل الصالح تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ إما دائم الأوقات،

فإن الملائكة تنزل على الأخيار، و إن لم يروها «۲» أو عند الموت- كما روى عن الصادق عليه السّلام

«۳» و يؤيده ظاهر الآية- قائلين لهم أَلَّا تَخافُوا من أهوال الآخرة وَ لا تَحْزَنُوا و هو بعد الخوف، فإن الإنسان، إذا علم بالمكروه، أو وصل إليه حزن وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ بها فى الدنيا.

[۳۲] ثم يقولون لهم على وجه التبشير نَحْنُ معاشر الملائكة أَوْلِياؤُكُمْ أحبائكم و نلى أموركم فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فإنا معكم لا

---

(۱) الأعراف: ۳۹.

(۲) راجع تأويل الآيات: ص ۵۲۴.

(۳) بحار الأنوار: ج ۵۶ ص ۱۶۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۱

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۳۲ الى ۳۳]

نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (۳۲) وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۳۳)

يصيبكم مكروه ما دمتم فى الحياة- و هذا لا ينافى كون التنزل عند الموت، إذ يراد به حينئذ هذه الساعات القلائل التى بقيت من أعمارهم فى الدنيا- وَ فِي الْآخِرَةِ حيث نهديكم الطريق إلى أن تصلوا إلى الجنة، فإن الإنسان من أحوج ما يكون إلى المرشد و الصديق فى محلات الأهوال و الأحزان وَ لَكُمْ فِيها أى فى الآخرة ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ من أنواع الملذات و الكرامات وَ لَكُمْ فِيها أى فى الآخرة ما تَدَّعُونَ أنه لكم، من «ادّعى» «يدعى».

[۳۳] ثم يرونهم، بأنها من إحسان الله إليهم، حتى تبهج نفوسهم بالكرامة، كما بهجت بالملذة نُزُلًا أى فى حال كون هذا الإنعام، بما تشتهى الأنفس إنزالا مِنْ غَفُورٍ لذنوبكم رَحِيمٍ بكم، و الإنزال إنما هو باعتبار علو مرتبة المعطى، لا الرفعة المكانية.

[۳۴] ثم يأتى السياق توجيه الناس إلى دعوة الرسول، و أنها ليست إلا- إلى الخير، و للخير، فلما ذا يفر منها الكفار و العصاة؟ وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا استفهام يراد به النفى، أى لا- أحد أحسن قولا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ الذى هو خالق البشر و مالك كل شيء وَ عَمِلَ صالِحاً الملازم لعدم السّيئ وَ قالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ الذين أسلموا لله تعالى، فى كل أمر و نهى، و ممن أرشد و دعا، فهو مسلم، عامل للصالحات، داع إلى الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۲

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۳۴ الى ۳۵]

وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (۳۴) وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (۳۵)

تعالى، و هل هناك أحسن منه؟

[۳۵] و إذ جرى حديث الدعوة، لا بد و أن يسير السياق إلى واجب الداعى أمام الأتعاب و المصاعب التى يواجهها الدعاة إلى الله وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ فإن الحسنة المأمور بها الداعى فى مقابل الجهال، خير من السيئة، التى هى مقتضى تقابل السيئة بمثلها، و هذه الجملة كمقدمة لقوله ادْفَعْ يا رسول الله، أو أيها الذى تواجه بالسيئة بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أى ادفع أذى الكفار و كيدهم بالطريقة التى هى أحسن الطرق فى دفع الأذى و الكيد، و

قد جمع الإمام السجاد عليه السّلام، ذلك فى قطعة من «دعاء مكارم الأخلاق» هى «سدّدنى لأن أعارض من غشنى بالنصح و أجزى من هجرنى بالبر، و أثيب من حرمنى بالبذل، و أكافئ من قطعنى بالصلة، و أخالف من اغتابنى إلى حسن الذكر و أن أشكر الحسنة، و أغضى عن السيئة»

«۱» فَإِذَا فعلت ذلك كان الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ و غضاضة كَأَنَّهُ وَلِيٌّ أى موال لك حَمِيمٌ كثير المودة و المحبة.

[۳۶] وَ ما يُلَقَّاها أى ما يلقّى هذه الفضيلة و الصفة التى هى الدفع بالتى هى أحسن إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا فى مقابلة الجهال، بأن لم تثر أقوال الأعداء و حركاتهم وَ ما يُلَقَّاها أى هذه الخصلة المذكورة إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

---

(۱) الصحيفة السجادية: ص ۹۲ و من دعائه عليه السلام فى مكارم الأخلاق.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۳

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۳۶ الى ۳۷]

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۳۶) وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (۳۷)

أى نصيب وافر من العقل، و الرأى، و الحكمة، فإن الإنسان يقابل السيء بالأسوإ، ثم بالمثل و آخر طاقته أن يسكت فى مقابل السيئة، أما أن يفعل الحسن، بل الأحسن، فإنه بحاجة إلى حظ عظيم و عظيم جدا.

[۳۷] وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ يا رسول الله، أو أيها المخاطب، بأن تدفع بالتى هى أحسن مِنَ الشَّيْطانِ أى من طرفه نَزْغٌ النزغ هو النخس بما يدعو إلى الفساد، فإن الشيطان ينخس الإنسان، و يهيجه للباطل خصوصا عند الخصام، و فى المعركة- و هذا من تتمة الأمر بالدفع بالتى هى أحسن- فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أى اطلب العوذ و الإجارة و الحفظ من الله سبحانه، «من الشيطان الرجيم» الطريد، المرجوم باللعن و الشهب كما قال سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا) «۱» و هذا بخلاف غير المتقى الذى يستمر فى خصامه

و لجاجه،

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام «الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم»

«۲» ف إِنَّهُ أى اللّه هُوَ السَّمِيعُ يسمع ما تقولون و هو الْعَلِيمُ يعلم ما تعملون.

[۳۸] ثم رجع السياق ليحاج المشركين بإتيان الأدلة على الله الواحد الأحد الذى لا شريك له وَ مِنْ آياتِهِ أى آيات الله الدالة على وجوده و سائر

---

(۱) الأعراف: ۲۰۲.

(۲) نهج البلاغة: ص ۶۸۱- الباب الثالث فى المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام الرقم ۲۵۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۴

[سورة فصلت (۴۱): آية ۳۸]

فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ (۳۸)

صفاته اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ فمن يا ترى أبدعها و خلقها، هل هى الأصنام الجاهلة العاجزة الجامدة؟ أم الله العلى العظيم؟ لا تَسْجُدُوا أيها الناس لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ فإنهما من آيات الله سبحانه، و ليسا بإله يسجد له وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ أى خلق الشمس و الليل و النهار، و الإتيان بجمع العاقل، لتوحيد السياق مع قول المشركين، فإنهم كانوا يعتبرون هذه المخلوقات من العقلاء، حيث اتخذوها آلهة إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ أى إن كنتم تريدون عبادة الله فاعبدوه وحده و لا تشركوا به، و هذا كما يقول «إن كنت تريدنى فاسمع كلامى، و لا تسمع كلام غيرى» تريد أن سماع كلامك، و كلام غيرك عندك، بمنزلة عدم سماع كلامك أصلا.

[۳۹] فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا أى تكبر هؤلاء الكفار عن قبول كلامك و اتباعك فى التوحيد، بل عبدوا الشركاء مع الله، فليس بمهم، إذ هناك من هو أعلى منهم، و أرفع رتبة، يخضع لله و يسجد له وحده، و هذا كما تقول لمن عصاك «إن تعصى، فإن عندى من هو أحسن منك يطيعنى» تريد الاستهانة بشأنه، و أنك لا يهمك عصيانه، فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ أى الملائكة، و المراد عنده رتبة و منزلة، لا مكانا، فهو سبحانه منزه عن المكان و المكانيات يُسَبِّحُونَ لَهُ أى ينزهونه عن الشركاء و النقائص

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۵

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۳۹) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَ فَمَنْ يُلْقى فِى النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۴۰)

بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ فى دائم الأوقات وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ من سأم بمعنى تعب، أى لا يتعبون من التسبيح و العبادة.

[۴۰] وَ مِنْ آياتِهِ الكونية الدالة على وحدته، و سائر صفاته و على المعاد أَنَّكَ يا رسول الله، أو أيها الرائى تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً و خشوعها اغبرارها، و عدم وجود النباتات المتحركة فيها، بواسطة الجدب، فحالها حال الإنسان الخاشع، الذى لا حراك له، و هو مغبر غير نضر فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ من المطر اهْتَزَّتْ أى تحركت، فإن الماء ينشط الأرض و يحركها بالانتفاخ و تعلية الأملاح وَ رَبَتْ أى ارتفعت لدخول الماء و الهواء خلالها إِنَّ الَّذِى أَحْياها أى أحيا الأرض بعد الموت و الخشوع لَمُحْيِ الْمَوْتى فكما يقدر على هذا يقدر على ذلك إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فكيف ينكر الكافر قدرته على إعادة الأموات، و هو يرى هذه القدرة الباهرة كل يوم؟

[۴۱] إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا أى يميلون عن الإيمان بآياتنا، من «ألحد»، بمعنى، مال، فينكرون قدرتنا، و سائر صفاتنا، فإنهم حيث انحرفوا عن الإيمان، كانوا بمنزلة من انحرف عن الدليل الدال عليه لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا فإنهم تحت سمعنا و بصرنا، نرى أعمالهم و نسمع

أقوالهم، حتى نجازيهم على ما اقترفوا من الميل و الانحراف، و يكون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۶

[سورة فصلت (۴۱): الآيات ۴۱ الى ۴۲]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (۴۲)

مصيرهم النار، بخلاف مصير المؤمنين الذى هو الجنة أ فَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ و هم الملحدون أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً من عذاب الله يَوْمَ الْقِيامَةِ و مصيره إلى الجنة؟ ثم يتوجه الخطاب إلى الناس مبينا لهم، أن كل عمل يعملونه من خير أو شر سيجازون عليه اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ من الإيمان و الكفر و الطاعة و المعصية إِنَّهُ تعالى بِما تَعْمَلُونَ من الخير و الشر بَصِيرٌ عالم لا يخفى عليه شيء، فستحاسبون عليه و تعطون جزاءه، فاختاروا لأنفسكم ما شئتم.

[۴۲] ثم هدد سبحانه الكافرين بالقرآن، بعد أن هدد الكافرين به، أو بالمعاد، بقوله إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ و هو القرآن، بأن جحدوه، و قالوا أنه ليس من عند الله لَمَّا جاءَهُمْ من عند الله تعالى وَ الحال إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ ذو عزة و رفعة، لا يتمكن البشر أن يأتيه لفصاحته و بلاغته و اشتماله على الأنظمة البديعة و الخوارق، و قد حذف خبر إنّ لأجل التهويل، فالتقدير مثلا ليلاقوا جزاءهم الأليم على هذا التكذيب و الكفر، و قد تقرر في علم البلاغة، أن حذف الخبر، و ما أشبه في مثل هذا المقام يفيد التهويل، كما تقول للمجرم: إن اقترفت هذه الجريمة، تريد تهويله من الجزاء الذى يحل به.

[۴۳] ثم وصفه سبحانه بقوله لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بأن يأتى فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۷

[سورة فصلت (۴۱): آية ۴۳]

ما يُقالُ لَكَ إِلاَّ ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ (۴۳)

زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما يماثله فى فصاحته أو نظامه، أو أخباره، كأن يأتى أفصح منه، أو أجمل نظاما، أو ما يدل على أن أخباره عن الأمم السابقة أو اللاحقة، أو حول الأصول باطلة وَ لا مِنْ خَلْفِهِ بأن يأتى بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، من يبدى بطلانه فى إحدى تلك الأمور، و روى فى المجمع عن الباقر و الصادق عليه السّلام، أن معناه ليس فى أخباره عما مضى باطل و لا فى أخباره عما يكون فى المستقبل باطل، بل أخباره كلها موافقة لمخبراتها «۱»، أقول: و كان هذا بيان لمصداق من مصاديق الكلى الذى ذكرناه، و هو الظاهر من عموم الآية تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ فى أفعاله، فإنه سبحانه، أنزل القرآن حسب الحكمة و الصلاح، و لذا لا يتطرق إليه الباطل حَمِيدٍ محمود فى كل شيء، و لذا لا يأتى بما لا يحمد مما هو قابل للبطلان.

[۴۴] ثم ربط سبحانه بين الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و سائر الرسل، و بين القرآن، و سائر الكتب السابقة بقوله ما يُقالُ لَكَ يا رسول الله، أى لا يوحى إليك إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ بأن أوحى إليهم إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ أى غفران للمذنبين إذا تابوا وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ مؤلم لهم إذا بقوا فى كفرهم و عصيانهم، فليختاروا ما شاءوا من المغفرة التابعة للإيمان، أو العقاب التابع للعصيان.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۹ ص ۲۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۸

[سورة فصلت (۴۱): آية ۴۴]

وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (۴۴)

[۴۵] ثم عطف السياق نحو القرآن بقوله وَ لَوْ جَعَلْناهُ أى جعلنا هذا القرآن قُرْآناً أَعْجَمِيًّا بغير لغة العرب لَقالُوا أى لقالت العرب لَوْ لا

أى هلّا فُصِّلَتْ و بينت بلغتنا آياتُهُ حتى نفهمه، فنؤمن به، و قالوا تبريرا لعدم إيمانهم أَعْجَمِيٌّ القرآن وَ عَرَبِيٌّ من خوطب به: كيف يكون هذا؟ و جعلوا ذلك وسيلة لعدم الإيمان، أمّا و القرآن عربى، و الرسول منهم (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) «۱» فما عذرهم؟ قُلْ يا رسول الله هُوَ القرآن أنزله الله عربيا، حتى يقطع عذركم، فهو لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً من الضلالة وَ شِفاءٌ من أمراض القلب كالحسد و الغل و القلق، و سائر الأوجاع النفسية، أو الأعم منها، و من الأوجاع البدنية وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالقرآن ليس من جهة نقص فى القرآن، بل من جهة أنهم فِى آذانِهِمْ وَقْرٌ أى حمل ثقيل مانع عن استماعه، و هذا كناية عن إعراضهم عن الحق، فهم كالأصمّ الذى فى أذنه ثقل لا يسمع، فلا يسمع حتى يعلم- بعلاقة المشابهة- وَ هُوَ أى القرآن عَلَيْهِمْ أى على الذين لا يؤمنون عَمًى إذ أن القرآن يوجب أن ينصرفوا عن الحق، انصراف الأعمى عن الطريق، فكأنه يولد فيهم العمى، و الإنسان يرى بعض الناس، يقرون بالحق نوعا ما، فإذا جاءهم الحق واضحا، تعاموا حتى عما

---

(۱) الجمعة: ۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۵۹

[سورة فصلت (۴۱): آية ۴۵]

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (۴۵)

كانوا يعترفون به، عنادا و حسدا، أو المراد أنهم كالأصم و الأعمى، لا يبصرون الحق، و لا يسمعون الصدق أُولئِكَ الكفار كالذين يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ حيث لا يسمعون و لا يفهمون، كمن إذا نودى من البعد، لا يسمع و لا يفهم، فهذا من باب تشبيه حالهم فى الإعراض، بمن ينادى من بعيد.

[۴۶] و لا غرر فى ذلك، فإن الأمم قد اعتادت تكذيب الأنبياء وَ لَقَدْ آتَيْنا أى أعطينا ل مُوسَى الْكِتابَ أى التوراة فَاخْتُلِفَ فِيهِ اختلف فيه الناس، فبعضهم آمنوا به، و بعضهم لم يؤمنوا، كما اختلفوا فى القرآن، و هذا تسلية للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ يا رسول الله، بتأخير العذاب عن قومك، لأنك فيما بينهم (وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ) «۱» لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ أى لحكم الله بين المؤمن و الكافر، بإبقاء المؤمن و إهلاك الكافر، بإنزال العذاب عليهم، كما أهلك القبط بالغرق، حين كفروا بموسى وَ إِنَّهُمْ أى قومك لَفِي شَكٍّ مِنْهُ أى من القرآن مُرِيبٍ أى موجب للريب و الاضطراب، فإن الشك إذا لم يظهر أثره لا يسمى مريبا، و هذا كفذلكة للكلام، أو المراد، أنهم فى شك من قولنا «لو لا كلمة .. إلى آخره» أى لا يصدّقون، بأن الكلمة أخّرت عذابهم إلى يوم القيامة، بل يظنون أنك

---

(۱) الأنفال: ۳۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۴، ص: ۶۶۰

[سورة فصلت (۴۱): آية ۴۶]

مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (۴۶)

تكذب، و لذا لا أثر لكلامك و تهديدك.

[۴۷] و أخيرا مَنْ عَمِلَ صالِحاً بالإيمان بالله و الإتيان بأوامره فَلِنَفْسِهِ عمل إذ هو يرى جزاءه الحسن، و ثوابه العاجل و الآجل وَ مَنْ أَساءَ عقيدة أو عملا فَعَلَيْها أى كان ضرره على نفسه وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ أى بذى ظلم، فإن «فعّال» من صيغ النسبة، كما قال ابن مالك:

و مع فاعل و فعال فعل فى نسب أغنى عن اليا فقبل

أو يراد به المبالغة، و ذلك لأن كل صنعة جازت فى الله، بلغت إلى أقصى حد، فإن جاز فيه الخلق كان خلاقا، أو الرزق كان رزاقا، و

هکذا، فنفی المبالغة، موجب لنفی الصفة لِلْعَبِیدِ جمع عبد، فما یری الإنسان من السوء فی الدنیا أو الآخرة، فإنما هو جزاؤه العادل بما عمل من الکفر و العصیان.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبِیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.